قصة

الأمير حمزة البهلوان

المعروف

بحمزة العرب

المجلد الرابع

بيروت

مكتبة صادر

طبع بمطبعة «مكتبة صادر» في بيروت، سنة ١٩٢٧



الجزء ال...

من قصة الامير حمزة ...

ومن ثم امر هارون ان يتمم الشراب ومن بعده الطعام فأكلوا ... الاطمئنان وفرح الجميع وبعد الطعام رجعوا الى اماكنهم ودار بينهم حديث اصطخرخام وما كان من امره واخبار الغلام سليم قصته مع عمه فاغاظه وشتمه وقال لا بد لي من القبض عليه والاتيان به في هذه الساعة وفي الحال نهض فقدم له جواداً من الخيل الجياد فركب وسار الى معسكره فوجدهم بانتظاره فلاقوه وهنأوه بالسلامة فسألهم عن اصطخرخام فقالوا له انه دخل المدينة منذ اول وقوعك الى الارض ومن تلك الساعة لم يخرج فنزل حالاً الى المدينة وفتش بها فلم يره قط واخذ في ان يسأل عنه فقيل له انه خرج منذ مدة وعلى ما يظن انه يقصد الاقليم الخامس ليدخل على بهرام الى آخره فاغتاظ من ذلك ورجع في الحال الى ان ... من معسكر بديع الزمان فعرض عليه هذا الامر واخبره بهربه فسر من ذلك بديع الزمان كي يصل الى ذلك الاقليم ويعمل به ما فعل بغيره من الاقاليم ورأى ان الحظ والنجاح رهين المستقبل والسعادة تصحبه ايما سار وان في ذلك ارادة الباري ...

وقال بديع ان ... فسكت عند سماعها هذا الكلام فالتفت اليهم قال اعلموا ... انني صممت عزماً على ... اصطخرخام لاحصل حق هذا الغلام المسكين ... ولو دخل في بلاد الجان ... في هذا المكان الى ان ... على المسير الى الاقليم الخامس وحدي اذا لم يكن لي ... فقالوا له جميعاً انا نسير بخدمتك ايما سرت ولا نبعد عنك ابداً ... على كل حال لانك وانت تبذل نفسك في سبيل وصالح

واحد منا ولا نفع لك بذلك وسنسير في اي ساعة امرت. فقال لهم اسألكم عن بهران ابي الزنجير هل هو من الفرسان الصناديد ولماذا دعي بهذا الاسم . فقال له مردان ان جل ما نعرفه عنه انه فارس عنيد وهو لا يلبس ثياباً وعلى الدوام عريان وفي وسطه ستارنقط وقد دعي بابي الزنجير لانه يلف زنجيراً على رأسه مثال العامة ويقاتل على تلك الصورة واذا وقعت السيوف والرماح على جسده فلا تؤثر به قط ولا نعلم سبباً لذلك ولربما كان جسمه من الفولاذ او الحديد وهذا جل ما نعرفه . فقال بديع اذاً اذهب الى قومك واستعد للسفر للسير بعد ثلاثة ايام من هذا المكان فنهض مردان وسأل بديعاً ان يسير معه الى المدينة ويأكل من طعامه فاجاب ونهض وسار معهما باقي الملوك ونزلوا المدينة واقاموا فيها على الحظ والانشراح الى اليوم الثاني والناس تتعجب من بديع الزمان كيف قدر على اسر سيدهم ابي الاربع ايادي وفي ثاني الايام خرجوا من المدينة الى معسكرهم الى ان مضى ثلاثة ايام فخرج مردان ومعه ثمانون الف فارس من كل مدرع ولابس وساروا وانضموا الى عساكر بديع وصاروا جيشاً واحداً . وفي مقدمتهم ابن الامير حمزة البهلوان يقصدون الاقليم الخامس

قال فهذا ما كان من هؤلاء . واما ما كان من اصطبرخام فانه لما رأى وقوع مردان تحت بديع ادرك ما سيكون من امره وخاف من ان يقع الاتفاق على مسكه فانسحب في الحال الى المدينة واخذ ما يحتاجه وركب جواده وانطلق ركضاً في طريق الاقليم الخامس وما زال في مسيره مدة خمسة عشر يوماً وفي اليوم السادس عشر دخل على بهران وهو في صيوانه ورمى بنفسه على قدميه وقال له اجرني يا فارس الشرق والغرب واشتر دمي وامنع خصمي تنال الحمد والثناء من الله والناس. فقال له ماذا جرى لك وممن اجيرك ومن الذي جار عليك . فقال له ان خصمي هو بديع الزمان ابن الامير حمزة البهلوان ملك العرب وفارسهم وقد جاء بلادنا والقى الشقاق بيننا وكان من امره ما هو كذا وكذا وحكى له القصة بتمامها من الاول الى الاخر وكيف ان ملوك الاقاليم طاعته وانضمت اليه وصاروا

من رجاله وانهم لا بد ان يأتوا في طلبه الى ذلك الاقليم . وجعل يبكي ويتوقع عليه ويظهر على نفسه انه مظلوم حتى رق له بهران فأجاره وقال له كن براحة فقد دخلت في ذمامي ولا يمكن لبديع الزمان او لغيره من الانس والجان يقدر ان يصل اليك واني لا بد من ان اقتل عدوك واعيدك الى ملكك واصلح بينك وبين ابن اخيك ويكون لك ما يرضيك فاطمأن خاطر اصطبرخام وامل الخير والنجاح وجعل ينتظر ما يكون من امر بديع وقومه وهو يستنشق اخبارهم ويود ان يأتوا تلك الارض ليقع بديع في قبضة مردان لانه كان يظن انه اذا قتل بديع انقضى الامر ورجع اليه كل ما خسره ورجعت ملوك الظلمات الى بلادها

وما مضى على وصوله الا ايام قليلة حتى طلت عساكر بديع الزمان وانتشرت في تلك الارض كانها قطع النجوم وضربت خيامهم في مكان منحرف عن المدينة وتفرقوا في ذلك اليوم للراحة من السير الى كان اليوم التالي اجتمعوا الى بعضهم في صيوان بديع واذا برسول بهران قد دخل وسلم مردان تحريراً منه ففضه وقرأه واذا به :

من بهران ابي الزمجير الى بديع الزمان ومن معه من ملوك الظلمات

لقد وصل اليَّ اصطبرخام واخبرني بكل ما فعلتم معه من الظلم والعدوان وانكم ساعون خلف منه بقصد القبض عليه واعدامه على انه لم يكن عهدي ان تفعلوا ذلك ومن جرى حضوركم اليَّ ثبت عندي وتأكدت جوركم عن جادة السلام والامان لانكم تأكدتم وصوله اليَّ ودخوله الى بلادي وتحت طاعتي وفي حوزتي وكان من اللازم ان ترجعوا وتقتصروا على ما فعلتم فخرقتم حرمتي واتيتم الى جاري لتقبضوا عليه فهذا لا يمكن قطعاً وعليه فاستعدوا للحرب والقتال وملاقاة الشرور والاهوال واني لا اتعدى عليكم قط بل انتم تعديتم على نفوسكم ولم اعد ارجع عنكم الا اذا قبضتم على بديع الزمان ابن الامير حمزة البهلوان وارسلتموه اليَّ واعتذر عن عمله واعترفتم بحكومة اصطبرخام على الاقليم الاول الى ان يكبر ابن اخيه سليم وهذا جل ما ارغبه واريده والسلام

ولما قرأ ملوك الظلمات هذا التحرير عظم عليهم الامر وتكدروا من تهديد بهران وقالوا دعنا نكتب اليه الجواب فقد نسب الينا الظلم وقد غشه اصطلبرخام كما غشنا نحن واننا نطلبه الى القتال ومهما يشاء الله يفعل فقال لهم لا يمكن لاني اريد ان ابارزه ولا احب ان اخاطر باحد منكم لا سيما وقد قلتم لي ان السيوف لا تعمل في جسمه فأحب ان ابرز اليه لاكيده واريكم ماذا يفعل سيفي به . قالوا اننا نؤكد ذلك ولا يمكن لسيفك ولا لرمحك ولا لشيء من السلاح ان يؤثر في جسمه واننا نرغب في قتاله لنخفف عليك التعب حتى اذا فزنا عليه كان خيراً واذا قتلنا تقدر انت على اخذ ثارنا فقال لا ارغب في سفك دم احد قط ولا بد ان يصير بيني وبينه مثلما صار بيني وبينكم واني اتكل على الله فانتصر عليه واضمه الينا وهذا مما ينهي الامر باقرب وقت ثم انه اخذ فكتب الى بهران يقول :

من بديع الزمان ابن الامير حمزة البهلوان الى بهران ابي الزنجير

اعلم ايها الملك العاتي المتعظم بنفسه المتكبر على ابناء جنسه انك سمعت باصطلبرخام وصدقت كلامه وصغيت اليه وجرته ولم تبحث عن حقيقة امره حتى أوصلك ذلك الى عنادنا وتهديدنا مع انك لو عرفت الصحيح لقبضت عليه و رجعته الينا وابقيت الصلح بينك وبين جيرانك لانه هو الظالم الذي قصد ان يهلك ابن اخيه طمعاً بالملك والعظمة وحاشا لله ان يقبل بذلك فأعاد كيده الى نحره وارجعه مطروداً مهاناً يتوقع على الملوك من واحد الى واحد واقسمت بالله اني لا ارجع عنه حتى اقبض عليه واقاصصه على فعله وخيانته فبحال وصول تحريري هذا اليك اقبض عليه وارسله الينا فيبقى السلام بينكم وتكون قد تخلصت من هذا واحضر بعد ذلك الى صيواني لنعقد بيننا شروط الصلح والسلام ونكون اصحابا واصدقاء على طول الزمان ولا تظن بنفسك انك تغلب فتغلب ولا تغتر بان السيوف لا تعمل في جسمك فان سيفي يقطع الحجر الاصم اني لو ضربت به جبلا لدكه وسترى بعينك اذا نويت على قتالي صدق مقالي والسلام

ثم ارجع الكتاب مع الرسول فاخذه وسار به الى سيده وعند ما قراه غضب

غضباً عظيماً وهاج كما تهيج فحول الجمال وقال لابد من هلاك بديع الزمان وهارون وهرزان ومن جاء معهم الى هذا المكان . وفي نفس الساعة امر ان تجمع العساكر وتركب في الحال وتخرج الى خارج المدينة فخرجت وركب هو ايضاً وخرج وضربوا خيامهم في ذلك المكان وانتظروا انقضاء ذلك النهار حتى انقضى وانقضى ليله وبدا الصباح منيراً باشعته اللامعة على تلك الفرسان فركبوا جميعاً وتقدموا الى ساحة الميدان وفي مقدمتهم بديع الزمان وقبل ان يحمل رأى بهرام قد برز وصال وجال وهو راكب على اربعة اردن الجمال وهو عار من الثياب يضيء بدنه ويلمع كأنه مدهون بزيت وعلى رأسه زنجير من الحديد ملفوف كالعمامة لفة فوق لفة وبيده مارة بسبع ستة اليد وصاح فيه وصدمه صدمة جبار عنيد واخذ معه في القتال والصدام والطعان والضراب ثم ينذب رؤوس الابطال من الصباح الى الزوال فافترقا على سلام وباتا في الخيام الى ان لاح اليوم التالي فرجعا الى ما كانا عليه في اليوم الاول وما برحا على مثل ذلك مدة شهر ثلاثين يوماً وفي كل هذه المدة كان بديع لا يمكن ان يقرب منه بسيفه فلم يؤثر به ولا تحرك حتى تخدرت يديه فتحير في امره و حتار كيف يفعل ورأى نفسه عاجزاً عن نوال المراد وخاف من ان يغشي امام هؤلاء الخلق وهذه غاية الدنيا فدخل الى صيوانه وتحقق ان هذا لهو الامر وكان من خلايا الاوهام ونكر كيف يتم بين يديه فارس مدة شهر تام دون ان يمكنه من نيل لذلك عن ذلك فلم ير من حيلة لاسره او قتله وبعد ان صرف نحو من ثلاث ساعات منفرداً في الصيوان خرج الى الخارج وطار من بين لا ينفعه شيء ووجهه قاصداً ان يرى فكره بالهلاك ولا يجد مأوى من نفسه الا ان يذهب من ساحته حتى لا يعود ولا يعود يرجع الى تلك النواحي وكان القمر مضيئاً صافياً مشرقاً ولما خرج من المعسكر قصد جهة الجبل وهو ينظر الى القمر تارة والى الجبل تارة ثانية حتى تبين في وسط الجبل شعاعاً اشبه بنور القمر يظهر تارة ويختفي اخرى فتحير فكره من ذلك وتسلق الجبل قاصداً ذلك المكان ليرى ما فيه وبقي على ذلك حتى وصل منه فرأى باباً من النحاس اللامع

شفافاً مصقولاً كانه الشمس اللامعة في رابعة النهار ورأى مكتوباً بالخط الفارسي عند الباب هذه الاسطر بخط ثخين فقرأها وهي « يامن وقف على باب هذا الكنز ان كنت بديع الزمان ابن الامير حمزة البهلوان ابن الامير ابراهيم حاكم مكة المطهرة فاقرأ حسبك ونسبك وضع يدك على الباب فينفتح حالاً وهناك خادم الكنز فيسلمك ما احتوى عليه » فطار قلب بديع فرحاً ووضع يده على الباب وقال انا فلان ابن فلان وما انتهى من ذكر حسبه ونسبه حتى رأى باب الكنز قد انفتح وبان من داخله دهليز طويل فدخله وسار فيه مقدار خمسين ذراعاً حتى وصل من آخر الدهليز فرأى فسحة وسعة فوضع رجله فيها بقلب ثابت وجنان قوي وهو يؤمل انه يصادف خادماً في الداخل كما كان مكتوباً على الباب . وما تقدم خطوة واحدة حتى انتصب امامه مارد من مردة الجان راسه بالسحاب ورجلاه بالتراب وادنى راسه من يديه فقبلهما ولم يخف بديع قط ولا ارتاع بل صبر عليه الى ان قال له اني بانتظارك يا سيدي منذ زمان قديم اي من زمن السلطان بهزاد لكي اسلمك الذخائر المعهد الي بالمحافظة عليها ومن ثم تعتقني وتطلق سبيلي فسأله بديع اي نصيب لي في هذا المكان وما ذا يكون فسلمني اياه لاطلقك في الحال . قال ان نصيبك عظيم جداً لم يملكه قط انسان الا السلطان بهزاد الذي فاق على كل العباد وخدمته المردة والعفاريت وطاعته ملوك الانس والجان

ثم قاده من يده وادخله الى صور الكنز حيث يوجد غرفة من الحجر المرمر لامعة الجدران وفي وسطها صناديق من النحاس الاصفر منقوشة بالنقش وابدع صنعة وتقدم المارد من احدى الصناديق وفتحه فاخرج منه قفطاناً وصدرية ورداء من الذهب المرصع بالجواهر واليواقيت الكريمة المختلفة الالوان اكثرها كبير الحجم بقدر البصاقة ومن ثم قدمها الى بديع وقال خذها يا سيدي فهي ثياب بهزاد الذي كان يلبسها في يوم المواسم والاعياد ويباهي بها على سائر العباد فاندهش بديع وكاد يطير عقله مما رأى لانه رأى المكان يضيء باعظم من ضوء الشمس من لمعانها وكانها مصنوعة على شكل غريب عجيب فتناول الثياب وافرغها عليه

في الحال فزاد بهاء وكمالاً وصار اعظم من سيف بن ذي يزن عند اتساع ملكه وبعد ذلك قال للمارد هل هذا كل ما تريد ان تعطيني اياه . قال لا بل يوجد شيء كثير بعد ثم اخرج تاجاً مرصعاً باكثر من الثوب لم يحو مثله لا كسرى ولا قيصر ولا ملك من ملوك البشر ثم اخرج له براقع ليضعها على وجهها ليخفي رسمه تحتها في اي وقت اراد تركها واعطاه ايضاً جزمة وسيفاً وخنجراً كانا لبهزاد لا يوجد اعظم منهما في ذلك الزمان بقبضتين من الماس والياقوت النفيس وكذلك كامل آلة الحرب والجلاد . ففرح بديع بهذا اكثر من كل شيء وسأل المارد اذا كان باقياً في امانته شيء ففتح صندوقاً كبيراً واخرج منه صيواناً من الحرير الاحمر المنسوج بايدي نساء الجان على ابدع شكل واجمل طرز بعواميد من الذهب المصقول منقوش نقشاً بديعاً يدل بانه من عمل الكهان وحكماء اليونان الذين انتشر صيتهم في كل مكان وعلى تلك العواميد بيضات من الجواهر تلمع كالنجم في الليلة الظلماء وقال له ياسيدي ان هذا الصيوان كان لبهزاد وهو كامل بكراس من الذهب وصفرة دائمة وآلات موسيقية تعزف في اي وقت اردت . فعظم فرح بديع في كل هذه التحف والذخائر التي تساوي مملكة كسرى برمتها ولم يدخل في يد ابيه مثلها وشكر من المارد وقال له كيف انعمل لاطلاق سبيلك وعتقك لاكافيك على معروفك فلا يقال ان ابن حمزة ما قدر ان يكافي مارداً سلمه كل هذه الذخائر . فقال له صبراً يا سيدي فانه لا يزال لك عندي اربعمائة صيوان من الحرير الاحمر بتفاحات من ذهب واربعمائة بدلة مرصعة كانت لبهزاد وعظمائه وكبراء رجاله وسبعة صناديق مملوءة من الذهب الخالص وعدة تلها موجودة لك عندي في هذه الصناديق فاستلمها وهاك خاتم اسري فالصقه على جبهتي فاخلص ويفك رصدي واصير حراً . فقال له بديع لا بد من اطلاق سبيلك لكن اريد منك فقط شيئاً واحداً وهو ان تنقل لي كل هذه التي اعطيتني اياها الى المعسكر المقيم عند الاقليم الخامس لانها تحتاج الى كثير من البغال والجمال لحملها وانا وحدي هنا فانهضها الان وانصبها الى جانب ذاك المعسكر قال اني انقل ذلك على راسي

وعيني ولكن اريد ان اطلعك على امر يسرك جدًا . قال وما هو قال اعلم ان السلطان بهزاد كان قد اتخذ هذا الكنز مقاماً وبنى داخله القصور والمقاصير ونحو ذلك وبعد موته صارت تأتي الكهان فتسكن في قصوره حتى في المدة الاخيرة لفت الى احدها الكهينة ذيجورة وهي امرأة عجوز عملها السحر والكهانة واتخذت لها مقاماً هنا ولما رأت نفسها منفردة ولا زوج لها احضرت اخاك رستم فرتم واجبرته ان يتخذها زوجة وهو هنـا يقاسي العذاب الاليم ويتمنى الخلاص ولا امل له بذلك وفي كل يوم اسمع صياحها وصياحه ويطلب اليها ان تعيده الى اهله فتخاتله وتشتمه وتقول له اذا بقيت مصرًا ذهبت الى ابيك واملاك واهلكتهم جميعًا فيلتزم ان يسكت ويرى نفسه غير قادر ان يفعل شيئاً فتشبحه وتقيده وهذه حالته على الدوام

قال الراوي فلما سمع بديع الزمان هذا الكلام وقع على رأسه امرٌ من ضرب الحسام وصاح من شدة الالم واشقيقاه اين هذه الخبيثة ديجورة لاقطعها بسيفي قطعا قطعاً . فقال مهلًا يا سيدي فلا تكن ضجورًا واكد انها اذا رأتك لا تخلص من شرها فتميتك حالاً بسحرها على اني انا لا اريد ان اظهر امامها ومتى علمت بي احرقتني ومن الصواب ان اوصلك سرًا الى غرفتها فتفاجئها بغتة وتضربها بالسيف وهي لا تراك فتموت ويخلص اخوك فاستصوب بديع الزمان رأيه وقال له افعل ما بدا لك فاخذه وجاء به الى غرفتها وكانت قائمة فيها آمنة من حوادث الايام ولم يخطر في فكرها قط ان احدًا من الانس والجان يصل اليها وقد قربت من رستم وجعلت تداعبه وتلاعبه وهو يتضجر منها ويدفعها عنـه ويقول لها اقتليني وخلصيني من هذه المعيشة المرة والا اتركيني ارجع الى بلادي فقالت له كيف اتركك واتخلى عنك او اقتلك واعدمك الحياة وانا لا اطيق عنك صبرًا فلا عدت تطمع بما تؤمل وابعد عنك كل فكر واذا كنت تظن انك تعود فترى احدًا من الناس فابعد عنك هذا الظن فاني بدقيقة واحدة اجعل الناس اسماكاً او طيورًا ولا يبقى على وجه الارض انسان من الجبلة البشرية غيرك فهلم اليَّ الان ومدت

اليه يدها لتتناوله وتجذبه لنحوها فقال لها اني اسلم امري الى العزيز الجبار خالق الليل والنهار الذي يقدر على كل شيء وحينئذٍ ضاح بديع وكان قد رأى اخاه على تلك الحالة وسمع ما قالته وطوحها بضربة من سيفه قبل ان تتمكن من ان تلتفت او تتكلم فوقع السيف على ام رأسها شقها الى نصفين والقاها الى الارض قطعتين ونظر في اخيه فراه مثل الخيال وقد فقد ذاك الرونق والجمال الذي كان فيه لحن له ولم يرد ان يظهر نفسه امامه او يعرفه بحاله بل كتم امره وسأله قائلاً من انت ايها الانسان الذي ارسلني الله الى خلاصك من هذه العجوز القاهرة فقال له اني رستم ابن الامير حمزة البهلوان وقد انتشلتني من معسكري ومن بين قومي ولها مدة شهور وايام تعذبني وانا اسأل الفرج من العزيز الرحمن فوعده بديع بالخير وانه سيرجعه الى اهله وقد اوصى المارد ان لا يخبره بانه اخاه لانه لا يريد ان يترك اباه يعرف بحاله وانه صار ملكاً عظيماً بل يرغب في ان يحاربه ويريه بان الله لم يتخلى عنه بل اعاده بموكب اعظم من موكبه وفرسان اشداء اشد من فرسانه . ومن ثم سأل رستم بديعاً عن نفسه ومن يكون من فرسان ذاك الزمان فقال له انا بهزاد صاحب هذا الكنز وقد غبت عنه الى قصوري في غير جهة من الدنيا فاغتنمت هذه الكهينة فرصة غيابي وظنت اني قد اتخذت تلك البلاد سكناً وما عدت ارجع الى هذه البلاد قط فتعدت عليَّ واخذت قصري وسكنت فيه وقد جازيتها على فعلها وجرى ما جرى وما ذلك الا لاجل خلاصك فشكره رستم وقد زال الهم عن قلبه وفرح الفرح الزائد وامل بالرجوع الى ابيه وقومه بوقت قريب ومن تلك الدقيقة اخذ رونقه في ان يعود اليه ويرجع له جماله ولونه

ومن ثم امر بديع المارد ان يأخذ العجوز ويلقيها في النار ففعل ورجع حالاً الى سيده فامره ان يأخذ الاموال والذهب الموجود عند ديجورة ويضيفه الى امواله وينصب الصواوين في المكان الذي امره قبل طلوع الشمس فاجاب في الحال ونصب اربعمائة صيوان على الدائر وفي وسطها الصيوان الاكبر وهو صيوان بديع

الزمان وحمل كل الاموال الى هناك واخذ رستم فوضعه باحد تلك الصواوين ودخل بديع صيوانه ونام باقي ذاك الليل وكذلك رستم وبقي المارد تحت خاطر بديع الزمان لانه رأى نفسه محتاجاً اليــه ليرسل اخاه رستم معه الى ابيه الامير حمزة البهلوان وقومه

قال وعند الصباح نهض ملوك الظلمات على حسب العادة وجاءوا من صيوان بديع فلم يروه هنــاك وكان في نيتهم ان يركبوا الى الحرب فتواقفوا واذا بالرسل قد جاءت اليهم واخبرتهم انه يوجد في جانب معسكرهم خيام من الحرير مضروبة لم تكن قبل ذلك اليوم وفي وسطها صيوان بديع عجيب يستدل منه انه لاحد الملوك العظام وامامه علم يبلغ طوله نحو الثلاثين ذراعاً فتعجب ملوك الظلمات وساروا الى تلك الجهة وتخللوا الخيام وهم يتعجبون من شكلها واتقانها وصنعتها ولم يروا فيها قط انساناً الى ان دنوا من الصيوان الاكبر فرأوا ذاك العلم الذي هو اعظم من علم بيكار الاشتهار وعند وصولهم الى بابه رأوا بديعاً جالساً على كرسي في الصدر من الذهب الوهاج عليه مقعد من الديباج المحشو بريش النعام ومن جانبيه ثمانون كرسياً فارغاً كلهــا من خشب الابنوس المصفح بصفائح الذهب مقاعدها كلها من الخز المنسوج الفاخر . ولم يعرفوا بديع في الاول لانه كان لابساً تلك الثياب التي اخذها من الكنزوراخياً على وجهه البراقع السابقة الذكر وبقي ملوك الظلمات واقفين محدقين ببديع متعجبين من تلك العظمة وتلك الثياب التي تاخذ بالابصار وتدهش الانظار وتضيع الالباب واذ ذاك صاح فيهم بديع تقدموا يا اصدقائي اليَّ فاني اخوكم بديع الزمان ابن الامير حمزة البهلوان وقد اعطاني العزيز الرحمن كل هذه الامور التي ترونها فلما سمعوا صوته تأكدوه انــه بديع وتقدموا منه وارادوا ان يقبلوا يديه فمنعهم واذن لهم بالجلوس على تلك الكراسي فجلسوا وسألوه عن هذا الامر وكيف وصل اليه كل ذلك في الليل مع انه عند المساء لم يكن يملك شيئاً من ذلك فأعاد عليهم القصة من اولها الى اخرها واطلعهم على باطنها وظاهرها فزاد عجبهم وتأكدوا انه مسعود الطالع وان الله

سبحانه وتعالى معه فلا يفارقه ويوفقه اينما سار . ثم اطلعهم على قصة اخيه رستم وقتله لديجورة وقال لهم في الآخر اريد منكم ان تدعوني امامه بهزاد كي لايعرفني الى ان ابعثه الى ابيه بعد ايام قليلة فوعـدوه بذلك ثم احضر اخاه وادخله الى الصيوان واجلسه في صيوانه كواحد من الملوك وقال له اتعلم يا رستم اين هوابوك الآن فان مرادي ارسالك اليه قال لااعرف ولي زمن طويل فارقته قال لقد سمعت انه في السبايل عند الخوند وفي محاربته وبذلك بعد سبعة ايام ارسلك اليه وتجتمع به وبسائر اهلك وقومك

قال وشاع الخبر من مكان الى مكان وانتشر في كل المعسكر بما وصل الى بديع الزمان وكيف دخل الكنز واخذ ما اخذ منه حتى وصل الخبر الى بهران ابي الزنجير فلعب به الطمع وحركه الحسد وقال كيف تكون هذه الذخائر في بلادنا وارضنا ويأتي هذا الغريب من آخر الدنيا فيأخذها ويذهب بهـا ويملكها لنفسه ولا بد من نزعها منه وفي الحال كتب كتاباً الى بديع يقول له فيه :

من بهران ابي الزنجير حاكم الاقليم الخامس الى الغريب المفسد بديع الزمان ابن الامير حمزة البهلوان

اني لا ازال اطيل روحي عليك الى هذه الايام وانت عامل على العتو والعنفوان وتظن بنفسك القدرة وتؤمل النجاح عليَّ حتى رأيت ما رأيت وعرفت اخيرًا انك ملكت ذهباً كثيرًا وخياماً وصواوين من الذهب والحرير الى غير ذلك مما لم يكن عند احد من ملوك الزمان وحيث ان هذه الذخائر هي ملكنا وفي بلادنا وقد وجدت في جبالنا لا حق لك بهـا بل لصاحب الارض والملك وعليه فاسألك بمجال وصول كتابي اليك اجمعها وارسلها حالاً حالاً فتكون قد اعطيتها لاصحابها وهذا يجعلني ان اعفو عنك واترك لك ذنبك اذا كنت تعدني بالرجوع عن الاقليم كما دخلت ولا تدخل فيما لا يعنيك واذا كابرت وحرك الطمع راسك تقع بالندم لانك جربت نفسك وعرفت ان لا السيوف ولا الرماح ولا غيرهـا تقطع في جسمي واما سيفي فانه يقطع فيك ولا بد من ان يصل الى جسمك ذات يوم

فيحترق احشاءك فهذا ما اريده والسلام

ثم ارسل ذاك الكتاب مع رسوله واوصاه بالجواب وكان يخطر في خاطره ان بديعاً يرسل اليه الذخائر بعد ان شاهد شدة باسه وعظم ثباته وكيف ان سيفه لم يؤثر فيه ولما قرأ بديع الزمان الكتاب ضحك منه ولم يقرأه امام احد فسأله ملوك الظلمات عما فيه فقال لهم ان بهران ابي الزنجير يطلب اليّ ان ابعث بكل ما اتيت به اليه ليعفو عني ويرضى عليّ وبالحقيقة انه مجنون لا عقل له ولو كان ذو عقل لما كان يبقى عرياناً وعلى رأسه ذاك الزنجير ومن ثم اخذ في ان يكتب اليه الجواب فقال

من بديع الزمان ابن الامير حمزة البهلوان الى بهران ابي الزنجير

اعلم ايها الملك الذي خسر عقله ولعب به الطمع والحسد الى حد ان يطلب ما ليس له ان الذخائر التي وصلت اليّ واخذتها من الكنز هي ملكي وليست ملككم وقد اعدت اليّ منذ قديم الزمان فهي قسمة من الباري سبحانه وتعالى هيأها لي لحسن حظي وسعادتي ولم اكن قد اخذتها بقوة سيفي ولا ببسالتي واقدامي بل بالتوفيق والسعادة فلا عدت تفكر فيها بعد الآن واما قولك باني ارحل عن هذه الديار فهذا جنون منك ففي الغد لاقني الى ساحة الميدان لترى ما يكون بيني وبينك واكد ان سيفك لا يمكن ان يصل اليّ البتة ولو حاربتني الوفاً من الايام ولا بد في الاخر من القبض عليك فان الله الذي يساعدني في كل شيء لا بد ان يفتح لي ابواب النصر فاحرزه والسلام

وبعد ان ختم الكتاب اعاده الى بهران فقرأه وزاد غضبه وحنقه وعظم عليه الامر وصبر الى اليوم التالي فركب وانحدر الى ساحة الميدان وهو على حاله السابق لا يلبس على جسمه غير ذاك الستار والزنجير فوق رأسه وكان بديع قد ظن انه يقتله بسيف بهزاد الذي اخذه من الكنز فتقلد به وركب جواده وانحدر الى الساحة وباقل من لمح البصر التقى الاثنان واخذا في الحرب والطعان والصول والجولان وبديع يصيح بخصمه وينحط عليه ويضربه بالسيف فاذا اصابه لا

يؤثر به كالعادة ولا يعلم فزاد غيظه وتعجب من ذاك الجسم الحديدي وما برح القتال الى ان اقبل الليل فافترقا على سلام ورجعا الى الخيام ورجعت كذلك العساكر والابطال وكان بهران قد تخدر جسمه من الضرب غير انه كان مسروراً من عدم نجاح بديع وتأكد انه لا بد ان يقع باليأس والقنوط ويرى من نفسه الغلبة فيطلب البعد والرجوع عن الاقاليم وقد اصاب في بعض ظنه فان بديعاً رجع الى الخيام وأكل مع الابطال والفرسان وقد قال له ملوك الظلمات لقد طال امر بهران ولا نعلم كيف تكون الحال ولكنا متعجبون من ثباته خائفون عليك من قتاله فدعنا نقاتل عنك فترتاح انت مدة ايام ويبقى هو على القتال فيتعب وتأخذه اسيراً فلم يجبهم بكلمة بل انه نهض الى محل منامه ودخل في فراشه مأيوساً كئيباً كيف ان سيفه الجديد لم يؤثر في خصمه وتذكر كلام ملوك الظلمات وضجرهم من الحالة الحاضرة وهذا زاد عليه الكدر والغيظ وعاد اليه ما كان يفكره عند حربه مع هارون من انهم ربما رجعوا عنه وتركوه اذا رأوه عاجزاً عن نوال المراد واخذت الافكار في ان تتلاعب به وتتناوله وتعظم عليه حتى كاد يغيب صوابه وضاق به الفراش والصيوان فهم ان يخرج ويسير في الفلاة عله يجد وسيلة للخلاص والا فلا يعود يرجع ثانية وفيما هو على مثل هذه الافكار واذا به قد سمع حوافر جواد داخل الصيوان دون ان يرى احداً وشم رائحة البخور فنهض واقفاً واذا به سمع صوتاً يحاكيه وقائلاً يقول له لا تخف فانا الخضر قد عرفت ضيقتك وما انت عليه فاردت ان افرج همك واذهب امر خصمك فاسلمه اليك . ثم ظهر الخضر عليه السلام بثياب خضر مكللة بالانوار فاراد ان يقبل يديه فقال له لا تقترب مني بل اسمع ما اقوله لك وهو انك اذا حاربت بهران طول عمرك لا تنال منه مراداً فان جسمه مدهون بدهان من عمل الحرة ومطلسم من احدى الساحرات وقد كانت تحبه كثيراً وهو كذلك وفي ذات يوم قال لها هل تظنين ان فارساً في هذه الدنيا يقدر علي ويقهرني قالت نعم يخاف عليك من فارس واحد يأتي في ما يأتي من الزمان هذه الديار . قال اريد منك ان تعملي لي عملاً نافعاً يقيني من هذا

الفارس ومن سواه فصنعت له هذاالدهون ودهنته وصرفت اكثر من سنتين على صنعه وبعد ان دهنته به كله جرب بان ضرب نفسه كثيراً بالخناجر فلم يجرح وكذلك امر ان يضربه رجاله بالسيوف فضربوه كثيراً دون ان يؤثر فيه فسره ذلك غير ان لحسن الحظ نسيت تلك الساحرة ان تدهن رأسه بذاك الدهون فبقي على حاله واخيراً وعي الى ذلك واخبرها به فقالت له لم يبقَ عندي منه قط واحتاج الى وقت طويل لاستصناع مثله فقال فعلت معي معروفاً فكمليه واح عليها فاجابته وقالت لف راسك بزنجير من الحديد ثلاث لفات فيحفظك الى ان افعل لك دهوناً ففعل وقبل ان تصنع الدهون هلكت فعظم عليه الامر غير انه بقي على حاله ولم يرفع الزنجير قط عن راسه حتى وقت النوم ثم يبكر فيضعه والناس لا تعرف سبباً لذلك ففي الغد ابرز اليه واجتهد بان تتمكن من ضرب الزنجير بسيفك فتقطع اللفة الاولى وحينئذ قل له لقد عرفت سرك وما اتت عليه ولا تظن بعد الان اني اضربك على غير رأسك ولا بد من قطع الحديد حتى اصل الى الراس فاشقه ومتى قطعت الزنجير الثاني يلين ويخاف على نفسه وفي الحال يسلم اليك فاقبله فيكون عندك كباقي ملوك الظلمات فعي الى ما قلته لك

ثم ان الخضر عليه السلام غاب من الصيوان باسرع من لمح البصر ولم يعد يراه قط ولكن رائحة البخور بقيت من بعد منه فدنا من المكان الذي كان واقفا به وقبل الارض ورجع الى فراشه مسروراً متأكداً ان الله معه وانه سخر له الخضر عليه السلام ليزوره ويطمنه ويباركه ومن تلك الساعة نام مرتاحاً الى الصباح وقد نهض من فراشه ولبس عدة حربه وجلاده وجاء الى جواده فركبه وتقدم فرأى هارون ومردان وهرزان قد ركبوا وتقدموا فسألوه ان يسمح لهم بان يحاربوا عنه كما قالوا له فضحك منهم وقال اتظنون اني عاجز عنه فلا بد لي باذنه تعالى ان آخذه اسيراً في هذا اليوم واجيء به الى الصيوان وسوف ترون ذلك عيانا وبياناً وقد عرفت طريقته وسبب متانة جسمه . ثم انه اطلق لجواده العنان وبرز الى ساحة الميدان فرأى بهران قد نزل فالتقى بنظره على الزنجير وعرف من اين

يضربه والتفت اليه وقال له اني انصحك يا بهران ان تسلم لي فتخلص من العار والا فاني اكفل اسرك في هذا الوقت ولا يمضي النهار الا وانت عندي واكد اني قد عرفت سرك من دهن جسمك وعرفت المكان الذي بقي بغير دهن فظهر على بهران الغضب وتعجب من اين يمكنه ان يعرف مثل هذا الشان غير انه اصر على قتاله متكلاً على متانة الحديد الذي على رأسه بانه يقيه من ضربات السيوف ولا يمكن ان يقاومه بديع ولا غيره من الفرسان والجبابرة ولم يجبه قط بل انحط عليه واخذ معه في القتال والصدام فافترقا والتحما وصاحا وهمهما ودمدما وغرقا في بحر النزال كانهما اسدان ودار بينهما دولاب القتال واختلف الطعن والضرب ودواما على القرب والبعد مقدار ساعتين زمان حتى لاح لبديع فرصة على خصمه فتمكن من ضربة سيف على الزنجير فقطعه نصفين والقاه الى الارض قطعتين ووقعت الالفة الاولى الى الارض فزاد هذا في فرح بديع وتأمل قرب النجاح وعظم الامر على بهران وايقن بان قوته تكاد تضمحل وان خصمه لا يلبث ان يضربه على رأسه فيشقه ويعدمه الحياة غير انه بقي ثابتاً في القتال يؤمل فراغ النهار ليرجع الى الخيام ويعيد الحديد كما كان الا ان انشغال باله عمي بصيرته فلم يحسن الدفاع عن نفسه حتى تمكن بديع من ضربة ثانية قطعت الالفة الثانية وهناك اضطرب بهران وايقن بالهلاك والاعدام فصاح الامان الامان يا بديع الزمان وفارس العصر والاوان فاني صديقك ما دمت حياً وسمع الكبير والصغير هذا الصوت ونظروا الى بهران فرأوه قد القى السلاح عنه وسقط الى الارض ماشياً وتقدم من بديع ففعل بديع مثله ونزل عن جواده وتصافحا وتحابا وبعد ذلك قال بديع هلم يا اخي الى معسكرنا لنجتمع بباقي الفرسان فنعقد صلحاً امام الجميع ويعرفون اننا اصدقاء ويصير بيني وبينك ما صار بيني وبينهم وهذا لا بد منه ونأكل الطعام معاً وما من واحد منا الا ويخلص وده للاخر ويصفي قلبه من نحوه

فلما سمع بهران كلامه مشى امامه وقال اني اطيعك من الان وصاعداً الى كل ما تأمرني به ولا عدت اخالف لك قولاً ولا اتخذك صاحباً او صديقاً بل سيداً

ومشيراً واكون تحت امرك لان من كانت ضربة حسامه تقطع الحديد لا يكون له ثانياً في هذا الزمان ويتخذ معبوداً وسار بديع الزمان من خلفه مسروراً به فلاقاهما ملوك الظلمات ورجعوا جميعاً الى الصيوان وجلسوا على كراسيه وقد اندهش منه كل من رآه وامر بديع الموسيقى ان تعزف فضربت استبشاراً ضرباً عجيباً مدهشاً يأخذ بمجامع القلوب ويسكر الافكار مقدار ساعة من الزمان وبعد ذلك امر ان يؤتى بالشراب فقدم للسادات والاعيان فشربوا ومن ثم نهضوا الى صفرة الطعام وكانت قد تهيأت واعدت للاكل وصرفوا وقت الاكل بالسرور والبسط وقاموا الى مراكزهم وهناك سأل بهران بديعاً كيف قدر ان يعرف سره ويطلع على امره مع ان هذا امر مكتوم عن الناس جميعاً فقال له اذا كان مكتوماً على الناس فلا يكون مكتوماً على الله جل جلاله فهو يعرف اسرار الناس وخفاياها ومثل ما اوصلني الى ان اكون مالكاً هذه الذخائر والتحف اوحى اليَّ بامرك وما كان منك ومن التي طاسمت جسمك وابقت القسم الاعلى منه . فعرف بهران والجميع ان بديعاً يقاتل بامره تعالى وانه يسهل له اسباب النجاح والتوفيق اينما سار ولذلك كبر في اعينهم وصار له شأن عظيم عندهم

وبعد ان فرغوا من كل شيء دار بينهم حديث الغلام سليم وما كان منه ومن عمه اصطلبرخام وكيف انه قصد قتله وهلاكه واعدامه واذا ذاك تأكد بهران ظلم اصطلبرخام وعرف يقيناً انه كاذب وخداع وغشاش فقصد الانتقام منه وان يقبض عليه ويسلمه الى بديع ليكون بذلك قد وفاه وارضاه وبعد ذلك ركب بهران وجاء الى قومه وسأل عن اصطلبرخام فقالوا له انه سافر في الحال قاصداً الاقاليم السادس فلم يردوا ان يتعرضوه ولذلك يكون بعد كثيراً وصار في البراري والقفار . ثم ان بهران ركب جواده ورجع الى بديع واخبره بما كان من امر اصطلبرخام وانه رحل الى اسحق الظلماني في الاقليم السادس فقال دعه يذهب الى حيثما يريد فلا بد من اتباعه فقال له هارون لم يكن له مكان يسير اليه بعد الاقليم السادس ولا بد من مسكه والقبض عليه لنجازيه على فعله وخداعه وغشه

فقد القى العداوة بين الملوك ولو لم يكن بديع عاقلًا وحكيماً ويمنعنا من اهراق الادمية لقتـل بعضنا بعضاً فترملت النساء وتيتمت الاولاد ولا يمكن ان نعود فنتصالح فيما بعد. فقال بهران اني سأسير معكم الي اسحق فهو قاضينا وصاحب عقل وتدبير ولا يمكن ان يكون جاهلًا بهذا المقدار ويقبله قبل ان يحقق عليه فهلموا بنا لنسير في يومين فنجتمع كلنا هناك

قال الرواي واخذ ملوك الظلمات في ان يسيروا من ذاك المكان الى الاقليم السادس وبديع فرح جدًا بما يشاهد ويرى واكثر سروره انه سيصل الى الاقليم السادس فيصير كل الملوك تحت امره وفي طاعته وحوزته وسلطته وامر الملوك ان تكون على حضر الى اليوم التالي وبعد ذلك احضر اليه اخاه رستم فرآه قد سمن وصار بحالة حسنة ورجع اليه لونه الذي خسره فقال له اني دعوتك الان لاسألك اذا كنت تريد ان تسافر الى اهلك لاننا عازمون على السفر من هنـا الى الاقليم السادس

قال نعم اذا اردت انعم عليّ بالمسير الى بلادي فاني بشوق زائد اليهم ولاسيما الى اخي بديع وابني قاسم وابن اخي عمر اليوناني قال اني ابعثك الان ولا بد لي بعد ذلك من المسير الى السبائل لاحارب اباك وانزع منه سلطته وآخذ منه كل الاموال التي اخذها من العرب والعجم وغيرهم من الامم وآخذ منه الجواد اليقظان الذي قيل لي انه اعظم جواد وجد على وجه الارض وصيوان اليون شاه وعلم بيكار الاشتهار فاذا وصلت اليه قل له يقول لك السلطان بهزاد احفظ له كل ما في يدك الى ان يأتي اليك فيتسلمها منك اما جبرًا واما طوعاً واذا لم يصـدق كلامك ورآه من باب التهديد والتوهيم فليسأل عنه قاضي العرب بزرجهر فيفيده عن كل ما يسمع فهو عاقل وخبير ولا بد ان يعرف ان بهزاد اقدر من حمزة عند نوال المراد واما انت فاريد ان آخذ عليك يميناً ان لا تشهر في وجهي الحسام ولا تحارب واياك ما زلنا في قيد الحياة فاقسم رستم يميناً انه لا يشهر في وجهه حساماً ولا يلتقيه في مقام القتال لانه فعل معه جميـلًا وخلصه من تلك الساحرة الماكرة

ومن ثم امر المارد ان يحمله ويضعه عند السبائل بالقرب من معسكر العرب فحمله المارد وطار به وبساعات قليلة وضعه بعيداً عن المعسكر ودله على الطريق وقال له سر لوحدك فبعد ساعة تصل الى قومك واهلك وودعه ورجع ومشى هو في الطريق المذكور

قال وكان الامير حمزة لا يزال مقيماً عند السبايل محاصراً الخوند وهو لا يجد وسيلة لفتح المدينة ولا يريد ان يتركها بدون ان يقبض على عدويه كسرى ووزيره بختيار وفي كل مدة يحاول الهجوم ويرجع بلا جدوى وما برح على مثل ذلك والايام تمر عليه وهو حزين على فقد بديع ورستم ولديه الاعزاء والحزن يفعل به ما لا يفعله السيف اليمان والفرسان تسرع في تلك النواحي وتنتشر في براريها للصيد والنزهة ونحو ذلك الى ان وصل رستم الى تلك الارض ومشى الى المعسكر كما تقدم معنا وبالصدفة كان الامير قاسم قد خرج للصيد في تلك النواحي فالتقى بابيه آت في الطريق يلبس ثوباً مرهجاً من الثياب التي البسه اياها بديع الزمان فظنه احد ملوك الخوند فدنا منه وقد اشهر بيده الحسام واراد ان يوقع به وقال له ويلك ايها الخوندي لا بد من قتلك وانزع هذا الثوب عنك وهجم عليه واراد ان يضربه بسيفه فالتقاه رستم وتستر من ضربه وفاجاه الى ان تمكن منه ومد يده واقتلعه من بحر السرج وضرب به الارض واراد ان يكمل عليه فقال له ويلك اتجسر ان تمد يدك اليَّ وتضربي ولا تخشى سطوة الامير حمزة البهلوان فانه اذا عرف بما فعلت بي ينزل بك العبر ولا يتخلى عنك قط ويخرب بلادك ويرمل نساءك فقال له من تكون من فرسان العرب قال انا الامير قاسم بن الامير رستم ابن الامير حمزة العرب ولذلك لا بد ان يأخذ لنفسي بالثار منك اذا بقيت مصراً على الاضرار بي فلما سمع رستم كلامه رمي نفسه عليه وجعل يقبله وقال له انا ابوك رستم وقد عدت اليكم وجعل الدمع يتدفق من عينيه فلما سمع قاسم هذا الكلام حقق النظر في ابيه فعرفه وجعل يقبل يديه وعارضيه ويصيح من شدة الفرح وقد زاد جنونه حتى لم يعد يعرف ماذا يقول. ثم تركه وكر راجعاً يركض

حتى وصل من صيوان اليون شاه وهناك جعـل يصيح ويصرخ بشراك يا جداه فقد عاد ابي الامير رستم فرتم بعد ان قطعنا الرجاء من عودته

قال ولما سمع حمزة هذا الكلام نهض واقفاً على الاقدام وتقدم من الامير قاسم وقال له اهل تحكي عن تعقل او اعتراك الجنون اخبرني الصحيح قال اني اقسم لك بالله العظيم اني رأيته الآن وهو قريب من هذا المكان ويصل بعد نصف ساعة او اقل وقد سلمت عليه وسلم عليّ وحينئذٍ سار الامير حمزة وراء الامير قاسم وتبعه الفرسان والامراء ولما وصلوا الى آخر العسكر حتى رأوا رستم مقبلاً ماش على قدميه ورآه الامير حمزة فالقى نفسه عليه وجعل يقبله ويصيح واولداه لقد احييت فؤادي بعد الممات والضنك والعذاب وكذلك رستم جعل يقبل ايدي ابيه ويبكي من شدة الفرح ثم تقدم الجميع وساروا به والناس فرحة بقدومه والرجال تزدحم من حوليه وهو يسلم عليها وعند ما وصـل من الصيوان خرج السلطان سعد اليوناني ابن اخيه الى ملاقاته وصافحه وسلم عليه ودخلوا جميعاً الى الصيوان وجلسوا على كراسيهم وجلس الامير رستم وقدم اليه الشراب ثم التفت الى كرسي اخيه بديع فرآه فارغاً ومجللاً بالقماش ففطر فؤاده وانهل الدموع على خديه وسأل اباه عنه فاعاد عليه قصته وما كان بينه بسبب الامير قاسم فقال رستم لا زال ابني يبغضه على غير تعقل ولو كنت هنا لما تركت الامر يصل الى مثل هذا الحد والحق يقال ان لانجاح للعرب بلا بديع واسأل الله ان يرجعه الينا سالمـاً غانماً ويجمع شملنا به قريباً فهو السميع المجيب ثم اخبروه ببالكان الهطال فسلم عليه

ولما راق فكر رستم وهدأ باله واكل وشرب سأله ابوه بحضرة الجميع عمـا صار له وكيف غاب وكيف رجع فحكى له الامر من الاول الى الاخر وكيف ان ديجورة عشقته ووضعته في كنز بهزاد الى ان جاء بهزاد اخيراً فقتلها وخلصه منها وجاء به الى الاقاليم والبسه تلك الثياب اللامعة واخيراً ارسله مع المـارد واوصاه ان يقول لابيه ان يجمع كل ما عنده ويهيئه له فانه سيأتي اليه وينزع منه

الاموال والاحمال وكل ما ملكته يداه فاغتاظ الامير من هذا الكلام وقال كنت مسروراً من عمل بهزاد معك ولكن شقشقة اللسان اوصلته الى ان انكر معروفه واضمر له الشر والعناد واني اسأل الله ان يسوقه الى هذه الديار ليرى ما افعل به وكيف يسلب مني ما ملكته يدي. فقال رستم وقال لي اخيراً اذا كنت لا تصدق ذلك فاسأل قاضي العرب فيخبرك بصحة ذلك وان كل ما تجمعه هو له فقال حمزة من اين يعرفني ويعرف بزرجمهر قال لم اسأله عن ذلك فكأنه واحد منكم ثم التفت الامير الى بزرجمهر وقال له ماذا تقول في امر بهزاد. قال اقول ان بهزاد هذا لا بد ان يأتي اليك ويكون كل ما قاله صحيحاً لا كذب فيه فزاد حنق الامير وقال له لم يكن عهدي بك ايها الوزير ان تكون خائفاً وما قلت لك عن خوف وضياع عقل مع انك عرفت وشاهدت كل افعالي ولو لم تكن رجلاً جاهلاً وفضلك علينا لما عدت اقبلك في ديواني فنهض بزرجمهر وقال اني لم اعد اريد ان ابقى في ديوانك ما لم يظهر صدق قولي ويبان لك الحق من البطل وتعرف ان بهزاد اقدر منك سلطاناً وعظمة ومثلك شرفاً ونسباً. وخرج الوزير من الصيوان الى صيوانه وهو بغيظ عظيم وبعد خروجه قال السلطان سعد لجاه لقد غضبت عظيماً يا جداه ولم يكن عهدي بان تكدر بزرجمهر الذي عمل معنا الجميل الكبير ولا يمكن ان تنسى فضله قط ما دام الليل والنهار فقال اني اعرف ماذا فعلت ولا اقبل ان اهان ولا ارضى بان الكبير في رجالي يقول ان بهزاداً يسلب نعمتي ويأخذ كل ما ملكت يدي فليقتصر كل واحد منكم على حده. فلم يعد السلطان يفاتحه بمثل هذا الكلام وكذلك باقي الفرسان لانهم يعرفون طباعه انه سريع الغضب قريب الرضا ولكنهم تكدروا جميعاً ولعب الغضب بقلوبهم وتأثروا على اهانة القاضي وعند المساء انصرفوا الى خيامهم وفي فكرهم ان الامير لا يلبث غضباناً على بزرجمهر ولا بد ان يترضاه ويعتذر اليه وباتوا تلك الليلة الى الصباح وفي الصباح نهض الامير حمزة وجاء صيوان اليون شاه واجتمع من حواليه الفرسان على حسب العادة وفي صدرهم السلطان واذا ببالكان المطال قد دخل يبكي

ويندم فسأله الامير عن ذلك قال اعلم يا جداه اني دخلت في هـذا الصباح الى صيوان بهران لاجيء واياه الى هنا فوجدته ملقى على فراشه جسداً بغير راس ولا اعرف من فعل ذلك ولكن على ما اظن ان قاسماً قتله لانه دائماً يتهدده بالقتل والاعدام

فلما سمع الامير بهذا الخبر غاب صوابه وضاع وعيه وقال لا بد من قتل قاسم لاريح المعسكر منه فلا زال عاملاً على الشر والفساد يقتل هـذا ويغضب ذاك والناس تراعيه اكراماً لنا وما كفاه ان اغضب بديعاً وابعده عنا حتى قتل احب الناس الينا . ثم سار من الصيوان وتبعه الرجال والفرسان حتى جاء خيمة بهران فوجده على تلك الحال فتأثر كثيراً وبكى عليه ومثله فعل الجميع وامر ان يدفن في التراب ويقام على قبره قبة مليحة لانه كان من الفرسان الصناديد وبعد ذلك قبض على الامير قاسم بيده وقيده بالحبال وطلب عمر العيار ليقتله جزاء على فعله فلم يجده واخذ قاسم في ان يقسم الايمان ويحلف باعظم الحلفان انه ما قتل بهران ولا مد اليه يداً فلم يصدقه الامير وقال لا يمكن ان يأتي اليه ملاك من السماء ويقتله مع اني كثيراً ما سمعتك تتوعده وتتحرق على قتله وهلاكه وقد نويت على قتلك لاخلص منك واريح العرب من شرك ومن ثم صاح بالشاه ذنب ان ياخذه ويقتله في الحال فاعترض عليه السلطان وقال له تمهل يا جداه فان القتل صعب جداً وكيف تقتل ابن ابنك بدون حق وقبل ان تحقق صحة الخبر فاذا تبين لنا انه هو القاتل جازيناه بما يستحق والا فاذا قتل وتبين لنا بعد ذلك براءته لا يعود في وسعنا ان نسترجعه فنندم حيث لا يعود ينفع الندم وحاشا ان يقال عن العرب انهم ظالمون قال ان الحق واضح ولا بد ان يكون هو القاتل لانه عدو بهران وهذا يعرفه الجميع من الكبير الى الصغير وما من عدو سواه ولو عددنا افعـال قاسم القبيحة لتبين لنا انه ما فعل حسناً قط ولا يوما من الايام وكثيراً ما نوى على قتل بديع واعدامه حتى احوجه الى مبارحتنا ومفارقتنا واني لا بد من ان انفذ امري ثم التفت الى الشاه ذنب وصاح به خذه في الحـال واذا لم تقتله باسرع من

لمح البصر قتلتك لا محالة فتقدم منه الشاه ذنب ليأخذه الى الخارج وهو مقيد وقد عزم على انفاذامر الامير وفي تلك الدقيقة دخل عمر العيار فسمع قاسماً يصيح وينادي ويستجير باني مظلوم فارحموني فعرف السبب ورأى الفرسان تقوم وتقعد بعضهم مغتاظ على عمل الامير وبعضهم يتأسف على بهران واذ ذاك ضرب الشاه ذنب على صدره بقفا يده وصاح به اترك الامير قاسم ولا تمدد اليـه يدك فرجع الشاه ذنب الى الوراء فقال حمزة خذه انت ياعمر واذبحه في المكان الذي ذبح به بهران فقال ولم ذلك . قال لانه قتل بهران ابي العمد اجاب لم يقتله وان الذي قتله غيره لا عرفت ذلك وتأكدته ولا يزال ياخذ بك الحمق مأخذه حتى تقع بمصيبة تجري تقيد شيخوختك الى القبر بحزن على ان مثل هذه الامور لم تعد تخصك بل تتعلق بالسلطان وقد اغضبت بزرجمهر فسكتنا وقلنا لا بد من ارضـاء خاطره ذات يوم ولكن اذا اعدمت قاسماً لا يعود في الوسع احياؤه وكان عمر العيار لا يخاف من الامير ولا من غيره فزاد عليه في اللوم وهو لا يجيبه خصوصاً عندما اخبره انه ليس هو القاتل وانه عرف القاتل تماماً فكأن ضميره جعـل يوبخه على الاسراع بعمله

وبعد ان سكت برهة عاد فسأل عمرًا وقال له من الذي قتله اجاب هاك راس بهران وهاك راس الذي قتله ثم انه اخرج الراسين من جرابه والقاهما الى الارض امام الجميع فبهتوا من هذا العمل وتعجبوا كيف ان عمر العيار وقف على صحة هذا الخبر وما منهم الا من نظر الى الامير حمزة نظرة اللائم غير ان الامير اطرق بالارض باهتاً ناظرًا في الراسين نحوًا من ربع ساعـة ثم رفع رأسه وسأل عمرًا عن القاتل وراس من هذا الراس وكيف عرفه . اجاب اعلم ان القاتل هو عيار من عياري الخوند قد دخل بين المعسكر لاجل ان يقتلك ويذهب برأسك الى الخوند وقدتعهد له بذلك بدون شك وحيث كان لايعرفك دخل على خيمة بهران فقتله وظنه انت ورجـع وفيما كان راجعاً التقيت به وعرفت انه غريب وتبين لي من سرعة جريه ولهجته انه عيار فتأثرته الى ان خرج من المعسكر وهناك

قبضت عليه وجعلت نفسي كواحد من رجال الخوند ظننته من العرب وسرت به الى جهة المدينة ولما عرف مني ذلك قال اني لست من العرب بل انا عيار من عياري الخوند فقلت له تكذب ولا بد من قتلك او تقدم لي برهاناً على ذلك قال هاك البرهان فاني تعهدت الى سيدي بقتل الامير حمزة وحيث لا اعرفه شخصياً اشار لي عنه بختيار فجئت وترقبته الى ان دخل صيوانه فقتلته وقطعت الراس وجئت به قاصداً المدينة الى ان التقيت بك وظننت اني من العرب فمن انت واي عيار. فقلت انا عمر العيار عيار العرب وحاميهم ونظرت في الراس فاذا به راس بهران فعرفت انه غلط لانه يشبهك قامة وسناً وبعد ذلك قتلت العيار واخذت راسه وسرت بجسده الى نواحي المدينة فالقيته من نافذة الباب وصحت بالحراس ارسلوا هذا العيار الى سيدكم وقولوا له انه لا يعود فيرسل عياراً ثانياً والا نفعل به مافعلنا بهذا فطلبوني فطرت من بينهم في نواحي البر الاقفر ومؤملاً انهم يتبعوني فلم يتقدموا الاخطوات قليلة ثم عادوا واخذوا شلو العيار وكان الصباح قد لاح فرجعت الى المعسكر ووجدتكم على هذه الحالة والحمد لله الذي وصلت قبل قتل قاسم ثم تقدم عمر العيار من الامير قاسم ففكه واطلق سراحه وقال له تقدم من جدك وقبل اياديه ثم تقدم الامير قاسم وقبل ايادي جده حمزة لانه كان يطيعه ولا يريد ان يعصاه وعاد قلب الجميع الى الهدو والراحة

ثم ان عمراً قال لحمزة واني اريد منك الان ان تذهب انت والفرسان الى صيوان الوزير بزرجمهر وتقبلوا اياديه واعتذر له عن فعلك وحمقك فمثل هذا الرجل لا يترك ولا ينسى جميله ولولاه لكنت في القبور منذ زمان طويل فكم من مرة داواك وفرج همك وازال غمك فما نجحت مرة الا باراته ودعائه ومن نكر لا يكون من اهل الجميل ولو كان بزرجمهر عند غير العرب لاقاموه سلطاناً عليهم واتخذوه كالمعبود. وكذلك قال فرسان العرب جميعاً وسألوا الامير ان يفعل ما اشار به عمر فاجاب ورأى نفسه مخطئاً مع ذاك الرجل الكريم والحكيم الفاضل فنهض ومشى امام الجميع وتبعوه حتى جاءوا صيوان بزرجمهر فعرف بذلك وخرج

الى ملاقاتهم وحالما رأى الامير هجم عليه وقبله في رأسه فقبل يديه وسأله السماح . فقال له اني سامحتك من قبل ان اخرج من ديوانك ولم يسكن في قلبي قط حقد عليك واني احبك كولد محبوب بل اردت ان انفذ امرك بالبعد عن الصيوان لكي لا اكون عاصياً عليك فاذا امرتني رجعت الى خدمتي فاخجل هذا الكلام الامير حمزة ولم يعد يعرف بماذا يجيبه وعرف انه الرجل الكريم الاصل ومن ثم قبل باقي الرجال يده وسألوه ان يرجع الى كرسيه ويقضي بين العرب فاجاب ورجع الى عمله يقضي بين الناس ويفصل الحق من البطل

فهذا ما كان منهم واما ما كان من بديع الزمان فانه بقي في المعسكر الى ان عاد اليه المارد واخبره بوصول رستم الى العرب فنهض اليــه وطبع الخاتم على جبهته وكسره له فصاح المارد من الفرح وقبل ايادي بديع وقال له لم يكن في عهدي يا سيدي انك تفعل معي هذا الجميل وتطلقني الى سبيلي ولو كان غيرك لاستخدمني لاجل نفعه طول حياتي والان اريد ان افعل معك جميلًا وهو اني ابقى تحت امرك وفي قبضة يدك واي متى طلبتني تراني امامك فعــين لي مكاناً اراك به قال اني لا احتاجك الان بل اذا شئت ان تأتي اليَّ فلاقني الى مدينة السبائل بعد رجوعي الى هناك . ومن ثم انطلق المارد الى حاله وامر بديع الزمان بعد يومين بالركوب فركب الجميع وساروا قاصدين الاقليم السادس على امل ان يلتقوا باسحق الظلماني وهم على يقين لا يحاربون هناك ولا يشهرون سلاحا قط بل يتقاضون مع خصمهم ولا زالوا في مسيرهم حتى وصلوا من المدينة

قال وكان اصطلبرخام دخل على اسحق الظلماني ورمى نفسه عند قدميه وصاح من فؤاد مجروح ودموع الكآبة تسكب على خدوده وقال اجرني يا سيد ملوك الاقاليم واغثني والا هلكت وعدمت الحياة فانهضه وساله عن حاله وماذا جرى عليه فاعاد له قصته من الاول الى الاخر كيف ان بديع الزمان يسير خلفه من مكان الى مكان ومن اقليم الى اقليم وقد قهر كل الملوك فاطاعوه وصاروا من رجاله وقاوموه جميعاً وهم سائرون خلفه ولا بد من ان يقصدوا تلك الديار

لاجل هلاكه وقد دخل هـذا الغريب المفسد لالقاء الشقاق بين ملوك الاقاليم . وصبر اسحق الى ان سمع كل كلامه ثم قال له ان من الواجب اقبل ان اجيرك ان اعرف حقيقة الامر والرجل العاقل الذي ينظر في العواقب بعين بصيرة ثابتة واني مهما اردت ان اصدق كلامك واساعدك لا يكون ذلك ضد الحق فمتى رايت ان الحق بيدك وانك مظلوم وان ملوك الظلمات ظلموك وقصدوا قتلك ارضاء لخاطر بديع الزمان الذي تزعم انه مفسد وغريب جاء بلادنا لالقاء الشقاق والنزاع فيها اجبتك الى طلبك ورفعت عنك الضيم وارجعت اعدائك عنك وقد اعرف ان الله يساعدني على اغاثة المظلوم وكذلك بالعكس اذا ثبت لديّ انك ظالم ومعتد جازيتك على فعلك وسلمتك الى ملوك الظلمات او بالحري قتلك بيدي وهذا عين الحكمة والعقل ولايمكني ان اجير ظالماً وكان اسحق يتكلم واصلبرخام يرتجف وقد كاد يختنق من الحدة وقد تلون وجهه بعد الحمرة باصفرار الخوف والوجل لانه يعرف نفسه انه ظالماً وانه كان يريد قتل ابن اخيه لنزع الملك من يده غير انه اراد اخفاء امره قال سوف ترى يا سيدي من الظالم ومن المظلوم وكيف اكون ظالماً وانا وحيد فريد وهم جموع واقوام وانا اطلب الخلاص والهرب من وجههم لا اضمر لهم شراً وهم يريدون هلاكي فيلحقون بي من مكان الى مكان ولا بد من ان يأتوا هذه الديار غير حاسبين لك حساباً وماهذا الا برهان كاف يظهر لك براءتي وظلمهم فالحذار يا سيدي من ان تسمع لهم او تصدق كلامهم وما اقوله هو الصواب وعين الحقيقة والعدالة فاجرني يجيرك الله واكسب اجري يجازيك الله سبحانه وتعالى بالخير والاحسان فاني لا ازال خائفاً ولا انام مرتاحاً الا اذا قلت لي اجرتك من كل عدو يطلب نفسك والا فانيالتزم ان اخرج من الاقاليم الى غير بلاد اكون اميناً بها على نفسي

ولما سمع اسحق كلامه وشاهد حالة تقلبه وتلونه عرف باطن المسألة وانه يجب ان يثبت رضاه قبل ان يسمع من ابن اخيه والوزير وانه يهرب من تلك الساعة كمن يهرب من الحق ولذلك اجابه اما قولك باني اجيرك لتكون اميناً على

نفسك فهذا مما يبرهن لي ظلمك لان الظلم يخيف الانسان ويوبخ على الدوام ضميره وربما يهلكه فلا يرتاح دقيقة بخلاف المظلوم الذي يؤمل اذا لم تنجده العبيد فينصفه الله سبحانه وتعالى فيتكل عليه ويرى نفسه مرتاحاً جداً لعلمه ان الله اقدر الجميع على نصرة المظلوم ولو كنت مظلوماً لقنعت بكلامي ورضيت مني ان تصبر الى حضور اخصامك فاذا قبلوا بمحاكمتك اظهرت حالتك وبينت من اي جهة ظلمت واذا ابوا كنت لك نصيراً ومجيراً . وحيث الان طلبت نوال ما لا ينال وهو الخلاص مني والهرب الى غير مكان سأقبض عليك وابقيك تحت الحفظ الى مجيء اعدائك ولا اريد بذلك ان اضرّ بك ما لم تكن ظالماً . ثم انه امر احد اتباعه ان يقبض عليه ويأخذه الى احد القصور فيضعه فيه محفوظاً ويضع عليه الحراس والخفراء بشرط ان يكون مكرماً ويقدم اليه كل مايريد ويطلب . ولم يكن في ملوك الاقاليم من هو اعقل من اسحق واقدر منه لانه كان فارساً صنديداً واشد باساً من الجميع لكنه رايق الاعمال صافي النية لايضر احداً ولا يكره في احد ولا يطيع المتعدي ولذلك اقامه ملوك الظلمات قاضياً وحاكماً في المصالح التي تقع فيما بينهم ان كان من جهة رعاياهم او بلدانهم فينصف بين كل اقليم واخر والجميع يرضون بفعله فاذا قال شيئاً لا يخالف به قط وهذا الذي حمله على مسك اصتلبرخام لانه يعرف مركزه ويعرف انه اذا رآه مظلوماً امر ملوك الظلمات ان ترجع فترجع ويصلح بينهم فلا يخالفونه اصلاً فيما يقول ويامر وبقي محافظاً عليه منتظراً وصول بديع وقومه

قال وبعد مضي ايام قليلة وصلت عساكر الاقاليم وفي اولها بديع الزمان وهو على تلك العظمة والسلطان لابساً الملابس الفاخرة البهية ومن حوله ملوك الظلمات كل واحد يلبس ثوباً من الثياب التي جاء بها بديع من الكنز وقد رفع فوق راسه العلم الكبير وباعلاه بيضة من الجواهر تتوقد من تكسر نور الشمس عليها فترسل بنورها الى ابعد مكان وفي حال وصولهم امر ان تضرب الخيام وفي وسطها صواوين الملوك والاعيان وفي وسط هذه الصيوان الاكبر المختص ببديع

فضربت ونزلوا فيها واقاموا باقي ذاك اليوم على الراحة ورأوا ان رجال المدينة قد خرجت اليهم واختلطت بهم وجاءتهم بالبضائع للبيع فادركوا سر المسألة وتبين لهم ان اسحق لم يكن يرغب في قتالهم واخبروا بذلك بديعاً فقال لهم وانا كذلك لا اريد ان احاربه لان ما من عداوة بيننا وجل ما اريد ان اقبض على اصطلبرخام واقتله لاربح هــذا اليتيم المظلوم وناموا تلك الليلة الى الصباح فنهضوا وجاءوا الصيوان للمخابرة فيما يفعلون هل ينزلون المدينة او يبعثون برسالة الى اسحق . فقال لهم بديع ان من الصواب ان نرسل رسالة لطيفة ليعرف عدلنــا وسلامة قلبنا واننا لا نريد له شراً ولا نرغب في قتــال ولا نزال وننتظر منه الجواب فاذا كان لم يجر عدونا ولا اراد لنا ضراً ورغب في نهي الامر بالحب اسرعنا اليه ونزلنا الى ديوانه وفعلنا كل ما يرضيه فوافقه الجميع على رأيه ومن ثم اخذ فكتب ما ياتي :

من بديع الزمان ابن الامير حمزة البهلوان الى السيد اسحق الظلماني عالي القدر رفيع الشان اعلم ايها السيد العظيم والفارس الجسيم اني قبل ان اتيت بلادك عرفت بحلمك وسمعت بعدلك وحكت لي ملوك الظلمات انك اعقل رجل وجد في هذه الاقاليم ولذلك علقت الامــل بان تنظر في الامر الواقع بين اصطلبرخام والغلام سليم وتجازي العتدي على ما يستحقه وكلنا يرضى بذلك ولاتظن اننا اتينا بلادك بقصد حرب اونزال او اهراق دم العباد ولا يخفاك اني انتصرت لهذا الغلام بعد ان حققت وقوع الظلم عليه من عمه فقصدت قصاص العم فسعى الى الملوك واحداً بعد واحد فغشهم جميعاً وصدقوا كلامه الا اني لما كنت لا ارغب ان يقتل رجال الاقاليم بهذا السبب منعت القتال فكنت في كل اقليم اصل اليه اعمل عــلى النزال بيني وبين صاحبه وبعد ذلك نتصالح ونتفق على الخير ويعرف صحة عمل اصطلبرخام وظلمه لابن اخيه حتى وافقني الجميع على هذا الغادر الخائن وصاروا يطلبونه مثلي انتصاراً للحق والعدل ولي رجاء بانه لا يكون غشك كما غشهم وانك لا تكون قد اجرته مني فنجبر على القتال وعلى كل حال اذا لا سمح الله

وقع بيننا وبينكم قتال فيكون منحصراً بيني وبينكم فقط ولا يهرق دم ولا يجرح انسان ولا يصاب البري بجريعة الظالم المجرم فهاك ما اردته فاذا كنت ترغب في السلام وتحب ان لا ندخل من باب الحرب والعدوان ارسل لنا الجواب فنتشرف الى مكانك ونعرض امر هـذا الغلام عليك فتدبره انت بحكمتك وعدلك والسلام

وبعد ان فرغ من كتابة الرسالة طواها وختمها وسلمها الى رسول من خدم الملوك فسار بها الى ان وصل من باب المدينة واذا به رأى الملك اسحق خارجاً من المدينة وحوله جماعة من اعيانه فقرب منـه وقبل يديه وسلمه الرسالة ففتحها وقرأها وقال لا ريب ان بديعاً من اكرم الناس وعقلائهم فان في رسالته ما يحملني على حبه فارجع اليه وقل له اني واصل اليه في هذه الساعة. فكر الرسول راجعاً حتى وصل من صيوان بهزاد فدخل وتقـدم من بديع وقال له اني رأيت الملك اسحق آت اليك فسلمته الرسالة وقال ما هو كذا وكذا فنهض بديع وجميع الملوك والاعيان وخرجوا خارج الصيوان وما تقدموا الا القليل حتى رأوه مقبلاً بجماعته فهجم عليه بديع وصافحه واراد ان يقبل يديه لانه رآه رجلاً مهيباً اكبر منه سناً فمنعه وقال له كيف تقبل يدي وانت الرجل الوحيد الذي انتشر صيتك في اربعة اقطار بلادنا وسمعت عنك اخباراً حسنة فهنيئاً لأب انت ابنه. ثم انه قبله في جبهته وسلم على باقي ملوك الظلمات ودخلوا جميعاً الى الديوان وهناك نظر اسحق الى الكراسي وذاك الفرش وما اختص به من الاتقان والزخرفة وما به من عواميد الذهب فتعجب وكبر بديع في عينيه كثيراً وعرف انه يستحق اكثر من ذلك وما هذا الا نعمة منه تعالى

قال وحينئذ تقدم بديع من اسحق وسأله ان يجلس على كرسيه الخاص به في صدر الديوان فامتنع فألح عليه وقال له اعلم ياسيدي انك انت السيد علينـا والحاكم فينا ولك حق التقدم على الجميع فمثلك من يتخذ سيداً وسنداً وتقدم اليه الارواح قبل الاجساد. فتعجب اسحق من رقة معانيه وحسن طويته ومال قلبه

اليه كل الميل الزائد في محبته وتوسع به ومن ثم قال له انك أعطيت السعادة من الله سبحانه وتعالى وحصلت على ما حصلت عليه بتوفيق الباري الذي حمل ملوك الظلمات ان تدخل في يدك حباً بك وعركهم جميعاً على حبك وطاعتك فافرح بما اعطيت ولا تشكو مثل هذه النعمة فارتع بها وتنعم واجلس على كرسيك فما من سيد فينا الا انت ونحن لك من جملة الاتباع . ثم جلس بديع على كرسيه في الصدر كانه اعظم الملوك واشرفهم واوسعهم ملكاً واعلاهم ديواناً وافضلهم تعقلًا واغناهم مالاً ومن حوله ملوك الظلمات الذين لانظير لهم في سائر ممالك العالم حتى ولا يوجد مثلهم عند ابيه . وبعد ان حضر الشراب وشرب اسحق ودار بينهم الحديث في شان الحالة الحاضرة قال بديع الزمان اعلم ايها السيد اننا لا نتكلم كذباً ولا نقصد ايقاع الاذى برجل من رجال العالم قط وجل ما نرغبه تحصيل حق هـذا الغلام من عمه ومعه وزيره مطروداً مهاناً حقيراً يبكي من الم الخوف والانحطاط وها انا اقدمه اليك لتسأله عن حاله وتعرف الصحيح من الكذب ثم امر الغلام ان يتقدم من اسحق الظلماني ويخبره بكل ما وقع عليه من الاول الى الاخر . فتقدم منه وقبل يديه واعاد قصته عليه من الاول الى الاخر وهو منكسر الخاطر حزين القلب بما حرك قلب الجبيع ولاسيما سامعه فانه ثبت عنده وتبين له ان اصطلبرخام ظالم وانه قصد ان يغشه كما غش الباقين ولذلك قال لبديع ان الحق يظهر من نفسه فلا يمكن اخفاءه قط ولا يقدر الظالمون الغاشون مهما شاءوا ان يتلبسوا بالخداع والغش ان يقاوموا الحق والعدل وقد عرفت اكيداً الكذب من الصدق لان اصطلبرخام وضع الحق في ذلك على الوزير بانه اخذ الغلام وقصد به الملوك ليخرجه من تحت وصايته مع ان الوزير ما فعل الا حسناً بحفظ حياة الغلام وقد قال لي ان بديعاً مفسد الاعمال غريب جاء هذه البلاد بقصد الشقاق والنزاع مع انه اعقل رجل شاهدته بحياتي ملك ملوك الظلمات وحاربهم جميعاً بدون ان يهرق نقطة دم وقد ركضت خلف تحصيل حق الغلام من اصطلبرخام عدلاً ورحمة مع ان ما من عداوة بينك وبينه قط فلله درك من امين على حقوق العالم

ونصير تجير الحق ولا تقبل الخداع والمكر فهذا كله قد ظهر لي وتبين جانب الحق ولكن لا ارغب ان اقتل اصتلبرخام بدون محاكمة واريد ان اقف على براهين تظهر عليه في وجهه لانه ينكر كل ذلك وينسب الظلم والغدر لكم فاذا لم يظهر عليه دليل واضح يشهد لنا بصحة اعماله لا يمكن قتله بل نطرده من بلادنا الى غير بلاد ولا نعود نراه فنكون قد حافظنا على حياته ولم نقتل نفساً . فقال بديع ان البقاء عليه من باب الظلم لان مجازاة القاتل بالقتل وهذا الشرير الخبيث قد قتل ام الغلام سليم لانها حامت عن ابنها وتصدى لقتل ابنها ولا ريب ان الله سبحانه وتعالى يتكدر منا اذا تركناه حياً واما من جهة الادلة والبراهين فاني سأحمله في وسط ديوانك ان يقصد قتل ابن اخيه وسوف ترى

ولما سمع اسحق كلام بديع رآه صواباً وتاكد ان من الصواب قتله لانه قاتل والقاتل يقتل بعدل من الله واضع الشريعة والناموس. وقد اتفقوا ان ينزلوا في الغد الى المدينة لمحاكمة اصتلبرخام وبديع والغلام سليم بحضور ملوك الظلمات جميعاً ومن ثم عزفت الموسيقى من الموجودة داخل الصيوان اكراماً لخاطر اسحق بما اطرب الجميع وجعلهم يتساون عن اوطانهم ومن ثم وضعت سفرة الطعام وعليه الاكل اشكالاً والواناً من اخر الاطعمة واشهاها بروائح زكية تميل النفس اليها بالرغم على عدم القابلية وصرف اسحق ساعات هناك على اتم ما يرام من السرور والتسلي ثم نهض وودعهم واظهر لبديع الزمان كل ميل وكان يقول ذلك صدقاً ورأى انه غير قادر ان يفارقه ورجع الى المدينة وبقي ملوك الظلمات في صيوان بديع باقي النهار وفي الليل تفرقوا الى الخيام فناموا الى ان كان اليوم التالي نهض بديع ولبس تلك الملابس الفاخرة وجلس في الديوان حتى اجتمع حواليه الملوك والاعيان فسألهم في الدخول الى البلد فاجابوه ونزلوا المدينة ورأوا اسحق قائماً على انتظارهم مهيئاً لهم الاطعمة والاشربة وكل اسباب الضيافة وقد ترحب بهم كثيراً واجلسهم في ارفع مقام واعلاه وبعد ان قدم الشراب وصرفوا وقت الضيافة مع بعضهم اخذوا يفكرون في مسألة اصتلبرخام فنهض بديع وقبض على الغلام سليم

وربط يديه والقاه عـلى الارض وقال لاسحق اريد منك ان توسل فتأتي بعمه وسوف ترى خبثه وخداعه وغشه وتعرف صدقه من كذبه ويظهر لديك كل ما بقلبه من البغض لهذا المسكين فارسل الخدم وجاءت باصتلبرخام وهو مطلق الايدي ولما دخل الديوان نهض له بديع الزمان وامر ملوك الظلمات ان تقف له وتترحب وتتلقاه بوجه بشوش وكان يظن انه حال دخوله يقتـل فاطمأن باله وارتاح نوعاً وامروه ان يجلس فجلس والتفت فرأى سليماً ابن اخيه ملقى الى الارض فشغل باله وقال في نفسه ماذا عمل يا ترى حتى عومل هذه المعاملة ولا ريب انهم يريدون مصالحتي واذلاله

وبعد ان شرب الشراب وعومل معاملة ملك التفت اليه بديع وقال له لماذا انت تهرب من وجهي من مكان الى مكان حتى اشغلت ملوك الظلمات وعذبتنا كثيراً مع انك لو جئت اليَّ من الاول لفضضت هذا المشكل واعدتك الى حكمك لانك رجل عاقل حكيم والاقليم يحتاج الى رجل مثلك . قال اصتلبرخام اني كنت اظن انك تعاملني معاملة عـدو وتنتصر لابن اخي فهربت من وجهك وتتأثرني وتتبعني من مكان الى مكان قال لو كنت ارغب في ان املك سليماً لرجعت من الاول وتركتك بعيدًا عن البلاد لكنني رغبت في ان احصـل على صداقتك فقبضت الغلام وقلت اقدمه اليك فتنقاد اليَّ كغيرك وتصير كواحد منا وتجلس في مجلسي ومن ثم يتم النزاع والشقاق ولا يعود ما يكدر بيننا نعم اني فكرت بعد مرات لما رأيت عنادك وقصدك في اثارة ملوك الاقاليم عليَّ ان اكون عدوك واعمل على قتلك . اما الان وقد مضى ما مضى ولم يبقَ بيننا عداوة فلننظر في تدبير امرك واني اعيد اليك ملكك فليطمئن بالك فلما سمع اصتلبرخام هـذا الكلام كاد يطير من الفرح وصدقه ولاح له انه ربما يكون بديعاً يكره في ابن اخيه فاراد ان يغتنم هذه الفرصة لاتمام العمل ولذلك قال اني اشكرك ياسيدي فبالحقيقة انك من قوم كرام ينظرون في الامور بعين بصيرة وقلب طاهر وقد امرت برجوعي الى ملكي فهذه نعمة منك لا استحقها لكن لا يخفاك ان ابن

اخي لا يزال عثرة في طريقي فلا ارتاح قط في طول عمري فتـارة يثير الملوك والفرسان فابقى على الدوام معه في قال وقيل فادرك بديع غايته وعرف انه قد وصل الى المطلوب ليرى ملوك الظلمات فعله وخباثته فقال اني اعرف ذلك وعليه فلا بد من قتله فخذ هذا الخنجر اقتله به بضربة واحدة فترتاح انت ونرتاح نحن ايضاً وتتخلص ملوك الاقاليم من القلاقل وتعب الفكر والقلب فما صدق ان سمع هذا الكلام حتى تناول الخنجر باسرع من لمح البصر وقصد ان يتقدم من الغلام فصاح به اسحق وانقض عليه ومسكه من عنقه وسحبه على الارض وقال له ويلك لو لم تكن ظالماً لما طاوعك قلبك على قتل ابن اخيك فاذا كنت تنكر في الماضي انك ما قصدت قتله فها في الحال شاهدنا ورأينا فعلك به وانك تقصد اعدامه وهذا شاهد عظيم واضح على رداءة قلبك واني الان حكمت عليك بالقتل والاعدام وهذا عدل يقبل به الله سبحانه وتعالى وقبل ان يتم اسحق من كلامه نهض بديع وقبض عليه بيده اليسرى فرفعه عن الارض واخرجه خارجاً وهو يستغيث ويستجير وهناك ضربه بسيفه قطعه نصفين وعاد الى الصيوان وتقدم ملوك الظلمات واقاموا الغلام عن الارض وهنأوه بقتل عدوه فبكى من الفرح وشكرهم وتقـدم كذلك اسحق وقبله وقد حن له وقال انك بالحقيقة مظلوم ومـا ارسل الله لك هذا البطل الا ليخلصك ممن ظلمك لان ملوك الظلمات لم تنظر موضع النظر

ثم التفت اسحق الى بديع الزمان وقال له واني ايضاً اهنئك يا بطل العرب بل يا سيد الاقاليم وفارسها فقد زرعت في قلوبنا محبتك فلا نظن انها تنفع مع تواتر الايام وتقلب الليالي فاذا شئت الاقامة عندنا كنا لك عبيداً واذا اردت الرحيل من بلادنا وقبلت ان نكون في خدمتك فما من واحد يتأخر لانك السيد العظيم والفارس الكريم نشئت من خير قوم وجبلت على فعل المعروف واعاثة المظلوم والحكمة والاستقامة فمثلك من يتخذ سنداً وركناً ثم انشد يمدحه

لاقيتنا ملقى الكريم لضيفه وضممنا ضم الكمي لسيفه

وجعلت ربعك للمؤيد كعبة   هي رحلة لشتائه وصيفه
يا من اذا اشتبه الصواب اعاده   رأياً يخلص نقده من زيفه
واذا غزا ارض العدو فوحشها   من وفده ونسورها من ضيفه
هطلت على العافين منك سحائب   يعني الوليُّ وليّها عن صيفه
وسماح غيرك خطرة لوساوس   فكأنها في النوم زورة طيفه
كم مجرم قضت الذنوب بحتفه   فغدا يعض بنانه من حيفه

ولما فرغ اسحق من انشاده نهض وزير الغلام سليم وقال اي شيء يمكننا ان نكافي بديعاً به نحن اصحاب الاقليم الاول فلولاه لكانت بلادنا مرتعاً للظلم والفواحش ولا نعلم الى اين يكون مصيرها وربما ساد عليها الخراب فحفظها بحكمته وعنايته ونزع الظلم والعدوان بشجاعته واقدامه ارسله الله لنا عرياناً ونحن مثله ضعفاء مطرودين غير انه البسنا ثياب الفخر وكسانا المجد واعاد لابن سيدي ملكه واشبعه بعد ان كان جائعاً فلله دره فكل لسان فينا ينشد

وافى وقد عاد السماح واهله   رمما فكان له المسيح الثاني
فالطير تلجأ بالحصون لانها   بنداه لم تأمن من الطوفان
لا عيب في نعماه الا انها   يسلو الغريب بها عن الاوطان
ورأيت منه سماحة وفصاحة   عيدي بفيضهما يدي ولساني
يا ذا الذي عقل الزمان بنفسه   فاصمَّ سمع طوارق الحدثان
لو يكتب اسمك بالصوارم والقنا   اغنى عن التضراب والتطعان
وكتيبه ضرب العجاج رواقها   من فوق اعمدة القنا المرّان
نسج الغبار على الجياد مدارعاً   موصولة بمدارع الفرسان
ودم باذيال الدروع كانه   حول الغدير شقائق النعمان
حتى اذا استعر الوغى وتتبعت   بيض الصفاح مكامن الاظعان
فعلت دروعك عندها بسيوفهم   فعل السراب بمهجة الظمآن
وبرزت تلفظك الصفوف اليهم   لفظ الزناد سواطع النيران

وقام ملوك الظلمات كل واحد بدوره فمدح بديعاً وشكر من شجاعته ومعروفه الى ان انتهى الجميع وحينئذٍ قال لهم بديع اني بالحقيقة ارى نفسي سعيداً بينكم لانكم ملوك الرقة والعدل والكرامة والمحبة فالسلام يسود بينكم مع انكم صناديد وابطال لا نظير لكم في العالم ومع هذا فانكم بقدر ما تحبون الغريب تحبون بعضكم ولا ريب ان الله معكم ولا يزال معكم الى انقضاء العالم فطوباكم والان جل ما اريد منكم ان تصحبوني الى بلادي واوطاني فان لي مقاصد ومآرب ارغب في ان اجريها وبغيركم لا يمكن لي ذلك ثم حكى لهم بديع الزمان كل ما وقع بينه وبين ابيه وكدره ما جرى بعد ذلك حتى دخل بلاد الظلمات وانه يرغب في ان يرجع الى ابيه ليحاربه تحت اسم الملك بهزاد . فقال له اسحق اننا نرغب ذلك حباً بدوام القرب منك ولكن في اي طريق تريد ان نسير وهل تعلم ما بيننا وبين السبائل من المسافة . قال لا اعلم وجل ما اعلم اني نقلت من هناك الى هنا باسرع من لمح البصر . قال انه يوجد طريقان الى بلاد السبائل فاذا سرنا على الواحدة السهلة المسير نلتزم ان نطوف الدنيا لنصل فنقيم عليها مقدار سنتين تمام والثانية مسافة ستة اشهر فقط لكنها صعبة لا يمكن الوصول منها وفي وسطها سد لا يمكن ان نخترقه وذلك بعد ان نكون قد خرجنا من الظلمات . قال لا ارى من صعوبة في بلاد الظلمات قال لا بل اعظم صعوبة فاننا بعد ان نسير من هنا سبعة عشر يوماً ندخل في ظلام مدلهم تسير عليه التجار احياناً بعجلات تجرها الكلاب فيحملون كل ما يحتاجونه اما نحن بمثل هذا الجيش العظيم لا يمكن ان نركب مثل هذه العجلات بل نسير على الخيول ولا ريب اننا نتعب وربما نتشتت ومع كل ذلك فاني ارى دواء لهذا الداء واما الشيء الذي لا يمكن قطعه هو السد العظيم . قال لا ريب ان الله سبحانه وتعالى يساعدنا على كل ما نريد فنقطع الظلمات ونخرق السد ولا نخاف مانعاً والله على كل شيء قدير فلنسر على الطريق القريب . ثم اخبرهم كيف ان اباه مرّ من السد الذي يفصل بلاد الانس عن بلاد الجان بمساعدة الخضر عليه السلام فقالوا له جميعاً اننا

نسير على الطريق القريب ونتكل على وصولنا بوقت قريب ثم اخذوا في تهيئة لوازم السفر من الطعام والماء والحطب للتنوير اثنـاء مرورهم في الظلمات وجمع العساكر الكافية للواجب ان تكون في خدمة بديع

وبعد ان انتهوا من استحضار كل ما يلزم لسفرهم الطويل ركبوا خيولهم ورفعوا بيارقهم واعلامهم ومشوا صفوفاً صفوفاً وفي المقدمة بديع الزمان وملوك الاقاليم وكان عددهم جميعاً اربعمائة الف مقاتل وبقوا على مسيرهم الى ان قربوا من ارض الظلمات فرأوها عن بعد كانها عمامة سوداء كثيفة تغطيها فلا يبان ما عليها وتلك الكثافة ترتفع الى مسافة نحو اربعين ميـلاً عن الارض وكانوا كلما قربوا شاهدوها باكثر جلاء الا ان النور المنبعث عن الشمس كان يضعف شيئاً فشيئاً وتخف شيئاً فشيئاً والظلام ينتشر اكثر فاكثر حتى تقريباً كاد لا يميز بين الرجل و لرجل وحينئذٍ اخذ اسحق الظلماني في ان يرتب العساكر فرقها صفوفاً وراء بعضها كل اربعة انفار يمسكون ببعضهم وبين كل عشرة صفوف شعلة حولها خمسة اشخاص يوقدون الحطب على الدوام وامامهم بغال تحملها وعين الانفار الذين يقدمون المياه والذين يخدمون في الجيش الى غير ذلك مما يلزم . وبعد ذلك اعلن اسحق وجوب دخولهم في ارض الظلمات وقال لهم كل واحد انفرد عن الجيش وبعد عن النيران المضطرمة يتيه ولا نعود نراه ويفقد فيكون لومه على نفسه فانضموا الى بعضكم وعند المنام يحرس البعض الاخر فيسهر على ايقاد النيران كي لا تنطفي وربمـا اذا وصلنـا من نصف الظلمات لا تعود النيران تلتهب فنسير على الظلام وهكذا فكونوا كسلسلة الواحد يتمسك برفيقه الى ان نخرج . فاجاب الجميع طائعين يسألون الله الفرج واخراجهم من تحت تلك البقعة السوداء

وبعد ذلك نزلوا واستراحوا قاسـلاً في تلك الارض وعند الصباح ركبوا وركب بديع واشعلت النيران وعمل كل واحد على خطته وساروا مقدار ساعة من الزمان وهناك قامت القيامة واشتدت الصرخات والضجات من كل ناحية ولم يعد يسمع الا المنادات بطلب المياه وداموا على مثل هذه الحالة حتى قطعوا نصف

الطريق وهناك اخذت النيران في ان تخمد بسرعة وهم يقدونها حتى لم يبقَ منهم بعد ساعات قليلة عن اجتيازهم نصف الطريق ولا شعلة واحدة ومع ذلك فقد داموا على طريقهم يقبض الواحد على رفيقه والماء يقدم اليهم على الصوت كانهم عميان وهم مداومون على الصلاة والطلب من الله ان يخلصهم من تحت تلك الشدة ويوصلهم الى نوره الذي هو حياة الانسان ومقياس الخليقة وما برحوا على مثل ذلك وقد ساعدتهم العناية الالهية الى ان رأوا انوار الطبيعة كخيط رفيع من امامهم وكل ما تقدموا يرتفع ويظهر اكثر وضوحاً فصاح اسحق ببديع الزمان وقال له اطلق جوادك خلفي وليفعل مثلنا ملوك الظلمات لئلا نداس من العساكر لانهم عند مشاهدتهم النور يرمون بانفسهم ويسرعون اليه لاخذ النفس وارجاع الحياة التي كادوا يفقدوها وحينئذٍ اطلق بديع لجواده العنان وانطلق من خلفه ملوك الظلمات ومن ثم فعل العساكر كذلك وقد شاهدوا النور فتركوا بعضهم وانطرحوا عليه يطلبونه برغبة وشوق لا يوصف وما مضى الا القليل حتى دخلوا النور وقد داس الفرسان بعضهم البعض فسحق نحو الفي رجل وماتوا تحت حوافر الخيل

ولما صار الجميع في بر البهاء والامان نزلوا الى الارض وصلوا لله سبحانه وتعالى وشكروه على نجاتهم سالمين من اخطار الظلام والعطش ومن ثم انتشروا على جنبات تلك الساحة وكانت فسيحة جداً وهي كثيرة الرياض والبساتين تجري المياه في كل جهاتها كانها جنة الدنيا ونعيمها وقامت الافراح فيما بينهم واخذ الواحد في ان يهني الاخر على سلامته وصرفوا يوماً عظيماً في ذاك المكان على اتم ما يرام من الحظ والراحة وتركوا خيولهم تسرح وتمرح في تلك المروج الخضراء لتقوى على المشي ولما كان صباح اليوم الثاني اجتمع اسحق ببديع الزمان وقال له اعلم ايها الامير ان الظلمات قطعناها بمساعدة الباري سبحانه وتعالى وقد ارتحنا الآن ولم يبقَ من الصعب علينا الا قطع السد الذي كنت قد اخبرتك عنه فاذا لم تساعدنا العناية على خرقه ضعنا كلنا وهلكنا لا محالة لان لا قدرة لنا بعد على

الرجوع من هذا المكان فقال بديع ان ثقتنا كبرى بالله تعالى وهو لا ريب يخلصنا من السد كما خلصنا من غيره فهلموا بنا على التقدم ثم ركب وركب من خلفه ملوك الظلمات وركب العساكر والابطال وتقدموا على طريقهم وما ساروا مقدار ساعتين حتى رأى بديع الزمان اسداً هائل المنظر كبير الجسم عظيم الهيكل افطس الانف فصاح به بديع واتحذف عليه فلاقاه الاسد واخذ معه في الجولان فضربه بديع بالدبوس على راسه القاه صريعاً الى الارض واراد ان يكمل عليه بسيفه واذا باسحق الظلماني قد صاح به وقال له ارجع يدك ولا تضرب الاسد فرجع الى الوراء وسأله لماذا منعه عن قتل الاسد فقال له اعلم ان هذا الاسد داجن يألف الناس وهو كان يسير الى يمين السلطان بهزاد ويبقى في ركابه عند غزواته وفي ذهابه وايابه فادخله في طاعتك واتخذه لنفسك كما كان يتخذه السلطان بهزاد . فاعجب بديع هذا الراي وتقدم من الاسد وانهضه وقبله بين عينيه فعرف الاسد ذلك ولاح بذنبه واظهر خضوعه بين يديه وقربه من جواده وارغم الجواد ان يألفه وبعد ذلك ركب وسار والاسد الى جانبه وهو مسرور في تلك الحالة وما تقدم الا القليل حتى رأى قطعة كبيرة بقدر الجمل تسير على الطريق فلم يعرف ما هي فالتفت الى اسحق وقال له اني ارى قطعة من الارض كأنها تسير وتمشي ولا اعرف ما هذه فنظر اسحق وقال هذه السلحفاة التي كانت تمشي عن شمال بهزاد وقت ركوبه ولا ريب ان الله تعالى يزيد في توفيقك حتى تفوق الناس قدراً وارتفاعاً كما فقتهم شجاعة وبسالة . فتقدم بديع من السلحفاة واخذها اليه وتركها تمشي الى شماله ونظر في نفسه واذا هو كأنه اعظم سلاطين ذاك الزمان يسير في مقدمة موكب عظيم وعليه سبعة ملوك العالم من اشد ملوك العالم بسالة واقداماً وعقلاً وحشمة وكلهم طائعون له وقد حصل على كنوز تلك الاقاليم واعطي ثياب الملك بهزاد وامواله وثياب رجاله وفي الاخير قادت اليه يد الاقدار الاسد والسلحفاة اللذين كانا يمشيان من جانبي بهزاد ليكون مثله في العظمة ولذلك اخذ في ان يسبح الله ويشكره ولم ينتفخ ولا تعظم في نفسه ودام يردد الشكر

والحمد وما مشي بعد ذلك الا القليل حتى رأى صفاً من الزرفات يبلغ عدده خمس عشرة واحدة وقبل ان يتقدم انطلق الاسد ومن خلفه السلحفاة فاجتمعا بهما وعادوا جميعاً فمشي الاثنان من جانبي بديع ومشت الزرافات بين يديه وامام جواده فعرف انها كانت ايضاً تسير بين يدي بهزاد وانها كلها تألف بعضها و كان الملوك والعساكر يرون ذلك فعظم بديع في اعينهم وقالوا لا ريب ان السعادة تصحبه وان الله يريد ان يرفعه على سواه

قال وداموا في مسيرهم حتى وصلوا من السد واذا هو مرتفع الى الاعلى لا يظهر طرف اعلاه والطرف الثاني غارق بالارض ولا يمكن لا للرجال ولا لآلات العالم ان ترفعه عن الارض او تخرقه فنظر بديع وامعن فيه واطرق الى الارض وبقي يفتكر كيف يقدر ان يرفع هـذا السد لتمر تلك العساكر ووقع الخوف والفشل في قلبه وكان اسحق امر في تلك الساعة ان تنزل العساكر للراحة في تلك الارض وتبيت هناك ليروا طريقة لهم تفتح باب الفرج فنزلوا عن خيولهم وسرحوها في تلك البقعة وكان اعظمهم كدراً بديع الزمان وهو ينظر الى ما امامه من السد واستحالة المرور من تحته ويفتكر في ارض الظلمات وما قاسوا عليها فيعظم عليه الامر اذ لا يقدر ان يتقدم ولا عاد يمكنه الرجوع الا بعد ان يفقد اكثر العساكر التي معه ويلاقي عذاب الهون ولذلك كان شديداً عليه ولم ير وسيلة يهتدي اليها الا انه التجأ اتكاله على الله وقال لاخلاص لنا الا بمعونته وعند اشتداد الليل دخل الى صيوانه مأيوساً ووقف الاسد والسلحفاة عند الباب ومن حوله الزرافات نزع ثيابه على ركبتيه ورفع عينيه لله سبحانه وتعالى وقد انهمرت الدموع منها وقال

اللهم يا من تحجبت عن الابصار والبست الخليقة شعار الحكمة والانوار . ووضعت في الانسان عقلاً يقوده في طريق حياته . وزينته بالنطق والنظر والحركة لقضاء جميع حاجاته تبسط رحمتك على العباد . وتنظر الى خليقتك بعين لا تعرف النوم ولا السهاد يا من جلست فوق السبع الطباق . ونور حكمتك ينبعث الى اعمق الاعماق . فترى كل ما فوق وما تحت وما امام وما وراء . فلا يمكن لاحد

عن نظرك الاختفاء . انت يا من رافقت ابي منذ الصغر . ووفقته الى حين الكبر . وازلت من بين يديه كل الموانع . وحبوته بعنايتك التوفيق والسعادة وحسن الطالع . حتى ساد على الكبير والصغير . وقهر كل ملك وامير . ورفعت من فوقه سد بلاد المغارب . وافنيت بين يديه كل المصاعب . سهل لي المرور من هذا المكان واهدني الى رفع هذا السد لاصل من بر الامان فلا يصعب عليك هذا الامر . يا من فصلت بين البر والبحر واوجدت الخليقة بكلمة واحدة . فاسألك يا ربي امداد يد المساعدة

وبعد ان فرغ من صلاته شعر براحة طبيعية احدثتها في داخله التقاوة والاميل الى محبة الله واعتقاده بان العناية تساعده الى كل ما يريد وما لبث ان غرق في نعاس عميق واستغرقته سنة الكرى واذا بالخضر عليه السلام قد زاره ووقف تجاهه وصاح به اي ابن حمزة البهلوان انهض من نومك فقد جاءك الفرج من العزيز المتعال . ثم لمسه بطرف الرمح فاستيقظ مرعوباً مضطرباً وعزم ان يصيح فقال له لا تخف ولا تضطرب فان الله سبحانه وتعالى يرغب في ان يفرج كربتك وينظر اليك ويقضي غرضك ويرفع عنك الشدة ولذلك قد جئت اليك انا الخضر رسول الفرج . فلما سمع بديع الزمان بانه ابو العباس عليه السلام خرّ على وجهه الى الارض ودموع الفرح تفيض من عينيه وقال اشكرك يا سيدي فانك لا تزال تاتيني في وقت الضيق وترفع عني الهموم والغموم والاكدار وتوصلني الى غايتي وما انا الا عبد من اقل عبيد الله لا استحق هذه العناية قال ان الله لا يترك خائفيه ولا يتغاضى عن مساعدة المحتاجين فهو يفعل ارادته في خليقته وخليقته لا تقدر ان تعرف ارادته ولا كيف يدبرها ولذلك اخبرك انك في الغد عندما تخرج من الصيوان وتجتمع بالملوك قل لهم ان الذي يرفع هذا السد لنمر جميعاً يكون الملك والحاكم علينا كانا ويحلف له الكل على الطاعة وعدم المخالفة ولا ريب انهم يمتنعون ويظهرون العجز عن رفع السد ويحلفون لك يمين الطاعة فضع في كفك هذه الورقة التي اعطيكها الان وضع يدك على السد فاكون انا تحت يدك فارفعه وافتكر

ان ذلك ليس بقوتك بل بقوة الله سبحانه وتعالى الذي بكلمة واحدة يزيل الوفا مثل هذا السد ويقيم الوفا اعظم منه . فقال اني اعرف يا سيدي عظم محبة الخالق وقدرته فهو الذي يوفقني وقد خرجت من امام ابي حزيناً كئيباً فعدت الان ملكاً اعظم ملوك العالم وما ذلك الا من توفيقات العناية الالهية وتدبيراتها ولا ريب انها هي التي تدبرني وتدربني وتقيدني في هذه الحياة

وبعد ان تناول بديع الزمان الورقة من الخضر عليه السلام لم يعد يراه قط بل اشتم رائحة البخور الزكية يضوع منها ذاك المكان فشكر الله ونام الى الصباح وفي الصباح خرج من صيوانه مسروراً فرحاً متأكداً بانه يرفع السد في ذاك الصباح وكان ملوك الاقاليم قد وقعوا باليأس والقنوط منذ اليوم الماضي وقد شعروا بغلطهم حيث جاءوا ذاك المكان ولم يعد في وسعهم الرجوع دون ان يلاقوا شد العذابات غير انهم كانوا يعبدون الله كما تقدم وفي قلوبهم الايمان الكافي ولذلك كانوا يسلمون باموره الى تدبير العناية ولما جاءوا في الصباح الى الصيوان الاكبر وجلسوا على مراتبهم نظروا الى بديع الزمان فوجدوه متهلل الوجه باسم الثغر فايقنوا انه لا يهتم بالمصاعب وانه موفق من الله . ومن ثم قال لهم بديع اني اشكركم يا ملوك الظلمات حيث وافقتم طلبي وتنازلتم الى مرافقتي ونويتم على مساعدتي وتحملتم من اجلي اعظم المشاق واصعبها . فقالوا له اننا نرى في ذلك فرضاً علينا اولاً لانك دعوتنا وانت من جبلتنا وثانياً لانك فعلت المعروف والجميل مع احدنا وثانياً لانك من اولاد الكرام وابن السيد والفارس المشهور في هذا الزمان وقد عاهدناك انك لو سرت الى آخر العالم وطلبت الدنيا برمتها لاجبناك وسرنا في ركابك وكل ما تأمر به نطيع فقال هل في وسع احد منكم ان يرفع لنا هذا السد لنمر ونزيل هذا المانع العظيم قالوا كلا قال اني ارفعه انا باذن الله سبحانه وتعالى لكن اريد منكم شيئاً واحداً قد فعلتموه انتم من تلقاء انفسكم وهو ان تحلفوا لي يمين الطاعة وتفعلون على الدوام كل ما اريده وتصغون الى قولي الى ان يأذن الله بالفراق . فقال له اسحق اننا اتخذناك لنا سيداً وملكاً

وعزمنا على طاعتك عن طوع واختيار لا عن اكراه ولا جبر وتأكيداً لذلك نقسم لك الايمان العظيمة بالله سبحانه وتعالى الذي لا إله الا هو خالق الليل والنهار فهو على ما نقول شهيد ثم حلف اليمين وحلف من بعده الملوك والامراء والوزراء والاعيان الذين في الجيش ونادوا باسمه ملكاً عليهم جميعاً. فقال لهم واريد منكم منذ هذه الساعة ان لا يلفظ احد باسمي بل فليكن اسمي بهزاد لان لي ارادة بذلك ومرادي كما لا يخفى ان احارب ابي فاجابوه الى طلبه ووعدوه تكراراً ان يفعلوا ذلك ويصدروا باوامرهم الى كل الجند وان لا ينادوه ببديع الزمان ولا يذكروا اسمه امام احد من الناس بل يقولون عنه انه بهزاد

ولما فرغ بديع الزمان من اتفاقه مع ملوك الظلمات نهض الى جواده فركبه وامر الملوك ان تركب على خيولها وان يركب الجند برمته ويرفعون الاحمال والمؤن والذخائر ويسوقون الجمال والانعام فاخذوا في ان يعجلوا عملهم حتى اذا تم الجميع تقدموا خلف بديع الزمان ولما وصل الى السد اخذ الورقة التي اخذها من الخضر عليه السلام في كفه واسند كفه الى السد وذكر الله تكراراً ونادى الخضر واذا بالسد قد ارتفع عن الارض مقدار ثلاثة اذرع وظهر كانه رافعه على يده وما ذلك الا بامر الله سبحانه وتعالى حتى ضج الجميع من العجب واخذوا في ان يمروا مسرعين افواجاً افواجاً وساقوا كل مالهم داخل السد حتى لم يبقَ لهم شيء وحينئذ امر بديع الزمان الاسد والسلحفاة والزرفات ان تمر فمرت وانسحب هو من بعدها وترك هو السد فسقط الى مكانه وقد اهتز له السهل والجبل واضطربت الارض برمتها وبعد ذلك تقدمت الملوك وقبلت يديه وقالت له لله درك من رجل نادر المثال فيحق لك ان تكون السيد والمولى على العالم اجمع لان الله سبحانه وتعالى قد اعطاك القوة والبسالة والشجاعة والاقدام وقدمك على العالم اجمع من الكبير الى الصغير ونزلوا في تلك الساحة وقد زال عن قلبهم الهم والغم وجاء الفرح والمسرة وقد رفعوا من بينهم اسم بديع الزمان وصاروا ينادونه بالملك بهزاد واقاموا ثلاثة ايام في تلك الارض وبعد ذلك حملوا الاحمال وركبو وساروا

في بر الله الواسع مقدار ستين يوماً على التمام يسيرون في النهار وينزلون في الليل حتى وصلوا من اراضي السبائل وتلك الديار

فهذا ما كان منهم واما ما كان من الامير حمزة البهلون فانه كان جالساً في ذلك اليوم في صيوان اليون شاه ومن حوله السادات والملوك وهم يتشكون من طول اقامتهم في تلك الديار واذا بالشاه ذنب قد دخل الصيوان ووقف امام السلطان سعد اليوناني وقال اعلم يا سيدي اني بينما كنت اطوف في البراري والضواحي كما هي عادتي عساي اقف على خبر جديد او اتكلم بامر يسهل اكم افتتاح السبائل واذا بغبار قد سد منافس الاقطار وملأ الجو حتى حجب نور الشمس فملت الى جانب الطريق وتقدمت اكشف الاخبار وعند وصولي وجدت معسكراً عظيماً وجيوشاً غزيرة بعدد رمل البحار وهم يلبسون لباساً عجمياً ويركبون خيولاً فاخرة وفي اوائل الجميع موكب حافل يسير في وسطه علم من الحرير الاخضر على قضيب من الذهب يبلغ طوله نحواً من ٢٠ ذراعاً ولما كنت لم ار في زماني مثل هذا الموكب سألت احد العبيد عن ملكهم فقال لي انه ملك ملوك اقاليم الظلمات واسمه بهزاد فارس الطراد ومذل الجبابرة الشداد وهو اعظم ملوك الارض واشرفها وبعد ذلك عدت اليك لاعلمك الخبر . وكان السلطان وكل من في ذلك المكان يسمع هذه الاخبار وقد وقع الرعب في قلوبهم لان الوزير بزرجمهر كان قد اخبرهم عنه منذ الاول كما تقدم ولذلك التفت الامير حمزة الى بزرجمهر وقال له كيف يقال عن هذا الملك انه اشرف ملوك الارض واعظمها وكيف ذلك قال لانه مثبوت النسب يتصل نسبه بنوح عليه السلام وقد اعطي السعادة ما لم يعط غيره قط وملك احسن اراضي الدنيا فقال الامير اننا نسلم امورنا لله سبحانه وتعالى فهو يصلح بيننا لانه مثلنا يعبد الله ولا ارغب في قتال رجال الله الا بالرغم عليّ وقد قلت لي قبل الان انه يجيء الينا ويطلب منا الذخائر والاموال فهذه لا اسلمها الا بضرب يقد الحديد ويزيل الجبال . وامر من ذاك الوقت بان تتهيأ العرب ويكونوا حاضرين الى القتال

وفي الساعة الثانية من نفس ذاك النهار سمعت اصوات الطبول تضرب ضرباً قوياً اهتز منه ذاك المكان ورجفت قلوب الفرسان وقد تسردق الغبار من فوق الرؤوس ولمعت الاسنة كانها النجوم في وسط ليل مدلهم شديد الظلام فوقفت العرب تتفرج على ما هنالك فرأو في الاول السلطان بهزاد على جواد عال كانه الفيل وعليه ثوب مرصع بالجواهر النفيسة يضيء كالشمس في رابعة النهار لا يمكن للعيون ان تنظر فيه . وعن جانبيه الاسد والسلحفاة يسيران كسيره وبين ايديه الزرفات تتقدمه بترتيب زوجاً زوجاً . ومن خلفه ملوك الظلمات وكلهم بالثياب المرصعة الفاخرة التي تأخذ بالعقول والالباب وفوق رأسه يرتفع علم كبيرًا اعظم بكثير من علم بيكار الاشتهار الذي اخذه العرب من العجم . وفي نفس ذاك الوقت نظر العرب ان مدينة السبائل قد فتحت ابوابها واخذت العساكر في ان تخرج منها وقد ظن الخوند ان هذه العساكر قد جاءت لمعونته تساعده على العرب ولذلك قال الامير لمن حوله لقد عرفنا ان بهزاد جاء يطلب منا الذخائر وهو مثلنا يعبد الله تعالى فماذا يا ترى خطر للخوند حتى خرجت عساكره بعد ذاك الحصار الطويل العريض . قالوا لا نعرف لذلك سبباً ولا ريب انهم موعودين بالمساعدة فظنوا ان الملك بهزاد جاء لمعونتهم علينا

ثم ان بهزاد وقف في وسط تلك الارض وامر ان يضرب له الصيوان الاكبر في الوسط فانتشر وضرب على اربعة اركاز واخذ نور الشمس في ان يتكسر عليه فينعكس لمعانه وتنتشر اشعته فتبهر العقول وكذلك باقي الصواوين التي ذكرناها في غير هذا المكان عند ما اخذها بديع الزمان من الكنز فضاع عقل الامير وجماعته وقال لا ريب ان هذا من اعظم ملوك الزمان واشرفهم واغناهم ثم رأى معسكر الخوند يضرب خيامه بالقرب من المدينة ويرفع اعلامه وكذلك معسكر بهزاد اخذ في ان يضرب الخيام ويسرح الانعام ويدبر امره وفيما هم على مثل ذلك واذا بغبار قد ثار من ناحية مؤخرة مدينة السبائل وظهر بعد قليل من تحته شرذمة من الفرسان تقدمت قليلاً وضربت اطنابها بين معسكر بهزاد

ومعسكر الخوند فتعجب الامير حمزة من هذه الفرقة وقال لقد عرفنا ان هذا المعسكر هو لبهزاد وذاك للخوند واما هذا الجيش فلمن ومن عليه فقال الشاه ذئب اذا امرتني سرت اليه واتيتك بخبره فسار في الحال حتى دخل على الصيوان الكبير فرأى فارساً جالساً في صدره فتقدم منه وقبل يديه وقال له اني رسول الامير حمزة فقال له حباً بك ومرحباً . قال لقد بعثني سيدي اسأل عنك وعن اسمك ومعسكرك وماذا قصدك وهل انت عدوه ام صديقه . قال اعلم اني لم اكن من الرجال بل انا بنت البس ثياب الرجال وكذلك كل معسكري ثم بنات لا ذكر بينهن واسمي سرخابة بنت قاطر عطر وابي يسمى الخوند ايضاً في بلاده وقد اتصل بنا خبر العرب وماهم عليه من الشجاعة والبسالة والاقدام والنخوة والمروءة فمالت قلوبنا اليهم واخذت في ان اجمع بنات المدينة وطلبت اليهن ان يرافقنني فاجابني وقصدي ان اتفرج على قتال العرب مع الخوند صاحب السبائل واكون تحت امر حمزة وحمايته فاقره مني السلام واخبره اني اقيم هذه الديار محتاجة الى عنايته واذا اصبت بامر فيكون من عدم اهتمامه بي . فقال لها الشاه ذئب كوني براحة فان لا احد يجسر ان يدنو منك باذى ويبقى في قيد الحياة ثم عاد الى الامير حمزة وكان قد رجع الى المعسكر فاخبره بما سمع من سرخابة بنت قاطر عطر وكيف انها جاءت على سماع صيت العرب . فقال مرحباً بها فهي في جوارنا وذمتنا كيف انهن جميعاً بنات وما معهن ذكر وامر من تلك الساعة ان لا يتقدم احد من معسكر العرب الى جهتهن ولا يدنو منهن ذكر قط ومن خالف امره يعدم حالاً

وكذلك السلطان بهزاد فانه دعى ببهران احد الملوك وقال له اريد ان اعرف لمن هذا المعسكر وقد عرفت ان ذاك للعرب وذاك للخوند . واما هذا فلا اعرفه قال اني كذلك اتعجب واحب ان اكشف الخبر بنفسي واجعل ذاتي رسولك فاذنه بهزاد بالمسير فسار حتى وصل من سرخابة ودخل عليها وسألها عن نفسها وقال لها انه رسول السلطان بهزاد . فقالت له اني لم اكن قد سمعت قط بهذا

الاسم وما انا الا بنت قاطر عطر واسمي سرخابة وجئت على امل ان اتفرج على قتال العرب واشاهد عياناً ما هم عليه من المروءة والنخوة التي ملأت الافاق. فلما سمع بهران كلامها وشاهد عذوبة الفاظها عاد مسلوب الخاطر وحكى لبهزاد كل ما سمعه من سرخابة فقال اسمعتم يا ملوك الظلمات كيف اتصل خبر العرب الى كل ناد حتى ان البنات صرن يتصدنهم ليدخلن تحت اكنافهم وحيث ان الامر كما ذكرت يا بهران فاخبر العسكر برمته واحداً واحداً ان لا يدنو احدهم من الفرقة ومن قرب منهن قتلته لا محالة. قال اني سأفعل ذلك لكن اريد ان اخبرك بامر مال اليه قلبي واردته ويا حبذا اذا وافقتني عليه فسأله وما ذاك قال اعلم اني شاهدت سرخابة ورأيتها كانها القمر المنير كاملة القد بديعة الخد بارزة النهد لم تر عيني اجمل منها قط فتمنيت ان تكون لك زوجة وتكون لها بعلاً. قال دعنا من ذلك فما نحن في مثل هذا الشان. قال هذا لا بد منه ولا بد ان اسعى به واذا كانت سرخابة زوجتك حصلت على نعيم الدنيا كاملاً قال اترك هذا الامر الى وقت آخر فنتبصر به

ثم ان بديع الزمان بعد ان استقر به الجلوس وارتاح في ذاك المكان اخذ قلماً وقرطاساً وكتب كتاباً الى الامير حمزة البهلوان يقول فيه

« باسم الله العلي العظيم مالك الملك مدبر الكون عارف الخفايا لا إله الا هو يحيي الموتى ويعيد الغريب الى وطنه واصله فهو على كل شيء قدير »

« من السلطان بهزاد سلطان سلاطين الاقاليم ومالك بلاد الظلمات الى الامير حمزة العرب سيد الفرسان وقاهر كسرى انو شروان »

اعلم ايها الامير اني من داخل بلادي سمعت بذكرك وانك قد هدمت تخت كسرى انو شروان وطاعت لك الملوك العظام وانك قد استوليت على سيف ضحاك الناجي من جبال قاف واخذت الجواد اليقظان الذي ليس له في هذا الزمان من ثان وملكت صيوان اليون شاه وعلم بيكار الاشتهار وتاج كسرى صاحب الايوان وما عنده من الذخائر والاموال وانك قد قصدت هذه

الديار على امل ان انزع منك كل ماملكت لاني احق بها منك وعليه فاني اطلب اليك في حال وصول كتابي ان تسلمها الى رسولي واذا امتنعت او حدثتك نفسك بالقتال تكون قد قدت نفسك الى الذل والهوان مع اني لا ارغب لك الا الرفعة وعلو الشان وجل ما اريده ان تسلمني ما طلبت منك فارجع دون ان اشهر في وجهك حساماً والان فلا يغرنك كثرة العساكر وما عندك من الفرسان فاني اقدر باذن الله تعالى ان افنيها وحدي باقل من شهر فهذا ما اريده والسلام •

وبعد ان فرغ من كتابة الرسالة طواهاوختمهاواراد ان يعطيها الى احدالقواد يوصلها الى معسكر العرب فقال له الملك بهران اريد ان تسمح لي بايصال الرسالة الى المعسكر فاني اتشوق الى ان اتفرج على رجال الامير حمزة وديوانه وانظره وانظر كل ما هناك فدفع اليه الرسالة فأخذها وسار حتى جاء معسكر العرب واجتاز بين صفوفه الى ان وصل من صيوان اليون شاه فوجد الحجاب والخدم عند ابوابه فاعترضه عمر العيار وسأله عن حاله فقال له اني احمل تحريرًا من سيدي السلطان بهزاد الى الامير حمزة واريد الجواب فدخل به عمر حتى اوقفه امام السلطان سعد اليوناني ووضع التحرير هناك ورجع الى الوراء فاذن له السلطان بالجلوس فجلس وجعل ينظر في الامير حمزة وفي رجاله واحدًا واحدًا وقد انبهر من كثرتهم وعظم هيبتهم واتقانهم ورأى في الامير حمزة دلائل الشجاعة التي لا توجد في غيره من الرجال فقال في نفسه لا ريب ان ذاك الشبل من هذا الاسد وبدون شك ان بديع الزمان يشبه اباه ومن يشبه اباه ما ظلم وبقي ينتظر الجواب وقد امر الامير ان يقدم اليه الشراب والطعام

ومن ثم تليت الرسالة علناً على رووس الجميع فلماسمع الامير حمزة ماتضمنته ارغى وازبد وقام وقعد ولعب به الغضب وجارت نيران الشجاعة في راسه فقال لبهران ارجع الى سيدك وقل له لقد تعدى حده وظن بنفسه ان حمزة كمن لاقى من الفرسان على اني وحق العزيز الديان لا اسلمه الذخائر الا بعد ان يرى تراب الارض قد تغطى بجثث الرجال وكواكب السماء ترسل اسهم الويل والعذاب ولا

بد لي من قطع راسه واخماد انفاسه وقهر رجاله . ولما فرغ الامير من كلامه قال له السلطان سعد مهلًا يا جداه ان السلطان بهزاد قد بعث الينا برسالة كتب فيها ما اراد ولا ننكر انه سيد عظيم وملك موقر ومن العدل ان نجيبه على رسالته برسالة مثلها وما ذلك الا احتراماً للملك وللسيادة فما هو دوننا مقاماً فاذا لم نفعل ذلك يظن باننا لا نراعي حرمة الادب ولا نوقر الرجال. فلما سمع الامير كلام حفيده قال له افعل ما بدا لك واطلب اليه ان يلاقينا في الغد الى ساحة القتال ولا تلين له المقال فكتب السلطان سعد رسالة وسلمها الى بهران ومآلها

« الحمد لله رب العالمين خالق الخلق ومالك الملك العزيز الكريم »

« من الامير حمزة ابن الامير ابراهيم فارس برية الحجاز ورافع شان العرب وعبادة الحق ومذل كل جبار عنيد الى السلطان بهزاد صاحب بلاد الظلمات وتلك الجهات

« لقد وصلتني رسالتك فتلوتها على رؤوس الاشهاد واذا هي جامعة من التهديد والوعيد والافتخار ما لا يوجد الا عند اعظم ملوك هذه الاعصار وقد طلبت اليّ ان ابعث اليك بالذخائر التي احرزتها والاموال التي جمعتها وزعمت انك جئت من بلادك لاجل هذه الغاية فافتكر بنفسك وتحذر من تطرفك الى حد التهور ومن العجب من كان مثلك من الملوك العظام تطمح نفوسهم الى مال غيرهم مع ان عندك شيء كثير ولا بد من انك ترى مني فارساً صنديداً وبطلًا مجيداً ومتى جربت نفسك في ساحة القتال تعرف من انا من الرجال وتعرف ان عندي من الفرسان والابطال كل واحد يقاتل الفاً واكثر فهذا جوابي والسلام

ولما وصلت الرسالة الى الملك بهزاد قراها وحينئذ التفت الى ملوك الظلمات وقال لهم لا تفكروا ايها الملوك اني اتيت بكم هذه الديار لتساعدوني على حرب العرب او لأقطر نقطة دم منكم ولكن لي غاية كبرى اردت ان اجريها لأظهر عظم عناية الله بي وكيف اني بعد ان كنت وحيداً لا املك بارة صرت سيداً واسع الجند مطاعاً من اعظم ابطال العالم واملك ما لا يملكه غيري في هذه

الدنيـا ولذلك اسألكم ان لا احد منكم يباشر حرباً ولا قتالاً بل اريد ان احارب بنفسي لاتمام غايتي ومرادي وهذا الذي اريده نا بابه الجميع الى طلبه ولم يخالفوا له امراً

فهذا ما كان من بديع وقومه واما الامير حمزة فانه بعـد ان بعث الرسالة التفت الى قومه وقال لهم ان ضميري يخبرني بان حرباً شديدة تقوم بيننا وبين الملك بهزاد واني ارغب في سبر قوته واريد ان اعرف تعديل قوة رجاله . فاطاعه الامير قاسم بن رستم فرتم وقال لقد اختلطت باجداده فمن يكون الملك بهزاد ومن هم قومه لقد رفعت قدره اكثر من اللازم ولا بد من ان انزل اليه واخذه وامرغ رأسه بالتراب واجعله عبرة لسواه من الذين يجسرون على قتالنا وسوف ترى في الغد صدق مقالي . فقال الامير لا تحتقر الرجال يا قاسم فا الامر بمشتبهة الا ان وليس الرجل الذي يقول انا بل الرجل الذي يظهر فعله في مضمار النزال . لا بد من ان يبان الشجاع من الجبان . ثم التفت الى عمر العيار وقال له اريد منك ان تذهب في هذه الليلة الى معسكر الطلمات وتجس لي احوالهم وتطلع على اعمالهم وتعرف اذا كان في نية الملك بهزاد القتال والحمل بكل عسكره او انه يروم البراز والنزال وتعود الينا في عاجل الحال . فصبر عمر الى الساعة الثالثة من الليل وذهب الى معسكر الطلمات وحالما وصل الى الخيـام لم ير لا حراساً ولا خفراً فتعجب كيف ان ملوك الطلمات يأمنون على نفوسهم ويتركون الحرس وقال في نفسه انهم لا يعرفون الغدر والخيانة ولذلك لا يخافون بغيرهم الا الامانة والوفاء ومن ثم دخل بين الخيام يتلصص من مكان الى مكان وما اجتاز الا القليل حتى شعر برجل قد انقض عليه بغتة من وراء عطنة خيمة وامسكه وسحبه الى داخل الصيوان فنظر فيه فاذا هو الملك بهزاد فتعجب غاية العجب من اين عرفه ومن اين عرف انه آت وكيف ان ملكاً عظيماً يترصد الجواسيس وان ذاك قال له ويلك يا عمر العيار اتدخل معسكري وتجس احوالي وربمـا من بمكرك ان تغدر بي دون ان تفكر ان الملك بهزاد يعرف مكرك ودهاك ولكن لا اعاملك

كما تستحق بل من الواجب ان انعم عليك فارضيك فهل تقبل بان تقبض مني الف دينار وتقسم لي اليمين العظيمة بانك لا عدت تدخل معسكري متخفياً ولا تسطو علي ولا على احد من اتباعي والا فاني اعدمك في هذه الدقيقة لاني اعرف اعمالك وما فعلت مع الملوك ثم عدها له واعاد عليه اكثر قصة حياته حتى طار عقل عمر وقال في نفسه لا ريب انه ساحر او نبي فمن اين يعرف مافعلت في زماني وهو داخل بلاد الظلمات بعيداً عنا جداً ولذلك سأله من اين تعرف كل هذه الامور فاجاب ان الذي اعطانيه الله تعالى لم يعط لغيري قط ولما خرجت في هذه الليلة من معسكر العرب عرفت انك لا بد ان تأتي معسكري فترصدتك بنفسي واسمع مني واقبل ما اشرطه عليك . قال كيف لا اقبل وقد بان لي منك انك رجل كريم وسيد عظيم ترغب في اطلاقي بعد ان وقعت بين يديك وعلاوة على ذلك تنعم عليَّ بالمال الغزير واني اقسم بالله العظيم رب الخليل ابراهيم ان لا اسطو عليك قط ولا اضمر لك شراً

قال فلما سمع بديع الزمان هذا الكلام اطلقه في الحال ودفع له الف دينار وجاء بثوب مرصع من ثياب الكنز التي تقدم ذكرها في محله فالبسه اياه وتركه يرجع مسروراً مندهشاً من كرم بهزاد وحلمه وهو ينظر الى نفسه والى الثوب الذي عليه وانه صار من مصاف الملوك لان لا يوجد مثله عند كسرى انو شروان ولما دخل على اخيه اخبره بكل ما جرى وما توقع له مع بهزاد وكيف انه مطلع على كل سيرة حياته ويعرف صغيرها وكبيرها واخيراً كيف دفع له الدنانير وافرغ عليه ثوباً مرصعاً واخذ عليه عهداً ان لا يسطو عليه فيما بعد فقال الامير على ما يظهر انه من كرماء العالم الذين تضرب بهم الامثال وانه لا يضمر الشر وعليه فلا عدت تطرق معسكره مرة ثانية يا عمر لئلا يقول ان العرب لا يعرفون الوفاء ولا نرغب في ان يكون اكرم منا فوعد عمر بذلك

قال وفي صباح اليوم الثاني نهض الملك بهزاد من منامه فصلى وجلس في صيوانه وكتب رسالة اخرى الى الامير حمزة العرب يقول له فيها انه لا يرغب في

اهراق الادمية ولا يريد ان يقتل احداً لا من قومه ولا من قوم العرب ولذلك يطلب ان يكون القتال منحصراً بالبراز . وان يبتدئ في اليوم التالي فليكن على حذر ولما وصلت هذه الرسالة الى الامير حمزة وقرأها قال لقومه لقد سمعتم ان السلطان بهزاد يطلب برازنا ولا بد من ان نجيبه الى طلبه وهذا اوفق لنا وافضل لاننا كلنا فرسان وابطال . فقال المعتدي حامل السواحل اني ابارزه انا فقال اندهوق لا بل انا فقال قاسم لا احد يبارزه غيري . فقال الامير ان الرأي المناسب ان نلقي قرعة على الفرسان فمن خرجت قرعته ينزل اليه وبذلك يكون الانصاف كل واحد دوره فاطاع الجميع غاية الامير وباتوا تلك الليلة الى الصباح

ولما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح ضربت طبول حرب بهزاد ونهضت العساكر الى خيولها فركبتها وتقدموا الى ساحة القتال وكذلك فعل العرب واصطفوا في مراكزهم وترتبوا على احسن ترتيب وحينئذ خرج بهزاد من عسكره ورجاله كانه الليث الكاسر وفوق رأسه العلم الكبير العظيم وبين يديه الزرافات والى يمينه الامد والى يساره السلحفاة ولما صار في الوسط اشار الى ذاك الموكب ان يرجع فرجع الى حد العسكر وبقي لوحده وحينئذ اطلق لجواده العنان في عرض الميدان فاختفى وما عاد بان ثم ظهر كانه فرخ من فروخ الجان وبعد ان حمي جواده ولان وقف في الوسط ونادى براز الفرسان فما اتم كلامه حتى صار اصفران الدربندي امامه حيث كان قد اصابته القرعة . فقال له الملك بهزاد من تكون من الفرسان الشداد قال انا اصفران الدربندي لقد جئت اليك لاذلك فتنظر شجاعة العرب . ثم حمل عليه فالتقاه بهزاد واخذ معه في القتال والطراد والطعان والضراب الى حد الساعة الثالثة انحط عليه فأخذه اسيراً وسلمه الى ملوك الظلمات وعاد طلب البراز فانحدر بشير وتجاول واياه مدة ساعتين ثم هجم عليه واقتلعه من بحر سرجه وسلمه الى قومه ورجع واذا باخيه مباشر قد فاجأه وكانت القرعة قد اصابته وصاح طالباً خلاص اخيه فراوغه بديع الزمان او بالحري الملك بهزاد وطاوله الى ان قرب الزوال فانقض عليه واخذه اسيراً ورجع الى قومه ورجع

عساكره اجمعين ودخل الصيوان وجلس على كرسيه وجاء ملوك الظلمات فقبلوا يديه وجلسوا ثم امر ان يؤتى بالاسارى الى الصيوان فاحضروهم فنهض اليهم واطلق سراحهم وامر باحضار الطعام فأكل واياهم وبعد ان فرغوا امر ان يؤتى بثلاثة اثواب من ثياب الكنوز الفاخرة المرصعة افرغ على كل منهم ثوباً وقال لهم اريد ان تحلفوا لي الايمان انكم لا عدتم تقاتلوني او تبارزوني مرة ثانية فاقسموا له وقد اندهشوا من اعماله ومن كرمه وشجاعته وتعلقت قلوبهم به ومن ثم ودعوه وذهبوا الى معسكر العرب ولما دخلوا على الامير اخبروه بحالهم وماذا كان من السلطان بهزاد . فقال لهم لم يبقَ من العدل ان تبارزوه فاجلسوا الى جانب فقد صرتم من رجاله ولبستم من انعامه وفي الغد يبرز غيركم

قال ولما كان صباح اليوم التالي ركب بهزاد وتقدم الى ساحة القتال بموكبه العظيم وفعل كما فعل في اليوم الاول وطلب براز الفرسان فبرز اليه قاسم المجنون دون ان ينتظر دوره ودون ان يخبر جده وعندما قرب من بهزاد جعل يسبه ويشتمه فسأله من تكون من فرسان العرب فاني اراك مجنوناً كثير الكلام طويل اللسان فقال لم تسألني عن اسمي وماذا يعنيك منه وما انا الا الذي اقتلك واخمد انفاسك واجعلك عبرة بين الناس . ثم زاد في سبه واشهر السيف وانحط عليه فالتقاه بديع الزمان واخذ معه في الحرب والطعان وكرٍّ وفرٍّ وتراوغا وتجاولا وتطاعنا وتضاربا الى ان تنصف النهار واذ ذاك هجم بديع على خصمه واقتلعه من بحر سرجه واخذه اسيراً وقاده ذليلاً حقيراً ورجع به الى المعسكر ودخل الصيوان وترك القتال باقي ذاك النهار ومن ثم احضره بين يديه وامر ان يضرب ثلاثين جلدة على رجليه وبعد ذلك فك وثاقه وقال لبهران خذه الى حمزة وقل له هل لم يبقَ عنده فارس عاقل يلقاني في ساحة القتال حتى يرسل اليَّ المجانين واني لولا خاطره لقتلته واعدمته الحياة لانه طويل اللسان لا يحترم احداً قط . فأخذه بهران على هذه الحالة الى صيوان الامير واخبره بما قال الملك بهزاد وكان حمزة مملوءاً من الغيظ والحنق من فعل قاسم لانه نزل الى الميدان بغير استئذان ولذلك اخذ في

ان يتهكم عليه فسأله ابن الثوب الذي البسك اياه بهزاد فياليته كان قتلك واعدمك الحياة لانك تعديت حقوق غيرك واردت ان تبارزه بالرغم على ارادتنا وهذا يحط من قدرنا في اعين الملك بهزاد . فقال له من يكون هذا يا جداه واقسم بالله العظيم انه ليس من الفرسان الذين يذكرون عند الجولان غير انه يركب جوادا يساعده على البراز فاذا اخذ منه هذا الجواد لا يعود ينفع شيئاً وقد برزت اليه في خلل لانهي امره واخفف عنكم ثقلة قتاله ولا بد من ان اعدمه الحياة وسوف ترون فضحك الامير وباقي السادات من كلامه

ولما انفض الاجتماع ودخل كل الى محل منامه ذهب قاسم الى الامير عمر العيار وقال له اني دخيلك يا عماه ووقيع عليك فاطب خاطري واشف لهف قلبي فقال له ماذا تريد فاقضيه لك في الحال . قال اريد منك ان تذهب الى معسكر بهزاد وتسرق لي جواده واني اعرف اكيداً اني اذا حرمته من هذا الجواد لا يعود ينفع شيء فاقتله في الحال ويرتاح العرب منه وازال المجد والفخر على سواي . وقال عمر ان هذا لا اقدر عليه لاني اقسمت يمينا لبهزاد ان لا اسطو عليه ولا يمكن ان احنث في يميني او ارجع عنه فلا تطمع في المحال . قال انا لا اسألك ان تخلف بوعدك وتحنث بيمينك فانت اقسمت له ان لا تسطو عليه ولم تقسم انك لا تسطو على جواده والغاية الان ان تاتي بالجواد دون ان تمسه او تمس احداً من رجاله وانا وقيعك يا عماه فلا تدع الفرسان تشمت بي وتضحك علي وجعل الامير قاسم يتذلل لعمر العيار ويقسم عليه حتى اقتنع بانه لم يقسم لبهزاد ان لا يسطو على الجواد ولذلك وعده باجابة طلبه وانفاذ غرضه عند سنوح الفرصة

وفي اليوم التالي لم يخرج بديع الزمان الى القتال بل بقي في صيوانه وقد شغل فكره بسرخابة لان بهران الح عليه بذلك ولم يتحول عن وصفها وفي كل ساعة يجتمع به ويذكرها عنده ويمدح من جمالها حتى حدثته نفسه انه يذهب اليها ويراها فاذا حلت في قلبه بعث سألها في الزواج وبقي صابراً الى الليل وعند الساعة الرابعة انصرف كل من عنده وبقي لوحده فخرج من صيوانه وسار تحت ظلام

الليل من معسكره الى معسكر سرخابة وتخلل الخيام وكنّ نائمات آمنات من دخول ذكر عليهن وبقي بديع سائرًا حتى الصيوان الكبير فعرف من علائمه انه لسرخابة فرفع بابه ودخل وهو يفكر في هل تكون نائمة ام مستيقظة غير انه وجد النور خفيفاً يضيء فوق سرير من العاج يتدلى فوقه منسوج دقيق من الحرير الابيض فترجح عنده انها غارقة في بحر الكرى فتقدم يخفف وطأته رويدًا رويدًا حتى وقف عند السرير ومد يده فرفع غطاء السرير ونظر الى داخله على نور ذلك المصباح الضعيف واذا به يرى وجهها اسمى من القمر في تمامه تنبعث منه الانوار فتطفح على كل جوانبه ومن فوق شعر اسود طويل منتشر على الوسادة وفوق الغطاء يتدلى ويمتد الى هنا والى هناك والعرق كاللؤلؤ يخرج من جبينها ويتدحرج على خدودها ومن ثم يستقل على عنقها الابيض الشفاف فانبهر عقل بديع الزمان مما رأى من ذلك الحسن البديع الباهر وتعلق قلبه بها وتذكر السيدة حسن ربة المعاصن التي احبها في اول من احب وقد قتلها قاسم وبقي يتأمل في بهاء جبينها اللامع وفيما هو ينظر لاحت منه التفاتة الى صدرها وكانت مفككة الازرار لا تلبس الا قميصاً ناعماً فاصاب نظره نهديها وهما كحقين من اللجين قاما في مرتفع صدرها يحمل اطلق الناس مقيدًا بعشق لم يسمع بمثله غير ان بديعاً خجل من نفسه وحالما وقع نظره على ذينك النهدين اطبق عينيه ورخى الستار كي لا يكون تعدى واجبات الآداب و رغم نفسه على الرجوع خطوتين الى الوراء وبقي تائهاً في بحر الغرام لا يعرف يمينه من شماله وصبر مقدار ربع ساعة حتى استجمع قواه ووعيه فعزم على الرجوع الى الوراء وفي نيته ان يبعث في اليوم التالي بهران يسألها الزواج به وقبل ان يتحرك من مكانه سمع حركة على السرير فالتفت واذا به يرى افعى تصعد على السرير فطار صوابه وخاف من ان الافعى تضر بمن احبها فابتدر فسحب خنجرًا من وسطه وضرب به الافعى وهي على العامود فغرق الخنجر في جسمها ودخل في العامود فتركه على حاله والافعى تختبط ملتصقة بالعامود وخرج في الحال خيفة من ان تستيقظ عند تلك الحركة فتركه وسار تائه العقل مأخوذ

الفؤاد يتمايل به العشق الفاضح فجعل يسلي نفسه بهذه الابيات :

لما خفر يوم اللقــاء خفيرها فما بالها ضنت بما لا يضيرها
اعادتهـــا ان لا يعاد مريضها وسيرتها ان لا يفك اسيرها
رعيت نجوم الليل من اجل انها على جيدها منها عقود تديرها
وقد قيل ان الطيف في الليل زائر فاين لطرفي نومــة يستعيرها
وها ان ذاك الطيف فيها صبابة لعلي اذا نامت بليل ازورها
اغار على الغصن الرطيب الصبا وذاك لان الغصن قيل نظيرها
ومن دونها ان لا تلم بخاطر قصور الورى عن وصلها وقصورها
من الغيد توقد من الليل نارها ولكنها بين الضلوع تثيرها
ولم تحك من اهل الفلاة شمائلا سوى انه يحكي الغزال نفورها
اروح فلا يعوي عليَّ كلابهـا واغدو فلا يرغد هناك بعيرها

وبقي حتى دخل معسكره وجاء صيوانه ونزع ثيابه ونزل في الفرش وهو يحدث افكاره بما رآه هناك من جمالها وبما عمله من المعروف بقتل الافعى وتأكد انها اذا نهضت في الصباح ترى الافعى ملصوقة على العامود والخنجر مغروس فيها فتتعجب وتبحث على من زارها ومن فعل ذلك وايقن انها تكون ممنونة منه

فهذا ما كان منه واما ما كان من الملكة سرخانة فانها لم تستيقظ عند اختباط الافعى بل بقيت غارقــة في بحر الكرى الى الصباح فاستيقظت من فراشها وخرجت من سريرها وهي بقميص النوم فقط وارادت ان تنادي احد جواريها ان تأتيها بالماء واذا بهـــا قد نظرت الافعى مدلي على العامود فارتاعت واجفلت ورجعت الى الوراء ونظرت فيها فرأت الخنجر مغروساً فيه والافعى مائتة فزاد تعجبها وتقدمت من الخنجر فاخرجته ووقعت الافعى الى الارض جسماً بغير حركة فقالت في نفسها لا بد ان يكون دخل صيواني في هذا الليل ذكر من العرب لان هذا الخنجر هو لهم وما في عسكري مثله وهو لسيد عظيم لانه مرصع بالجواهر فماذا يا ترى دخل يفعل هنا وانا نائمة واخذت تنظر في نفسها اذا كان بها آثار لمس

فلم تعرف ثم قالت ان الصدفة ادخلت هذا الرجل عليَّ ليقتل الافعى والا كانت اضرت بي وربما اماتتني ولا ريب انه من اصحاب المروءة والنخوة فلم يلمسني ولا مد اليَّ يده والا كان ايقظني من نومي بعد ان عمل معي هذا المعروف وانتشلني من الموت بل ذهب كي لا اعرف من هو ولا بد لي من البحث عليه ثم افرغت عليها ثيابها ودعت بجواريها ونسائها وسألتهن عن هذه القصة وهل شاهدن رجلاً غريباً جاء المعسكر في اول الليل او في النهـار فما منهن من رأت احداً فقالت هذا من اعمال العرب وفي الحال كتبت كتاباً الى الامير تخبره بواقعة الحال وتقول له ان الذي قتل الافعى خلصها من الموت ولذلك ترجوه ان يأتيَ اليَّ فأكافئه على جميله بما يرضيه وان اليها مصحباً معه قراب الخنجر ولما وصلت الرسالة الى الامير قرأها علناً واذ ذاك اسرع الامير قاسم فاخفى خنجره في ثيابه وابقى القراب في وسطه ومن ثم سأل الامير من الذي ذهب الى صيوان السيدة سرخابة وفعل معها هذا المعروف فقال انا يا جداه فاغتاظ الامير في الباطن لانه خالف امره وذهب لكنه صبر عليه وقد اعتاد على طباعه فقال له انها تطلب ان تذهب اليها لتجازيك على فعلك فقم وخذ القراب واذهب لترى بماذا تكافئك

فنهض الامير قاسم في الحال مسروراً فرحاً وقد ظن في نفسه انه يتزوج بها ويأخذها عروساً له فلبس ازهى لباسه وتطيب بافخر الطيوب وسار حتى وصل الى معسكر البنات فلاقته احسن ملتقى وادخلته الى صيوانها وامرت له بالشراب والطعام . ثم سألته عن اسمه فقال لها انا الامير قاسم ابن الامير رستم ابن الامير حمزة البهلوان فقالت له نعم الرجل فانك جليل القدر جميل النعال عالي النسب فهل انت الذي فعلت معي هـذا المعروف وزرتني في الليلة الماضية وانا نائمة وقتلت الافعى من فوق راسي وابقيت خنجرك هنا . فقال نعم انا فعلت ذلك . قالت خذ هذا الخنجر وضعه في القراب امامي فأخـذه واراد ان ينزله في القراب فلم يسعه فضغط عليه فتمزع واخترق راس الخنجر الفضة المصفح بها . فقالت له يظهر لي ان هذا القراب ليس لهذا الخنجر . قال لا بل هو له لكنه لا ينزل فيه الا بصعوبة

فقالت اعطني اياه فاعطاها اياه فقالت قم وارجع الى جادك فما انت صاحب المعروف قال انا هو نفسي قالت سانظر في ذلك غير مرة فنهض من عندها تملوءا من الغيظ لكنه لم يرض ان يجيبها على كلامها لما رآه فيها من الحسن والجمال وقال لا بد من ان اقنعها فيما بعد اني انا الذي خلصتها من الموت . وبعد ان خرج من الصيوان كتبت كتاباً الى الامير حمزة تلومه على فعل ابن ابنه وانه يكذب في قوله ولما وصل الكتاب الى الامير حمزة زاد غيظاً على غيظه من قاسم لكونه قد وصل فقال له لا تزال تسود لنا وجوهنا عند الناس من ملوك وغيرهم فما الذي اخذك الى صيوان سرخابة مع اني امرت ان لا احد يذهب الى هناك قال حدثتني نفسي [illegible] ارادها فذهبت منفرداً بنفسي وهناك رأيت الافعى فقتلتها قال كيف لم [illegible] للتراب قال لا اعرف كيف لم ينزل فيه فالظاهر انه لم يعد يقدر [illegible] الامير وزجره وبعث يعتذر من سرخابة على عمل قاسم

ولما عرفت سرخابة ان لا احد من رجال الامير حمزة عمل معها هذا العمل قالت لا بد اذاً ان يكون من رجال الملك بهزاد وعليه بعثت تسال منه عن ذلك بكتاب مخصوص فلما وصل اليه الكتاب دعا بمهران واخبره بالقصة سراً وقال له اذهب الى سرخابة وخذ التراب معك واتني بالخنجر [illegible] ان يا في قلب [illegible] لا ريب انه علق فيها وهذا الذي اريده لانها [illegible] وارغب في ان اتزوج منها وفي الحال اخذ التراب وسار [illegible] من [illegible] [illegible] به وسالته اذا كان [illegible] [illegible] السلطان بهزاد سلطان بلاد [illegible] وقد [illegible] [illegible] على الرجوع [illegible] لافعى [illegible] الى الداخل [illegible] خاف من ان [illegible] وترك الخنجر [illegible] في [illegible] كي لا [illegible] تتحرك الى [illegible] وخاف ان تستيقظي [illegible] وقد دخل عليك في [illegible] [illegible] اليه قلة الادب فرجع في الحال قالت لا ريب انه [illegible] صاحب مروءة ونخوة فاين التراب فاراها اياه فقبل ان تناولته قالت لا ريب ان هذا خنجر خاتم

لهذا التراب فالف شكر لسيدك الكريم ولولاه لكنت الان بين الاموات فبماذا يا ترى اقدر ان اكافيه لانه لا يحتاج لا مالا ولا جواهر ولا ملكاً فهو اعظم مني بكل شيء . قال حيث قد تاكدت ذلك وعرفت ان هذا الخنجر خلق لهذا التراب صار من الواجب عليك النظر في امر اريد ان اعرضه عليك قالت ما هو قال اني ارغب في ان اسعى بينكما في الزواج فاسأله في ذلك فهل تقبلين انت به . فلما سمعت هذا الكلام كادت تطير من الفرح وقالت في نفسها ايصير لي مثل هذا الملك زوجاً وامتنع ولذلك قالت لبهران اني اعتبر ذلك اكبر شرف لي واذا سعيت في ذلك كان لك علي الفضل العظيم قال كوني براحة فسوف يكون ذلك ولا بد من اقترانكما

وبعد ان صرف مقدار ساعة خرج من عندها وسار الى الملك بهزاد وقدم له شكر الملكة سرخابة واعطاه الخنجر وقال له اني سالتك بالله ياسيدي ان تجيب سؤالي وتوافقني على ما سألتك به تكرارا فالملكة سرخابة لا تصلح الا لك وقد حابرتها في ذلك فاجابت ولم تمتنع رغبة فيك وفي دينك واننا نفعل رحمة وعدلا اذ نكسب هاته البنات الى دين الحق ويكون لنا اجر عظيم عنده تعالى . قال افعل ما بدالك وارجع اخبرها باني ارضى الزواج بها وكذلك رجالي فمن اراد ان يتزوج باحد واحدة من البنات فيقبلن جميعهن كلمة الايمان واتفق واباها على يوم الزواج اذ نمضي الى هناك ونأتي بهن جميعا وعليه رجع بهران واخبر سرخابة بما قاله الملك بهزاد وسألها ان تهيء نفسها وكذلك بقية البنات فانه سيزوجهن بعساكره ففرحت فرحا لا يوصف وكان الحب قد غرس في قلبها على غير قصد دون ان تعرف من هو هذا الملك بهزاد وما هي صفاته بل كانت تعرف انه ملك عظيم وسيد كريم ورجاله كرام وانه جاء لمحاربة العرب وقد قهر منهم جانباً ولولا يطلب قلبها الزواج به ويدفعها الحب الى الاسراع في ذلك وتستر حجب الغرام بصيرتها لاخرت الزواج الى نهاية حربه مع العرب لان من يعرف كيف تكون النهاية وكيف يجري ببهزاد اهل يبقى حيا وينتصر على العرب او يقتل او يخسر

كل تلك العظمة وحينئذ تصير ارمـلة باقرب وقت فلا تـكون ذاقت من لذة الزواج ومحبة الزوج الا بقدر ما يحلم الانسان فيه . ولا نقول ان سرخابة كانت غير حكيمة ولا عاقلة بل ان الفواعل الطبيعية او بالحري الوسائط البشرية بين كثير من الناس طالما تحمل الشاب او الفتاة على الحالة الحاضرة ويستر الحب العظيم المتولد عن تلك الفواعل حوادث المستقبل ويغيبه عن الاذهان . ومن المؤكد ان الحالة الحاضرة تـكون لذيذة ومقبولة ومرغوبة وفرحها قريباً مبهجاً . وقد عينت سرخابة يوم عقد الزواج بعد مرور ثلاثـة ايام من ذلك اليوم وبعثت مع بهران الهدايا لبهزاد واخذت في تهيئة نفسها وكذلك جميع بنات المعسكر لان كل واحدة منهن كانت تعد نفسها بزوج من رجال الظلمات

قال وبعد ان رجع بهران واخبر بهزاد بما سمعه من سرخابة وقدم اليه الهدايا قال له اريد منك ان تذهب ايضاً الى معسكر العرب وتدخل على الامير حمزة من قبلي وبعد ان تسلم عليه قل له ان الملك بهزاد قـد ارتبط مع سرخابة على التزوج بها وكذلك عزم ان يزوج كل البنات برجاله ولذلك يطلب اليك ان تبعث له بالوزير بزرجمهر ليعقد الزواج ويـكون على يده لان جميع هاته البنات قد دخلن تحت الايمان الصحيح وقبلن كلمة الحق وهذا فرح عظيم لعباد الله ورجاله الاتقياء فاجاب بهران وذهب في الحال الى معسكر العرب ودخـل صيوان اليونشاء وسلم على السلطان وعلى الامير وعلى باقي الرجال وجلس ثم قال للامير ان سيدي بهزاد ملك ملوك الظلمات وفارس فرسان هذا الزمان يسلم عليك ويقبـل يديك ويسألك ان ترسل اليه وزيرك العاقل الخبير الحكيم بزرجمهر وذلك ليعقد زواجه على سرخابة بعد ثلاثة ايام لانه اتفق معها وكذلك البنات اللاتي معها والقصد من ذلك ان يدخلن جميعهن تحت كلمة الايمان ويقبلن الدين الحق . فقال الامير كيف ابعث اليه بوزيري وهو عدوي وجاء لمحاربتي وقد حيرني امره فلا اعرف الغاية الوحيدة التي يقصدها فقد طلب اليَّ ان ابعث باموالي وذخائري وكل ما ملكت يدي كانه اكبر عدو يريد يفقرني ويذلني ثم منع القتـال على جميع عساكري

وعساكره وحصره بالبراز كانه لا يريد قتل احد وبعد ان اسر جماعة من فرساني اكرمهم وانعم عليهم واطلقهم والان يطلب قاضي العرب اليه فكل اعماله هذه تظهر انه غير عدو فماذا يا ترى اعدو هو ام صديق فارجع اليه واخبره اني لا ارسل القاضي ابداً

وكان السلطان سعد يسمع كل هذا الكلام فاعترض جده وقال له كيف تمنع بزرجمهر عن القيام بوظيفته الدينية وهذا مما يرضي الله سبحانه وتعالى وان هذا الملك بهزاد من اعقل الملوك واحكمهم لم يرضَ لنا الاذى ولا قبل ان يسفك بيننا وبينه نقطة دم وان من العدل الانساني ان نجيب طلبه ويبقى بيننا الحال على ما هو لانه يعبد الله ونحن كذلك وعندي ان الامر يكون بيننا على وفق وحب . قال الامير ان الرضى في ذلك لبزرجمهر فاذا اراد ان يذهب فلا نمنعه فقال بزرجمهر كيف لا اذهب وفي القضية خدمة الدين والانسانية وان الله يرضى ويغفر ذنوب كل رجل يسعى في استجلاب كافر الى الايمان وعبادته تعالى ومن يقصر في مثل هكذا امر فما جزاؤه الا نار جهنم فالله قد الهم بهزاد ان يتزوج بهاته الملكة والهمها مع بناتها ان تقبل كلمة الله فكيف نمتنع نحن عن اتمام هذا العمل ونعاند ارادة الله فلا بد لي من الذهاب اذا امرتني بذلك قال الامر اليك والحق بيدك واني كنت مخطئاً لاني طالما خاطرت بنفسي في مثل هذه الغاية الحميدة فسر واهد سلامي الى السلطان بهزاد وافعل له ارادته فهو بدون شك من رجال الله

ومن ثم نهض الوزير واخذ ما يلزمه وسار مع بهران حتى وصل من عساكر الظلمات وعرف بديع الزمان بوصوله فخرج الى ملتقاه مع رجال ديوانه كافة وحالما رآه رمى نفسه على يديه يقبلها فمنعه فلم يمتنع بل قال له انك رجل عظيم في هذا العالم وحيد بين رجاله وقد انتشر صيتك من مشرق الارض الى مغربها ولا ريب ان من يقبل يدك يتبارك ويطيب له العيش . ثم ادخله الى الصيوان واجلسه الى جانبه واكرمه الاكرام العظيم وانعم عليه وعين له صيوان يقيم فيه الى حين

قضاء الغرض وفي اليوم الثالث سار بديع من معسكره محفوفاً برجاله وكلهم بالزينة الفاخرة وعليهم الملابس الكنوزية وبين ايديهم الخدم والموسيقات حتى وصلوا من معسكر البنات فرأوا الارض مفروشة بالزهور والاغصان الخضراء وصيوان العروس مكللاً من كل ناحية بالازهار الحمراء البديعة والبيضاء البهية وعلى بابه تقيم الجواري وقد نزعن عنهن ثياب الرجال ولبسن ثياب النساء وكذلك جميع البنات . وبعد ان دخل بديع الزمان وبزرجهر وملوك الظلمات وجدوا العروس جالسة وعلى وجهها برقع من الحرير الناعم دقيق يلوح من خلفه نور جمالها كما يلوح البدر من خلف ستار الظلام فوقفت اكراماً لهم ثم عادت فجلست حياء ومن حولها نساء دولتها . وفي الحال سألها الوزير اذا كانت تقبل ان يعقد عقد زواجها على الملك بهزاد فأحنت رأسها علامة للقبول فعقد العقد وبارك الجميع للملك بهزاد ومن ثم شربوا الشراب وارتاحوا قليلاً وبعد ذلك سأل الملك بهزاد سرخابة ان تأمر جميع بناتها ان تسير الى معسكر الظلمات وتختلط به حتى اذا اعجب كل واحد من قومه واحدة يعقد عليها فيتزوجها حلالاً في نفس ذاك اليوم قبل ان يرجع بزرجهر الى معسكر العرب فأمرت سرخابة بنقل خيامها وكل مالها هناك الى معسكر السلطان بهزاد وسارت مع زوجها الى بين رجال الظلمات وتزوج كل البنات برجل من رجال الظلمات واختلطوا ببعضهم البعض وقام الفرح كل ذاك اليوم واليوم التالي وفي مسائه طلب بزرجهر الرجوع الى قومه فأمر بديع الزمان ان يفرغ عليه ثوب مزخرف من ابدع واتقن الثياب وقدم له من الجواهر النفيسة ما يكل عن وصفه اللسان ورافقه الى آخر الجيش فودعه وقبل يديه ورجع الى عروسه وقد اخلي له المكان وانفرد بها لوحدها وكانت بانتظاره فنهضت اليه ولاقته وصافحها وقد رفعت عن وجهها البرقع وكذلك هو ازاح عن وجهه اللثام فتبينته بدراً كاملاً لم تر اجمل من طلعته ولا انور من وجهه وان كان في منتصف عمره فتاهت به وشغل عقلها وعرفت انها لم تغلط في تزوجها به بل كان لها من ذلك جملة الحظ الوافر والسعادة التي ربما لم يحصل

عليها غيرها من ربات الخدور لانها تزوجت بملك من اشد ملوك العالم بأساً ورفعة وجمالاً وبهاء وكمالاً وآداباً ولم تعد تقدر ان ترفع عينها منه

قال وصرف بديع ليلته على الحظ والهناء معها وقد دخل بها فاذا هي بنت بكر ودرة لم تثقب وفعل مثله كل رجاله وكان الهناء واصوات الفرح والصلاة قائمة في كل ناحية حتى اشرف الصباح واضاء بنوره ولاح فنهض بديع الزمان مسروراً فرحاً وخرج الى ديوانه وقبل ان تجتمع ملوك الطلبات تقدم منه الخادم وقال له اعلم يا سيدي اني نهضت في الصباح ودخلت على جوادك لاطعمه فلم اره وسألت عنه فلم يهدني احد اليه ولم اعرف اين راح ولا من الذي سطا عليه في هذا الليل فلما سمع بديع هذا الكلام طار صوابه ولعب به الغضب وثبت عنده ان هذا العمل هو عمل عمر العيار لان لا احد سواه يسطو عليه فسطا على جواده فقال لا بد من مجازاته بعد القبض عليه ولو لم اكن اصبحت اميناً منه لما تهاملت وبت مرتاح البال لاني اعرفه واعرف اعماله واعرف ان شره لا ينحصر ولا بد من يضر بعدوه فهو لم يعرفني ولذلك لا يصبر عني . وفي الحال امر ان تضرب طبول الحرب والكفاح وان يقدم له غير ذاك الجواد فقدم وركب واعتلى وقصد ساحة الميدان

قال وكان قد تقدم ان عمر العيار قد وعد الامير قاسم بان يأتيه بالجواد ولذلك انتظر سنوح الفرصة الى ان دار عرس الملك بهزاد فعرف ان هذه الفرصة اعظم الفرص فصبر الى اليوم الذي يدخل به على زوجته وثبت عنده ان يكون مشغولاً وملتهياً بزوجته وكذلك باقي خدمه فقصد المعسكر تحت ظلام الاعتكار وقصد الاصطبل المربوط فيه هذا الجواد فوجد الخادم نائماً عند بابه لانه كان في اليوم الاول لم ينم فكاد يطير فرحاً ودخل في الحال حله من رباطه وقبض على زمامه وسار فتبعه الجواد ولما صار خارج الخيمة اسرع به تحت ظلام الاعتكار وما صدق ان وصل من اخر المعسكر حتى آمن على نفسه لان ضميره كان يوبخه على خيانته ويعرف ان بهزاد يحرس المعسكر بنفسه وبقي في مسيره حتى دخل

بين خيام العرب وجاء من صيوان قاسم فايقظه وقال له انهض فقد اتممت لك مرادك وجئتك بجواد الملك بهزاد فلما سمع قاسم هذا الكلام كاد يطير فرحاً وقال سوف ترى اني اقتل السلطان بهزاد اذا ركبت هذا الجواد لانه ما كان يحسن القتال الا عليه ولا ريب ان قوته تضعف وتضمحل وتزول وآخذ بثاري منه وشكر من الامير عمر واثنى عليه وصبر الى اليوم الثاني

قال وفي اليوم الثاني لما سمع الامير حمزة طبول الحرب تضرب من ناحية السلطان بهزاد تعجب غاية العجب وقال ماذا يا ترى جرى على السلطان بهزاد فانه كان مشغلاً بالعرس وكنت اظن انه من الان الى مدة عشرة ايام لا يبرز الى القتال بل يبقى في فرحه ولا بد من امر عظيم دعاه الى ذلك وامر في الحال ان تخرج الرجال الى ساحة القتال وان يبرز اليه من اصابته القرعة في الاول وركب الامير وتقدم لينظر في القتال فرأى بهزاد قد صار في الوسط وقد نادى في فرسان العرب ابرزوا اليَّ ايها الابطال ولا تتأخروا عن ساحة المجال واخبروا اميركم حمزة البهلوان ان لا شرف عند رجاله ولا ناموس فاني سلكت معكم مسالك الكرام ولم ارض في ان اضر باحد منكم حتى تعدى عليَّ عيارکم عمر بعد ان اقسم انه لا يقصد لي ضرّاً ولذلك اقسم بحق العلي المتعال اذا وقع في يدي مرة ثانية لاذ... الحبال واجعله عبرة لباقي الرجال ليعرف كيف يحنث بيمينه ويتعدى على ا... العظام مع انه عبد خسيس لا اصل له ولا زمام وكان الامير يسمع عن بعد هذا الكلام ولا يعرف السبب واراد ان يلتفت الى عمر ويسأله واذا به رأى الامير قاسم قد صار في وسط الميدان وهو يركب جواد السلطان بهزاد فادرك الامر واغتاظ كثيراً والتفت من عمر وقال له ويلك ايها الخبيث المحتال كيف سرقت جواد بهزاد مع انه عاملك بالرفق والاحسان وانعم عليك واطلق سبيلك واخذ عليك الاقسام ان لا تسطوا عليه . قال نعم لقد اقسمت ان لا اسطو عليه واني الان سطوت على جواده مع انه عدونا وعدوك كيف شئت خذه وبعد ان سبني وشتمني الان فلا بد لي من ان اذيقه شر اللوعات وادخل عليه في وسط خيمته

واذبحه من الوريد الى الوريد ولو صار مهما صار . فزجره الامير وقال له اياك وهذا العمل فان هذا من رجال الله ولم يسفك دم فيما بيننا وما من ثار لاحدنا على الاخر بل جاء يطلب ما بيدي من الذخائر والاموال وانا اريد ان يملك ما يملك فمن ناز ترع من الاخر غناه غير ان عمر العيار لم يلتفت الى كلام اخيه بل نوي الشر وان يطرق في الظلام معسكر بهزاد والنار تلهب في قلبه كانها اتون

قال ولما رأى بديع الزمان جواده تحت قاسم اغتاظ لان كما تقدم كان يكرهه ولا يحبه وما ذلك الا لبغضه له وشتمه وسبه وطلبه لقتله ولذلك نوي على قتل الجواد وان لا يركبه فيابعد وفي الحال انحط على قاسم وصاح به صياح الاسود الكواسر وطعن الجواد برمحه فاصاب صدره فوقع الى الارض مائتاً ومن فوقه قاسم واشهر الحسام وطوح به بديعاً نخلي منهما فراحت بالهواء ومد يده باسرع من لمح البصر فاخذ دبوسه الحديدي وجرده وضربه به وكان قاسم يحاول قتل جواد بهزاد فلم يشعر الا والضربة اصابت كتفه فوقع الى الارض واذ ذاك انقض عليه بهران فشده بالحبال وقاده الى المعسكر ورجع بديع الزمان وقال كفى في هذا اليوم فقد نلت غايتي ولا بد من عذاب هذا المجنون ولما استقر في صيوانه امر ان يقدم اليه وقال له ويلك يا قاسم اني كنت عزمت على قتلك في المرة الاولى غير اني عفوت عنك اكراماً لابيك وجدك على امل ان لا تعود الى قتالي مرة ثانية وها قد عدت فلا بد من قصاصك وعذابك . فقال له من انت حتى تعذبني وسوف ترى ان رجال العرب يقتلونك ويشوون لحمك على النار وينزلون بك الهلاك والبوار ولو لم تقتل الجواد لكان شلوك الان ملقى على التراب تجتمع من حوله الهررة والكلاب وهذا لا بد منه اذا عانني رب الارباب وخرجت من تحت يدك حي فامر بديع الزمان ان يضرب بالصياط حتى تسيل الادمية من جسده فيكف عن المطاولة والسباب فتقدم بهران وبيده السوط ونزل على جسمه بالضرب الاليم وهو يسب ويشتم بهزاد وبهزاد يأمر ان يزاد عليه الضرب وقد

تذكر فعله معه في ما مضى من الزمان وتذكر زوجته حسن التي قتلها ظلماً وعدواناً واحرمه اياها مع انها كانت ابهى من الشمس واشرق من القمر والذ من الماء القراح على قلبه وما زال يضربه حتى تخدش جسمه وسال الدم منه وصبغ ثيابه فصارت حمراء كالدم وعند ذلك شفق عليه وقال في نفسه كفى واشار الى بهران ان يرفع يده فرفعها وحينئذ دعا احد القواد وقال له خذ هذا الى معسكر العرب وادخل على الامير حمزة وقل له انه كان يصعب على الملك بهزاد ان يفعل به هكذا غير ان وقاحته وشقشقة لسانه قادته الى ذلك فامنعه من الان وصاعداً عن البراز واذا لم يبقَ عندك من يبارز فسلم الذخائر والاموال ويقع الصلح بين المعسكرين

فأخذ القائد الاسير وقاده حتى اوصله من الامير حمزة وهو في صيوانه فحكى له ما كان من امره وسأله ان لا يدعه يبرز ثانية وان اذا لم يبقَ عنده من يبارز سيده فيسلمه مطالبه فقال الامير قل لمولاك ان دون الذخائر ضرب يقد الحديد ويزيح الجبال الراسيات وان عندي من الفرسان ما يعجز عن قتالهم مردة الجان وسوف يرى ذلك بعينه واما قاسم فانه برز بدون علمنا ولا بد من مجازاته وليس الحق عليه بل على عمر العيار الذي سرق له الجواد وجعلنا ان ندخل من ابواب الاهانة مع سيدك الذي لم يبد منه الا الخير والمعروف فقد اسر جماعة من قومي فارجعهم والبسهم الملابس الفاخرة التي لا تكون الا للملوك ما عدا الامير قاسم فانه البسه في هذه المرة ثوباً كثير الاحمرار اكثر من الماضي فبارك الله فيه . ثم التفت من قاسم وقال انعم بهذا الثوب الذي لبسته فانك تستحقه ولا بد من ان السلطان بهزاد في المرة الثالثة ان يقتلك جزاء على عملك وتعديك فارجع عن قتاله ولا تتعدى عليه واصطف مع باقي الفرسان الذين اسروا واطلق سبيلهم واذا بارزته مرة اخرى بدون علمنا ربطتك بالحبال وشددتك الى الخيمة فلم يبد قاسم ولا اشارة ولا فاه بكلمة واحدة

قال واما عمر العيار فانه كان متكدر الخاطر على بهزاد وقد عزم على

الانتقام منه على شتمه وسبه واهانته وطلباً بثار قاسم فصبر الى ان اشتد الظلام فسار الى الامير قاسم واخبره بما في نيته فمدحه قاسم وقال له اني بانتظارك الى الصباح فاذا لم ترجع سرت خلفك ولا بد من قتل بهزاد وبعد ذلك انسل عمر العيار كالافعي ودخل بين خيام الظلمات وهو متيقن كل التيقن انه لا بد من ان يذبح بهزاد في هذه المرة غير ان بديع الزمان كان يعرف ان عمراً قد اغتاظ ولا بد من ان يأتيه في تلك الليلة ويحاول اذاه ولذلك تحذر لنفسه واختفى في مكان لا يظهر فيه وبقي صابراً الى ان لاح له شبح تحت الظلام يتنقل من وراء خيمة الى وراء ثانية حتى قرب من صيوان بهزاد فالقى بنفسه على الارض وجعل يزحف على بطنه ويقرب شيئاً فشيئاً الى ان صار بالقرب من المكان المتخبي به بديع الزمان وكان قد تأكده وعرف انه عمر العيار فانقض عليه وصاح به ويلك ايها الخبيث الغدار لقد وقعت بشر عملك اتظن اني عدت انام عنك او اتغافل عن اعمالك بعد ان فعلت ما فعلت وسرقت لي جوادي وانا اظن بك الوفاء والامان وقد اغتنمت فرصة زواجي وفعلت ما فعلت فلا بد من قتلك شر قتلة ثم نادى احد خدمه فحضر في الحال فامره ان ينادي بهران فحضر بين يديه فقال له خذ هـذا عمر العيار وابقه عندك الى الصباح واياك ان تغفل عنه وفي الصباح نجازيه على فعله فيتعلم سواه فلا يعود احد يحلف للملوك ويحنث ثم اوثقه وسلمه لبهران فاخذه وقاده الى صيوانه فالقاه الى الارض ووضع رجليه فوقه وشد بهما وقال له نم على هذه الحالة ولا تطمع نفسك بالخلاص فتضايق عمر وجعل يصيح وينادي ويستغيث ويطلب الى بهران ان يرفع رجليه عنه فلم يفعل وبقي طول ذاك الليل يعذبه

واما الملك بهزاد او بالحري بديع الزمان فبعد ان ارتاح باله من جهة عمر دخل الى داخل الصيوان اي الى منامته فوجد زوجته سرخابة بانتظاره وهي لا تزال مستيقظة تنتظر دخوله عليها وكانت متشوقة الى ذلك ولم تكن من النساء اللاتي لا يهمهن امر رجالهن ولا يسألن عن راحتهم فينمن تاركات الوقوف على اخبارهم خلف ظهورهن لان الزوجة الممدوحة ترغب بالوقوف على كل ما يقع لزوجها وما

يجريه هو على امل ان تشاركه عند الاقتضاء في مصائبه كما يسرها ان تشاركه عند افراحه بافراحه ولا بد ان يخطر لها في بعض الاحيان من الافكار النافعة والاراء المفيدة التي ربما تغيب عنه ولم تخطر له. ولما دخل عليها بديع نهضت اليه ولاقته بالترحاب واخذته من تحت ابطه وقبلته في جبهته وقالت له اني بانتظارك يا سيدي فاخبرني ما ذا جرى في عاقتك هذه فقد شغل بالي من قبل ذلك مع ان اكثر الناس نيام الان فهل نجحت واصبت الغرض وكان بديع يعرف ان الزوجة الحكيمة تفحص عن احوال زوجها كثيراً ويعلم ايضاً ان من الواجب على الرجل الذي يرى في زوجته الحكمة ان يطلعها على احواله والا اذا منع عليها خبراً وعرفته ظنت بنفسها انها غريبة منه وانه يقصد اخفاء مصالحه لمقاصد ومن ثم تخفي عليه هي ايضاً من الحوادث التي كثيراً ما تهمه معرفتها والاطلاع على حقائقها وكذلك اعاد عليها الخبر بتمامه وكيف انه قبض على عمر العيار وسلمه الى دهران وانه عزم في الغد ان يعذبه قليلاً على خيانته ومن ثم يرجعه الى الامير فقالت له لما لا تقتله وتستريح منه ما زال يقصد لك الشر . قال اني لا ارغب في ان يقتل احد في هذه الحرب لا من معسكرنا ولا من معسكر العرب بل تنحصر الحرب بالبراز واخيراً تنتهي بالوفاق والصلح بيننا وبينهم ويصير الجيشان جيشاً واحداً لاننا جميعنا نعبد الله تعالى وروابط الصوالح يربطنا ببعضنا وسوف تطلعين على ما خلف ذلك من الخفايا ثم خاف بديع الزمان من ان يطيل بينهما مثل هذا الحديث فيلتزم ان يطلعها على حاله ولذلك شاغلها بالحديث ونقل بها الى مطارحة الغرام وبث لواعج الهيام وماوقع لها في قلبه من علو المنزلة وكان مثل هذا الحديث يسرها كثيراً وترغب في الدخول فيه . فقالت ما اعجب الايام واغرب الصدف فاني صرفت ما انا فيه من الصبوة لا يميل قلبي الى محبة احد من الانام بل كنت ارغب في الاطلاع على اخبار الابطال والشجعان وكان ابي قاطر عطر يعرف مني ذلك فلا يعارضني في ما اريده وقد جمعت حولي كثيراً من البنات ولما كان بعض الايام جاء بلادنا بعض التجار فحكوا عن الامير حمزة البهلوان وما فعل في زمانه من الامور

والحوادث التي تشيب الطفل الرضيع واتصـل بي ذاك الكلام فدعوت بالتجار وسألتهم عن حمزة وعما سمعوه ورووه عنه فعادوا لديّ الحديث بتمامه ومدحوا من فرسانه كثيراً فقلت لهم وهل كبير السن قالوا نعم وله عدة اولاد واحفاد وقد كان له ولد عظيم الشجاعة لا نظير له في هذا العصر اسمه بديع الزمان لكنه غاب ولم يسمع له بعد ذلك خبر وحكوا لي عن بديع الزمان العجائب حتى تاقت نفسي الى ان اراه لكن لما كان لا مطمع بذلك وثبت عندي انه غايب عن ابيه سألت التجار عن مكان وجود حمزة البهلوان فقالوا لي انه حول مدينة السبائل يحارب الخوند ويحاصره فابقيت ذلك في سري الى ان مكنتني الفرص من السفر فدعوت باكثر بنات مدينة ابي ولبسنا جميعاً ملابس الرجال نقصد الفرجة على حرب حمزة وما ذلك الا بارادته تعالى حيث قد كتب لي نصيباً عليك فرأيت فيك كل ما كانت تطلبه نفسي وقد جمعت البهاء والكمال والكياسة والشجاعة والليونة والوداعة فتعشقك قلبي ولم اعد اقدر اطيق فراقك فانت غايتي ومرادي وبغيتي ولا اريد من الله شيئاً الا ان تبقى الى جانبي لا تفارقني ولا تبعد عن عيني لاكون بامان عليك من غدرات الزمـان . ثم تنهدت من فؤاد مولع بنيران الهوى وانشدت :

لعلك تصغي ساعـة واقول   لقد غاب واش بيننا وعذولُ
وفي النفس حاجات اليك كثيرة   ارى الشرح فيها والحديث يطول
تعال فما بيني وبينك ثالث   فيذكر كلٌّ شجوه ويقول
واياك عن نشر الحديث فانني   به عن جميع العالمين بخيـل
بعيشك حدثني بمن قتل الهوى   فاني الى ذاك الحديث اميـل
وما بلغ العشاق حالا بلغتها   هناك مقام ما اليـه سبيل
وما كل مخضوب البنان بثنية   وما كل مسلوب الفؤاد جميل
أاحبابنا هذا الضنى قد اخفته   فلو زال لاستوحشت حين يزول
وحقكم لم يبقَ فيّ بقيـة   فكيف حديثي والغرام طويل

واني لارعى سركم واصونـــه   عن الناس والافكار فيّ تجولُ

وقالت ايضاً :

اني رأيتك في المنـــام كانني   امتص من سيال فيك البارد
وكان كفك في يدي وكأنما   بتنا جميعاً في فراش واحد
ثم انتبهت ومنكباك كلاهما   في راحتي وتحت خدك ساعدي
خيرًا رأيت وكل ما ابصرته   ستناله مني برغم الحاسد
وتبيت بين خلاخلي ودمالجي   وتجول بين مراسلي ومجاسدي
فنكون انعم عاشقين تعاطيا   ملح الحديث بلا مخافة راصد

وكانت تنشد والزفرات تتصاعد والدموع ملء عينيها حتى انفطر قلب بديع الزمان لحالتها وثبت عنده ما هي عليه من الحب والخلاص وان هذا الحب دخل قلبها بغتة ولذلك ضمها اليه وقبلها في خدها وقال لها لا يحق لاحدنا الشكوى من جور الزمان والبكاء والتنهد فان كلا منا نال مراده وحصل على بغيته فقد حصلت عليك كما حصلت عليّ وربط بيننا حبل الزواج الذي لا يحل الا بامره تعالى . قالت اني اتنهد وابكي على مستقبل حياتي فاني ارى الحالة التي نحن فيها فاذا هي حالة حظ وفرح وهناء لكن واحسرتاه ان حبل الفرح قصير كما ان ساعة الحزن طويلة واخاف ان الزمان لا يحفظ على راحتنا بل يعمل على عنادنا كما عمل على عناد من كان مثلنا قال اتكلي على الله وسلمي بامرك اليه فانه يفعل بنا ما يشاء ويريد فهو الذي جمعنا على غير انتظار وعلى غير وعد وقد قادني بالرغم علي ان ازورك في تلك الليلة واشاهد جمالك الباهر وحسنك الفاضح وفي حال وقوع نظري عليك حللت من فؤادي محلًا عظيماً يصعب على الزمان ان يهدمه واخذ غرامك ان ينمو فيّ حتى لم اعد اعرف يميني من شمالي ولولا شدة الهيام التي وقعت عليّ منه تعالى لما فكرت بالزواج في مثل هذا الوقت غير اني لم اعد اطيق صبرًا فسبحان مولف القلوب وجامعها فهلم الان الى اغتنام فرص اللذات فدخلا الفراش واعتنقا بعضهما وكتب الهناء في لوح لسان كل منهما :

زار والناس نيام فعلى البدر السلام
زائر فيه حيـاء ووقار واحتشام
زورة اوجبها لي منه ودٌّ وزمـام
اترى كانت مناماً حبذا ذاك المنام
فلثمت البدر في جذ ع الدجى وهو تمام
واعتنقت الغصن ريا ن يثنيه المـدام
ايهـا اللائم فيه طاب لي فيه الملام
ان من كان له مثـ ـل حبيبي لا يلام

وعندما اشرق صباح اليوم التالي نهض الملك بهزاد واغتسل وصلى وجاء الى ديوانه واجتمع عنده ملوك الظلمات فامر في الحال ان يقدم اليه عمر العيار فاحضره بهران وقدمه بين يديه فوبخـه على عمله وقال له لا بد من مجازاتك ولم يكن عمراً يستغيث او يذل للغير فصبر على حاله وكان يعرف ان بهزاد مهما قسي عليه لا يسلم بموته لانه من رجال الله واهل الايمان ومن ثم امر السلطان ان يؤخذ عمر ويقدم للسلحفاة فتأكله واوصى بهران سراً ان لا يضره بل يتهدده ويوهمه فاخذه بهران وسار به الى ضواحي المعسـكر فوضعه مربوطاً في الارض وجاء بالسلحفاة وهي كجبل عال واشار لها ان تهجم اليه وتفترسه فذبذبت على اربعتها وتقدمت منه حتى كاد يغيب عن الوجود الا ان بهران لما وصلت منه ابعده الى جهة ثانية حيثما اطمأن قليلاً ثم اشار الى السلحفاة كالاول حتى قربت منه كثيراً ومدت راسها لتفترسه فغاب عن الصواب وضاع هداه وايقن بالهلاك فاراد بهران ان يبعـده لـكنه سمع صوتاً وصياحاً وراى فارساً قد انقض على ذاك الحيوان وطعنه بالرمح فاصاب الراس واخترقه من ناحية الى ناحية وماتت السلحفاة بعد ان ضربت كثيراً في الارض وكان ذاك الضارب الامير قاسم ابن رستم فرتم لانه لما اشرق الصباح ولم ير عمراً قد رجع من معسكر بهزاد ركب جواده وسار الى اطراف المعسكر وفي نيته ان يدخله من جهة اليمين ويتوصل الى صيوان السلطان وعند وصوله من

تلك الناحية شاهد عمراً مربوطاً وبهران يعذبه وفي نيته يقدمه ضحية للسلحفاة ففعل ما فعل . ولما رأى بهران هذا العمل غضب مزيد الغضب فصاح في قاسم وقال له ويلك ماذا يا ترى يخلصك من سيدي بهزاد فلابد من قتلك واراد من ان يتقدم الى قتال قاسم فلم يمهله لانه كان متمكناً منه وذلك بغير مجن ولا عدة فضربه بالدبوس فوقع بين اكتافه واراد ان يشهر سيفه ويضربه به واذا بالسلطان بهزاد يسرع بجواده وقد اتصل به خبر قتل السلحفاة فصاح بصوت كارعد القاصف وانحط على قاسم والزبد يخرج على اشداقه وضربه بالسيف صفحاً على ظهره القاه الى الارض وباسرع من لمح البصر تقدم منه بهران وشد كتافه واطمه على وجهه بيده وساقه امامه الى الصيوان وقد ساق عمراً ايضاً وكان بهزاد قد تمكن الى قتل السلحفاة ولعب به الغضب ولو لم يكن قاسم ابن اخيه لقتله في الحال ولكن كان يخاف من تكدر خاطر الامير حمزة وابيه اذا اعدمه الحياة

ولما استقر في الصيوان امر ان يضرب قاسم مائة جلدة فاخذ بهران في ان يضربه ويوجعه لانه متكدر منه والدم يسيل من جسده وقد جرح عدة جراح ومن ثم رفع عنه الضرب فامر ان يحمل الى الامير ومعه عمر العيار وان يسأل الامير ان يمنعه والا ففي المرة الثالثة يقتله فاخذهما بهران وسار حتى وصل من صيوان اليون شاه فدخل على حمزة وسلم عليه وقال له ان مولاي يسالك ان تمنع قاسماً عن التعدي عليه والا في المرة الثالثة يقتله لانه قتل السلحفاة التي هي عند مولاي اعز من الولد على الاب واكراماً لك اكتفى بان ضربه كم جلدة وكذلك عمر العيار فانه اقسم يميناً لسيدي ان لا يسطو على معسكرنا فاحنث في يمينه وسرق الجواد ثم عاد فكرر في ليلة امس غدره وخيانته فقبض عليه وعزم على قتله لكن سمح اخيراً عنه و رسله اليك تعامه الوفاء والامانة لان من كان من عباد الله ورجال الايمان لا يقول ويرجع فكم بالحري اذا حلف به تعالى . فاثر هذا الكلام بالامير حمزة فلام عمراً ووبخه وقال له ان عدت مرة اخرى الى معسكر بهزاد جازيتك من يدي وكذلك قاسم فاني لاارغب ان يقال عن رجالي

انهم لا يعرفون الامانة والوفاء مع ان الرجل لم يعاملنا الا بالعدل والانصاف وحتى الساعة لم يوصل الينا الاذى بل عامل على الانصاف ومن وقع من رجالي في يده يرده مكرماً معظماً . ثم رجع بهران الى سيده حاملاً سلامه وانه يفعل كل ما يرضيه حفظاً لحرمة العدل والانسانية

قال وفي صباح اليوم الثاني نهض بهزاد فاعتد بعدته وركب جواده وامر بضرب طبول الحرب لعلم العرب انه عامل على البراز في ذاك اليوم ومن ثم تقدم الى ساحة الميدان وتقدم رجال العرب واصطف الصفان وترتب الفريقان . واذا ببديع الزمان قد صار في وسط الميدان فصال وجال وطلب براز الفرسان فما اتم كلامه حتى صار قاهر الخيل امامه فصدمه صدمة جبار عنيد وفارس صنديد واخذ معه في المحاولة والمراوغة الى ان تنصف النهار فانقض عليه واخذه اسيراً ورجع الى الصيوان وامر ان يؤتى به فأتي بحل وثاقه واجلسه على كرسي من العاج وامر ان يقدم اليه الطعام والشراب وبعد ان اكل وشرب امر ان يعطى ثوباً مرصعاً من ثياب الكنز فأعطي وبعد ان لبسها وصار كأحــد الملوك اذن له بالرجوع الى معسكره واوصاه ان لا يعود الى قتاله مرة ثانية وصار كل يوم يبرز الى الميدان ويطلب مبارزة الفرسان فتنزل اليه فيأسرها ويكرمها وينعم عليها ويلبسها من كنز بهزاد ويعيدها شاكرة من افضاله وانعامه مادحة من كرمه وحلمه حتى لم يبق الا اندهوق بن سعدون والمعتدي حامي السواحل وفرهود صاحب التكرور وهارون البطل المجنون . وفي صباح ذاك اليوم برز بديع الزمان على حسب عادته الى مضمار القتال . صال وجال وسأل براز الرجال . فما اتم كلامه حتى صار المعتدي امامه فقال في نفسه هوذا خالي قد جاء يطلب قتالي ولم يبق عند الامير الا الفرسان الصناديد ثم صاح به وهجم عليه فتلقاه ذاك بقلب اقوى من الصوان . واتسع معه في الحرب والطعان واشتد الحرب وعظم الكرب . وتبادلا الصياح . وتطاعــنا بالرماح . وتضــاربا بالصفاح حتى قرب العصر فضايقه كل المضايقة وانقض عليه فأخذه اسيراً وقاده ذليلاً حقيراً ورجع به الى الديوان . ولما رأى الامير حمزة فعله

قال لله دره من فارس صنديد وبطل مجيد فوالله لم تر عيني اخف من قتاله ولا اسرع من جولانه عند مجاله . ولما دخل بهزاد الصيوان زاد باكرام خاله كثيراً والبسه كغيره من تلك الثياب الفاخرة وارجعه يشكر منه ويثني عليه

وعند الصباح برز الى ساحـة القتال فبرز اليه اندهوق بن سعدون فتقاتلا وتضاربا وكرا وفرا وجرى بينهما من الحرب والقتال ما يحير عقول الرجال ويشيب روؤس الاطفال الى قرب الزوال وعندها انقض بهزاد على اندهوق واخذه اسيراً ورجع به الى الخيام وعامله بالرفق والاكرام كما عامل غيره من الفرسان ومن ثم ارجعه الى قومه . وبعد ان رجع تقدم اسحق الظلماني وقال له ارجوك يا سيدي ان تسمح لي ولرفاقي الملوك بالحرب والبراز وترتاح انت فاننا ما اتينا معك الى هذه الديار الا لنحمل عنك الاثقال ونحارب بين يديك فتخلى لنـا في الغد عن الميدان . فقال اني كنت ارغب في ذلك لو لم يكن الذين نحاربهم هم من قومي ولذلك لا ارغب في ان يبرز احد سواي الى ان اعرفهم ويعرفوني ولا بد لنا من محاربة غيرهم في هذه البلاد فتقاتلون وتناضلون ولا ارضى بان يبارز الان احد غيري

وباتوا الى الصباح فبرز وطلب البراز فبرز هـارون البطل المجنون فاسره في ذاك اليوم وفي اليوم الذي يليه اسر فرهود وفي اخـر الجميع اسر بالكان المطال واكرمهم جميعهم والبسهم من ثياب الكنز واعادهم الى ديوانهم . وعند ذلك التفت الامير حمزة الى رجاله فرآهم كلهم يلبسون من ثياب بهزاد فقال لهم الان صرتم كلكم من رجال هذا الملك وقد عاهدتموه ان لا تحاربوه واصبح ديواني يزهو بثياب الزينة فانظروا في بعضكم فما فيكم من يلبس ثياب العرب الا انا . فقال عمر العيار نعم ان بهزاد البس كل واحد ثوباً ما عدا الامير قاسم فقد البسه ثلاثة اثواب وما ذلك الا عن حب وخلوص فضحك الجميع من كلامه فغاظ هذا قاسما وقال يا جداه اتركني في الغد لاخذ بثاري من بهزاد وادفع عني العـار الم تر ان الفرسان تضحك عليَّ مع انه اسرهم جميعهم وهو لا يحسب من الفرسان العظام ولا بد من قتله ان ساعدتني عليه الايام . فقال لقد رأينا ما كان منك ومن قتالك ولم

يبق غيري لبراز بهزاد والان جاء دوري فاما ان اقهره وأستولي على معسكره وآخذ امواله واما ان يقهرني ويأخذ ما جاء طالبه من الذخائر والاموال

واما بديع الزمان فانه قال لملوك الظلمات لقد اسرت جميع فرسان العرب باجمعهم ولم يبق الا ابي الامير حمزة وفي الغد يبارزني بنفسه وسيجري بيني وبينه حرب لم تروا مثلها زمانكم بطوله لانه مع كبر سنه وبياض شعره لا يقاس به فارس من الفرسان شديد الحيل عظيم القوى لين اليد خفيف الحركة . فقالوا اننا نسأل الله ان يوفق بينكما ويعيدكما الى بعضكما لان من كنت ابنه لابد ان يكون من الصناديد والابطال الاماجيد . ثم باتوا تلك الليلة الى ان اشرق نور الصباح فهبت العساكر من مراقدها وجاءت خيولها فركبتها وتقدمت الى مراكزها وكان بديع الزمان قد تقدم في الاول وتوسط الميدان على حسب عادته . ثم صال وجال ولعب على اركان المجال وتقلب على ظهر جواده من اليمين الى الشمال ومن الشمال الى اليمين وبعد ذلك وقف في الوسط يطلب براز الفرسان وما استقر حتى اختبط جيش الاعداء واضطرب وخرج من وسطه فارس عظيم الجسم طويل القامة يركب جوادًا لم يولد الزمان مثله بشعر ابيض مهيب وعينين تقدح شرار النار وكان ذاك الفارس الامير حمزة البهلوان والد بديع الزمان ولما وصل منه نظر فيه واراد ان يحمل عليه فلم يطعه قلبه في البداية ولذلك توقف وقال اعلم ايها الملك بهزاد انك حللت من قلبي محلًا عظيماً ومالت اليك نفسي كل الميل ولا اعرف لذلك سبباً وعليه ارغب ان لا ادخل معك قتالاً كي لا يضر احدنا الاخر فاذا شئت دعنا نتصالح ونترك الحرب فما بيننا من عداوة توجب هذا العمل ولم اقل لك هذا عن عجز وخوف لكن لا يخفاك اني صرفت كل عمري في حومة الميدان وانا اقاتل الابطال والفرسان واخرب تخوت الملوك واهدمها ولم اشفق على واحد منهم ولا مالت نفسي الى احد الا الى الذي يذل لي بعد المقدرة عليه واما انت فبالعكس فان قلبي ينعطف اليك انعطاف الوالد للولد واريد ان نكون على وفاق . فلما سمع بديع الزمان كلام ابيه تعجب من تنبيهات الضمير وقال في نفسه لا ريب

ان الحنو الوالدي لا يموت ولا بد ان ينعطف عند نظر الوالد للولد او نظر الولد للوالد وكان يرغب في ان يصالح اباه لكن فطن الى اكمال اعماله وان هذا سيكون بعد نهاية البراز بينهما ولذلك قال للامير اعلم يا سيدي ان قلبي كقلبك يميل اليك ويحبك واعرف انك الرجل الاوحد الذي خدمته السعادة وسلطك على اكثر ممالك العالم لكني جئت لغاية واحدة ولا بد منها وهي الحصول على ما اعطيت في كل زمانك من الاموال والذخائر فسلمها لي ومن ثم يرتفع بيننا القتال وافعل كل ما يرضيك واني انصحك ان لا تمنعها عني فهي لي اولا وآخراً . فلما سمع الامير حمزة كلامه لاح له انه متصلب في طلبه وانه لا يرجع عن طلبه وعيه ولا يمكن له ان يسلم بما طلب ولذلك عزم على القتال والحرب والنزال فصاح صباح الاسود الكواسر . وقد احمرت منه النواظر . وهاجت الخواطر فقوم السنان . واطلق جواده اليقظان . في ساحة الميدان . حتى لعب على الاربعة اركان ثم صدم بديع الزمان صدمة تزعزع الجبال وترهب الانيال . فالتقاه كذلك بثبات اشد من الصخر واخذ معه في الكر والفر . والقرب والبعد والتناول والرد حتى ارتفع فوقهما الغبار وحجبهما عن الابصار . واشغلت نحوهما الافكار ومالت اليهما الانظار وتقدمت الفرسان من الطرفين تتفرج على ذاك القتال . الذي لم يروا مثله بين اثنين من الابطال وربما لم يسبق ان سمع بمثله منذ اجيال فلله درهما من فارسين عظيمين وبطلين كريمين واسدين زائرين . وجبلين راسيين . ولم يعد يسمع منهما الا همهمة وهدير ودمدمة بما تضيق له الانفاس من الابدان . وتنصر عنه الاعمار قبل الاوان ولم يكن يرى الاسنة تلمع كلمعان النجوم في وسط الظلام . وشرارًا يتطاير فيختفي تحت سواد ذاك القتام . وهما في اشد مراك واعظم صدام يتمايلان على ظهور الجرادين . وينتقلان باسرع لمحة عين . وكلما انحط الواحد وقف الآخر في وجهه كسد من حديد واوقف عزمه عما يريد

قال وقد رات ملوك الظلمات هذه الاعمال وشاهدت ذاك القتال . فارتجفت قلوبها وخافت على بديع الزمان وصاروا يطلبون من العزيز الرحمان ان يعرف

الاثنان بعضهما والا اذا قتل بديع الزمان وعرفه ابوه بعد ذلك مات لا محالة واما بديع لا يمكنه ان يؤذي اباه لانه يعرفه حق المعرفة ولم يكن رجال حمزة يعرفون بديعاً ولذلك خفقت قلوبهم لانهم رأوا قتالاً عجيباً وشاهدوا هجمات لن تبقي ولن تذر ولم يكن وراءهـا الا الموت الاحمر وشخصوا بعيونهم ينظرون النهاية ويطلبون انقراض ذاك النهار ليرجع الامير سالماً . هذا والطعن متبادل بين الاثنين . والضرب متواصل بين المتقاتلين . حتى كلت منهما السواعد وزهقت النفوس وانفطرت الكبود وغرقت الخيل بالعرق . وحل عليها سلطان التعب والارق . فكادت تقع الى الارض لولم تكن من الجياد ولا سيما اليقظان عروس الميدان . ودامت الحرب على اشتداد الى ان طرد بياض النهار جيش السواد . وحينئذ توقف الاثنان عن القتال ورجعا الى الوراء ليأخذا النفس والراحة وماصدقا بالانفصال وفيهما رمق الحياة واراد الامير ان يرجع فصاح بديع اصبر يا حمزة وقف فوقف والتفت اليه وقد ظن انه يرغب في القتال تحت ظلام الليل الا انه رآه قد نزل عن جواده الى الارض وتقدم من اليقظان وقبض عليه من زمامه وقال اني اعلم انك كريم وابن كرام ولا اظن انك تمنع عني امراً اسألك اياه . قال معاذ الله فمر فاطيع واجيب سؤالك . قال اريد منك ان تزورني الى صيواني وتاكل ضيافتي هذا المساء لانه لم يكن بيننا عداوة دم تمنع مثل هذا الامر فاجبر بخاطري يا سيدي واقبل عزومتي فزاد تعجب الامير في بهزاد وفي كرامته واندهش من امره لانه يرغب في القتال والبرازمن وجه ومن وجه آخر يعمل عمل الاصحاب والاحباب ويرغب في الوفاق وربط الحب لان من عادة العرب ان اكل زاد الاخر حرم عليه قتاله والضرر به ولذلك قال لبهزاد كيف تطلب مني هذا وانت مصر على قتالي الا تعلم ان من اكل طعام الاخر حرم عليه قتاله قال اعرف ذلك لكن هذا يكون بين الاعداء ونحن لم نكن اعداء وجل الغاية انه لايسفك احدنا نقطة دم من الاخر بل القصد اما تغلبني فتستولي على كل ما املك واما اغلبك فاستولي على ذخائرك واموالك فهذا لا يمنعنا من اكل الطعام معاً . فقال

الامير اني اقبل ضيافتك واذهب معك الى صيوانك وقومك لكن بشرط وهو ان تقبل ضيافتي وتزورني في اليوم الثاني اذا بقينا احياء . قال اني اجيب طلبك وارافقك الى حيث اردت

وفي الحال نزل الامير عن جواده اليقظان وسحبه خلفه قليلاً بعد ان اشار الى عساكره وفرسانه بالرجوع فرجعوا جميعاً واما بديع الزمان فقد اشار الى العبيد ان تتقدم وتأخذ الجوادين فتقدمت وامر ان تصف العساكر يميناً وشمالاً ليمر الامير حمزة فوقف ملوك الظلمات بترتيب وانتظام من الجانبين ولما مرّ الامير سلموا عليه وقبلوا يديه وساروا امامه فعجب منهم ومن ترتيبهم وعظمتهم وكرامتهم وبقي سائراً حتى دخل الصيوان الكبير وجلس على كرسي الى جانب بهزاد وقد امعن في الصيوان ونظر فيه من اليمين والشمال فرآه ابهى واتقن من صيوان اليون شاه وفيه من التحف والزينة ما يسلب العقول والالباب. وبعد ان استراح قدم اليه الشراب على آنية من الذهب الوهاج المرصع بالجواهر الكريمة التي لم يكن ملك مثلها كسرى ولا قيصر ولا اقتنى مثلها الاسكندر . وبعد ان فرغ من الشراب مدت سفرة الطعام جامعة من كل الالوان بما تشتاق النفس الى اكله وكله بالاواني الذهبية حتى انبهر الامير من عظمة بهزاد ومقتنياته وقال في نفسه لا ريب انه ملك عظيم نادر المثال واعجب منه كيف يطمع بمالي مع انه لا يذكر شيء عند موجوداته وامواله فاما ان يكون ذلك عن سبب واما انه طماع . وبعد ان فرغوا من الطعام رجعوا الى كراسيهم ودار بينهم الحديث والكلام من الحروب ومواقع العالم حتى انقضت السهرة ومضى جانب من الليل فاراد الامير ان يذهب الى معسكره فقال بديع لا اتركك تذهب الان بل اريد ان تنام عندنا في صيوان مخصوص وفي الغد ترجع الى قومك اذ لا يكون بيننا حرب ولا قتال غداً بل نرتاح قال اذا اردت ان تجيب سؤالي ابقى عندك الليلة وهو انك تسير معي الى ضيافتي فتقوم النهار بطوله . قال اني اعدك بذلك ولا امنع عنك طلبك بل اقيم بضيافتكم وبين قومك كل النهار . قال شرط ايضاً ان تصحب معك

هؤلاء السادات اي ملوك الظلمات . قال هذا لا اقبل به ولا تكون ضيافتي لك الا كضيافتك لي فانت زرتني وحدك ولم يكن معك احد من رجالك ولذلك ازورك وحدي ولا احد من رجالي معي

فسكت الامير عند ذلك ونام تلك الليلة عند الملك بهزاد وهو يتعجب منه ومن كرمه وقلبه عالق به دون ان يعرف لذلك سبباً او يفكر بانه ولده بديع الزمان ولا يظن انه يخطر على باله ذلك لان بديعاً ذهب من معسكره وحيداً منفرداً ولا يمكن ان يكون قد اجتمع عنده كل هذا الشيء ولاحصل على كل هذا المجد والسلطان ونال هذه السعادة الوافرة . ولما كان صباح اليوم الثاني نهض الامير من نومه فصلى لله سبحانه وتعالى حسب عادته وخرج من منامه الى الصيوان الكبير فوجد السلطان بهزاد بانتظاره وحالما رآه نهض واقفاً وتقدم منه واراد ان يقبل يديه فمنعه وقال اريد منك ان ترافقني في هذه الساعة حسب الوعد الذي وعدتني به فلم يمتنع بهزاد بل نهض الى جواده وكان مهيئه فركب وسار الى جانب الامير حمزة حتى وصلا من معسكر العرب فخرج الامراء الى ملاقاتهما وكانوا يظنون انهما تصالحا وترحبوا بالسلطان بهزاد كثيراً وباشر الامير القيام بالضيافة وامرن تذبح الذبائح وتحضر الاطعمة والاشربة الفاخرة ودعاه ان يدخل الى صيوان اليون شاه فدخل وتقدم من السلطان سعد وسلم عليه فصافحه ذاك وترحب به وجلس كل فارس في مكانه وسألوه ان يجلس الى جانب السلطان سعد فلم يجب في الحال بل نظر يميناً وشمالاً فوقعت عينه على كرسيه الذي كان يجلس عليه واذا به مغطى بالقماش الاسود الى الارض وقد اشرنا قبل الان ان الامير حمزة قد غطاه كي لا يجلس عليه بعد بديع احد فاذا كان في قيد الحياة عاد الى موضعه والا نبقى مغطى بالحداد ممنوع على غيره الجلوس عليه . وحالما رآه بديع ادرك ذلك وعرف السبب ولهذا التفت الى الامير وقال له اني اسألك شيئاً هل تجيبني اليه قال كيف لا اجيبك فربكل ما ترغب قال انت تدعوني ان اجلس الى جانب السلطان سعد وانا ارغب في ان اجلس في مكان آخر فهل تسمح لي بذلك فخجل الامير

منه وقال له انك مالك الامر ايها السلطان فاجلس في اي مكان اردت ولا يمكن لاحد ان يعارضك او يمنع عنك كرسيه حتى ولو طلبت الجلوس مكاني اومكان سعد لأخلينا لك موضعنا فلم يجب بهزاد بكلمة بعد ذلك بل تقدم في الحال من الكرسي المغطى بالسواد فمزق السواد وجلس واسند ظهره ونظر في الامير في الحال فرأى الدموع تتدفق من عينيه وتذكر الامير في تلك الساعة ابنه وخطر عليه ولجم لسانه ولم يقدر على الجواب بل تزايد عليه البكاء وسكب الدموع

ولما رأى بديع الزمان ذلك لم يقدر ان يمنع نفسه عن اسقاط دمعتين ملتهبتين على خدوده ولولا الخوف من ان يظهر امره في تلك الساعة لبكى اكثر من ابيه لكنه تجاهل الامر والتفت الى الامير وقال له لمَ يا سيدي انت في هذه الحالة ولم بكاك مع ان لا احد يبكي الا على ميت وانت الان في فرح فهل وجودي عندك يبكيك . قال لم يكن هذا القصد ولم ابكِ الا لامر عظيم خطير ذكرتني به الان وهو انه كان لي ولد اسمه بديع الزمان لم تنتج مثله الايام غاب عني ولم يرجع ولا اعرف اهو في قيد الحياة ام مات بل ترجح لي انه مات او افترسه اسد مع انه كان يفترس ولا يُفترس . ولما طال امر غيابه ولم يبق لي مطمع برجوعه غطيت كرسيه بالقماش الاسود واقسمت ان كل من جلس عليه غيره كان جزاوه السيف القرضاب . ومنذ تلك الساعة وهو كما كان عليه الى ان زرتني انت وجلست عليه فذكرتني بذاك الولد الذي هو اعز من نور عيني ولو كان موجوداً في معسكري الان لما تيسر لك ان تأسر واحداً من رجالي لانه عروس القتال وفارس الميدان وكنت احب ان امنعك عن الجلوس لكن نفذ الامر وجلست عليه وانا الان مضطرب الداخل ولا اريد اترك احداً يجلس عليه . فقال بهزاد لا باس في ذلك فهذه ارادته تعالى فاصبر وربما يرجع ابنك عن قريب وما كان جلوسي الا فال حسن وقلبي ينبهني الى ان ابنك سيرجع باقرب آن فبشر قلبك هذا اذا كان لا يزال في قيد الحياة او كان يرغب في ان يرضى على غضبك عليه فلم يسع الامير الجواب بل مسح عينيه من الدموع وصبر على امره اختشاء من ان يضيع وقت

ضيافة السلطان بهزاد بالبكاء والحزن

وفي الحال قدم اليه الشراب ودار الكلام وكان عمر العيار ينظر فيه ولا يتكلم وفي قلبه نيران الغضب من اعماله ولا يجسر ان يتكلم كلمة واحدة وكذلك قاسم فانه تذكر كل ما عمل معه وضربه وكان عقله لا يرده من ان يهينه في ذاك المقام ويأخذ لنفسه بالثار غير انه خاف من جده ان يغضب عليه او يتكدر منه وصبر على الصدف تساعده وتسمح له باخذ الثار ولما آن اوان الطعام وضع الخوان الكبير الذي كان يجلس حواليه كل الفرسان وقت الطعام وصفت من فوقه الاواني الذهبية والفضية وفيها من كل الوان الطعام الشهية والحلويات وبعد ان انتهى الخدم من عملهم دعا الامير السلطان بهزاد ان يتفضل الى مناولة الطعام فنهض وجلس حول المائدة ونهضت الفرسان من كل ناحية واخذوا في الاكل ومناولة الخمر وهم فرحون مسرورون يضحكون ويتكلمون وعند ما فرغوا من الطعام واراد كل منهم ان ينهض عن كرسيه قال بديع الزمان اريد منكم يا فرسان العرب ان تنظروا الى هذا الامر وتتعجبوا من عطية الله الذي اعطاها لانسان لا يسأل معه واني اشكره على الدوام لانه مع ما اعطاني من الملك واتساع السلطان وعلو المنزلة والثروة العظمى وهبني ايضاً القدرة التي لم تكن قد وجدت عند غيري من بني آدم فهل فيكم من يقدر ان يرفع هذا الخوان الكبير باليد الواحدة عن الارض مقدار ذراع

قال وكان ذاك الخوان من الخشب السميك مربوطاً من قضبان الحديد في كل جهاته وبه حلقات من الحديد ايضاً في دائره بما لا يدخل العقل ان احداً من الرجال يقدر ان يرفعها بيديه الاثنتين عن الارض ولذلك تعجبوا واندهشوا ولم يقدر احد منهم ان يجيبه فقال لهم اصبروا وانظروا ثم مد يده وهو جالس على كرسيه ومسك حلقة الحديد التي كانت من صوبه وذكر الله في قلبه وعتع من ذاك الخوان فارتفع في يده عن الارض مقدار ذراع دون ان ترتجف يده او تتحرك بما زاد في اندهاش الفرسان وعجبهم ولم يجسر ولا واحد منهم ان يمد يده ويجرب

هذا العمل الا الامير حمزة فانه مد يده الى الحلقة التي من صوبه فقبض عليها وذكر الله تعالى ورفع الخوان فارتفع عن الارض مقدار ذراع كما فعل بديع الزمان غير ان يد الامير كانت ترجف لانه رجل كبير ومسن في العمر ولم تبق قوته كالعادة . وبعد ان انزل الخوان الى محله قال الامير قاسم هذا امر سهل ويمكن لكل انسان ان يفعله فقال بديع افعله يا قاسم فمد يده قاسم ومسك الحلقة ووقف على رجليه وشد كثيراً دون ان يقدر على تحريك الخوان فضحك الفرسان جميعاً منه ولا سيا بديع الزمان وقال له انك لست من رجال هذا الميدان فغير جدك لا يقدر على هــذا العمل فزاد حنق قاسم وكان يكره السلطان بهزاد كرهاً طبيعياً وعظم عليه الامر كيف يحتمل الدار ولا يقدر على مجازاة السلطان بهزاد فاحتدم غيظاً وقبض على الحلقة وشد بكل قوته واذا بالحلقة قد انقلعت وصارت في يده ولم يتحرك فارتفع الضحك ثانياً من الجميع فزاد غيظ قاسم فرفع يده في حلقة الحديد وضرب بديع الزمان فخلي عنها وكانت كبيرة فاصابت اثنين من الخدم فقتلتهما . ورأى الامير حمزة الى هذا العمل فاحمرت عيناه ولعب به الغضب وزاد الحنق ولم يعد يعرف مابين يديه ونهض واقفاً وتقدم من قاسم ولطمه على وجهه وطرده الى الخارج وعول ان يضربه بالسيف فصاح بديع الزمان وقال قد نفذ المقدر ولا يجب ان تعامل قاسماً هذه المعاملة وكان من اللازم ان لا تدعه يجلس مع السادات في الصيوان وانت تعرف عقله وانه مجنون وحيث الان قد اكلت ضيافتك وانتهى الامر فارجوك ان تبكر صباح الغد الى الميدان ولا عدت اريد البقاء في هذا المكان واني اودعك وارجوك المعذرة واستكثر بخيرك وخير قومك وخير الامير قاسم ونهض بديع الزمان مظهراً على نفسه الغضب فلم يعارضه احد قط ولا وقف في طريقه احد وقد خجل الجميع منه وتكدروا من عمل الامير قاسم كيف يتعدى على ضيف الامير وهو السلطان بهزاد الذي اسر فرسان العرب جميعاً وقد يمكن ان يأسر الامير حمزة وكان اشدهم غيظاً الامــير رستم ابو قاسم وهذا اراد ان يتعطف بخاطره ويرجعه فلم يقبل بل اسرع الى جواده فركبه وسار

الى قومه ورجاله . وبعد ذهاب السلطان بهزاد اقسم الامير ان لايدخل قاسم الى الديوان وان يلازم صيوانه ولا يجلس بين الفرسان

قال وعند المساء دخل بديع الزمان على زوجته وحكى لها ما كان من الامير قاسم وما فعله معه وكيف ضربه بالحلقة ولو اصابته لكان قتل او جرح منها. فلما سمعت ذلك انهلت الدموع من عينيها وقالت قطع الله تلك اليد التي ارادت لك سوءا فقال لها كيف اخاف الناس والله لا يريد لي ذلك بل يرغب في خيري ونجاحي فكوني براحة تامة فنحن نسري تحت عناية الله وغير ما يقدره علينا لا ينفذ فينا فقالت اني اطلب اليه تعالى في كل مرة اصلي ان يحفظك لي ويحرسك لي من طوارق الحدثان ويذل بين يديك اعداءك وهو سميع مجيب فيسمع لي ويجيب سؤالي ثم باتا تلك الليلة وعند الصباح نهض بهزاد واعتد بعدته وتقلد بسلاحه وامر ان تضرب الطبول انذاراً للعرب وركب جواده وتقدم الى الساحة وصال وجال ولعب على اربعة اركان المجال وفي الحال برز اليه الامير حمزة كانه جبل من الجبال وصدمه صدمة جبار عنيد وفارس صنديد ولم يكن الا القليل حتى اشتبك الاثنان واشتعل بينهما القتـــال اشتعال النيران . وغاصا تحت غبار ذاك الميدان . وتبادلا الضرب والطعان . وهما كانهما كفتا ميزان . لا يرجح احدهما على الاخر مقدار ذرة حتى انقضى النهار واقبل الظلام فافترقا على سلام ورجعا الى الخيام . وباتا تلك الليلة يطلبون الراحـــة وفي الصباح . جددا الحرب والكفاح الى ان اسود الجو برواق الليل فرجعا وداما على مثل هذا العمل مقدار ثلاثين يوم على التمام حتى ضجر جميع الفرسان من هذا القتال وثبت عندهم ان لا احد منهم يقدر على ان ينال من خصمه الغرض وكذلك الامير حمزة فانه تعجب من قتال بهزاد وثباته كل هذه المدة وهو لم يقدر ان ياخذه من باب او يصل اليه من طاقة فزهقت نفسه وتمنى الخلاص على اي حالة كانت ولم تكن حالة بديع الزمان اقل كدراً من حالته فان الاخر ضجر واراد الخلاص واظهار نفسه لابيه في اليوم الاتي اذا انقضى النهار ولم ينل الواحد على خصمه فوزاً

ولما كان صباح اليوم الثاني نهض الامير حمزة من رقاده واعتد بعدته وركب اليقظان وضربت طبوله من كل ناح ودنا من الفرسان فودعهم . فقالوا له لما هذا الامر فقال اريد ان اجعل هذا اليوم الاخير بيني وبين السلطان بهزاد فلا ارجع من الميدان قبل الانفصال فاما افوز بالنصر واما اقتل قالوا اننا كلنا على استعداد فاذا حدث عليك ضر حملنا باجمعنا على بهزاد وانزلنا عليه الضربات الشداد ورفعناه على اسنة الرماح . قال اياكم من ذلك فان الرجل كثير الانصاف لا يرغب في غير العدل واني اقسم عليكم ان تكونوا من رجاله وقد البسكم من ثيابه فاوصيكم ان تنضموا اليه اذا سمحت العناية بموتي واجعلوا المعسكرين واحداً وكونوا طائعين له فمثل هذا السلطان يخدم بالعينين وكنت اظن ان لا فارس في الدنيا يلقاني في ساحة الميدان ولا يمكن لنفسي ان تذل لانسان حتى وقعت في قتاله فعرفت ان الايام تأتي بالعجائب وانه ما زالت النساء تحبل وتلد لا يقال على وجه الارض فارس . ثم اطلق لجواده العنان حتى صار في وسط الميدان فرأى السلطان بهزاد وقد خرج من وسط قومه وتقدم اليه وفي الحال صرخ الاثنان باصوات الانتقام وهجما على بعضهما هجوم اسود الآجام واطلقا الاسنة وغاصا تحت القتام فافترقا والتحما وتجاولا وهجما . وبربرا ودمدما . وحمحما وهمهما . واكثرا من الصراخ والصياح . والعراك والكفاح . والكر والفر . والقرب والبعد والاخذ والرد حتى غابا عن الاعيان . وجللهما الغبار ودار بهما من كل مكان . وارتفع فوق راسيهما الى العنان وكان ذاك البراز شديداً . وذاك القتال عنيداً . وكل منهما يطلب لنفسه الفوز والنصر وان لا يرجع بالفشل والقهر . فاظهر جهده وابدى كل ما عنده . وثبت ثبات الابطال . وعمل اعمال صناديد الرجال . فلله درهما من فارسين وجبارين عنيدين . وقطعتين فصلتا من جبلين . فلم يكن للرماح اليهما من سبيل . ولا للسيوف من طريق للتهويل . فصبرا صبر الكرام . واتكلا على الحرب والصدام . وكانت ريح ذاك البراز تتجاذب بهما في ذاك المجال . فتحملهما من الشمال الى اليمين ومن اليمين الى الشمال . لا يبعد احدهما عن الآخر مقدار خمسة اقدام حتى يعود الى

الالتحام خوفاً من ضياع الوقت بالجولان وخشية ان يرتاح احدهما من تعب الصدام وكان رجال الفريقين قـد رأت ما هو دائر بين الاثنين فخاف كل قوم على فارسهم وسيدهم فتقدم اندهوق بن سعدون وباقي فرسان العرب واشهروا سيوفهم بايديهم ووقفوا على مقربة من الاثنين وقـد نووا ان يهجموا هجمة واحدة على السلطان بهزاد اذا رأوا الامير قد وقع بين يديه او اصيب بنكبة من نكبات الايام. ولما رأى اسحق الظلماني وبقية ملوك الظلمات ذلك استلوا سيوفهم وتقدموا الى الامام وفعلوا كما فعل رجال العرب وكانوا يصلون في قلوبهم ويطلبـون من الله ان يعرف احدهما الاخر وقبل ان تفلت من احدهمـا ضربة فتصيب الاخر فيندم حيث لا ينفع الندم هذا وقد تقصفت الرماح بيد الاثنين فألقياها وتناولا البيض الصفاح فارسلاها الى الدرق فأنتجت من كثرة وقوعها شرارًا يتطاير كالسهام النارية في وسط الظلام حتى زهقت نفساهما وضاقتا من تكاثف الغبار المتطاير من الارض من جرى فحص حوافر الخيل فيها وهما سابحين بالعرق غائصين كانهما في بحر مضطرب متلاطم ودام القتال على هذا المنوال الى ان قرب العصر فتخدر منهما الساعدان وتفتحت مسام الابدان. ورأى بديع الزمان ان اباه لا يؤخـذ بالقتال. فاراد نهاية الحال. فرجع الى الوراء وقال مهلًا ايها الامير فان هذه الحالة لا توصلنا الى المراد وكاد ينقضي النهار ونحن على ما نحن عليه ولا ارغب ان نرجع دون ان يكون احدنا الفائز فاترك من يدك السلاح وانزل الى الارض فنأخذ في الصراع لان ليس القصد ان يقتل احدنا الآخر بل المراد الفوز مع السلامة واني يشهد الله لم اقاتلك قتال من يريد ان يؤذي بخصمه بل ارغب ان اريك شجاعـة بهزاد فتسلم اليه فاجاب الامير حمزة في الحال وقفز عن ظهر الجواد الى الارض والقى بسلاحه عنه وفعل بديع الزمان مثله وهجما على بعضهما وتقابضا بالايدي وتقلبا على بساط البسيطة ودفع كل واحد خصمه الى الوراء فما اندفع بل كان ثابت القدم كما كان ثابت الجنان في ظهر الجواد وبعد ان اقاما مقدار ساعتين على مثل هذه الحال تمكن بديع الزمان من ابيه حمزة البهلوان وهو قابض عليه في

صدره فشده واراد ان يلقي به الى الارض فاركز الامير رجليه الا انه لما كان كهلًا لم يبق لركبتيه نفس القوة التي كانت لها في حال الشباب فوجفت ركبتاه وخاف من الوقوع الى الارض فصاح صياح الابطال وضرب يديه الى رأس السلطان بهزاد وقد احمرت عيناه وقدحت شرار النار ولعب الغضب والغيظ به لما ثبت عنده انه سيقع تحت خصمه فوقعت يده على براقع بديع فانتثرها وكان بديع قد رأى حالة ابيه فقال في نفسه كفى الى هذا الحد فما اني ممن يغلب في ساحة الميدان ولما رأى اللثام قد زال عن وجهه صاح بصوت عال سمعه كل انسان . مهلًا ياحمزة البهلوان . وسيد الابطال والفرسان . فما امامك الا ابنك بديع الزمان والقى بنفسه بين يديه

قال ولما سمع الامير هذا الكلام طار قلبه شعاعاً وكاد لا يملك نفسه من ان يقع الى الارض والقى بنفسه عليه يقبله وقد تأكده وحينئذ صاحت رجال الظلمات بصوت واحد بديع الزمان . بديع الزمان . فلم يتمالك رجال العرب عن ان تتقاطر من كل ناحية ومكان لما ثبت ان السلطان بهزاد هو الفارس العربي والسيد الكريم ومولاهم وابن مولاهم الذي احبوه محبة الآباء للاولاد وعلا الصياح والصراخ واصوات البشر من كل ناح ومكان . هذا والاب منعطف على ابنه يقبله والابن بين يديه يقبلهما واذا بالامير رستم فرتم وباقي الفرسان قد وصلوا من الاثنين وتقدموا من بديع وسلموا عليه وعانقوه وهنأوه بالسلامة وشكروا الله على نوالهم المراد وارجاعه اليهم سالماً وتقدم الوزير بزرجمهر معهم وطافوا به من كل جهة ورجعوا به الى خيام العرب يصفقون وينادون بالسرور الذي انتشر عليهم جميعاً ما عدا قاسم فانه تجدد البغض في قلبه وقال لا كان يوماً رجع به ابن الصياد وفي هذه المرة يباهي بنفسه ويظن انه من السلاطين والملوك وينسى اصله فلا بد لي من السعي خلفه الى ان اعدمه الحياة واريحه من هذه الدنيا واجعله عبرة لمن اعتبر

ثم دخل بديع الزمان صيوان اليونشاه وتقدم الى كرسيه وقال يا ابتاه اتسمح لي ان اجلس عليها فقال كيف لا وقد جلست عليها وانت بهزاد فكيف تمتنع

وانت بديع الزمان فرفع بديع ما بقي عليه من القماش الاسود وجلس حسب عادته مسروراً بالاجتماع باهله واصحابه وكان الخوند ينتظر في كل هذه المدة ما يجري بين بهزاد والامير حمزة مومـلاً انه يستفيد من فوز الاول الا انه لما وصله الخبر بان بهزاد هو بديع الزمان ابن الامير حمزة البهلوان وقع الرعب في قلبه وفي الحال امر ان تدخل عساكره المدينة وان تقفل الابواب من خلفهم الى ان يحصل على الفرج ففعلوا ودخلوا في تلك الاثناء بينما كان بديع عند ابيه وقد بعث الى ملوك الظلمات ان تأتي بالعساكر وتلتحم بالعرب فيصير الفيئتان فيئة واحدة فجاء ملوك الظلمات واتوا عمل بديع كل هذا والامير عمر العيار جالس الى جانب وهو مظهر الغضب لا يبدي كلمة فلحظ بديع انه مغتاظ منه وانه لايرضى ما لم يرضيه فصبر الى ان انتهى كل شيء. واجتمع الديوان من كل الفرسان فقـال لعمر اني تعديت عليك في الاخير واهتتك بعد ان عملت على سرقة جوادي وقصدت ايقاع الاذى بي. قال اني لا الام على ذلك بقدر ما تلام انت لانك تعرف اني عمر العيار واما انا فـلا اعرف الا انك عدو العرب ولو عرفت انك بديع الزمان لخدمتك بالعيان وما سرقت لك الحصان فقال بديع اني اعرف خطائي ولا بد لي من ان ارضيك وابذل لك من الدنانير ما يسر له خاطرك فابدى عمر الابتسام وتقدم منه واعاد السلام عليه والتم لذلك شمل الامير حمزة بابنه بديع الزمان ودارت الافراح وعمل الولائم والزين وصرفوا مدة ثلاثة ايام على احسن ما يرام يذبحون الذبائح ويرقون الخمور ويغنون ويرقصون وقد اصبح معسكر العرب مليوناً وسبعمائة الف فارس

وفي اليوم الرابع طلب الامير من ابنه ان يعيد عليه كل ما جرى له في مدة غيابه فحكى له من حين مبارحته الى حين وصوله اليه وكان يتعجب وجميع من حضر من غرائب الصدف وفعل التقادير وكلهم يشكرون الله على سلامته وعلى مساعدته وكيف انه رافقه بعنايته حتى بعد ان كان فقيراً عرياناً متروكاً من الانصار قاده الى ابواب السعادة فاعاده الى ابيه ملكاً عالي الشان رفيع القدر .

وكذلك سأل بديع اباه عما جرى عليهم حال غيابه فاخبره بكل ما كان وقال له ان ولدك نور الدهر قد كبر وصار عمره الآن نحو اربعة عشر عاماً وقد تعلم الشجاعة والبسالة وهو عند امه . فقال حيث لا يزال صغيراً فمرادي ان ابعث اليه بالملك اسحق الظلماني ليكمل له تعليمه وتهذيبه ويدربه جيداً على ركوب الخيل ومطاردة الفرسان . فوافقه الامير حمزة على ذلك وحينئذ التفت بديع الى اسحق وسأله اذا كان يقبل بذلك فلم يرفض وقال من الواجب عليَّ ان اخدم ابنك كما من الواجب عليَّ ان اخدمك فكتب بديع الزمان كتاباً الى ولده يخبره برجوعه سالماً ويعلمه بانه ارسل اليه اسحق الظلماني فهو رجل عاقل حكيم شجاع فيلزم ان يصغي اليه ويتعلم منه ويطيعه . وفي اليوم التالي ركب اسحق وسار الى ان جاء البلد فدخله وعرف به نور الدهر فخرج الى ملاقاته وترحب به كثيراً وسأله عن ابيه فاخبره برجوعه وسلمه التحرير ففضه وقرأه وعرف ما اراده ابوه غير ان الجهل كان قد تسلط عليه كثيراً وهو يفاخر بنفسه ويباهي بشجاعته ولذلك قال لاسحق اتعرف لاي شيء انت جئت قال جئت لاعلمك ما ينقصك من المعرفة وفن القتال . لان العلم زينة الانسان فخير للمرء ان يكون عارياً من الثياب ولا يكون عارياً من الاداب ومن عرف العلوم ووعاها عرف ما كان بالدنيا وما يكون فيها وما هي الآخرة ومن اتقن من الحرب حفظ نفسه من عدوه ودفع هجمات المهاجمين . الم تر ماصار لابيك وقد اكتسب المجد والشرف وحصل بما اعطي من الشجاعة والحكمة والتقاوة على الملك العظيم فلو كان عارياً من هذه الامور الثلاثة لبقي منسياً من جميع الناس ولا قدر ان يجلب اليه اقل الناس جبناً . قال نعم لكن اذا اراد الانسان ان يعلم تلميذاً مثلا الشجاعة يلزم ان يكون اشد باساً منه واعظم شجاعة واقوى خيلاً . وانت تصحب لي كتاباً من بديع ابي فهذا لا اعرفه ان كان شجاعاً ام لا والذي اعرفه هو جدي الامير حمزة البهلوان فارس فرسان هذا الزمان وهو علمني كل شيء وعلمني القتال وفن النزال . فاكراماً لك وكونك متقدم بالسن اقبل منك ما تسألنيه لكن بشرط ان امتحن شجاعتك واجرب

نفسي معك ولا اكلفك الى القتال بالسيف والسنان والجولان في ساحة الميدان بل ضع يدك بيدي وشبك اصابعك باصابعي وشد بقدر ما اعطيت من القوة فاذا قدرت ان تبرم لي يدي كنت لي استاذاً واذا برمت يدك واثنيت اصابعك ترجع من حيث اتيت فلا تكون صالحاً لتعليمي وغير هذا لايمكن قط

قال فلما سمع اسحق كلام نور الدهر عرف انه متعظم بنفسه وانه لا يزال جاهلًا فقال له ليس المقصد من التعليم والتعلم ان تكون اصابعك قوية او يدك اقوى ولم يكن عهدي بك الا عاقلًا حكيماً واذا كان الامير حمزة قد علمك ورباك فلا بد ان يكون قد دلك على طريق الادب فهذا الكلام الذي تنطق به لا يكون بين الرجال الشجعان بل بين اولاد الازقة ولا يكون بين ولد صغير مثلك لم يعرف بعد ما هي الرجال وبين رجل قد خبر الدهر وعرف اهله وقويت لعصابه ونازل الابطال والفرسان . قال هذا الذي قلته لك ولا ارجع به فلا مطمع بالنجاح الا بذلك فاما ان ترجع من حيث اتيت واما ان تجرب نفسك معي فاذا كنت اقدر مني وابسل واشد حيلًا واقوى عصباً اتخذتك لي استاذاً وسيداً وطعتك ورأيت نفسي محتاجاً لان اتعلم منك فرأى اسحق ان الكلام لا ينجع فيه وان عقله قاس لا يلين وقد دخل في عقله انه ولد فيضع يده في يده ويثني اصابعه وذلك اوفق من ان يتركه ويرجع لانه ابن بديع الزمان ومن الواجب ان يطيل عليه روحه ويسير على حسب عقله. فقال له اني اقبل منك شرطك لا لكونك مصيباً في ذلك بل املًا بان تطيعني في كل ما اسألك فيه ولا بد بعدان تدرك مدارك الكمال ان تعرف غلطك وتطرفك في اعمالك واقوالك الان قال كيف كان فليكن فالغاية ان تعرف نفسك معي ومدّ يده فمد اسحق يده ايضاً وفي كل نيته انه ولد لايقدر على ان يوقف يده او يصلبها امام يده واشتبك الاصابع ببعضها وباسرع من حصو الطير تمطى نور الدهر بيد اسحق وشد عليها فأثناها وبرم له يده فتألم الماً عظيماً وشعر كان يده قلعت من كتفه ولعب الغيظ به ولعن الساعة التي جلس بها ونهض في الحال وقال لا ريب ان هذا الولد مجنون

قليل الادب والحشمة فالبعد عنه خير من البقاء معه ثم ركب جواده وخرج الى المعسكر واجتمع ببديع الزمان فسأله عن سبب رجوعه حالاً فقال له لقد ارسلتني الى ولد لم يعش تحت ظل ابيه فيحسن اكرام الناس واعتبارهم فهو قليل الادب كثير الجهل لا يقبل استاذاً قط ثم ان اسحق حكى لبديع الزمان كل ما وقع بينه وبين نور الدهر فاغتاظ وتكدر كثيراً وعلم ان اباه لم يعلم ابنه الا الحرب والنزال ولم يعلمه الادب والحكمة وعليه فقد اخبر اباه بما جرى وقال له على ما يظهر انه بلا حياء ولا تربية قال لا يمكن ان يكون كذلك بل هو ولد جاهل يغتر بنفسه ويظن انه لا يحتاج الى تربية وان ما تعلمه يكفيه وانا اعرف انه صار من الفرسان الصناديد وهو في هذا السن وغير ذلك لا يلزمه . فسكت بديع الزمان وعرف ان ابنه مغرم بقوته متأمل بشجاعته فلا يمكن ان يميل الى غير ذلك او يقبل ان يتعلم ما يريد ان يعلمه

قال ومن بعد ذلك قال الامير لقومه بينما كانوا مجتمعين الى بعضهم لقد طال علينا المطال ومضت السنون والايام ونحن حول السبائل لا ننال منها مراداً ولا نعرف كيف نقدر ان نفتحها واخاف ان نبقى العمر على ما نحن عليه وعند ما ترد اليه النجدات يخرج الى قتالنا وعندما ينقطع من النجاح يدخل المدينة وتقفل الابواب ونبقى على محاصرته . فقال له بديع الزمان لا بد من ان ترد له النجدات او يأتي احد لمعاونته فيخرج الى القتال ومتى خرج في هذه المرة لا امكنه من الدخول ثانية بل نفكر ونتدبر ماذا نصنع قبل الوقت الاخير . وفيما هم على مثل ذلك دخل عمر العيار وهو مغبر معفر والعرق يسيل من جبينه وقد جبل بالتراب فسأله الامير عن حاله وعن سبب اضطرابه فقال اني كنت اسير في هذه الضواحي وانتقل من مكان الى مكان واترقب الطرقات والمعابر واذ قد تبينت عن بعد غباراً كاد يبلغ السحاب فاطلقت ساقي للريح وبأقل من التامل وصلت من ذلك الغبار واذ تحته فرسان كالجراد المنتشر يبلغ عددهم نحو المائتي الف وامامهم فارس عظيم طويل القامة يحمل على كتفه ساطوراً طوله خمسة عشر ذراعاً لو ضرب به

الجبل قطعه نصفين وكذلك قومه جميعاً يحملون سلاحاً غريباً فهذا على كتفه فاس وذاك بلطة وآخر مخل فاستخبرت من بعض رعاعهم فقيل لي ان اسم ذاك طهماز ابو الساطور من البلاد الكلبية وهو آت لمساعدة الخوند اذ وصل اليه الخبر بافعال العرب وكان في نيته ان الخوند يبيدهم وطال المطال حتى بعث اخيراً يسأله اذا كان يقبل مساعدته فاجاب وطلب اليه الحضور برجاله فركب من بلاده وسار قاصداً هذه الديار حتى وصل في هذه الايام ولذلك تركتهم خلفي وجئت اليكم لاعلمكم عن اولئك القوم ذوي الوجوه العجيبة . فقال حمزة هذا يكون وسيلة كبرى لاخراج الخوند من المدينة عسى ان الايام تسمح لنا بان ندخل السبائل بعد خروجه

قال ولم يكن الا القليل حتى وصل طهماز ابو الساطور برجاله فخرج العرب الى الفرجة عليه وعلى قومه فتعجبوا من خلقهم واجسامهم فانها كانت مركبة النصف انسان والنصف حيوان لكنهم يعرفون من بني الانسان حيث يتكلمون ويقاتلون ويناضلون وحال وصولهم ضربوا خيامهم ونصبوا اعلامهم واشتغلوا بترتيب احوالهم . وفي نفس ذاك الوقت خرج الخوند من المدينة الى مكان العادة فنصب خيامه وهو مؤمل في هذه المرة بالنصر لانه يعرف ان طهماز فارس لايقاس به فارس وجلس في ديوانه بينما زاره طهماز فوقع على رجليه يقبلهما وقال له اني اعجب من حلمك وطول اناءك فلمَ انت متغاض عن العرب الى هذا الحد ولما لا ترسل فتأمرني لاجيء اليهم وافنيهم عن آخرهم . قال نعم لقد تأنيت كثيراً وأطلت بروحي تحت امل اني اكسبهم الى الحق فيعبدونني ويصيرون من رجالي ويأمنون اني الاله على العالم فلم يأمنوا ولا تركوا عبادتهم حتى نويت اخيراً على هلاكهم فألهمتك الى الاتيان اليَّ ليعرفوا ان بين الذين يعبدونني ابطال لايقاس بهم ابطال وفرسان لايوجد مثلهم بين فرسان العربان . قال اني شعرت بالهاماتك واطلب اليك الآن ان تعطني القوة وتحفظني من النكبات لافنيهم عن آخرهم وفي الصباح تراني اهجم عليهم هجمة واحدة فلا اعود عنهم الا وافنيهم . وكان

بختيار حاضراً فقال اعلم ايها الفارس العظيم والبطل الكريم ان بين العرب فرسان يندر وجود مثلهم في هذا الزمان فاذا كان في نيتك الهجوم عليهم لا تحصل على المراد قبل ان يهلكوا قسماً كبيراً من عساكرك لكن اذا قتلت اولئك الفرسان هان عليك الامر فيهرب الباقون او يؤمنون بهذا الاله الحي . قال انك مصيب وسأبرز في الاول فاقتل الفرسان والابطال وكل فارس ريبال ومتى عجزوا عن البراز زحفت اليهم دفعة واحدة فاهلكت المتمردين واسرت الطائعين الذين يؤمنون . فاعجب هذا الكلام الخوند فقال لطهماز اني اعرف انك تقدر على كل ما تقول وبسابق معرفتي يتضح ما يكون في ما بعد فانت الرجل الاول في الشجاعة والبسالة وقد خصصتك بالقوة ووهبتك ثبات الجنان والغلبة على الفرسان لما اعهده فيك من الطاعة وصفاء النية في خدمتي وسأزيدك من ذلك لتنتقم لي من جميع اعدائي ومن اولئك العرب الانذال الذين قصدوا اسقاط الحكم ليقيموا سلطة إلههم

قال وبات الفريقان ينتظران وصول الصباح ليخرجا الى ساحة الكفاح وعند بزوغ نوره ضربت طبول الحرب وشغل العساكر بتهيئة نفوسهم واسرع كل واحد الى لبس عدته وركب جواده وبعد ذلك تقدموا من ساحة القتال واصطفوا صفوفاً وانتظروا الاوامر الا ان طهماز سبق الجميع الى ساحة القتال وهو حامل على كتفه الساطور الطويل فصال وجال وبعد ذلك وقف في وسط المجال واشار الى العرب ان تبرز اليه او تنزل الى قتاله . وقبل ان ينتهي من كلامه برز اليه الامير رستم وصدمه صدمة جبار عنيد واخذ معه في الطعان والضراب والدخول الى طرق الحرب من كل باب وقد كرّاً وفرّاً وتقاتلا وتناضلا وفعلا فعل العجائب واظهرا البراعة العظمى في فن القتال الى ان قرب العصر وعند ذلك لاح لطهماز فرصة على خصمه فضربه بالساطور على كتفه قطعه نصفين فصرخ رستم من الالم ووقع عن ظهر جواده الى الارض قتيلاً . وعند ذلك صاح الامير وقد طار صوابه وكذلك باقي فرسان العرب فحملوا جميعاً وحمل ايضاً رجال طهماز ورجال الخوند واشتدّ القتال وعظمت الاهوال وبطل القيل والقال وفعل طهماز العجائب لانه يضرب

بساطوره الفرسان فيلتقي بها ألى بساط الارض وكثيراً ما يصيب ثلاثة او اربعة بوقت واحد فيقعون الى الارض كالعصافير . وما جاء المساء حتى كان قد قتل من الفريقين جانب عظيم ورجع كل فريق الى خيامه وحمل العرب جثة رستم واذا هي بلا روح فأقيم البكاء والصياح والعويل والنواح ومزق الامير حمزة ثيابه ونتف شعره ووضع التراب على رأسه وندب وعدد وفعل افعال الثواكل وبكى بكاء الارامل واشار يرثيه بهذه الابيات :

نهاك عن الغواية ما نهاكا   وذقت من الصبابة ما كفاكا
وطال سراك في ليل التصابي   وقد اصبحت لم تجحد سراكا
فلا تجزع لحادثة الليالي   وقل لي ان جزعت فما عساكا
فكيف تلوم حادثة وفيها   تبين من احبك او قلاكا
بروحي من تذوب عليه روحي   وذق يا قلب ما صنعت يداكا
لقيت من الهوى وشقيت فيه   وانت تجيب كل هوى دعاكا
فدع يا قلب ما قد كنت فيه   ألست ترى حبيبك قد جفاكا
لقد بلغت به روحي التراقي   وقد نظرت به عيني الهلاكا
حبيبي كيف حتى غبت عني   أتعرف انَّ لي احدًا سواكا
أراك هجرتني هجراً طويلًا   وما عودتني من قبل ذاكا
عهدتك لا تطيق الصبر عني   وتعصي في ودادي من نهاكا
فكيف تغيرت تلك السجايا   ومن هذا الذي عني ثناكا
فلا والله ما حاولت غدرًا   فكل الناس تغدر ما خلاكا
وما فارقتني طوعاً ولكن   دهاكا من المنية ما دهاكا
فيا من غاب عني وهو روحي   وروحي لا أطيق لها انفكاكا
لقد حكمت بفرقتنا الليالي   ولم يكُ عن رضاي ولا رضاكا
فليتك لو بقيت لضعف حالي   وكان الناس كلهم فداكا
يعزُّ عليَّ حين أدير عيني   أفتش في مكانك لا اراكا

ولم أر في سواك ولا اراه ... شمائلك الملاح ولا حلاكا
ختمت على ودادك في ضميري ... ولا يزال مختوماً هناكا
لقد عجلت عليك يد المنايا ... وما استوفيت حظك من صباكا
فوا أسفي لجسمك كيف يبلى ... ويذهب بعد بهجته سناكا
وما لي أدّعي اني وفيٌّ ... ولست مشاركاً لك في بلاكا
تموت وما اموت عليك حزناً ... وحق هواك خنتك في هواكا
ويا خجلي اذا قالوا محب ... ولم انفعك في خطب اتاكا
أرى الباكين فيك معي كثيرًا ... وليس كمن بكى من قد تباكا
ويا من قد نوى سفرًا بعيدًا ... متى قل لي رجوعك من نواكا
فيا قبر الحبيب وددت اني ... حملت ولو على عيني ثراكا
سقاك الغيث هتاناً والا ... فحبك من دموعي ما سقاكا
ولا زال السلام عليك مني ... يرف مع النسيم على ذراكا

وبعد ان فرغ الامير حمزة من انشاده وقع مغشياً عليه فرشوا على وجهه الماء وامر السلطان سعد ان يرفعوا عمه المائت ويدفنوه في التراب وان يذبح على قبره النوق والاغنام وعزى الجميع الامير بولده وكان بديع الزمان كذلك قد بكى كثيرًا وناح على اخيه وبعد ان دفن الميت في الارض تفرق كل واحد الى صيوانه يطلب المبيت والراحة الى اليوم الثاني . واما طهماز فانه رجع مسرورًا فرحاً بفوزه ذاك النهار فلاقاه الخوند بالترحيب والاكرام وقبله بين عينيه وقال له لا تزال بركتي تنحط عليك وعنايتي تحيط بك وتكسوك الفوز والظفر . قال اني اعرف ذلك واخدمك من كل قلبي وسوف ترى اني لا ارحل عن هذه الارض وللعرب ذكر يذكر وكان افرح الجميع بختيار اللامين الغدار وقد شكر كثيرًا من طهماز ومدحه وقال له انك فعلت في هذا النهار عظايا وقتلت سيدًا كريماً وفارساً جبارًا واسداً كرارًا على انه من قديم الزمان لم يقتل من العرب فارس بل هم فائزون منتصرون لكن الاله لم يأت لهم بمن هو مثلك فجوزيت خيرًا ومتى

قتلت الامير وابنه الاخير واسمه بديع الزمان ملكنا معسكر العرب برمته وفعلنا بهم كيف اردنا . قال سوف ترى مني العجائب ولا بد من ذبح الامير حمزة وكل من يحمل حساماً ويقاومني في معسكر العرب

وباتوا تلك الليلة الى ان اشرق نور الصباح فاصطف الصفان وترتب الفريقان وفي الحال برز طهماز الى ساحة القتال وطلب البراز فصدمه بالكان المطال ليأخذ لنفسه بالثار ولم يكن الا القليل حتى اشتبك الاثنان وتبودل بينهما الضراب والطعان وجرى بينهما ما يشيب عنده الاطفال . وكثر عليهما القيل والقال . وهما في احر لهيب واشتعال . واعظم براز ونزال . الى ان كاد ينقضي النهار ويقبل الليل بظلام الاعتكار وحينئذ تمكن طهماز من بالكان وضربه بالساطور على كتفه فقطعه الى حد الخاصرة فوقع قتيلًا وفي دمه جديلًا ورأى الامير حمزة ذلك فطار صوابه وغاب وعيه فصاح وارتمى على طهماز ابي الساطور وتبعه فرسان العرب باجمهم ورأى بختيار ذلك فخاف على طهماز فامر العساكر ان تحمل حملت واشتبك القومان من كل ناحية ومكان وقام سوق الحرب والطعان . وكان لهم ساعة تشيب الولدان وتقهر الفرسان غير ان الظلام فرق بين القومين فرجعوا الى الخيام واخذ العرب قتيلهم وهم بحزن زائد وكدر عظيم ولاسيا الامير حمزة فانه فقد ابنه فلطم على خديه وناح كثيرًا وفعل على بالكان اكثر مما فعل على رستم ومن ثم دفنوه بالتراب وعم الحزن على جميع فرسان العرب . ووقع الرعب في قلوبهم والخوف وحسبوا لطهماز حساباً عظيماً وتمنى كل واحد منهم ان يقع في يديه ليعدمه الحياة

واما طهماز فرجع من ساحة القتال بعد ان شفى غليله من العرب فلاقاه بختيار وترحب به وادخله على الخوند فتقدم منـــه وقبل يديه فقال الخوند هل رأيت كيف اني وفقت عملك ومنحتك الفوز والنصر على اعدائك الذين دفعتهم اليك تفعل بهم ما تريد فليكن موً كدًا عندك ان جميع من في العرب لا يقدر ان يفلت من يدك قال اعرف ان ذلك ببركة قدرتك لا بقدرتي ولا بشجاعتي وفي اثناء السهرة قال بختيار يلزم في اليوم الآتي ان تحمل كل الفرسان على العرب ويزحف قــوم

طهماز فنقتل فيهم مقتله عظيمة لان الخوف قد وقع في قلوبهم دون شك وفي بعد الغد نرجع الى البراز فامر الخوند بذلك فلم يمانع ابو الساطور وباتوا تلك الليـلة ينتظرون الصباح الى ان وافاهم ناشراً جناحي نوره على البسيطة شرقاً وغرباً جنوباً وشمالاً وحينئذ ضربت طبول القتال . وتقدمت الابطال والرجال الى ساحة المجال وكان في نية الامير حمزة في ذاك النهار ان يبرز الى طهماز ليأخذ لنفسه منه بالثار فلم يتيسر له لان عساكر الخوند حملت باشارة من بختيار وحمل معها الرجال الكلبيون فلاقاهم العرب بقلب اشد من الصوان وقد اتسع عليهم الميدان وفرحوا بالحملة ولا سيا بديع الزمان والامير حمزة البهلوان . وباقي الفرسان من العربان . وقد انقسموا الى كل ناحية ومكان. وما برح القتل يعمل . والدم يبذل . والرجال تقتل ونيران الحرب تشعل . حتى سبحت الخيول ببحور من الدماء وكحلهم غبار القتال بميل العمى . ونزل على الفرسان سيف المحاق . ودار بهم عزرائيل وحاق . وجمع ماله من الجنود والرفاق ليسرعوا بقبض الارواح . واخراجها من الاشباح . ومع ذلك فلم يقدروا ان يقوموا بالمرغوب . ولا وفوا حق الواجب المطلوب . لان بديع الزمان كان يسبقهم في هـذا العمل ويرسل بالقتلى والجرحى الى البسيطة فتدوسها ارجل الخيل وينزل عليها سلطان الدمار والويل . ومثله الامير حمزة البهلوان فانه فرق الفرسان وشتتها في كل ناحية ومكان وحمى قومه من قوم الخوند وقوم طهماز الكافر الخوان . وكان ذاك اليوم عظيم الشان . لم يسبق ان سمع بمثله في قديم الزمان لا بين الانس ولا بين الجان ولم يكن فعل اندهوق ابن سعدون والمعتدي حامي السواحل وباقي السادات . اصحاب الشجاعة اقل من فعلهما . فقد بذلوا المجهود . وقاتلوا قتال الاسود . ولولا وجود طهماز لأنهوا الامر في ذاك اليوم ولا تركوا محلاً للقوم بل ارجعوهم الى المدينة يعضون البنان ويحلفون على القتال الى آخر الزمان . غير ان طهماز ثبت ثبات الابطال بساطوره واستطال وهو يضرب به تارة الى اليمين وطوراً الى الشمال . الا انه كان وحيداً بين رجال الخوند فلم يقدر ان يؤخر نجاح العرب الكثيرين وما جاء المساء حتى تاخر عسكر الكفار

الى الوراء . وقدذاقوا كاس العذاب والبلاء . وماصدقوا انسعموا طبول الانفصال حتى تركوا الحرب والقتال .واسرعوا الى الخيام . مستترين تحت اجنحة الظلام . ورجع العرب وقد شفوا غليلهم في ذاك اليوم من علة الانتقام . ودخلوا الخيام . وطلبوا ان يدوم القتال على هذا الحال في كل صباح فيفنوا الخونديين والكلبيين باقرب آن . واما طهماز فانه رجع الى معسكره وهو غارق بالدماء متكدر من قتال ذاك النهار وقد رأى النقص وقع برجاله ورجال الخوند فاخذ يلوم بختيار وقال ليس من الاصابة اتباع رأيك فقد قتل منا في هذا النهار كثير ولولا حكمة الخوند الهنا وبركته تساعدنا لما رجع منا احد من ساحة الميدان . قال الخوند اني اردت ان اترك العرب تتقدم فتطمع نفوسها وانا اخاف ان يهربوا منك بعد ان رأوا ما رأوا من شجاعتك الا انهم الان قد رأوا باباً للفوز فيتأملون به ويثبتون الى ان يفنوا عن اخرهم واحداً بعد واحد . ففي الصباح ابرز انت الى ساحة المجال . واقتل لنا اولئك الابطال . قال سوف ترى بعينك ما تعرفه بسابق معرفتك وتدركه بعظيم حكمتك

قال وبات العسكران يتحارسان تحت مشيئة الرحمن . الى ان لاح بصيص نور الصباح فهب المتقاتلون من مراقدهم وتقدموا الى الساحة ليروا ما يكون من قتال ذاك النهار . غير ان طهماز سبق الجميع وطلب البراز وصال وجال . ولعب بساطوره وطال . وقبل ان يتم عمله صدمه الامير حمزة صدمة جبار . لايصطلى له بنار . وانحط عليه انحطاط الاقدار وارسل اليه ضرباً يلهب كشعلة نار . وطعناً يحرق الماء ويجفف الاشجار . وكان القتال بين الاثنين عظيماً . والضراب كثيراً جسياً . وقصد الامير حمزة ان يشفي غليله في ذاك اليوم من طهماز فلم يقدر على ذلك ولا تمكن منه لانه كان يقاتل بالساطور وطوله خمسه عشر ذراعاً فيضرب به عن بعد ويصل من خصمه قبل ان يصل خصمه منه فاذا بعد ضرب واذا اقترب ضرب ودام القتال بين الاثنين . بما اندهشت منه كل عين . واحدق به كل واحد من العسكرين الى ان قرب الزوال . وحينئذ وصل راس الساطور من راس

الامير فشقه وجرح جرحاً بليغاً غاب به عن الصواب فعانق جواده واراد طهماز ان يكمل عليه فكان الجواد طار في جهة يمين العساكر وشغله هجوم بديع الزمان وباقي الفرسان ٠وقد خافوا على الامير وتوهموا انه قتل لان ضربة الساطور تكون عظيمة جداً وثقيلة فلا تبقي على المضروب . فاشتد القتال وعظمت الاهوال ٠ وجرى الدم وسال ٠ وكثر القيل والقال . وكانت ساعة يا لها من ساعة . يشيب لها الطفل في الرضاعة . وبقي القتال ٠ الى ان مضى قسم من الليل . وحينئذ رجعوا الى الوراء وطلب كل واحد منازله والخيام وافتقد العرب الامير فلم يقفوا له على اثر فخافوا ان يكون قد وقع وداسته حوافر الخيل فارسلوا العيارين تفتش القتلى على نور القناديل وفي مقدمتهم عمر العيار فطافوا كل تلك الساحة وقلبوا المقتولين واحداً واحدا الى ان اشرق الصباح دون ان يروا جثته فرجعوا واخبروا بديعاً فعلم انه لم يقع الى الارض وان جواده اليقظان خلصه من بين يدي خصمه وانسحب فيه من الميدان لئلا يقع من الزحام بين ارجل الخيل فيداس

وكان افرح الجميع بختيار وقد ظن الامير حمزة قد قتل من تلك الضربة وكذلك الخوند وقومه واخذ بختيار في ان يهني كسرى انو شروان بالرجوع الى الاوطان والخلاص من تلك المهاجرة الطويلة المدة فقال كسرى انى اعرف من ضميري ان حمزة لا يموت واذا رأيته بعيني ودفنته بيدي تحت التراب لرأيته في ثاني الايام في ساحة الميدان فكأن الارض لا تقبله وليس للموت سلطة عليه وسوف نرى انه جاءنا فوق ذاك الجواد كانه طود من الاطواد ٠ ولا يرجع عنا حتى ينال منا المراد . فقال لا بد ان يكون لحق بابنه وحفيده وقد شاهدت الضربة بعينك وهل بعد العيان من خبر فسكت كسرى وفي قلبه لهيب النار

قال وعند الصباح برز طهماز الى ساحة القتال وصال وجال وطلب البراز والنزال فما اتم كلامه حتى فاجأه بديع الزمان مفاجأة القضاء والقدر . وانحط عليه بضرب مثل زخ المطر واسرع من لمح البصر . واشتبك الاثنان ٠ بالحرب والطعان ٠ وارتفع فوقهما الغبار الى العنان . وحجبهما عن العيان . حتى لم يعودا ينظران في

الميدان . وهما في ضرب يفك الزرد النضيد . وطعن اشد من الشديد . وحينئذ تمكن طهماز بضربة ساطور وقعت على بلهيع جرحته جرحاً بليغاً واراد ان يكمل عليه واذا بفارس قد هجم وصاح ويلك لقد جاءك الامير حمزة البهلوان مذل الانس والجان . من ليس للموت عليه قوة ولا سلطان . بقوة العزيز الرحمن . وانحط عليه انحطاط الصواعق وبرم في يده الدبوس وضربه فيه فوقع في صدره القاه الى الارض وقبل ان يتحرك يميناً وشمالاً كانت قد انحطت عساكر طهماز لتخليصه . فالتقاها العرب بقلوب اشد من الصوان وهي بمزيد الفرح عند ما رأت اميرهـا وشاهدت عدوها وقد وقع الى الارض وباسرع من لمح البصر التطم البحران واصطدما وازبدا واحتدما وغطاهما بريق السيوف اللامعة وانحجبت عنهما انوار الشمس الساطعة فقامت القيامة وكثرت الندامة وقلت السلامة وانتشر للفناء اوسع علامة واشفت العرب غليلها في تلك الساعات القليلة فجودت الطعن والضرب واضرمت من كل ناحية نيران الحرب فاحرقت الفرسان . وذهبت بارواحهم الى عالم الخسران . وتركت اجسادهم عرضة لانياب الديدان وما اقبل المساء حتى قتل من قوم طهماز والخوند عدد عظيم فتأخروا الى الوراء والعرب تضرب باقفيتهم الى ان اوصلوهم الى الخيام وهناك زاد تقدم الظلام فحكم على العرب بالرجوع الى الخيام فعادوا بعد ان اشفوا الغليل واطمان قلوبهم من ادمية اعدائهم وكل منهم يتحرق ويتشوق الى قتل طهماز وحرقه بالنار

قال وبعد ان تناولوا الطعام اجتمع الفرسان في صيوان اليون شاه منتظرين صدور امر السلطان والامير بموت طهماز وقتله ليأخذوا بثار الامير رستم وبالكان الهطال ومن ثم امر الامير عمراً ان ياتيه بالاسير فاحضره مقيداً بالاغلال مربطاً بالحبال يقوده الشاه ذنب كما يقاد البعير ولما صار في الوسط نظر اليه الامير بعين الانتقام والبغض وقال له لقد آن اوان موتك وهلاكك لانك تعديت وقتلت اعز الناس عندي وحرمتني اولادي وتركتني باقي عمري حزينـاً كئيباً انزل الى القبر مجروحاً مقهوراً وسأحرق جثتك بالنار واذري برمادها في القفار . قال انك

لا تقدر على هذا العمل ايها الامير لانك جبلت على العـدل والانصاف وتعرف حقوق الناس وان كنت قد قتلت لك ولدين فقد قتلتهما في ساحة الميدان وليس في تلك الساحة ظلم ولا غدر ومن يقتل يقتل بيومه واما انت اذا قتلتني يكون قتلك لي في سبيل الغدر والخيانة لانك جئتني وانا احارب بديع الزمان وضربتني غدرًا وانا تعبان من البراز لهذا لا تكون انصفتني واني لا اطلب اليك عفواً ولا ارجو سلامة بل ارجو ان يقال اني قتلت من خصمي في ساحة المجال ولا يقال اني قتلت من الامير حمزة البهلوان غدرًا وظلماً فاذا اردت ان تنصفني سلمني ساطوري واتركني الى اهلي وفي الصباح لاقني الى ساحة المجال فاذا قتلتني تكون قد فعلت فعلًا عظيماً وعرف الكبير والصغير انك قاتل طهماز والا فتكون دوني في الحروب والقتال . فلما سمع الامير هذا الكلام خيل لعقله انه صواب فامر في الحال ان يسلم اليه ساطوره ويطلق سبيله فعارضه السلطان في ذلك وقال له نطلق سبيل عدو قد اهلكنا وقتل اعظم فرساننا وجرحك انت وبديع الزمان الذي لا يزال ملقى على فراشه لا نعرف حاله فدعنا نقتله فينقضي الامر وننذل الخوند وتنتهي هذه الحرب فقد طال المطال علينا ونحن حول السبائل وكذلك باقي الفرسان فما من سكت ولا وافق بل تكدروا وغضبوا وبربروا وكثر بينهم القيل والقال وقالوا للامير اننا لا نسلم باطلاق هذا العدو الشديد الحيل بعد ان وقع بايدينـا فهل مرادك ان يعود الى ساحة القتال ليقتل منا من بارزه ونعود فنندم على ما فات فدعنا نقتله الان والا فنخرج عن طاعتك ونحكم بانك غير مصيب في مثل هذا العمل . وكان الامير حمزة كثير الحمق سريع الغضب كما تقدم معنا في وقتـه فاغضبه هذا الكلام وقال اني لا اطلب الى احد منكم ان يبارزه بل سابارزه بنفسي فاما ان اقتله واما ان يقتلني ولا بد لي من اطلاقه قبلتم او غضبتم . ثم نهض اليه واطلق سبيله بيده وامر عمرًا ان يرجع اليه ساطوره فما صدق طهماز ان ملك على الساطور حتى اخذه وسار الى قومه فرحاً مسرورًا بالخلاص مؤملًا انه سيقتل فرسان العرب جميعاً

واما ما كان من الامير فانه خرج من الصيوان غير مبال بما فعل وترك فرسان العرب في قيل وقال وهم مغتاظون من الامير يتشاورون في بعضهم ما يفعلون وجاء الى صيوان ولده بديع الزمان فوجده يتألم ويتوجع وعنده بزرجمهر الوزير يضمد جرحه ويضع عليه المراهم فقال له ان الجرح بليغاً مخطراً غير ان الامل به تعالى ان تكون عاقبته السلامة فتكدر الامير من هذا الخبر وخاف على بديع الزمان لانه كان يحبه محبة عظيمة ولم يبق لهسواه فلم يقدر على الكلام واسودت الدنيا في عينيه وضاع وعيه وفقدصوابه وانطرح على كرسي حزيناً يئن من الخوف نحواً من نصف ساعة ثم عاد اليه صوابه شيئاً فشيئاً . وفيما هو على مثل ذلك واذا بالامير عمر دخل عليه وقال له انهض يا حمزة وعِ الى نفسك فما عاد لك اقامة في المعسكر فقال لماذا قال لان السلطان وباقي الفرسان حكموا بانك خرفان وثبت عندهم لم تعد تصلح لشيء وان باعمالك توقف نجاحهم فقال دعهم يقولون ويفعلون ما يريدون فان شغلي الان النظر في امر ولدي بديع الزمان فان جرحه عظيم ولا اعرف كيف افعل به وقد اصاب الفرسان في رأيهم حيث تركت طهماز وكان من اللازم ان آكل لحمه واحرق عظمه . فقال عمر اريد ان اسألك يا اخي عن سبب غيابك وشفائك لانك جرحت جرحاً اعظم من هذا الجرح ورجعت في الحال فمن الذي شفاك وعالجك . قال فلما سمع الامير كلام عمر كأنه انتبه الى نفسه فنهض واقفاً في الحال وقال لقد ذكرتني شيئاً انستني اياه حوادث هذا اليوم ولا بد ان الذي داواني يداوي بديعاً فيشفى في الحال قال من الذي داواك وفي اي مكان . قال هو قريب من هذه النواحي وذلك ان جوادي اليقظان طار بي في البراري وانسحب من ساحة الميدان لماشعر اني موجوع ومجروح وقد عانقته وبقي سائراً بي الى ان اوقفني عند سفح الجبل وهناك انتبهت الى نفسي وشعرت بالالم فتركته ورميت نفسي الى الارض وانا في يأس من الحياة ولم اعد اقوى على الوقوف فجعلت اصلي الى الله ان يتقبل نفسي وفي كل ظني اني مائت وفيما انا اودع الحياة والجواد الى جانبي اذ خرج لي من مغارة في سفح الجبل غلام امرد لم ينبت الشعر

بعارضيه يلبس لباساً بهياً لامعاً وملثماً بلثام رقيق يكاد لا يخفي هيئته تماماً ولما رآني مال اليّ وصاح كأنه يعرفني وتقدم مني فرآني اتألم فقال ما الذي اوصلك الى هنا فلم اقدر على الجواب بل اشرت الى جرحي اني متألم منه فقال ان دواءك عندي ثم رجع الى المغارة وعاد اليّ ومن خلفه شيخ كبير بلحية بيضاء كأنها الثلج وعند ما قرب مني دل بيده عليّ وتقدم الاثنان وحملاني الى داخل المغارة ووضعاني على فراش من النعام واخذ الشيخ جراباً واخرج زجاجة وقدحاً وسكب منها فيه بعض نقط وسد الزجاجة واخرج غيرها وهكذا حتى ركب لي مرهماً من عدة زجاجات وحالما دهن به جرحي شعرت بأني في راحة كبرى ولم اعد اتألم قط فنمت نوماً عميقاً الى هذا الصباح فاستيقظت واذا بالغلام نائماً في الفراش الى جانبي وقد وعيت الى نفسي تماماً ومددت يدي الى الجرح فلم اشعر به بل شعرت باثاره فزاد تعجبي ثم استيقظ الغلام وقال لي انت حمزة العرب قلت له نعم انا حمزة العرب فمن اين تعرفني قال اتذكر اني رأيتك من زمان طويل في المدائن عندما عزمت ان تتزوج بمهردكار فزاد عجبي من كلامه لانه على ما يظهر لي انه دون العشرين سناً فكيف يكون رآني قبل ان ولد غير اني سكت ولم ارد ان اعترضه بل اخذت اشكر من فضله وامدحه على غيرته وقد مال قلبي اليه كل الميل لانه خلص حياتي من الموت واحياني من بعد قطع الامل واليأس . ثم قال لي ان ما عملته هو مفروض عليّ عمله واني لما رأيتك على هذه الحالة عرفتك فلم اعد اتمالك نفسي عن ان اخدمك واموت بين يديك فدعيت بابي لعلمي انه من ابرع الاطباء فداواك حتى شفيت والان اريد ان اسألك عن زوجتك مهردكار بنت كسرى انوشروان هل لا تزال في قيد الحياة لاني خرجت من المدائن منذ اكثر من خمسين سنة وانا اتسوح في البلاد واخيراً اقمت عند هذا الشيخ . فلما سمعت منه ذلك لم اقدر امنع نفسي عن البكاء فبكيت وقلت للغلام لا تذكرني بما مضى فقد مضت سعادتي . وغابت راحتي منذ يوم فراقها وهجرت الدنيا زماناً طويلاً ولو لم يقبض عليّ كسرى ويضعني على المصلب مدة مديدة ويطلب هلاكي لما رجع

العرب اليّ وعدت الى الدنيا فوا اسفاه على ذاك الحسن البديع واحسرتاه على تلك الحكمة العجيبة وذاك الادب النادر المثال وقد منعت على نفسي من بعدها النساء وان لا اجالسها او ادنو منها وكنت اتكلم والغلام يبكي كانه شريكي في الحزن ثم قلت له بالله عليك ان تخبرني ايها الغلام كم هي سنو عمرك لانك لاتبلغ العشرين وتزعم انك تركت المدائن منذ اكثر من خمسين سنة قال ان امري عجيب ولا يجب ان تسأل عن هذا الامر وسأحكي لك اياه في غير وقت لان الله سكب عليّ من مراحمه ثياب الجمال فلبستني ولم تنفك عني وربما لا تنفك الى الممات ولي حديث غريب ويهمك ان تعرفه لاني من الآن وصاعداً ما عدت افارقك وسأقيم عندك باقي عمري حتى اموت وجل ما اريده منك الآن ان تخبرني بما جرى لك وما الذي اوصلك الى هذا المكان وكيف وجدت جريحاً في البرية فحكيت له قصتي بالاختصار وقلت له اذا شئت هلمّ الآن لنذهب الى المعسكر لاني اخاف على فرساني من طهماز فاستشار الغلام اباه فقال له لا يجب ان ننتقل من هذا المكان فليذهب الامير الى معسكره ومن ثم يأتي الينا في غير يوم فاننا مقيمون بانتظاره في هذه البراري الى ان يعود فيأخذنا واننا نسير اليه . وعليه ركبت جوادي وعدت فوجدت طهماز قد جرح بديعاً وجرى ما جرى فهلمّ الآن واحمل بديع الزمان وسر بنا الى ذاك المكان لنداويه كما تداويت واني اشتاق الى ان انظر ذاك الغلام فقد ذكرتني امراً نسيته

قال وحينئذٍ حملا بديع الزمان وخرجا من ذاك الصيوان دون ان يعلما احداً بما جرى وما كان ولا زالا سائرين حتى وصلا من لحف ذاك الجبل فتقدما من تلك المغارة واذا بالشيخ جالساً في صدرها وبين يديه نور وهو يصلي لله والغلام نائم الى جانب الفراش بثيابه ولثامه فتقدم حمزة من الشيخ وسلم عليه وبعد ان فرغ من الصلاة اجابه على سلامه وترحب به وسأله عن سبب عودته بالليل حالاً فاخبره بالقصة وما كان من امر ولده بديع الزمان وانه جاء به ليداوي جرحه لانه خطر فقال له حباً وكرامة وكان الغلام قد سمع الكلام فاستيقظ من نومه ولما رأى

الامير حمزة وعمر سلم عليهما ونظر في بديع متعجباً من امره وسأل حمزة عنه فقال
هذا ابني بديع من الاميرة سلوى وهو افرس فرسان العرب وليس له من ثاني بين
كل بني البشر غير ان طهماز جرحه في فخذه واخبرني طبيب العرب ان جرحه
خطر ولذلك جئت به في هذه الساعة الى ابيك على امل ان يداويه والله يجازيه
عني خيراً . فقال له حباً وكرامة فانت سيدنا واليك مرجعنا وان خدمتك واجبة
علينا لانك تقاتل في دين الله ومن ثم تقدم الغلام من بديع الزمان فحل رباط جرحه
وقال هلم يا ابتاه فان الجرح عميق قال على الله الشفاء واني باذن الله اشفيه ثم ركب
المرهن وامر الغلام ان يغسل مكان الجرح بالماء ففعل فدهنه وضمده وربطه الى
ان اشرقت الشمس وحينئذٍ نام بديع لما ارتاح فامرهم الشيخ ان يتركوه وقال
لهم لا ريب انه ينهض من منامه يكون مرتاحاً هادياً فاطمأن فكر الامير وجلس
ينادم الغلام وهو مسرور منه منعطف اليه لا يرفع نظره منه ولما عمر العيار حالما
نظر الغلام تذكر كلاماً كان قد سمعه من اسما بري فسكت ولم يبد كلاماً وعرف
حقيقة ذلك الغلام وصبر ولم يرد ان يسميه لاخيه قبل ان يظهر نفسه وكان فرحاً
جداً به وفي اثنآء النهار قال الامير حمزة لعمر اذهب الى العرب وانظر لي ماذا
جرى عليهم وكيف صار بهم فذهب في الحال

قال فهذا ما كان من هولاء . واما العرب فانهم نهضوا في الصباح وسمعوا
طبول الحرب والكفاح تضرب من كل جهة وناح فاسرعوا الى خيولهم فركبوها
وكان بفكرهم ان الامير يبرز الى خصمه فلم يبرز وعرفوا انه ذهب عنهم واخذ
بديعاً فلم يتكدروا من ذلك لكنهم وقفوا ينتظرون القتال وكان طهماز في ذاك
الصباح ركب وجاء الى الخوند يطلب البركة والرضاء . فقال له اذهب وقاتل
الاعداء فاني انصرك عليهم واذا وقعت بايديهم بعثت بملائكتي فتحل عليهم الم
ترَ وقد الهمت الامير حمزة في الغد ان يطلق سراحك مع انك قتلت ولده وحفيده
وانزلت به العبر . فقبل يديه وتقدم الى وسط الميدان فصال وجال ولعب بجواده
على اربعة اركان الميدان . ثم وقف في الوسط ولعب بساطوره ونادى الفرسان

لتبرز اليه فتوقفت ولم تبرز وما منهم من قدر ان يحرك ساكناً فناداهم الشقيق بن سعدون وقال ويلكم انتم تقولون ان الامير حمزة خرفان فان لا لزوم لطاعته فهلموا ابرزوا ان كنتم من الفرسان وتستغنوا عن حمزة البهلوان وكان يقول ذلك وما فيهم من يبرز الى الميدان ولا يجب طهماز الى نداه ومن ثم التفت الى قاسم وقال له لما لا تبرز ايها الامير وتكفينا شر هذا العاتي قال كيف تقول لي اني ابرز وتركت باقي الفرسان على اني لا ارغب في البراز قال قلت لك لعلمي ان لك ثار عليه لانه قتل اخاك واباك قال اعرف اني اذا برزت اليه يقتلني قال فاذاً لا تذكر نفسك بين الفرسان ولا عدت تقاوم بديع الزمان ولما رأى اندهوق تأخر الفرسان تناول رمحه واطلق لفيله العنان فخرج يهدر كانه الغول وصدم طهماز صدمة جبار عنيد واخذا في القتال والصدام والافتراق والالتحام والكر والفر والقرب والبعد حتى ظهر منهما الغرائب وابديا العجائب وثار فوقهما الغبار وحجبهما عن الابصار وداما على مثل هذا الشان مقدار ساعتين من الزمان واخيراً تعب اندهوق وكل ومل وضعف عزمه من قتــال طهماز وخاف ان يلحقه ضربة من ذاك الساطور الطويل فيعدمه الحياة وصبر الى ان افترقا للجولان فدار راس فيله وطلب الفرار فخرج الفيل من تحته يجري باسرع ما يقدر ويضرب رجليه بالارض فيسمع لهـا صوت كضرب طبل الحرب ورأى طهماز ان خصمه قد هرب فلم يستكن ولا تخلى عنه بل تأثره وسار خلفه على امل ان يدركه فيضربه ضربة مميتة ويعدمه الحياة الا انه ما تقدم الا القليل حتى ظهر من جانب البر رايات تخفق وسيوف تبرق وفرسان تتقدم وفي مقدمتهم فارس امرد لم ينبت الشعر بعارضيه له وجه كما القمر وعند وصوله من ساحة الميدان صاح صياح التهديد ونادى بعالي صوته مفتخراً بابيه وجده وقال بشراكم يا فرسان العرب فقد جاءكم نور الدهر ابن بديع الزمان ابن الامير حمزة البهلوان سيد الانس والجان وانحط نور الدهر الى وسط الساحة وصدم طهماز صدمة تتعتع الجبال وتهز الارض من سائر الجهات وهز الرمح في يده واطلقه مصوباً سنانه الى صدر عدوه فخرج كانه النجمة في الليلة الظلمة فوقع

في فسحة الصدر بين الثديين فخرق الحديد ودخل الى الصدر الى ان خرج من خلف ثم تناول السيف باسرع من لمح البصر وضربه بالسيف على وسطه براه كما يبري الكاتب القلم فوقع طهماز الى الارض قتيلاً وقد اختبط بدمه وفحص بقدمه وخرجت روحه في الحال

ولما رأى رجاله ما حل بهم وكيف قتل سيدهم صاحوا واسيداه وامصيبتاه وهجموا على نور الدهر وكان مع نور الدهر الامير ليث ومعه ثلاثين الف رجل من عساكر مدينة السجام فحملوا وحمل العرب بفرسانهم وهم فرحون بقتل طهماز ومسرورون بفعل نور الدهر ولم يكن الا القليل حتى اشتبك القومان وراج سوق الحرب والطعان . وفر الجبان . وطلب الاختفاء عن العيان . وتقدم الشجاع وبان غير خائف من الموت ولا وهمان . ورجع اندهوق بن سعدون واطلق فيله وداس الفرسان وقلبها على بساط الصحصحان . واما نور الدهر فقد اظهر العجائب وفعل الغرائب وفرق المواكب وبدد الكتائب وهو ينادي باسمه واسم ابيه وفرسان العرب تميل من خلفه كيف مال وتقتل في الرجال الكلبيين قتال الابطال وما انقضى ذاك النهار حتى تبددوا في ذاك القفار ولم يبقَ لهم في تلك الارض من اثار الا اجساداً مطروحة على الارض وادمية تجري كالانهار . ورجع نور الدهر برجاله والعرب بين يديه حتى دخل صيوان اليون شاه وقد التقاه السلطان سعد وقبله بين الاعيان وسلم عليه وافر السلام وبعد ان جلس سأل عن جده وابيه فحكى له سعد ما كان من امر جده والعرب وانه غاب عنهم في الامس مع ابيه . فقال كيف تفعلون ذلك وجدي سيدكم وله عليكم الفضل العظيم فقالوا فعلنا ذلك لانه بعد ان قبض على طهماز اطاقه ولنا عليه اعظم تار فقتل رجالنا فرتم عمك وبالكان المطال ابن عمك وجرح جدك وابك فهل اخطأنا في ذلك قال الحق بيدكم وانا اوافقكم على ذلك فلربما يكون جدي قد خرف او اصيب بعقله

وكان الخوند لما رأى طهماز قد وقع الى الارض قتيلاً ثبت عنده ان العرب ستفوز وتبدد شمل الكلبيين ومن ثم تدخل المدينة اذ بقي في خارجها ولذلك

اغتنم فرصة القتال ودخل في الاول ومن خلفه كسرى وبختيار وباقي رجاله وجعل يتبعه من بقي من رجاله وما جاء المساء حتى كانوا دخلوا المدينة فأقفلوا ابوابها واقاموا كما كانوا قبل مجيء طهماز

فهذا ما كان من هؤلاء. واما ما كان من الامير حمزة فانه صرف باقي ذلك النهار في المغارة عند الشيخ والغلام وقد ذهب عمر العيار الى معسكر العرب وشاهد ما كان وكيف ان نور الدهر جاء وقتل طهماز فعاد الى الامير واخبره بذلك فسر سرورًا لا مزيد عليه وقال الحمد لله الذي قتل عدوي واحد من نسلي وليس من فرسان العرب ليعرفوا انهم على الدوام يحتاجون الينا واننا آفة عظمى وبلية كبرى على المدائن اذا غاب احدنا قام مقامه الآخر ولا بد لي من المسير الى المعسكر في هذه الليلة لارى ما يكون من امرهم . وبعد ذلك بقليل استيقظ بديع الزمان من نومه وهو بكامل الراحة وقد نال جرحه الشفاء وعاد كما كان فشكر من الشيخ والغلام الشكر الجزيل وحمد الله الذي اعاد اليه الحياة وخفف عنه الآلام ثم سأل اباه عن حالة العرب فاخبره بما كان منهم وما فعل نور الدهر وكيف قتل طهماز وبدد شمل رجاله فنزل هذا الكلام على قلبه نزول الماء الزلال وتاقت نفسه الى مشاهدة ابنه . ومن ثم اراد الامير ان يسير الى العرب فاستأذن الشيخ وطلب اليه ان يرافقه فقال له هذا لا يكون لي ولا اقدر عليه ولا سيما ان منيتي قد دنت ولم يبق لي من الحياة الا ثلاثة ايام فأصرفها في الصلاة وفي اليوم الاخير اكون عندك لاسلمك هذا الغلام واوصيك عليه واخبرك بامره وقصته . وحينئذ سار حمزة ومعه ابنه وعمر العيار وكل فكره مشغل بذلك الغلام وكان يتمنى ان يرافقه الى المعسكر ويبقى عنده طول الحياة وهو لا يعرف سبب هذا الانعطاف والميلان وما زال سائرًا حتى وصل الى معسكر العرب في اول الليل فدخل وجاء صيوانه ولما صار في الوسط وقف الجميع على اقدامهم وقد اخذهم الحياء فأطرقوا بوجوههم الى الارض وما منهم من قدر ان ينظر في الامير لانهم وان كانوا يتهمونه اثناء غيابه بالحسدة وعدم الوعي لكنهم عند حضوره

يخافونه ويهابونه ولا سيا بديع الزمان. وبعد ان جلس الامير بقوا وقوفاً فقال لهم حمزة لم لا تجلسون فاجابوه كيف نجلس ولم تأمرنا بذلك . فقال كيف تنتظرون امري وقد عملتم على عصياني . فلم يجب احد منهم ومن ثم امر بالجلوس فجلسوا وهنأوا بديع الزمان بالشفاء ومن ثم تقدم نور الدهر من جده فقبل يديه وسلم عليه فقبله بين عينيه وقال له تقدَّم من ابيك وسلم عليه فقد عاد سالماً وانت لا تعرفه فتقدم من بديع الزمان وكان بديع كما لا يخفى من احكم رجال عصره واعقلهم فلم يظهر انعطافاً الى ابنه ولا مال اليه بل عندما اراد ان يدنو منه ويسلم عليه اوقفه وقال له تقدم اولاً وقبل يدي اسحق الظلماني الذي اهنته ولم تحترمه وهو من السادات الاماجيد فاذا رضي هو عنك رضيت انا والا فلا ارضى فخجل نور الدهر وتقدم من اسحق يترضاه فنهض ذاك اليه وقبله وقال له اني اسامحك على ذلك ولا اريد افكر بما فعلت معي فانت كولدي وشأنك عزيز عندي وبعد ذلك اخذ بديع الزمان ولده الى صدره وقبله بين عينيــه وفي نحره واجلسه الى جانبه وكذلك سلم على الامير ليث ومن معه وجلسوا يهنئون بعضهم بالسلامة وبالخلاص من طهماز ويفتكرون فيما يفعلون بالخوند لانه رجع الى الحصار واقفل الابواب فلم يروا اوفق من البقاء والتضييق الى ان يأذن الله بالفرج

قال وفي اليوم الثاني نهض الامير من نومه واول شيء لاح له هو شخص ذاك الغلام فجعل يفكر فيه وفي عذوبة الفاظه وطيب حديثه ومعروفه وكيف انه يرغب في ان يقيم عنده وجعل يفكر كيف يزعم انه كان في المدائن من زمن حضوره الى كسرى وهذا كان الموضوع الاهم الذي يفكر به ويلتفت اليه وكيف انه ذكره بهردكار مرات وحكى له عنها كانه يعرفها ولايخفى ان الانسان رهين النسيان ولا سيا مثل اميرنا صاحب هذه القصة فان كثرة الحوادث وتواترها تجعله ضعيف التذكار فضلاً عن انه من اعظم العالم تذكراً وتبصراً لا يقدر ان يعرف ذاك الغلام بعد ان قضت الايام بانه غاب عن عالم الوجود وابلت السنون شعار حوادثه وطردته عن الافكار ومع كل ذلك فان الامير من حين رآه لم يستقر باله على

راحة ولا اطاعه قلبه ان يصبر عن الاطلاع على حاله وعن كشف ذاك المعمى مع انه وعده بان يطلعه على قصته ويخبره بكل حوادثه واسباب وصوله الى ذاك المكان ولذلك دعا اليه عمرًا العيار وقال له اريد ان اذهب الى المغارة واشاهد ذاك الشيخ وابنه لانه اعجبني جدًا ومال قلبي اليه ولم يبق لي طاقة على فراقه ولا صبر على بعده فهلم الى ذاك المكان. قال اني ذهبت الى هناك في هذه الليلة وكان بودي ان اجتمع بذاك الغلام غير اني حالما دخلت المغارة وجدتها قفرًا لا انيس بها ولا جليس فتعجبت من ذلك وطفت البراري وفتشت في كل المغائر فلم ارَ لهما اثرًا ولذلك تراني حزيناً كئيباً لا اعرف اين ذهبا فانا مثلك ارغب في ان اشاهد الغلام واتبرك من صبوح طلعته وكان مرادي ان اقف على احواله لانه يزعم انه كان في المدائن حال دخولك اليها في المرة الاولى مع ان لانبات بعارضيه فاما ان يكون كاذباً في ذلك واما ان يكون كبير السن لكنه اجرد وان الطبيعة جعلته من عجائب المخلوقات فحكمت لرقة طبعه وحسن قلبه ان يبقى جميلًا كاملًا. فلما سمع الامير بغياب الشيخ والغلام شعر بانسلاخ قلبه وضياع عقله ولم يقوَ على الكلام مدة خمس دقائق. ثم سأل عمرًا ان يسير به في تلك الساعة الى المغارة ليرى بنفسه ويحقق ذلك واسرع الى جواده اليقظان فركبه وسار بين يديه عمر العيار ولا زالا في مسيرهما مقدار ثلاث ساعات حتى وصلا من المغارة فنظر الامير الى داخلها فرأى الارض قفرًا والمزار بعيدًا فلطم على خده وقال ما كان عهدي بأن الذي باداني بالمعروف والجميل يتركني وزاد به الحب الطبيعي الى ذاك الغلام عند ما تأكد فراقه وبعده وجعل قلبه يخفق بالرغم عنه وهو لايعرف لاي سبب يقوده قلبه الى الهيان بغلام مع انه لم يفكر بالغلمان طول عمره وقد تنزه العرب عن الدخول من تلك الابواب وان يقال عنها مثل ذلك. وبقي جامدًا صاغياً مقدار نصف ساعة وعمر يحاكيه ويحادثه ويسأله عن سبب جموده وهو لايبدي كلمة بل بالرغم على تصبره وعلى تجاهله الاسباب تدحرج الدمع على خديه وسال من مآقيه وتنفس الصعداء وانشد:

فؤاد به من فقد احبابه جمرٌ اذا ما خبت نيرانه هاجها الذكرُ
تغيبه الذكرى وتحضره المنى فصحوٌ ولاصحوٌ وسكرٌ ولاسكر
وقلب جريح حشوه لاعج الاسى وجفنٌ قريح بعد غزرٍ له غزر
بنفسي سحّار الجفون اذا رنا تبدد لعب الصب وانكشف الستر
تكلمني بين الوشاة لحاظه فاقضي بها وجداً واحيي ولم يدروا
وتشكو فتور الجفن خوف رقيبه فيوحي اليَّ الحظُ ما نفث السحر
تجافيت يا مولاي عني فخانني زماني وجاء السقم وانحرف الدهر
فقلبٌ ولاجسم وطرف ولاكرى وشوقٌ ولا قلب وليل ولافجر
اكاتم حسادي وعذاليَ الاسى ولو بحت بالشكوى للان لي الصخر
اساءت بنا الايام ظلماً فبرّحت ومابرحت من طبعها الظلم والغدر
ابى الدهر الا ان يكدر مشربي وهل نال من صفو الزمان فتىً حر
سأصرف نفسي الان عن كل مشرب وازجرها مهما يؤدبها الزجر
واقطع ايامي بحسن توكل وصبر على الايام ما امكن الصبر

قال وكان عمر العيار من حين رأى الغلام عرف من هو وادرك ما تحت ذاك الثوب وتذكر ما قالته له اسما بري عن مهردكار وانها لاتزال بقيد الحياة وثبت عنده انها هي نفسها وان ذاك الشيخ هو الذي داواها وابتاها عنده الى ذلك الحين واراد ان يكشف امرها الا انه امتنع لما رأى انها لاتزال مختبئة وانها ربما لاتريد ان تظهر ذاتها دفعة واحدة لا سيما وان الشيخ كان يداوي بديعاً وثبت عنده ان في اليوم الثاني او الثالث لا بد ان يخبر الامير عنها بقعتها ندبر . وفي مساء اليوم التابع خطر له ان ياتي اليها ويزورها ويظهر لها انه عرفها ويسلم عليها فلما وصل من المغارة لم يجدها فطاف كل النواحي دون الحصول على نتيجة فتكدر وعرف انها غابت من مدة او ربما جدّ لها حادث ألزمها ان تبتعد ولما يئس من اللقاء رجع الى المعسكر واقام فيه مشغل البال الى ان دعاه اخوه وجاء به الى ذاك المكان ولما سمعه ينشد تلك الاشعار ندم حيث لم يخبر اخاه من الاول المكان

وفر عليه ثقل الشوق وعرف ان القلب لا بد من ان يخطر الانسان وينبهه عن الحوادث في كل احوالها وان الامير قدقاده قلبه الى صحبة الغلام بالرغم عليهدون ان يعرف من هو وان ذلك بامر منه تعالى ولاح له بان يطلعه على ما سمعه من اسما بري غير انه رأى من المناسب كتمان هذا الامر لئلا يشغل الامير فيهجرالاهل والمعسكر اذا عرف انها بقيد الحياة ويدور يفتش عليها في الدنيا ولا سيما انه يلومه على كتمان الامر بعد ان وصلت الى يده . وصبر عالمًا انه لا بد لها من ان تعود وان تغيبها لسبب دون شك وعليه قال لاخيه لمَ هذا الولوع فان الغلام قد وعدك بان يرجع اليك ويأتي المعسكر ولا بد له من ذلك واذا لم يرجع فماذا يهمنا فهو غريب عنا وسافر مع ابيه ولدينا شيء اهم من كل شيء وهو النظر في امر مدينة السبائل فهلم بنا الى العود ومهما فعله الله فليفعل واني اخبرك ان الله سخر ذلك الشيخ ان يمر من هنا بالصدفة في حال جرحك وجرح ابنك ليداويكما وبعد ان قضى الغرض وشفيتما رحل الى حاله لانه ليس منا ولا لنا علاقة به . قال اني اشعر بالمعروف ولا اريد ان انكر جميلًا فعله معنا واحب ان يبقى الشيخ والغلام عندنا لاكافئهما . قال ان الجميل والمعروف لله سبحانه وتعالى فهو السبب وهو الذي يكافئهما . ومن ثم رجع الامير وعمر العيار الى المعسكر وكل منهما يفتكر بمعنى والاثنان يشغلان بامر الغلام ودخلا بين الخيام وجاء الامير صيوانه فدخله حزيناً كئيباً وصورة الغلام منطبعة في ذاكرته لا تغيب ابداً

قال وقد تقدم معنا مراراً ذكر البغض الذي كان لبديع الزمان في قلب قاسم ابن رستم وهو يرغب على الدوام في ان يقهره ويكيده ويتمنى له العذاب والموت الاحمر وقد زاد غضبه له ورغب في كيده اكثر من الاول عندما رأى نور الدهر وهو على جانب عظيم من الشجاعة والجمال كأنه ابوه في كل الخصال وقد اصبح الجميع الا قتل طهماز وخلص العرب من الخوف الذي لحق بهم من ذلك الساطور خطر له اي لقاسم ان يسعى في هلاك نور الدهر وموته وبذلك يكون شفى علة البغض الواقعة في قلبه وقد راى ان من الواجب ان يعذب بديع الزمان

ويكيده ويتركه حزيناً طول حياته فضلاً عن ان يكون قد قتل عدواً جديداً ايضاً لان بغض الاباء يتصل بالبنين كما ان حب الاباء يتصل بالبنين وجعل يفكر في كل امر من امور الخداع والحيل الى ان راى نور الدهر ياتي الى بيته في اكثر الاحيان وهو لا يعلم بما كان بينه وبين ابيه ولا يعرف شيئاً من تلك العداوة وجل ما يعرفه ان قاسماً ابن عم ابيه وكان لقاسم بنتاً جميلة المنظر بديعة في الحسن ولدت له من زوجته بنت الخوند فمن جرى تكرار النظر اليها علق بها نور الدهر فكتم في بادئ الامر حاله حتى عرفه قاسم فقال في نفسه لقد وجدت الحيلة ولا ريب انه اذا علق ببنتي يأمن لي فيمكن لي ان ارمي به في المهالك ولذلك قال لزوجته ان نور الدهر قد علق ببنتي هند ومال اليها ومن الوجب ان تتحببي اليه وتكرميه لانه بديع الصفات كريم الآباء ولا اقدر ان امنعها عنه . فقالت اني على كل حال اكرمه واعزه كأعز الناس عندي لانه من الفرسان الصناديد فضلاً عن انه من اقارب زوجي فكن براحة بال

ولم تكن تعلم ارادة زوجها وماذا يضمر وذاك الوقت صارت تكرم نور الدهر وكذلك البنت وهو غارق ببحر الهوى ضائع الفكر والقوى ودام على هذه الحال عدة ايام وليال والامير قاسم صابر عنه ليزيد بركونه اليه وكي لا يعرف الناس انه يريد له شراً بل يألفون على ان يروه دائماً داخلاً وخارجاً وما زال على ذلك الى ان كان ذات يوم اجتمع به وقال له انك بدون شك فارس صنديد وبطل مجيد واحب لديّ ان اراك تقاتل الفرسان لانظر هل انت اخف من ابيك بين الابطال لانه نادرة المثال لا نظير له بين الرجال قال وانا كذلك ارغب في القتال لكن من حين وصولي الى المعسكر لم يقم القتال ولا رأيت موقعة جرت بين العرب واعدائهم لاظهر لك اعمالي غير ان الزمان طويل ولا بد ان ترى افعالي وتشاهد قتالي وتعرف ما هو الفرق بيني وبين ابي . قال اريد ان اذهب انا وانت على الدوام في البراري والقفار وندور حول المدينة عسانا نجد شرذمة من الفرسان فنهجم عليها ونبيدها عن آخرها ولا ندع احداً يتحرك في كل هذه النواحي قال

افعل ما بدالك فاني لا اخالف لك مقالك

قال وصبر الامير قاسم مدة يومين . ثم طلب الى نور الدهر ان يركب ويسير معه الى ضواحي المدينة فركب وسار غير مخبرٍ احداً حتى خرجوا عن المعسكر وطافوا الى خارج البلد وفيما هم بعيدون مقدار نصف ساعة رأوا قوماً من جماعة الخوند يبلغ عددهم الخمسة آلاف نازلين في تلك الجهة فصاح الامير قاسم في نور الدهر وقال له هؤلاء الاعداء فاهجم عليهم وارني اليوم فعلك فيهم واني سأساعدك في القتال وفي الحال هجم الاثنان واطلقا العنان . وقد اشهر كل واحد سيفه ولما رأى جماعة الخوند هذين الفارسان حملا عليهما وقد ثبت عندهما انهما من الاعداء واشتبك القتال بين الفريقين وكان نور الدهر يطعن في الصدور ويرسل بالفرسان الى القبور وينزل عليهم قضاء الله المقدور وما برح على ذلك مقدار ساعة من الزمان حتى ثبت لقاسم انه التهى بالقتال وقد وقع وكثر عليه الزحام فخطر له ان يدنو منه ويضربه بسيفه فيقتله ويفر من امام الرجال ويرجع الى المعسكر ولذلك تقدم منه واشهر بيده الحسام وضربه به غير ان نور الدهر كان ينتبه الى نفسه في وقت القتال لا يغفل عن النظر الى ورائه وامامه وجانبيه ويدور بجواده كما الدولاب فرأى الضربة من قاسم واقعة عليه فاستتر منها وصاح ما هذا يا عماه انا نور الدهر فصاح المعذرة فاشكر الله الذي لم تصبك الضربة لاني عميت من كثرة القتال فلم اعد اعرف الاعداء من الاصدقاء فكن على الدوام بالقرب مني فتركه نور الدهر ودام على القتال وفي تلك الدقيقة وصل الامير حمزة وبديع الزمان وبعض فرسان العربان فهجموا وباشروا الطعن والضرب وابلوا الاعداء بالويل والكرب ولما رأى قوم الخوند ذلك ولو الادبار واركنوا الى الهرب والفرار واجتمع الامير بديع الزمان بابنه وسأله عن سبب غيابه فقال كنت في القفار مع الامير قاسم فرأيت هذه الشرذمة فاردت ان ابيدها ولو لم تحضروا لفعلت ذلك لاني اهلكت الكثير منهم قال اني اوصيك من الان وصاعداً من الامير قاسم فهو عدو الد يريد قتالك وقد شاهدناه عن بعد يحاول قتلك وهلاكك وضربك بالسيف قال

انه غلط عني فظنني من الاعداء وقد اعتذر اليَّ عن ذلك

قال وكان السبب في حضور فرسان العرب هو ان عمراً اذا العين الخارقة الذي لا يغيب عنه شيء رأى قاسماً ونور الدهر على اتفاق وعلى الدوام مع بعضهن فجعل يراقبهن وفي كل ظنه ان الاول لا بد ان يغدر بالاخر غير انه كان يعرف انه لا يمكن ان يغدر به في نيته لان زوجته لا تطيعه على ذلك فصبر وبقي على صبره الى رآهما خارجين من المعسكر فقال في نفسه قد قرب انفاذ مقصد قاسم ولا بد من اطلاع الامير على ذلك ثم جاء الى حمزة واخبره فقال سر امامنا خلفهما وانظر ما يكون من امرهما ونحن نتبعك نرى ماذا يقصد واياك تدعه ان يغدر به لان نور الدهر اشد من قاسم باساً ولذلك لا يحاربه فربما يتركه ان ينام او يختلق حيلة ثانية فسار عمر العيار من خلفهما حتى رآهما في ساحة القتال فادرك واقعة الحال فرجع الا انه ما سار الا القليـــل حتى رأى الامير حمزة وبديع الزمان وجماعة الفرسان فاخبرهم بما كان فكروا وحال وصولهم كان قاسم قد ضرب نور الدهر كما تقدم

ولما سمع الامير كلام نور الدهر وعرف انه مركن لقاسم كل الركون التفت الى قاسم ووبخه ولامه على عمله فقال اي ذنب عليَّ فاني خرجت واياه للتنزه فرأى هولاء الجماعة فلم يقبل ان يرجع فهجم عليهم فالتزمت ان اساعده ولولاي لقتل واما قولك اني ضربته فهذا لا اصـــل له كيف اضربه وهو عندي اعز من الولد والاخ وان يكن ابن الصياد لكن شتان بينه وبين ابيه فلم يفهم نور الدهر هذا الكلام وسمعه يطعن بابيه مع انه عمه فاحتار من ذلك واطرق في قاسم ولو لم يكن مولعاً بحب بنته لما تحمل مثل هذه الاهانة ولحظ الامير حمزة ان نور الدهر يفكر في معنى كلام قاسم وانه لا يفهمه فقصد ان يوضح له السبب ليعرف نفسه ويتجنبه خوفاً من ان يغدر به وعليه فقد قال له اعلم يا عزيزي نور الدهر ان اباك وحيد العرب والعجم ولولاه لما قامت لنا قائمـــة وجميع من في المعسكر يحبه ويعبده الا الامير قاسم فانه يكرهه كثيراً ويتمنى له الموت والهلاك وذلك

تعدياً وحسداً منه وقد بذل الجهد الى ضياعه فلم يقدر لان الله سبحانه وتعالى قد خلصه من غائلته وقد قتل له زوجته السيدة حسن الذي لم يخلق الرحمن وجهاً كوجهها ولا قداً معتدلاً كقدها وقد وبخته واهنته كثيراً وفملت به ما هو كذا وكذا وحتى الساعة باق على بغضه وجل هـذا العدوان يطلب ان يكيد اباك ويحرق قلبه عليك فاوصيك من الان وصاعداً الا عدت تقرب من هذا الخبيث الغدار ولا ترافقه لا في القيام ولا في الاسفار . ثم التفت من قاسم وقال له ايها الغدار الى متى هذا الجور والتعدي فاني لا ارى وسيلة للخلاص منك الا قتلك واعدامك فترتاح العرب والّا اذا بقيت فيهم اوقعت عليهم ضرراً جسياً لا يقدر به غيره ولا باس اذا قتلت انت ولو كنت حفيدي لان في قتلك رفع المضرة العامة ولولا ذكرى ابيك وما كان له من الحب في قلوب الجميع لانتقمت منك الان فاما ان تقصر عن عملك واما اذيقك كاس الوبال

ثم ان الامير ارغي وازبد وهاج كما تهيج فحول الجمال وخرج الزبد على اشداقه فخاف بديع الزمان من ان الغضب يدفعه الى قتل قاسم فخفق قلبه ورمى بنفسه بين يديه وقال له عفواً يا ابت فلا تواخذ قاسماً على عمله وجهله فلا بد من ان الزمان يعلمه كيف يتقرب من الناس فيندم على كل ما كان يقع منه واني اسامحه ايضاً على عدوانه واعرف اكيداً ان الله سبحانه وتعالى يحرسني ويحرس ولدي منه ومن غيره الى ان يأذن الله بالفراق وجعل بديع يلطف من هيجان ابيه ويسكن من غضبه حتى راق وقال اني لا عجب كيف خرج هذا النذل خبيثاً مع ان لم يكن في العرب مثله . ولا يخفى على قراء قصتنا ان الكمال قد جمع ببديع وانه جمع من العقل والحكمة والتأني والفصاحة والجمال والشجاعة ما لم يجتمع في غيره لا من قبله ولا في عصره وقد رأى نفسه قادراً على قاسم واذا طلب الانتقام ساعده الجميع فيكون قد فعل قبيحاً وقتل ابن اخيه بيده وبات في زمانه محطاً لتوبيخ الضمير ومع انه كان يعلم لا احد يلومه على قتله والكل يعذرونه الا انه كان يعرف ان العاقل يمدحه على تسامحه وان من الواجب على الرابط الانساني

ان يميل ميلًا طبيعياً الى الاقارب والنسائب وذوي العلائق العائلية فكان اعتقاده بالله قوياً وكان يؤكد لا احد يقدر ان يؤذيه او يضره اذا كانت العناية تحفظه وتحرسه وتمنع عنه ضربات الاعداء وتسهر على حياته. كل هذا ونور الدهر غارق ببحر من الفكر والحيرة لانه واقع بين بحرين هائجين فان قلبه يسأله المحافظة على محبة عشيقته وجده وابوه يريد ان يمنعه عن ذلك ولهـذا بقي صابرًا ورجع الامير بمن معه ودخلوا الخيام واقاموا كالعادة وقد اوصى الامير حمزة عمرًا ان يراقب نور الدهر اذا عاد ذهب الى منزل قاسم من نفسه او ان قاسماً يرسل فيطلبه اليه فجعل عمر يراقب ذلك

قال وبعد ان ذهب نور الدهر الى صيوانه بين اهـل مدينته انفرد بنفسه واخذ يفكر في ما كان من الامير قاسم واول شيء خطر له ودخل عقله ولاح لعينيه شخص بنت قاسم وتبين لعينيه جمالها وظرفها ورقة حديثها ولذة محادثتها فقال في نفسه كيف ارجع عنهـا وهي لم تكن ذات ذنب بل هي تحبني وهي رشيقة ومن يا ترى يقدر ان يعرف ان كان اباها يقصد لي شرًا ويرغب في ان يقتلني مع انه يظهر لي انه يحبني وعلى الاكثر انه يحبني حباً ثابتاً صافياً ويرغب في ان اتزوج من بنته واصير صهره وان يكن بينه وبين ابي عداوة كبرى فاي علاقة لي بهذه العداوة تحملني على ترك من احببت نعم يلزم ان اتكدر لكدر ابي لكن لا يجب ان اعمل على عداوته لكون ابي لا يحبه او انه لا يحب ابي ولو فرض انه يرغب في هلاكي فاني اقدر ان احترس على نفسي واتجنب كل مايضرني ولا ادع قاسماً ينال ما هو طالبه ومتى تزوجت بنته واخذتها انفصل عنه واتركه ثم طرق فكره ان اباه لا يقبل ان يتزوج ببنت قاسم واذا مانع في ذلك واوقفه جده ماذا يا ترى يقدر ان يعمل . وهذا الفكر اقلقه واشغله واضعف له قلبـه وبقي يحارب نفسه ويعمل على الفكرة مقدار ساعتين حتى قوى عليه الامر واشتد به القلق فلم يرَ اوفق من ان يبقَ على حاله لان سلطان العشق قادر قاهر فارغمه على التمسك بمحبوبته والقيام على حاله وان لا يتركها مطلقاً ولومهما كان دونهـا

من المصاعب وقــد رأى من نفسه انه يقدر على ازالة كل الموانع وتجنب كل المصاعب والمصائب لكنه لم يرَ نفسه قادرًا على دفع تطلبات قلبه وترك محبة من احبها وتعشقها ووعد نفسه بزواجها ولا يلام على ذلك لانه في ريعان الصبا ولم يكن قد دخل الحب قلبه ولا زاره قبل هذه المرة سلطان العشق والغرام ليعرف كيف يجب ان يقف في وجهه او يقوم على مجاراته بل صادف قلباً خالياً فتمكن ورأى شاباً جاهلًا لا يعقل بقدر ما يعقل ابوه فاستبده . ولما سهل عليه الامر لم يبقَ لديه الا الشكوى من الوجد والهيام وبث لواعج الغرام ومناشدة الاشعار فقال :

لئن صدقني في الحديث ظنوني ... لقد نقلت سرّي وشاة جفوني
وبالرغم مني ان سرًّا اصونه ... يصير بدمعي وهو غير مصون
وقد رابني يا اهل وديَ انكم ... مطلتم وانتم قادرون ديوني
بروحيَ انتم من رسولي اليكمُ ... ومن مسعدي في حبكم ومعيني
سلوا دمع عيني عن احاديث لوعتي ... لتعرف عن تلك الشؤون شؤوني
على ان دمعي لا يزال يخونني ... ومن ذا الذي يروي حديث خؤون
فلا تقبلوا للدمع غير راويةِ ... فليس على سر الهوى بامين
حلفت لكم ان لا اخون عهودكم ... واعطيتكم عند اليمين يميني
وها انا كالمجنون فيكم صبابةً ... وحاشاكم ترضون لي بجنوني
وهبتكم في الحب عقليَ راضياً ... ويا ليتكم ابقيتموا لي ديني
ارى سقم جسمي قد حوته جفونكم ... فلا تأخذوا يا ظالمين جفوني
أاحبابنا اني ضنين بودكم ... وما كنت يوماً قابلاً بضنين
فمن ذا الذي اعتاض عنكم من الورى ... يكون حبيبي مثلكم وخديني
ومن ذا الذي ارضي به لمحبتي ... فتحسن فيه لوعتي وحنيني
احب من الاشياء ما كان فائقاً ... وما الدون الا من يميل لدون
فاني رأيت الشيء ان يغلُ قيمة ... يكن بمكان في القلوب مكين

حبيبي زدني من حديث ذكرته ليسكن هذا القلب بعض سكون
وقل لي ولا تحلف فانك صادق وقد يك عندي مثل الف يمين
فوالله لم ارتب بما قد ذكرته ولم تختلج بالشك فيك ظنوني
وان حديثاً انت راويه انني على ثقة منـــه وحسن يقين
كذلك تلقاني اذا ما اختبرتني يسر حفاظي صاحبي وقريني
اذا قلت قولاً كنت للقول فاعلاً وكان حيائي كافلي وضميني
تبشر عـــني بالوفاء بشاشتي وينطق نور الصدق فوق جبيني

وبقي نور الدهر صابراً في مكانه الى ان جاء المساء واقبل الليل فخرج الى صيوان ابيه وتناول الطعام معه وصرف قليلاً من الوقت هناك ومن ثم استأذنه وخرج من هناك ولما صار على الطريق قال في نفسه لا يجب ان يمضي هذا الليل ولا اذهب الى الامير قاسم لئلا يظن اني وافقت ابي على عداوتـــه وسمعت كل الكلام وعملت بموجب امر جدي ولا ريب انه يمنع عني بنته فأموت حسرة على بعدها وربما حكى ذلك الى بنته فتتكدر وتصدق اني بغضتها فتعاملني بالمثل فيزيد قلقي ولا تقلع هذه الشكوة الا بشيء واحـــد وهو المسارعة الى اسكان الحال واقناع قاسم بدوام حبي لبنته وركوني له فيرتاح ويصدق ويظهر لديه الامر ويكون عدم انقطاعي دليل على صدق ودادي وتعرف بنته ان لا صبر لي على الانقطاع واني لا اسمع فيها كلام احد وان ما حكاه جدي واني لم يغضبني او كيف يغضبني منك يا سيدة الملاح امر او كيف يمكن ان اتركك تغضبين عليَّ او تحنقين وانشد وهو سائر تحت الظلام وهو مترنم :

احبابنـــا حاشاكمُ من غضب او حنق
احبابنا لا عـــاش من يغضبكم ولا بقي
هذا دلال منكم دعوه حتى نلتقي
والله ما خرجت في حبي لكم عن خلقي
وما برحت في شو ر فضلكم تقلقي

ويلاه مـــا يلقاه قلـ بي منكمُ وما لقي
ان لم تجودوا بالرضا فبشروا قلبي الشقي
واخجلتي منكم اذا عتبتمُ واحرقتي
اكاد ان اغرق في دمعي او في عرقي
ما حيلتي في تذب من حاسد مصدق
وكيف تمشي حجتي في ذاك المكان الضيق
حيران لا اعرف ما اقصـــده من طرق
فهل رسول عائد منكم بوجهٍ مشرق

وكان عمر العيار يلاحظ حركاته ويسمع كل كلامه وهو غير منتبه اليه فأدرك المسألة وقال لا ريب ان نور الدهر عالق بالحب غارق ببحره العميق ولا بد من مراقبته كل هذه الليلة الى ان يصل الى بيته ولا بد من اخبار ابيه وجده بذلك فيدارك الامر قبل الوقوع في ورطة وبيلة لا يصعب في ما بعد التخلص منها وبقي يراقبه ويسير من خلفه وهو سائر غير منتبه الى احد وليس نصب عينيه الا الحب والشكوى والافتكار فيما يفعل لالتماء الوفاق بين ابيه وقامم ولا زال حتى وصل من صيوان ابن رستم فرتم فدخله وسلم فلاقاه بالترحيب والاكرام وهش في وجهه وبش وعرف انه غير حاقد عليه وانه لم يصدق جده وان العشق قاده اليه وربما كان ذلك لفراغ اجله وقد اخفى ما في قلبه واظهر خلاف ما اضمر وسلك سبيل الخداع فقال له لقد كسر خاطري في هذا اليوم وتمنيت اني لم الد ولا كنت ولدت لان قلبي يحبك حباً ابوياً وقد نسبوا لي الغدر بك فاغاظني وقد اخبرت بذلك زوجتي فقالت ان من الصواب ارضاء لخاطر بديع الزمان والامير حمزة ان لا تقبل نور الدهر فلم اطاوعهـــا على ذلك لاني لا اطيق ان ابعدك عني وانت لم تكن مذنباً بل كل الحق في ذلك على عمي وجدي . نعم اني كنت في الاول لا احب اباك ولا اتمنى ان اراه لانه تربى عند صياد وكنت اؤكد انه ابن الصياد واما الان فقد قلب ذاك البغض الى حب وصار من اعز الناس عندي واحبهم الي

وهو لا يزال يتصور بي العداوة والحقد ولو كان كما ظن لكنت قتلتك من زمان لانك دائماً في بيتي وفاعل الغدر يصل اليه في كل دقيقة فانظر يا بني في كلامي وافعل ما اردت . فلما سمع نور الدهر كلام ابن عمه رآه عين الحقيقة وعرف ان ربما يكون اباه المتعدي لكنه لم يفه بكلمة بل قال ان ما مضى قد مضى وليس لنا الا الحاضر وانت تعرف اني اودك واستخلص حبك واركن اليك وما ذلك الا لما عاملتني به من الحنو والحب حتى قبلت ان تتخذني لك صهراً ولا اظن ان رجلًا في الدنيا يرغب ان يسعى في هلاك ولده وصهره قال معاذ الله من ذلك فها ان بنتي بين يديك ففي اي ساعة طلبت زفافها لا اعزها عنك وكنت احب ان ازوك في هذه الليلة ليقتصر كل انسان عند حده غير ان الامر لا يوافق ولا بد من التأخير حتى ينتسى ما وقع في هذا اليوم ونرى ماذا يكون من امر الخوند وحصار المدينة وقد عزمت ان اقيم لك ولبنتي عرساً لم يسبق ان وقع مثله من عهد الخليقة الى يومنا هـذا فاقهر بذلك حسادك وحسادي واجعل لكما مستقبلًا مريحاً والله المسؤول عن ذلك

ثم امر زوجته ان تأتي بسفرة المدام فأتت بها وصفت القناني ودارت الكؤوس بين الاثنين حتى شربا واكتفيا وحينئذ طلب نور الدهر الانصراف الى بيتـه وانصرف وكان عمر كامناً خلف الصيوان وسمع كل ما دار بين الاثنين من الحديث وثبت عنده كل الثبوت ان قاسماً يضمر له شراً وانه ما علقه بمحبة بنته الا لاجل هذه الغاية . فقال في نفسه قبحك الله يا قاسم فما انت الا جرثومة الخبث والحسد وما عملك هذا الا دناءة وجنون لا يعمله من كان يملك عقلًا ودينـاً . وعندما خرج من الصيوان رافقه حتى دخل صيوانه ونام فتركه ورجع الدوران في ضواحي الحلة وبين الخيام الى ان اشرق الصباح فوقف عند باب صيوان حمزة الى ان خرج وقصد الديوان فقال له اصبر واسمع لي يا اخي ما كان من امر نور الدهر وما سمعته وما رأيته في الليلة الماضية . فقال له قل ومن ثم اخذ عمر العيار في ان يحكي له ما كان من ان ابنه نور الدهر وما سمعه منه من الاشعار وكيف

عندما وصل الى صيوان قاسم ترحب به ولاقاه بكل ترحيب واكرام وانهما متواعدان على ان يتزوج نور الدهر بنت قاسم وانه يطالعه في ذلك ليوقع بـه ويعدمه الحياة . فقال الامير حمزة اذا كان الامر كذلك فلا بد من ملافاة الامر واني سأطلب الى قاسم ان يزف بنته على نور الدهر وارغمه على ذلك ومتى تم هذا الزواج تنتضي العداوة بين بديع الزمان وابن اخيه . قال لا اظن ان قاسماً يجيب الى ذلك فهو خبيث لا يقدر ان يصبر على الاذى ولا يرجع ما لم ينل غايته ويبلغ مراده . قال لا ادعه يفعل ما يريد ولا بد من السعي في ذلك من هذا النهار وجل ما اريده منك ان تحافظ على نور الدهر الى ان ينقضي هذا الامر لانه عاشق ولهان والعاشق يبقى على الدوام اعمى البصيرة لا يعرف يمينه من شماله ولا سمائه من ارضه . قال اني ساهر على راحته عامل على منع عدوه الى ان يفعل الله ما يشاء

وفي تلك الاثناء وصلا من الديوان فدخل الامير وجلس في مكانه وجاء الامراء والاعيان فجلس كل في مكانه وصرفوا ذاك النهار بالمخابرات والتفاوض الى ان انقضى النهار واخذ المجتمعون في ان يتفرقوا الواحد بعد الآخر ولما اراد نور الدهر الانصراف دعاه اليه وقال له لقد اوصيتك ان لا تذهب الى منزل قاسم ولا ترافقه فلم ترجع حتى عرفت انك عالق بعشق بنته فقدرتك على ذلك فهل ترغب في ان ازفها عليك وآمر اباها ان يجيبك الى طلبك قال اني لا انكر عليك يا جداه اني احب بنته وارغب في ان أُزف عليها فاذا كنت تقدر على تعجيل هذا الامر اعدك ان لا اعود بعد ذلك ارافقه واذا كان يقصد لي ضرًا مع انه قال لي ان قبل هذه الايام كان يكره اني اما في هذه الايام فحيث ان في نيته ان يتخذني صهرًا له فقد ترك تلك العداوة ومال الى الحب وعلى كل حال فان هـذا الزواج يمنعه عن ان يكون خادعاً غادرًا . قال كن براحة فسأفعل كلما يرضيك واقرب زفافك ما امكن فقبل نور الدهر يد جده ووعـد نفسه بالراحه ونوال الاماني وحسن المعيشة

وفي اليوم التالي دعا الامير حمزة اليه ابنه بديعاً واطلعه على امر ابنه واخبره

بما هو فيه من محبة بنت قاسم وما اخبره به وقال له في آخر الحديث اني نويت على ان ازفه عليها بوقت قريب . قال اني ارغب ذلك واحبه لان ابني يريده ولان قاسماً ابن اخي لكن اعرف ان ذلك لا ينتهي ابداً لان الشر لا ينقلع من قلبه ولا يفعل الا ما يلام عليه ويذم ولايمكن ان يقوم بعمل مليح قط وما سعي هذا المسعى ورمى بابني في حب بنته الا ليكيدني ويحرق قلبي على ولدي وتراني خائفاً من ذلك ولولا اتكالي عليه تعالى انه يحرسه ولا يوصل منه اعداؤه لرحلت به الان وابعدته عن هذا الخوان ومن حيث قد نويت فلا باس من ذلك فربما ان ابني بعد الزواج ينفصل عن قاسم لانه يكون قد اخذ زوجته الى منزله فلم يبق له مانع اذ ذاك . وبعد ان انصرف بديع الزمان من عند ابيه ارسل فاستدعى قاسماً وقال له لقد تاكدت جيداً ان نور الدهر يحب بنتك ويرغب في ان يتزوجها وهذا سرني جداً وحملني ان ادعوك اليَّ واسألك في ذلك واطلب اليك ان تزفه عليها باقرب وقت وذلك موافق لك لان لا يمكن ان يقع لبنتك زوج مثله وهما تقريباً بسن واحد وبسبب هذا الزواج يروق قلبك لعمك وتصطلحان بارادته تعالى . فاطرق قاسم الى الارض كانه يفتكر لكنه كان يلتهب بنار الحقد والكيد وخاف من ان جده يجبره على ذلك فيعطل عليه مساعيه الا انه بعد الفكرة رفع راسه وقال له اعلم يا جداه اني لا اتاخر عن مثل هكذا عمل غير ان بالتأني السلامة وبالعجلة الندامة فاني اخطب بنتي منه الان لكن لا ارضى ان يكون ذلك الزفاف بالعجلة بل احب ان يكون لبنتي زفافاً حافلاً عجيباً . قال هذا نقدر عليه في كل ساعة واني اريد ذلك واطلبه اليك فلا تمنعه والا اجريته بالرغم عليك . قال اني لا اقدر ان اخالفك يا سيدي قط ولا اريد ان امنع بنتي عن نور الدهر لاني احبه كثيراً وانت تطلب اليَّ زفافها فاجبتك اليه عن نفسي لكن من الواجب ان تسأل في ذلك امها لانها تغضب اذا لم تشاور فهي احق بها مني ومتى اجابتك انقضى الامر وتيسر الحال فباشر الزفاف اي وقت اردت . فقال الامير اصبت في هذا ولا بد لي من ان اذهب الى امها ولا ريب انها تجيب سؤالي

ثم ان قاسماً ترك جده وذهب الى بيته واجتمع بزوجته واخبرها بما دار بينه وبين جده بشأن نور الدهر وقال لهـا لا بد ان يأتي اليك ويسألك فماذا تجيبين قالت اقول له زفاف مبارك ولا امانع في مثل هكذا زفاف . قال انك تغضبينني بذلك لاني لا ارغب في سرعة هـذا الزفاف ولا اريد ان ازف ابنتي بلا احتفال وولائم لا سيما ارغب في ان اعمل شيئاً ما عمله احد سواي . قالت مـاذا تريد ان اقول لجـدك اذا طلب اليَّ البنت . قال قولي له اني لا ازوج بنتي بلا مهر ولا صداق فاذا قال لك اسألي المهر فاني اقدمه لك فخذي عليه الميثاق بذلك ثم قولي له اريد لبنتي مهراً ثريا الجوهر من عند كاووس شاه فاذا حصلت بنتك على هـذه الذخيرة العجيبة التي لا يوجد مثلها لا عند العرب ولا العجم ولا الترك ولا الديلم افتخرت بها على الاولين والآخرين وباهت على من سواها ومثل هكذا مهر لا يصعب الحصول عليه على رجل مثل نورالدهر . فقالت اخاف ان يصيب نورالدهر بذلك امر مكدر او يقع بمصيبة وربمـا يلومني جدك على ذلك . قال هكذا انا اريد واي مصيبة تقع على نور الدهر مع ان الامير حمزة الذي هدم ديوان كسرى وقهر ملوك الارض بالطول والعرض يصعب عليه مثل هكذا امر سهل الحصول . فوافقته على سؤاله ووعدته انه اذا سألها الامير زفاف بنتها طلبت اليه هذا الطلب وبعد ذلك سار الامير قاسم الى نور الدهر فاجتمع به وقال له لما لم تأت عندنا في مساء الامس لاني كنت ارغب ان اراك . قال كنت اشتهي ذلك واتوق اليه غير اني بقيت في صيواني فـلم اخرج . قال عرفت السبب وهو كون جدك يرغب في زفافك وهذا لا يكون مانعاً نعم ان جدك سألني زواجـك بابنتي فاجبته ان لا احد احب عليَّ منك وبقي عليه ان يطلب الى امها فتجيب لكن اخبرتني انهـا كيف تزوج بنتها بلا مهر مع ان من العادة عند العرب ان الزواج يكون بالمهر والصداق ولا سيما اذا كان واقعاً على طريق رسمي مثل هذا . قال له الحق بذلك واني لا اتزوج الا بعد ان ادفع لهـا المهر الذي تطلبه . قال هذا صعب يا ولدي واري من الموافق ان اسامحك بالمهر لاننا غرباء في هـذه الديار نعم ان ذلك يحط

من قدري وقدر ابنتي وقدرك اذ تكون تزوجت بلا مهر لك لكن لا مال عندك فتلتزم ان تسأل جدك فيدفع المهر من اموال العرب وهذا محط بقدرنا اكثر . قال لا امد يدي الى اموال العرب بل احضر ما تطلبه من غير اموال العرب . قال وهذا ايضاً محط بقدرنا لانك تلتزم الى ان تصحب معك فرسان العرب فيقال ان نور الدهر ابن بديع الزمان فارس هذا الزمان استعان على مهر زوجته بالغير ولولا ذلك لما قدر على دفع المهر والصداق . قال اني اقسم بالرب العظيم خالق الليل والنهار وراخي على الكون من عنايته الاستار اني لا اجيب مهر ابنتك الا وحدي ولا اقبل ان يوافقني بذلك احد ابدًا والله بذلك شاهد علينا . فاظهر قاسم من ذلك الحيرة وقال اخاف عليك من هذا يا ولدي نعم انه يكون به الشرف العظيم والفخر وتباهي ابنتي بذلك على كل النساء لكن تكون قد خاطرت بنفسك من اجل ذلك . قال هذا لا بد منه ولا ارجع عنه فلتطلب مهما شاءت مهرًا فاحضره قال اذا كان لا بد لك من ذلك فاكتم ما دار بيني وبينك من الحديث ولا تظهره لاحد لئلا يقال اني حملتك عليه مع اني لا اريده ولا اقبله . قال كن براحة فلا يعرف احد من الناس ما يجري بيني وبينك واريد منك ان تخبرني ماذا تريد مهرًا . قال ستعرف ذلك من جدك لان زوجتي ستطلب ذلك ولا اعرف الان ماذا تريد وماذا تطلب . وبعد ذلك افترقا وقد ايقن الامير قاسم انه نال المراد وان نور الدهر سيذهب بنفسه واذا ذهب يقتل لا محالة فيموت ابوه عليه حسرة

قال وفي المساء جاء الامير حمزة الى بيت قاسم وجلس هناك ودعا اليه بنت الخوند وقال لها لا بد ان يكون زوجك قد اخبرك بما سألته به وهو زفاف بنتك على نور الدهر وقد جئت الان اطلب اليك ذلك كي يكون بعلمك وهذا مما اريده انا ويريده كل العرب وارى ان لا بد منه فهيئي شأن ابنتك وانظري في كل ما يلزمها . فاظهرت فرحها من ذلك وسرورها وقالت له انت تعلم يا عماه اني اطيع لك واتمنى السعي بحسب امرك وهل احب علينا من زفاف بنتنا على نور الدهر لكن اريد ان اتجاسر بشيء وارى لا بد منه وذلك لاني احب بنتي وارغب في

إن تكون ممتازة على غيرها من ربات الخدور . قال لك الحق بذلك فاسألي مهما شئت . قالت لا اسأل شيئاً عظيماً وجل ما اسأله هو ما اعتاد عليه كل العرب وهو اني اطلب من نور الدهر مهراً لبنتي . قال لك الحق بذلك فاطلبي ما شئت فانقدك من مالي . قالت هل تجيبني الى ما اطلب ولا تلومني عليه . فظن الامير انها تطلب مالاً ونوقاً وما شاكلها ولذلك قال لها اني اقسم بالله ان لا ازوجها الا بعد ان تحصلي على طلبك من مهرك لبنتك فري ماذا تريدين . قالت ان ابي كان يعدني ان عند زفافي يحضر لي ثريا الجوهر من بلاد كاووس شاه غير اني تزوجت من الامير قاسم بالرغم على ارادته فلم يتيسر لي ذلك وبقي هذا الامر عالقاً بذهني وعند ما كبرت ابنتي حتمت على نفسي ان لا ازوجها الا بالذي يحضر لي هذه الثريا وعليه فاني اطلب مهراً لبنتي هذه الثريا وقد اقسمت لي بذلك فارجوك ان لا تمنعني من امر اريده واشتاق اليه نعم ان ابنتي في يدك ولا امنعها عنه ولا يمكن لاحد ان يتزوجها غيره

قال فلما سمع الامير هذا الكلام قال لها اني اجبتك اليه ولا بد من ان احضر لك ثريا الجوهر مهراً لبنتك ويكون ذلك باقرب وقت . ولم يكن الامير يعرف ماهي هذه الثريا ولا اين هي بلاد كاووس شاه . ثم ودعها وخرج من هناك وفي اليوم الثاني اجتمع الامراء والملوك في ديوان الملك سعد وكان من جملتهم نور الدهر والامير قاسم وهناك قال الامير اعلموا ايها الفرسان اني عزمت على ان ازف ابن ابني على بنت قاسم وسعيت في ذلك وهذا ان شاء ربي لا بد منه لكن لما طلبت من امها ذلك اجابتني ما هو كذا وكذا . فوعدتها وعداً قاطعاً . وعليه فقد عزمت ان ارسل من يجيب هذه الثريا اما بالحرب واما مشترى بالمال . فقال نور الدهر اني لا اوافقك على ذلك يا جداه فاني انا الذي اتزوج وانا الذي احضر هذه الثريا اين كانت وفي اي مكان ولو كان دونها جبال من رجال الانس او من عفاريت الجان . وحينئذ التفت الامير من بزرجمهر وقال له هل سمعت شيئاً عن هذه الثريا وهل تعرف في اي جهة بلاد كاووس شاه . قال نعم اعرف

وهو ان هذه الثريا بدعة بدائع الزمان لا نظير لها في ممالك العالم اجمع فهي مركبة من كل حجر كريم يساوي مملكة مصنوعة بايدي الحكماء واذا علقت في مكان مرتفع واوقدت شموعها انارت كما تنير الشمس فيسير الناس على نورها وتغنيهم عن الانوار والمصابيح وهي موجودة في مدينة الدواليب وموقعها على بعد خمسة وعشرين يوماً من هذا المكان وصاحبها يعبد الخوند دون الله العزيز الجبار وعند هذا الملك وزير كبير عالم كاهن يعرف بالرمل وهو على الدوام يقول له لا بد لهذه الثريا ان تفقد منك ويمتلكها سواك فجعل يحترس عليها جداً وكل ما دخل غريب الى هذه المدينة يأتون به الى هذا الوزير فينظر ان كان هو الذي يسرق الثريا ام لا ولا ريب ان في الحصول عليها صعوبة عظيمة وعذاب اعظم . فقال حمزة لا ريب ان الامير قاسم قد علم زوجته ان تطلب مثل هذا الطلب خبثاً منه وخداعاً لكن لا بد لي ان ارسل فاحضرها بالرغم على صاحبها . فنهض في الحال نورالدهر وقال لا يمكن ان اترك احداً يذهب يا جداه فاني اقسم بذلك فلا تتعب نفسك ولا اريد ان يتعب غيرك . قال لا يمكن ان اخاطر بك ولا اريد ان اتركك تذهب وعندنا الوف من الصناديد والابطال الاماجيد . قال هذا يتعلق بي ولا باحد سواي ولا بد لي من الذهاب فاني اقسم بحياة ابي وكرامة ربي اني اذهب وحدي فاجيء بها فلا اريد ان يقال ان احداً اعانني على جلب مهر زوجتي فهذا لا يكون ابداً ولو سقيت كاس الردى . فقال بديع الزمان ارفق بنفسك يا ولدي فاذا كان لا بد لك من الذهاب فاذهب انا برفقتك لانك ابني والحمرة لاتحرق الا مكانها ولولا جدك وحرمة العرب والنسانة لذهبت الى بيت قاسم الان واخذت بنته زوجة لك على رغم الجميع ولا ارغب ان اتعدى بذلك لكن جزاءه له على سعيه في ضياعك فهو الذي علم زوجته ان تقول ما قالت . وكان قاسماً منذ الاول ساكتاً لا يبدي كلمةً عالماً ان غايته لا بد ان تنفذ وان الولد لا يقبل ان يرافقه احد حتى سمع ما سمع من كلام بديع فلعب به الغضب واحمرت عيناه وهاجت النار في قلبه وقال هل يبلغ من حدك يا ابن الصياد ان تغتصب بنات السادات

ولولا حبي لابنك ورغبتي في زواجه والتقرب منه لكنت اريك كيف تقول انك تذهب الى مسكني وتغتصب ابنتي - فلم يجبه بديع الزمان على كلامه غير ان نور الدهر فصل بين الجميع ونهض واقفاً وقال اني اسير بنفسي ولا اترك احداً يسير سواي لا كبيراً ولا صغيراً وهذا العمل يتعلق بي ولا ارضى ان يلام عمي قاسم على شيء . قال الامير حمزة اذا كان ولا بد لك من الذهاب وحدك فخذ معك عمر العيار فهو يدلك على البلاد ويوصلك الى مدينة الدواليب ويكون الخادم معك . قال انا لا اقبل مطلقاً رفقة احد واني اذهب وحدي ولا استمد الا رضاك ورضى ابي وسوف انال المطلوب بمساعدة علام الغيوب

وكان بديع الزمان يعز ولده كثيراً لكن لما رآه عنيداً مصراً على السفر وحده تركه وقال لا يخرج بطلا ما لم يتدرج في عذاب الاسفار ويطرق مدائن الملوك الكبار وكثيراً ما وقع لي اعظم من هذا والله سبحانه وتعالى ساعدني ورافقني واعادني سالماً ولدي برهان اني دخلت بلاد الظلمات عارياً من الثياب ولا لي ما آكله فخرجت منها ملكاً اعظم من كسرى انوشروان بكثير الا ان الامير حمزة بقي مدة وهو يمانع في سفره ويقدم ويوخر له ويسأله ان يقبل رفيقاً فلم يقبل ولا عدل عن السفر واصرّ عليه وحينئذ تركه الجميع وتعجبوا من عشقه العجيب ومخاطرته بنفسه وتهوره الى حد ان يذهب بنفسه الى بلاد الاعداء للحصول على ذخيرة ربما تجازيه من اجلها مئات الوف من الفرسان واخيراً تقدم منه عمر العيار وقال اني انصح لك ان لا تذهب وحدك فاذا كنت لا تقبل مساعدة الفرسان فلا تمنع عني مساعدتك لاني كافل لك الحصول على هذه الثريا لان ما افعله انا لا يقدر سواي ان يفعله فكفاك عناداً وعتواً فانت لا تعرف الطرقات ولا يمكن ان تسافر خمسة وعشرين يوماً بالقفار والبراري الموعرة وليس من يخدمك ويخدم جوادك ويقدم لك الطعام . فزجره نور الدهر وقال له اذا كلمتني بمثل هذا الكلام قتلتك لا محالة فاقتصر فاني لا احتاج احداً ابداً واعرف الطرقات ولا اضيع لان في طريقي مدن كثيرة فاستدل وآخذ كل ما يحتاجني منها فسكت

عمر وهو يعرف انه لا يفوز بالمراد ولا يقدر ان يأتي بالثريا اذا كان لوحده . ثم ان نور الدهر ودع جده واباه وباقي الفرسان وهم يدعون له بالتوفيق والنجاح والعود بالسلامة وخرج من الصيوان وسار الى صيوان الامير قاسم واخبر زوجته بما كان من امره مع جده وابيه وبعد ان اقام مدة ودعهما وودع خطيبته وهيأ كل ما يلزم له واخذ من الدراهم ما يكفي لسفره وركب جواده وسار عن مدينة السبائل يقطع البراري والقفار

قال وبعد ان علم الامير حمزة بذهابه دعا اليه الامير عمر العيار وقال له اريد منك ان تذهب مع نورالدهر ولا تتركه وحده خيفة عليه . قال اني لا اروح ولا اجيء اما سمعته ما قال لي مع انك تعلم انه جاهل فاذا رآني قتلني ولا يرضى برفقتي قال يمكنك ان ترافقه وتسير من خلفه وامامه دون ان تدعه يعرفك فتراقبه وتلاحظه وهذا اريده انا فلا بد منه فاذهب ولاتضيع نور الدهر فيذهب دمه هدراً ونندم حيث لا ينفعنا الندم لكن اذا كنت انت معه اكون مطمئن البال مرتاح الخاطر فتسهر عليه واذا اسر تخاصه واذا صعب عليه الامر تسهله له فضلا عن انه اذا اسر وبقي في قيد الاعداء تعود الينا وتخبرنا فنسير لخلاصه قال اكراماً لك اذهب معه واساعده على نوال المر د ولا بد ان يعود حاملًا هذه الثريا التي طلبتها زوجة قاسم واني اقسم بالله العظيم ان هذا شرك نصب لنور الدهر من قاسم يقصد ضياعه غير ان الله يحفظه ويحرسه ويمنع عنه تجربات الزمان

ثم ان عمراً اخذ ما يحتاج اليه وحمل جرابه وانطلق بعد ان غير هيئته كي لايعرف من احد ورافق نور الدهر في كل الطريق فاذا دخل مدينة دخل معه ونزل في الفندق الذي ينزل فيه واذا سافر سار من خلفه يراقبه ويلاحظه حتى اقتربا من مدينة الدواليب فسبقه عمر ودخل قبله ولا يخفى ان مدينة الدواليب اسمها عليها لها اسوار منيعة وحجارتها مكبلة وعلى ابوابها دواليب من الحديد تقطع الحديد اذا اديرت وقد وضعت من زمان قديم فكان الذين يهاجمون المدينة لا يقدرون على الدخول من الابواب لكن عند السلم يربطون الدواليب فلا

يديرونها . وطاف عمر في كل الاسواق والازقة والساحات والدكاكين والمخازن وجاء دار الحكومة ودخل ديوان كاووس شاه وعرف كل من هناك وفحص كل المحلات واحداً واحداً وكان عند هذا الملك وزيران اسم الاول دوش قدم والثاني عبد الله الرمال وسمي بهذا الاسم لانه على عبادة الله وكان خبيراً بكل الازمنة والاوقات والعلوم واللغات والسحر لكنه كان لا يعمل به اما دوش قدم فكان قد تعلم ضرب الرمل فقط مثل سيده وكافر بدين الحق سبحانه وتعالى وكان في كل يوم يضرب الرمل ويعرف اذا دخل المدينة الرجل الذي ياخذ الثريا حتى تبين له انه صار عند ابواب البلد فصبر ليدخل

قال ولما دخل نور الدهر كان عمر العيار يراقبه فعرف اين نزل وفي اي مكان فنزل هو ايضاً هناك وناما تلك الليلة دون ان يأتي احد او يظهر لاحد امرهما وفي صباح اليوم الثاني نهض نور الدهر ولبس ثيابه وتدرع بسلاحه وخرج يطلب السرايا وعمر العيار من خلفه متعجب من امره كيف يذهب السرايا على هذه الحالة ولا زال سائراً حتى وصل من الديوان فوجد عليه الخفراء فدخلها وهو يظن بنفسه انه بقوة سيفه ينال مراده ويحصل على بغيته وكان كاووس شاه ورجال دولته جالسين في الديوان ومن حولهم القواد والاعيان وحينئذ دخل نور الدهر ووقف بين الواقفين وكان في كل صباح يسأل الملك وزيره هل وقف على الذي يأتي ليأخذ الثريا . وحسب العادة سأله في ذلك الوقت اجاب نعم يا سيدي فان الغريم دخل المدينة امس فصبرت عليه وفي هذه الساعة دخل السرايا وهو واقف بين الخدم ثم دلّ بيده على نور الدهر فالتفت الجميع الى نحوه ولا سيا كاووس شاه فلما رآه صاح على من حواليه اسرعوا واقبضوا على هذا اللص الذي جاء ليسرق ثريا الجوهر من مدينة الدواليب غير حاسب حساب احد فهجم عليه من كان هناك من العساكر والقواد فرجع في الحال الى الوراء الى فناء السرايا واستل سيفه في يده والتقى اولئك الهاجمين بقلب قد من الحديد لايعرف الموت ولايخاف الهلاك كثرت العساكر او قلت وضرب الاول فقتله والثاني جندله والثالث عجل

من الدنيا مرتحله والرابع والخامس والسادس وما بعـــدهم وهو يقتل ويضرب ويفعل العجائب ولما رأى كاووس شاه هذه الاعمال وسمع نور الدهر ينـادي انا نورالدهر ابن بديع الزمان ابن الامير حمزةالبهلوان عرف انه من الابطالالصناديد فأمر ان تزاد العساكر وتضايقه وتهجم عليه من كل ناحية ولا تتركه اما قتيلاً واما اسيراً . واما الامير عمر العيار فانه شاهد افعال نور الدهر فخاف عليه كل الخوف وخفق قلبه من ان يقتل او يصاب بمصيبة كبرى ولم يكن قادراً على مساعدته واذا اظهر نفسه ربما يقتل او يؤسر . فصار مغتاظاً من اعمال نور الدهر وتطرفه واظهار نفسه وكان من اللازم ان يحتال على اخذ الثريا اذ لا يقدر ان يأخذها بالقوة والقتال

هذا والحرب عالقة بين نور الدهر ورجال المدينة والعساكر وقد طافوا به من كل مكان ورموه بالحجارة والاخشاب من السطوح والنوافذ والعساكر تقاتله بالسيوف والحراب وهو يدافع عن نفسه ويمانع ويصيب بضرباته مقاتل الرجال فيمددها على الارض ويدوسها برجليه غير ان ضيق المكان اوقعه بالفشل والضيق فاضطرب وارتبك وصار بحالة يرثى لها وكلت يديه وملت واخيراً ارتمت عليه العساكر واخذته اسيراً وشدوا كتافه وسحبوه الى امام كاووس شاه ولما رأى عمر انه اسر فرح الفرح الزائد وطلب من الله ان لا يأمر كاووس بقتله فيقدر على خلاصه بالحيلة وبقي صابراً ينظر ما يكون . ولما قدم نور الدهر امام الملك قال له ويلك هل جئت تسرق الثريا وحدك وهي في يدي وما حسبت لي حساباً مع اني محترس عليها كل الاحتراس لا يمكن لاحد ان يصل اليها ولا ريب ان جميع العرب لصوص . فقال له اني ماجئت لاسرقها سرقة بل دخلت دخول الابطال وقصدت ان آخذها منك بقوة السيف البتار غير ان قصر المجـال اوقعني بسوء الاحوال فلو كنت على ظهر حصاني لما قدرت انت ولا عساكرك ان تراني غير ان الحق سبحانه وتعالى حكم عليَّ وقدَّر ما قدر واني انصحك ان تفك قيدي وتدفع لي الثريا وتتركني اذهب الى اهلي والا يزحفون عليك ويسحقون بلادك

ويخربون ديارك واوطانك ولا سيا ابي بديع الزمان وجدي حمزة البهلوان اللذان ذل لها ملوك الانس والجان . قال اني لا اخاف اباك ولاجدك ولااحد من فرسان هذا الزمان ولا يمكن ان تخرج هذه الثريا من يدي الا اذا خرجت روحي واما انت فلا بد من قتلك في هذه الساعة ومتى قتلت ينطفي خبرك ولا يصل الى اهلك قال ان اهلي يعرفون اني دخلت هذه المدينة لارجع اليهم بثريا الجوهر وهم بانتظاري فاذا رأوني لم ارجع اليهم يتأكدون قتلي فيأتون كقفير من نحل . قال لا بد من قتلك وامر في الحال ان يساق الى الموت وحينئذ تقدم الوزير عبدالله وقال له مهلاً يا مولاي فليس في قتله الان افادة فهو في يدك على كل حال ومن الرأي المناسب ان تضعه بالسجن تحت الحفظ والترسيم وتصبر الى ان ترى ما يكون من امر العرب وعساكرهم فاذا جاءوا بلادنا ورأينا انفسنا مغلوبين معهم عرضنا واقعة الحال عليهم واخبرناهم بتعدي ولدهم علينا وصالحناهم به فيأخذونه ويرجعون فنكون بذلك اشترينا بلادنا ودمارنا ومتى رأوه حياً يفرحون ولا يكون لهم علينا ثار واذا غلبناهم وقهرناهم او اذا لم يأتوا فتقتل هذا الغلام لانه في يديك ولا احد يمانع في قتله اذ ذاك والذي تفعله الان تقدر ان تفعله في كل آن

قال فاستصوب كاووس شاه هذا الرأي ولاح له ان العرب ستأتي بلاده وهو يعرف انها لا تصبر عن اخذ الثار ووصلت اليه اخبارهم وما فعلوه في ذاك الزمان عن هدم تخوت الملوك وقتل عابدين النار ولذلك امر ان يؤخذ نور الدهر الى السجن ويحافظ عليه الى ان يرى ما يصير بينه وبين العرب بسببه فاخذ وسلم الى احد العيارين يحافظ عليه ولما اطمأن عمر العيار على حياته سر سروراً عظيماً وفرح الفرح الزائد وامل بخلاصه ونوال مراده ورجع من السرايا الى الفندق الذي كان نازلاً به وصبر الى الليل فتعشى وصلى وطلب من الله المعونة ثم اخرج الميل وتكحل به وقال اني اقسم عليك بما اعطيت من السر ان تجعلني كدوش قدم وزير كاووس شاه فصار في الحال فاخرج المرآة ونظر فيها فرأى هيئته قد تغيرت وصار مثل دوش قدم بالتمام فسار اليه ودخل الى قصره عن السطوح وقبض عليه وشده

كتاف وحمله الى مكانه ورجع الى القصر ولبس ثيابه ونام الى الصباح وعند الصباح لبس ثياب الوزارة وخرج مسرعاً الى دار الملك وضرب عليه الباب فخرج الملك اليه وسأله عن سبب اضطرابه ولمَ جاءه في مثل هذا الوقت . قال اعلم ياسيدي اني ضربت الرمل فظهر لي ان الثريا تؤخذ من يدك في مدة ثلاثة ايام فاذا مضى هذا الاجل لا خطر عليها ولما كان رملي لا يكذب خفت كثيراً ان تؤخذ منك وجربت اذا كانت بيدي هل تؤخذ فوجدت بالعكس فانها اذا كانت عندي لا تؤخذ فاردت ان آخذها منك الى قصري واضعها امام عيني ثلاثة ايام لا ارفع نظري عنها الى ان تمضي هذه الايام الثلاثة فاعيدها اليك واذا دخل البلد رجل غريب بعثت اخبرتك . فصدق كاووس شاه كلام عمر العيار وهو يظنه الوزير وكان يركن اليه كل الركون ولا يخالفه بشيء . فنهض في الحال وجاءه بالثريا فدفعها له واوصاه بالمحافظة عليها وقال له اياك ان تغفل عنها دقيقة قال كن براحة بال فقد صارت بيد حريص لا يمكن ان يتركها قط واخذ عمر الثريا ورجع الى غير مكان وصرف ذاك النهار وفي المساء جاء قصردوش قدم فلاقاه الجواري والخدم ومدوا له الطعام فاكل حتى اكتفى ثم دخل غرفته واوصاهم ان لا يدخل احد عليه في ذاك الليل لان له شغل خصوصي فاغلق باب الغرفة الى ان نام كل من في القصر وحينئذ خرج واخذ الثريا معه وسار تحت ظلام الاعتكار حتى جاء المكان المحبوس فيه نور الدهر فوجد العيار محافظاً عليه جالساً عند الباب فتقدم منه ولما رآه العيار عرف انه الوزير فنهض اليه وقبل يديه وتعجب من مجيئه في مثل ذاك الوقت فقال له احترس على الاسير لاني ضربت الرمل وعرفت انه يتخلص في هذه الليلة فجئت لاراقب ذلك بنفسي . قال من يقدر ان يخلصه من يدي يا سيدي فاني اسهر عليه ولا انام الى الصباح فكن براحة

وحينئذٍ اخرج عمر شمعة ودفعها الى العيار وقال له خذ هذه الشمعة واشعلها وضعها عند الباب فان فيها سرّ عجيب وهو انه اذا قرب من الباب العدو طفئت فتعرفه في الحال واشعل الشمعة وتقدم الى امام الباب ليضعها عليه فوقع هناك

على الارض كالمائت وكانت الشمعة مشعلة بالبنج فاسرع عمر العيار من بعيد واطفاها وسحب الخنجر وذبح العيار ودخل الى الداخل فوجد نور الدهر مقيداً فحل قيده وقال له اتعرف من انا قال اعرف اني رأيتك في ديوان كاووس شاه ولا ريب انك وزيره قال نعم انا وزيره دوش قدم وقد شفقت عليك وخفت من ان الملك يقتلك فسرقت لك الثريا وجئت بها اليك لادفعها لك فخذها واذهب الى بلادك في هذه الليلة واذا بقيت هنا تهلك . وتذكر اني عملت معك معروف فلا تنساه لان لا بد لي من ان ازور العرب في مساء يوم فتكافيني عليه . قال اهلاً وسهلاً بك فلا بد من مكافأتك لكن اريد منك ان تعيد عليّ سلاحي . قال جئتك بكل شيء تطلبه وبعد ان اعتد بسلاحه قال له اتبعني لادلك على الطريق الذي تسير منه لان الابواب عليها الخفراء فلا تقدر ان تمر منها وسار امامه حتى جاء البحر ومرَّ به من طرف السور حتى اوصله الى الفلا ودله على الطريق وقال له سر من هنا وعجل في المسير ولا تتهامل لئلا يتبعك رجال البلد . ومن ثم رجع الوزير بعد ان ودعه وبقي سائرًا فرحاً جدًا بنوال غايته وخلاصه من الاسر وبعد ان ايقن بالهلاك والموت الاحمر وهو يقول في نفسه متى رأى الامير قاسم اني عدت بالثريا يفرح ويزوجني بنته ولا بد انهم يتأكدون اني احضرتها بنفسي ومن يعرف ان الوزير عمل هذا وخلصني وبقي ماشياً على قدميه منتظر ان يرى في طريقه فارساً فينزع منه جواده او انه يمر على بلد فيأخذ منه جواداً

وبقي على مسيره الى ان اصبح الصباح فالتفت الى ورائه فلم يرَ المدينة لانها بعدت جداً لكنه رأى فارساً آتٍ من صدر الطريق فقال في نفسه ان كان من رجال المدينة سار في اثري قتلته واخذت جواده وان كان من عابري الطريق سألته ان يتخلى لي عن الجواد فاذا فعل اطلقت سبيله والا فاقتله واركب الجواد وبقي صابرًا له حتى قرب منه واذا به الوزير دوش قدم راكباً على جواده فتكدر وعرف انه جاء يرافقه الى مدينته وهناك يفتضح امره ويعرف الجميع انه خلصه من الاسر فانه هو الذي جاء بالثريا غير انه صبر واضمر الشر وتقدم من الوزير وسلم

عليه فنزل ذاك عن جواده وسلمه اليه وقال له خذ هذا الجواد واركبه وانا اسير ماش برفقتك قال كيف ذلك ولما تبعتني قال عرفت ان لا اقامة لي عند كاووس شاه لانه يعرف اني انا الذي فعلت هـذا الفعل فينتقم مني فارجعت واحضرت جوادك من الفندق الذي كنت نازلاً به ورجعت في الحال فاركب عليه . قال كيف اركب انا وانت ماش . قال اني احب المشي ولا اتعب منه وانت لم تعتد على المشي فلم يمانع نور الدهر في ذلك بل ركب في الحال وظن بنفسه انه ملك الدنيا باسرها ووطد العزم على قتل الوزير واطفاء خبره وبقي الاثنان سائران مقدار ساعتين وعمر العيار يراقب نور الدهر وقد لحظ منه عين الغدر وعرف انه يخابر نفسه على قتله فاظهر التغاضي وقرب منه كثيراً ليرى ما يكون من امره ورأى نور الدهر انه يسير الى جانبه وان رمحه يصيبه اذا طعنه به فقومه في الحال وطعنه به وكان عمر يراقب ذلك بطرف عينيه فلما رأى الرمح قد رفع قفز كالغزال ووقف بعيداً عنه وقال له ويلك ايها الغادر الناكث المعروف هل تجازيني بمثل هذا الجزاء وقد فعلت معك الجميل وخلصتك من الموت . قال لا ارغب لك ضرراً الا لكونك ترافقني الان الى قومي لانك تخبرهم بما فعلته معي فيحط قدري ويقولون لولاك لما قدرت ان اجيء بثريا الجوهر . فحينئذٍ اظهر له عمر نفسه وقال له انا لست الوزير بل انا عمر العيار وقد رافقتك كل الطريق خوفاً عليك من غائلة الايام ولما رأيتك وقعت في يد الاعداء عملت على خلاصك ونولتك مرادك وها انا قد رجعت الى عادتي ثم نزع ثياب الوزراء وتكحل ورجع كما كان . فاظهر نور الدهر العجب وابدى الفرح وتقدم منه وسلم عليه وشكر من معروفه غير ان قلبه زاد التهاباً وغيظاً وعرف ان العروس تضيع منه لان قاسماً اوصاه ان لا يدع احداً يساعده لئلا يحط قدره بين الفرسان فيقال ان عمراً خلصه وجاء له بالثريا

ومن ثم سار الاثنين وقد ظن عمر ان نور الدهر طيب القلب وانه لا يغدر به ومع كل ذلك بقي متحرساً لنفسه لا ينام ولا يغفل عن مراقبته حتى مضى على

ذلك خمسة ايام وفي اليـوم السادس بينما كانا في الطريق اراد نور الدهر ان يقتل عمراً فصبر الى ان جلسا على الطعام وبدأ بالاكل وحينئذٍ سحب خنجره وضربه به فمال عنها باسرع من لمح البصر وبعد الى الوراء وصاح به قائلاً لهويلك يا نور الدهر هل يـكون جزائي منك القتل حتى فعلت ما فعلت وذلك لانك لا تريد ان يـكون فضلي عليك مع ان الامـير حمزة واباك وباقي فرسان العرب يعرفون ويعترفون بفضلي عليهم لـكن لا عجب فانت اسود القلب ولو لم تـكن خبيثاً غداراً لما تقربت من الامير قاسم الخبيث الغدار واردت ان تتزوج بنته فقد وافق شن طبقة وسوف ترى مني ما يغيظك

فنهض نور الدهر وركب وسار غير مبال بعمر وهو مصر على هلاكه الى ان كان الماء فنزل واكل ونام وعمر بعيد عنه ولما نام انحط عليه عمر وشد كتـافه واخذ سوطاً وقال له كيف ترى حالك الان ونزل بالسوط على بدنه وقال له لا اتركك ولا ارفع الضرب عنك حتى تتوب وتعدني انك لا ترجع الى الغدر والخيانة وان تعرف وتعترف بفضل من عمل معك خيراً وخاطر بنفسه من اجلك والا ما انت الا كقاسم عدو الانسانية والخير غير ان نورالدهر لم يجبه بشيء بل احتمل الضرب والعذاب حتى فـكه عمر وحل كتافه وعند الصباح رجع الى السير وقد زاد حنقه من عمر ولعن الساعة التي جاءه فيها وقد فضل انه كان مات ولا وقع تحت جميل عمر وقد تاكد وثبت لديه ان الامير قاسم لا بد من ان يقول له لقد اتخذت على الحصول على مهر زوجتك مساعداً ومعيناً مع انه حذره من ذلك وطلب منه ان يأتي بثريا الجوهر وحده. وبقي سائراً وعمر الى جانبه وهو محترس الى نفسه كل ذاك النهار وفي الليل نام نور الدهر فجلس عمر يحرسه الى الصباح فعاد الى الركوب ومشيا وقد رقّ عمر لنور الدهر فصالحه واعتذر اليه وكذلك نور الدهر صالحه واظهر له ان باطنه راق من نحوه واعتذر عما فعل وهـكذا بقيا على السير حتى بقي بينهما وبين معسـكر العرب نحو يومين كاملين فزاد اضطراب نور الدهر وخاف من ان يصل الى قومه وعمر معه ولا ينال مراده منـــه فأظهر له الحب وزاد في

مدحه و لركون اليه فعرف عمر غايته وادرك ما هو قصده وقال في نفسه لا بد ان امتحنه ولم يظهر على ذاته انه عرف شيئاً من غايته فتقرب منه كثيراً وبين له انه كثير الركون اليه وكان نور الدهر يعرف انه لا يقدر ان ينال غرضه من عمر بالليل لعلمه انه لاينام واذا نام يأخذ الاحتياط لنفسه فلا يترك وسيلة لاحد ان يقرب منه ولذلك صبر عليه حتى ترك له فرصة واظهر عمر على ذاته انه غافل فاخذ نورالدهر الرمح وطوحه به فنط عمر الى بعيد وقال له لقد صعب عليك ان تأخذ مني مرادك وما انت الا خبيث شرير لكني لااعاملك على عملك وكان من الواجب ان اتركك من الاول لوحدك غير اني كنت اخاف عليك من الاعداء لانك وحدك في البرية وربما لحق بك احد من عياري الاعداء كل هذا وانت لم تنظر الى جميلي وعوض ان تمدحني على عملي نويت قتلي فماذا ياترى يعنر بك اذا كنت مديوناً لي بالجميل مع ان فرسان العرب باجمعهم يعترفون بفضلي عليهم واما انا فاقول ان ما افعله هو من قبيل الخدمة للعرب لاني عبدهم وعلى العبد ان يخدم مولاه بامانة وصدق

وسار الاثنان الى جانب بعضهما وقلب نور الدهر يكاد ينفطر كيف لم ينل مراده ويقدر على ان يقتل عمراً ليخلص من لوم قاسم ومن تعنيفه وقد ثبت عنده انه في اليوم التالي يصل الى العرب وهناك يخبر عمر الامير والفرسان بما فعله معه ويكون ذلك على غير ما يشتهي وصار همه هذا الفكر وبقي سائراً الى المساء فنزل عن جواده واكل ونام فصبر عليه عمر الى ان نام فتقدم منه وشد كتافه فاستيقظ فقال له لا يلزم ان اتركك من غير تربية ولابد من مجازاتك على الغدر والخيانة كي لا يقال عنك انك بلا تربية نعم ان اباك غير راض منك منذ الاول ولا بد اذا عرف بمافعلته معي يتكدر اكثر من الاول وقد لام الامير على تربيتك عندما فعلت مافعلت مع اسحق الظلماني ثم رفع السوط واخذ في ان يضربه وهو يشتمه ويسبه حتى ترك اثراً من الضرب في جسمه ومن ثم فكه وقال له خاطرك الان لانك وصلت الى بر الامان ولم اعد اخاف عليك وفي الصباح تصل

الى العرب فاخبرهم بما كان من امرك وما وقع بيني وبينك . ثم اطلق ساقه للريح وانطلق في بر الله الفسيح وخلى نور الدهر يتوجع من الالم ويتقلب من الغيظ والغضب بعد ان حل وثاقه وبقي عمر سائرًا بقية ذلك الليل الى الصبــاح وفي الصباح وصل الى مكان في جانب مدينة السبائل فوجد سفرة ممدودة عليها الطعام سخناً وعلى تلك المائدة رجل يأكل ويستدل من حالته انه من رجال الاسفار وامام تلك المائدة عبد يخدم عندها وهو يحضر الطعام ويرفع الصحون ووجد ورقة معلقة في جذع شجرة تظلل ذلك المكان وعلى الورقة قد كتب (يامن تمر من هــذا المكان وحد العزيز الرحمن وكل من طعام هذه السفرة وترحم على اموات صاحبها فهي لمعونة المسافرين والسياح) فوقف عمر مبهوتاً ولم يلتفت اليه احــد من الجالسين ولا اهتم به فتأمل في ذلك المكان وفي تلك الحالة وفيما كتب على الورقة فدخل عقله ان احد عباد الله فعل هذا الفعل الممدوح جدًا فاراد ان يسأل الخادم غير انه رأى من المناسب اولاً ان يجلس على الطعام ويأكل كما يأكل الرجــل الجالس على المائدة وتصور انه مثله مسافرًا فمر ورأى الطعام فجلس عليه ولذلك جاس وسأل العبد ان يغرف له فغرف وقدم له الطعام وقال له تفضل كل ياسيدي واشكر لصاحب هذا المكان وترحم على امواته فقال له من هو صاحب هذا المكان . قال بعد ان تفرغ من الاكل احك لك قصته فهو رجل يعبد العزيز الديان قد انقطع عن العالم وانعكف على عمل الخير والجميل مهما قدر

قال فبدأ عمر في ان يأكل بقابلية واشتياق ولم يكن يتصور ان هذه السفرة جعلت احبولة ومكيدًا لصيده وهو يتأكد ان لا احد عرف بوصوله ولم يخطر له ذلك وما استقر الطعام في جرفه حتى شعر ان الدنيا تدور به فادرك في الحال انه وقع في مكيدة فاراد الوقوف فلم يقدر وباسرع من لمح البصر وقع الى الارض غائباً عن الوجود ولم يع الى نفسه الا مكتوف اليدين موثق الابدي ووجد العبد الذي كان يخدم السفرة واقفاً فوق رأسه وهو يقول له ويلك يا عبد السوء انت الذي كنت السبب في خراب بلادنا وهلاك رجالنا ووصولنا الى هذه الحالة فقال

له ويلك من انت وما اسمك ومن الذي وضع هذا الطعام ليخدع الناس ويصطادهم فقال له اذا شئت ان تسأل عني فاني اخبرك باسمي ومن الواجب ان تعرفه لان لي عليك ثار واحب ان اقتص لنفسي منك فانا شابك العيار وقد قتلت ابي عندما قتل بهران ابي العمد وانا لا ازال اطلب ان تقع في يدي وقد ساعدني الاله الخوند على ذلك ورماك في يدي وسأطلب من سيدي بختيار ان يدفعك ليدي لاعذبك العذاب الاليم . وما سؤالك من الذي وضع هذه السفرة في هذا المكان فاخبرك انه بختيار عدوكم الاكبر وقد اصطاد بها اكثر من الف نفس وذبحهم جميعاً ولا اطلع احد منكم على خبرها لان الذي يقع اسيراً بها يصل حالاً اليه فيقتله ومع كل ذلك لم اشف قلبي منكم واتمنى ان تقع انت لاخذ لنفسي بالثار . فقال له عمر هذا لا تقدر عليه لان العرب يخربون السبائل لاجلي ويعلقون الاله الخوند على باب المدينة ويحرقون جسمك بالنار قال انك ستموت ولا يعرف احد بك . ثم التفت الى الرجل الذي كان يأكل وقال له هيا يا قنفذ فالزم مكاني لاني انا الذي اوصل هذا العبد الى المدينة لان لي عليه ثاراً عسى ان الصدف تبعث لنا غيره في اثناء غيابي واراد العيار ان يسحب عمر بالحبل ويجره خلفه وهو يكاد يختنق من الغيظ وقد التى بنظره الى ما وراءه فرأى فارساً يتقدم الى تلك الجهة فاحدق به فعرفه انه الامير قاسم ابن المرحوم رستم فرتم فصاح به مستغيثاً وسمع قاسم صوت عمر وعرفه تماماً فاطلق لجواده العنان ووصل من ذاك المكان فرآه مكتوف الايدي مربوطاً بالحبال فشهر الحسام وضرب به العبد فقتله ومال على الثاني فاراد ان يهرب من بين يديه فلم يقدر بل ادركه وضربه بالسيف فالقاه قتيلاً ورجع الى عمر وحل وثاقه وسأله عن حاله فاخفى عليه نور الدهر وقال له كنت ماراً في هذه النواحي فوجدت هذه السفرة وهذا العبد . وحكى له كل ما كان من ذاك الشان . فتقدم قاسم وساعده عمر فقلبا الطعام وكسرا المائدة ومزقا الورقة ورجعا الى جهة المعسكر

فهذا ما كان من عمر العيار واما ما كان من نور الدهر فانه عند الصباح

نهض الى جواده فركبه وسار يتقدم من معسكر العرب وقد رأى حاله لوحده فعرف ان عمراً قد سبقه ولا بد انه يكون قد وصل الى العرب واخبرهم بكل ما جرى له وما عمل معه وكان هذا يغيظه ويكدره وينفطر له قلبه وبقي يسير وهو غائب عن الصواب حتى وصل الى معسكر العرب وكان بفكره ان يرى الامير قاسم واباه وغيرهم خارج الخيام بحيث يكونوا قد خرجوا لملاقاته بعد ان يخبرهم عمراً فلم يرَ احداً فقال في نفسه انه لم يخبرهم بوصولي او انه اخبرهم ولم يخرجوا وبقي مضطرب الفكر حتى وصل من صيوانه فدخله ونزع ثيابه وجلس للراحة وعند ذلك وصل الخبر الى الامير بوصول نور الدهر فسرَّ جداً من ذلك وجاء اليه من عظم فرحه به وجاء بديع الزمان ايضاً وباقي الفرسان فسلموا عليه وسألوه اذا كان جاء بثرية الجوهر فقال لهم لقد جئت بها وهي عندي ثم اراهم اياها ففرحوا كثيراً وتعجبوا من صنعها ومن تركيبها ومن كثرة ما هو مركب عليها من الجواهر التي تلمع كالشمس في رابعة النهار . وكان اذ ذاك الامير قاسم غائباً فحضر الى صيوانه مع عمر العيار فاخبر بوصول نور الدهر ومعه ثريا الجوهر فتكدر الكدر العظيم وشعر ان قلبه كاد ينشق وقال ان الدهر قد ساعده ولم يكن في ظني ان هذا الجاهل يقدر ان يرجع سالماً ولا ريب ان عمر العيار ساعده على هذه الذخيرة لانه منذ غاب ذاك غاب هذا ومنذ حضر حضر ولا بد ان يكون قد رافقه وسرق له الثريا . واخيراً لم يرَ بداً من الذهاب اليه وقد اضمر في نفسه انه يعمل على عداوته ويلقي به في تهلكة اعظم من هذه ولما وصل من صيوان نور الدهر دخل والتقى بنفسه عليه وهناه بالسلامة وترحب به غاية الترحيب وشكر الله على وصوله سالماً

وكان بديع الزمان والامير حمزة البهلوان يريان ذلك فعرفا انه زور وان بقلبه خلاف ما اظهر . فقال الامير يا ليتك تصدق يا قاسم في قولك وعملك لكنا نرتاح من الوقوع في مصيبة جديدة لكنا نعرف ان عملك هذا من ظاهره مليح محمود ولكن من داخله خبث وشر وخداع واننا نعرف ان الافعى وان

لانت ملامسها لا يؤمن العطب عند تقلبها . قال اني اعجب كثيراً منك يا جداه كيف تتهمني بالغدر والخيانة والبغض لنور الدهر مع اني احبه وقلبي يميل اليه كثيراً نعم اني لا انكر ان اباه ابن الصياد واني كنت لا احبه قبل الان واتمنى ان لا يكون بيننا وما ذلك الا لكونه لا يحبني واما الان فقد قضي الامر ولم يعد في قلبي لاحد منهما بغض فاني لا احب الاب ولا ابغضه واما الابن فقد عاهدته على زواج ابنتي ولا بد من ان ازفه عليها ذات يوم وسوف ترى . قال لماذا تطلب التطويل وقد جاء بما طلبت ولم يبقَ قط مانع قال نعم لا مانع من الزواج الا شيء واحد وهو ان نهيء امر البنت وسأسئل امها في ذلك واعيد عليكم الخبر في وقت آخر . فتعجب الامير من حالة قاسم وكيف انه بعد ان كان يعمل عمل المجانين مع بديع انتقل الى حالة الجنون وسلك سبل الشر والخداع . ولا يخفى ان من يدخل هذا الباب لا بد ان يكون ذات عقل واسع وتدبير جيد . نعم ان قلبه لايكون طيباً ولا نيته صافية لكنه ان لم يكن كامل التدبير لاينجح في عمله

قال وبعد ذلك ودعهم قاسم ورحل ولم يبقَ خيفة من التطويل في هذا المعنى وبعد ذهابه لاحت من الامير التفاتة في يد نور الدهر فوجد عليها اثر ضرب فكاد يطير صوابه ونهض اليه رنظر فيه وسأله عن ذلك . فقال له ان الذي فعل معي هذه الافعال هو الامير عمر الذي ارسلته خلف مني ليساعدني وكشف عن بدنه واراه لجده فرأى اثار الضرب لا تعد فزاد حنقه من الامير عمر ودعاه اليه لحضر فقال له ويلك لما فعلت هذا الفعل وقد ارتكبت ذنباً عظيماً وفعلت شراً بالعرب لانك ضربت نور الدهر ضرباً موجعاً ولم تراع حرمة ابيه ولا جده فلا بد من مجازاتك على ذلك فقال له عمر العيار مهلاً ايها الامير فلا تأخذ الامر بالحدة والطيش فما انا بالعرب ممن يهان بل انا وزير خطير مع ان فضلي عليكم جميعاً ولا واحد منكم يقدر ان ينكر ما افعله وفعلته منذ وجودي بينكم وكم مرة خاطرت بنفسي لاجل نجاتكم وخلاصكم غير ان هذا قد فعلت معه ما هو (كذا وكذا) وجرى لي معه (كذا وكذا) فخلصته من الموت وسامته الثريا

وثلاث مرات طلب قتــلي واعدامي وما ذلك الا من سوء تربيته لانك لم تربه جيدًا ولا ريب ان اباه لا يـكون راضياً منه عن عمله هذا . وقد رأيت ان اربيه ليعرف فضل الرجال فلا يبادي المليح بالقبيح فاغتاظ الامير حمزة من عمر العيار وقال له ويلك اما كان في وسعك ان تحفظه وانت بعيد عنه غير انك صرت لئيماً خبيثاً وما ضربته الا كيدًا وبغضاً به وارى منذ الان وجودك بالعرب مضرّ . قال اني سارحل عنـكم ولا اعود قط ولا بد من انك تحتاج اليّ وتترضاني قال ان رحلت وان قمت فعلى حدٍ سوى فنحن في غنى عنك وعن اعمالك

فتـكدر عمر العيار من كلام الامير وقــال له لا ريب انك ناكر المعروف وجدت من الاصل احمق ولا يزال الحمق يتسلط عليك وها انا ذاهب من هذه الساعة ولا عدت تراني قط وخرج من الصيوان ولم يـكن يخطر للفرسان ان عمر العيار يرحل عنهم مهما كان الامر عظيماً وبعد خروجه التفت بديع الزمان في ابيه وقال له انك لم تصب يا ابي في عملك مع عمر العيار نعم انه اخطأ بضربه نور الدهر لـكن خطاءه هذا لا يحسب سيئاً بالنسبة لذنب ابني لانه خلصه من يــد كاووس شاه وسلمه الثريا واخرجه من البلد وحفظه كل الطريق اليس ذلك جميل حسن ومعروف يعترف به كل عاقل حـكيم فلما قصد هلاكه وموته مع اني لا اريد ان يـكون ولدي خبيث الطوية ناكر المعروف ولا بد انه متشرب اخلاق ابن اخي قاسم وهذا لا اريده منه والولد الذي يـكون كذلك لا خير في وجوده قال الامير مهما كان ذنب نور الدهر عظيماً لايلام عليه لانه في اول عمره والجهل يزين له كل شيء صعب واما عمر فهو عاقل ويعرف ان للسن حق في كل انسان وكان يقدر ان لا يضربه بل يبعد عنه ويحفظه في رجوعه كما حفظه في ذهابه مع ان هذا ابن سيده فاذا اخطأ كيف يعانده ويضربه وهل سمع ان العبد يطيل يده على مولاه.فقال بديع الا تعلم يا ابتاه اننا كلنا عبيد وان المرء في هذه الدنيا يحمد ويمدح باعماله وصفاته لابيه وجده ولا بماله وثروته على اننا نرى كثيرًا من الاعيان يتركون لاولادهم المجد والثروة فيضيعونهــا ويصرفون اكثر اوقاتهم

بالرذائل والقبائح ويخسرون كل ذاك المجد ويحطون من اعين الناس وهم غير مبالون بذلك واذا سئلوا قالوا اننا نحن ابناء فلان مكتفين بذلك ظناً منهم انه الصواب مع انك لو استنهضتهم لعمل خير او طلبت اليهم دفع بارة في سبيل بث المعارف واعانة العلماء والادباء لتأففوا وتضجروا واعتذروا ولكن اذا دعوتهم لرذيلة لبذلوا الكثير برغبة وشوق فافتكر يا ابي في ذلك وافتكر ان عمرالعيار هو افضل من ابني كثير لان مثل ابني كثير في العرب واما مثل عمر العيار فلا واحد لا في العرب ولا في غيرهم قال اني اعرف كل ما ذكرته غير ان ابنك ليس من الذين ذكرتهم واذا لم يكن له فضل على العرب الاعقل ابي الساطور لكني ومع ذلك سيكون عقله في المستقبل اوسع مما هو الان واما عمر فقد تباعد عنا وتباهي وهو يظن بنفسه ان العرب لولاه لاتقدر على المعيشة والنجاح . قال اريد منك ان تصلح بينهما وان لا تدع عمراً يتكدر من ابني ويرحل عن العرب بسببه فوعد الامير بديعاً بذلك . ومن ثم انصرف كل واحد الى حاله

ودخل الامير الى صيوانه وهو يهدس بامر عمرالعيار ونور الدهر وكان يخاف من ان يسافر عمر ويتركهم فتارة كان يقول لا يمكن ان يتخلى عن المعسكر ويرحل وانه طالما احتد وتكدر اكثرمن ذلك ولم يرحل وطوراً يقول واذا ذهب ما ذا يجري فان الله لايزال معنا وهو يحرسنا ويحفظ المعسكر وبقي على مثل ذلك الى ان دنا وقت المنام فدخل فراشه وغرق ببحر ثبات وفيما هو بلذيذ النوم رأى حلماً فنهض مرتاعاً ولم يأخذه نوم باقي ذاك الليل وعند الصباح نهض من سريره ولبس ملابسه وخرج من الصيوان ولما تكامل رجال الديوان وجاء بزرجمهر التفت اليه الامير وقال له لقد رأيت حلماً يا قاضي العرب واحب ان اعرف تعبيره وهو اني بينما كنت في لذيذ منامي رأيت نفسي في برية الحجاز في ديوان ابي الامير ابراهيم فسلمني جوهرة واوصاني كثيراً بالاحتفاظ عليها فقبضتها في يدي وانا مسرور منها لانها كبيرة جداً لا اظن يوجد مثلها في هذا العالم ثم خطر لي السفر فسافرت وانا قابض بيدي تلك الجوهرة وعقلي وفكري متحصران فيها وفيما انا

على سفري وقعت عيني على عين ماء جارية فتاقت نفسي الى الجلوس عندها ونسيت لحظة ان الجوهرة في يدي ثم انتبهت اليها فلم اعد اشعر انها بيدي ففتحت يدي فاذا هي صفر فغضبت كثيراً وكادت تنشق مرارتي وفيما انا على مثل ذلك استيقظت حزيناً على ضياع ما كان ثميناً عندي وحسبت لهذا الحلم الف حساب وخفت من ان يضيع احد من اولادي واحفادي واريد منك اظهار الحقيقة بدون خجل ولا حياء

قال فلما سمع الوزير كلام الامير قال له نعم انك اضعت جوهرة من اثمن الجواهر يحتاج اليها جيش العرب وتلك الجوهرة هي عمر العيار فانه انفع من الجوهرة وقد اراك الحق سبحانه وتعالى في الحلم انه سلمك الذخيرة لتنفعك وانه خلقه في العرب ليقوم بخدمتك وينفع العرب ويكون على يده كل نجاح وتوفيق واعماله هذه هي اثمن من الجواهر واغلى من الذهب الوهاج فلم تكن اميناً على مثل هذه الوديعة . فزاد حزن الامير وسأل عن عمر العيار فقيل له انه في كل الليل الماضي لم نره قط ولا رآه احد فقال من الواجب ان نرسل اليه من يترضاه ولابد من السوال لنعرف مكان وجوده قال بزرجمهر كن براحة فهو وان بعد عن العرب لابد ان يرجع اليهم ذات يوم اذا بقي حياً لانه يحبك حباً عظيماً ويخلص في خدمة العرب ولا ترضى نفسه في ان يتخلى عنهم ورأى قاسم غيظ الامير وسفر عمر فارتاح باله وقال في نفسه لقد وجدت سبباً اقدر ان احتج به على تأخير زواج بنتي بنور الدهر الى ان اجد له مهلكاً او اتمكن من بعده عن هذه البلاد واخذ في ان يتحبب من نور الدهر ويدعوه الى بيته ويزيد في انسه ومدحه ونور الدهر غارق ببحر الهوى سابح فيه ومع كل ذلك فانه كثيراً ما كان يتحذر لنفسه ويخطر في ذهنه وصية ابيه وجده وقد كاد يصدق قولهما مما رآه من المحاولة والمراوغة والتدليس والمواعيد الفارغة غير انه صبر صبر الكرام ووعد نفسه مع التمادي لابد ان يحصل على المطلوب ورأى ان الظروف في ذلك الحين لا تساعده على السعي خلف نوال المطلوب لانشغال بال جده على عمر العيار وقد خاف من ان يضيع

بالكلية كما ضاعت منه الجوهرة

قال فهذا ما كان من العرب واما ما كان من عمر العيار فانه خرج من المعسكر وهو غير مسرور من خروجه وقلبه لا يحب مفارقة العرب الا انه اراد ان يبعد عنهم مدة ولا يرجع اليهم الا بعد زمان ليرى الامير شدة احتياجهم اليه ولا زال في مسيره حتى وصل من بلد حصين واسع فدخل الابواب وطاف في الاسواق فاعجبه جداً وسأل عن الملك وعن اسمه فقال اسمه الخوند قاطرعطر فعرف الامير عمر انه ابو سرخابة زوجة بديع الزمان وقال في نفسه ما اكثر الخوندات في هذه البلاد كأن الله قد بعد عنهم بعداً شاسعاً وتركهم من عنايته وحل بغضبه عليهم حتى نسوه جميعاً وكفروا بعزته واقاموا نفوسهم آلهة وادعوا العظمة ولا بد ان الله قد نظر الان تماديهم فبعث العرب للانتقام منهم لانه عزَّ وجلَّ لا يمكن ان يترك الانسان الى الابد بدون ان يتفقده ويرجعه الى الصراط المستقيم . وبقي عمر يطوف في الاسواق وقد اعجبته جداً وحلت في عينيه وهو لابس ملابس الدراويش واخيراً انتهى الى سوق التجار فمر فيه حتى وصل الى دكان كبير واسع عال فرأى عند بابه رجلاً مهيباً جالساً على كرسي وبين يديه غلام بديع المنظر جميل الصورة لا عيب فيه قط فتقدم عمر وحياه تحية اهل الايمان فاجابه الرجل الى تحيته ولاقاه بكل بشر وانس ولطف ورأى عمر نفسه منجذباً الى محبة ذاك الغلام وقال في نفسه لا يمكن ان يكون هذا الا من اهل الايمان لان هيبة الله مرتسمة فوق جبينه

قال وكان هذا الغلام بالحقيقة من ابناء الايمان وهو ابن الامير قاسم بن رستم فرتم ابن الامير حمزة العرب وذلك كما تقدم معنا بوقته ان العرب عندما حاربوا الخوند في اول مرة ورماهم بالمارد وتشتتوا وفقد هذا الولد وهو طفل وقد خطف والذين خطفوه جاءوا به الى تلك المدينة وباعوه الى هذا التاجر وكان اسمه حاج عرج فاخذه اليه واعتنى بتربيته وسماه (فرج) وعمله كابنه لانه لم يكن له ولد قط وكان يعبد الله فعلمه هذه العبادة وزرع في قلبه التقوى ومعرفة الله سبحانه وتعالى

وهو لا يتقاعد عن تعليمه يوماً واحداً وصار يظن الناس انه ابنه . ولما وقف عمر في ذاك المكان ومال قلبه للغلام لم يرَ من الحسن ان يبتعد عن ذاك السوق ولا طاعه قلبه فاراد تطويل الكلام مع الحاج عرج فجعل يسأل عن الخوند وعن عمله وما هي دعوى الوهيته فلم يجبه ذاك الا بالضجر والاعراض فعرف انه يكرهه وانه لا يعبده فاراد ان يعرف اذا كان يعبد الله العزيز المتعال فقال له لا تغضب يا سيدي لاني غريب عن هذه الديار وقد دخلتها في هذه الساعة ولا اعرف احداً فيها وتاقت نفسي الى معرفة ملكها لان في بلادنا يعبدون غير ما تعبدون انتم لان الملك يعبد ما يعبده الصعلوك ويسجد للاله الذي يسجد له عموم اهل البلاد بل اكثر الجنس العربي . فقال عرج ما اسمك يا درويش قال اسمي عبد الله . قال لاريب انك لا تحب العبادة للخوند ويظهر من اسمك انك عبد الله سبحانه وتعالى وتعبده وهذا هو الصواب . قال نعم اني اعبد الله فهو المحيي والمميت خلق الخليقة بكلمة واحدة وبعث برسله وانبيائه الكرام الى العالم يعلمونهم ما لا يعلمون

فسر الحاج عرج من جوابه وقال له اني مثلك اعبد الله سبحانه وتعالى ولا اقدر ان اتظاهر في هذا البلد لاني وحيد فيها واكتم امري عن الجميع وبما انك مثلي فهلم الى بيتي اقم عندي فاتسلى بك ويتعزى قلبي . قال اني اجيب سؤالك واذهب الى بيتك ولا ارغب ان اقيم في مكان آخر لاني وان كنت غنياً وعندي من الاموال شيء كثير لا يسرني الا التقرب من الذين يدومون على ذكر الله سبحانه وتعالى واني ما تركت بلادي ولبست لبس الدراويش الا حباً بالله وبان اكون على الدوام مع رجاله الاتقياء وقد وجدت طلبي ولا بد ان اقيم عندك اياماً اتسلى بك فسر التاجر من كلامه وسار به الى بيته وامر له بالماء فغسل واعد له حجرة لمنامه وقدم له الطعام فاكل وجعل يتحادثان عن الخوند وعن اعماله وعن ادعائه الالوهية ونام تلك الليلة مسرور من التاجر عرج ومن الغلام

ولما كان الصباح نهض من منامه ولبس ملابس الدراويش واستأذن من مضيفه بالخروج فقال له ان هذا بيت معد لك فاي متى جئت تراه مفتوحاً فاستكثر بخيره

وخرج وطاف في الاسواق من جهة الى جهة ومن مكان الى مكان حتى وصل من سراية الخوند وطاف فيها فوجدها كانها سراية خوند السبائل وتفرج عليها وعرف كل معابرها وعند المساء رجع الى بيته ونهض في اليوم التالي ودام على ذلك الى ان كان احد الايام اي يوم الخميس خرج من البيت حسب عادته فوجد الناس بالزين الفاخرة والملابس الجديدة وهم يزدحمون ويسيرون افواجاً افواجاً الى جهة قصر الخوند فعرف ان ذاك اليوم عيد عندهم وانهم يقصدون به العبادة فاراد ان ان يتفرج على عبادتهم لكنه اراد ان يستفسر اولاً عن ما يجري فرجع الى دكان عرج وسأله عن سبب مسير الناس من جهة الى جهة وهم بتلك الملابس قال اعلم ان الاله الخوند في كل خميس يخرج الى خارج البلد حيث ابتنى هناك قصراً عظيماً وتجتمع الناس اليه من كل المدينة ولما يتم اجتماعهم يظهر لهم من النافذة فيخرون على وجوههم بكثرتهم ويسجدون له وبعد ذلك يدعوهم ان يقربوا منه واحداً بعد واحد فيقربون فيمد يده الى داخل النافذة ويخرج طعاماً سخناً ويعطيهم مدعياً انه خلق ذلك الطعام في الحال فيأخذونه ويرجعون شاكرين له متعجبين من تلك العظمة . قال ومن اين يأتي بذلك الطعام سخناً وهل يأكل ذلك الطعام كثير من الناس قال اما الطعام فلا نعرف له سبباً ولا ندري كيف يحضره ولا ريب انه يطبخه في الحال واما الذين يتناولون الطعام فما هم اقل من عشرة آلاف نفس

فلما سمع عمر العيار ذلك خرج من الدكان وتأثر الناس حتى وقف امام قصر الخوند والناس تتوارد افواجاً حتى انتهى جمعهم فوقفوا ينتظرون خروج الخوند موجهين بانظارهم الى اعالي القصر نحو نافذة مفتوحة مزخرف جانباها واعلاها واسفلها بالذهب الوهاج وحولها الزهور البيضاء والحمراء وبينما الناس وقوف اظهر الخوند قاطو عطر نفسه وكشف عن صدره وحينئذ خر الجميع على وجوههم الى الارض ساجدين ثم وقفوا واعادوا ذلك ثلاث مرات ومن ثم غطى الخوند صدره ونزل الى اسفل القصر ووقف في النافذة وقال هلموا يا عبادي فاني اخلق لكم الان لاطعمكم كي تشبعون وتشكرون لي ومد يده واخرج خبزاً واخذ

يناول الناس وكرر ذلك مراراً ثم مد يده واخرج طعاماً سخناً وناول الناس وهم يأكلون ويشكرون منه وكل ما اخذ رجل منهم قطعة خبز وطعام رحل من تلك الساعة مسروراً وهم يزدحمون فوق بعضهم البعض حتى كاد ينقضي النهار فانصرفوا الى حال سبيلهم وما بقي احد غير عمر وكان عمر ينظر ويرى وهو لم يسجد قط ولم يتحرك والخوند ينظر اليه وقدصبر حتى انصرف الجميع فتذكر انه لم يسجد فامر ان يؤتى به اليه في الحال

قال وعندما رأى نفسه بين يدي الخوند قال لابد من استعمال الحيلة وحينئذ سأله الخوند كيف لم تسجد لي ايها الغريب لعلك لا تؤمن بي قال اني اؤمن بك ايماناً قوياً ثابتاً لكن لا يخفاك انه قد اعتراني مرض المثانة فعملت على الدعاء اليك علك تشفيني وانت لم ترد ذلك وتغاضيت عني قصاصاً على خطاياي التي ارتكبتها في زماني ولما كان هـذا اليوم خطر لي ان لا اسجد لك عساك تراني وتتذكرني واعرف اذا كنت منسياً من رحمتك ام لا وفيما انا واقف انظر اليك واحدق في وجهك واتبرك ببركة انواره واذا بي قد شفيت فعرفت جيداً وتأكدت انك نظرتني واقفاً لم اسجد فتذكرتني وشفيتني فانت بالحقيقـة تقدر على كل شيء وتعرف كل شيء ولا سيما في هذا العيد وهذه شهادة تشترى فيما بعد وستنتشر ويتصل خبرها الى اقاصي العالم . قال فلما سمع الخوند هذا الكلام سر سروراً عظيماً وفضل انه لو يعطي نصف ملكه لعمر العيار لما فاه به وصدق من نفسه انه شفي بمجرد النظر الى وجهه ورأى جماعته وحواشيه يتعجبون من هذا العمل وتلك القدرة . وحينئذ اخذ عمر في ان يطنب في الخوند امام جماعتـه ويوصيهم بان لا يخالفوه وان يتخذوه شافياً وافياً لهم . ومن ثم امره بالجلوس فجلس برهة وفيما هو جالس قال اعلم يا سيدي اني قوي الايمان بك عامل متمسك بكل ما امرت وتامر به ولذلك اريد منك ان تمنّ عليّ ان انام هذه الليلة في هذا المكان لاني اعتقد ان ببركة قيامك فيه هذا النهار يتبرك ويصير الدواء الوحيد لكل داء والان حيث قد فعلت ما فعلت وشفيت فلكي لا اعود اقع بمرض اتمنى ان انام

هنا وقد عرفت من نفسي انك تقدر عليّ ذلك والشيء الذي لاتقدره لا مفر منه ابداً ولا بد من اجرائه

فلما سمع الخوند كلامه قال لقد قدّرت عليك ان تنام هذه الليلة في هـذا المكان الى الصباح وان تشفى من سائر امراضك واوجاعك وان لا ياتي عليك فيما بعد مرض لاني اعرف انك صادق الايمان كامل اليقين تعرف مقدرتي وتقدرني حق قدري فسر عمر العيار من هذا الامر وفرح غاية الفرح لانه كان يرغب ان يعرف كيف ان قاطر عطر يقدر ان يخرج من النافذة الطعام والخبز وما هي الحيلة التي يستعملها لذلك ويتمنى ايضاً ان يتفرج على ذاك القصر فشكر من الخوند واثنى عليه . وبعد ذلك نهض قاطر عطر وجماعته وساروا من ذاك المكان وبقي فيه عمر العيار على نية ان ينام تلك الليلة هناك وعندما صارت الساعة الخامسة ليلاً نهض من مكانه وطاف في القصر من ناحية الى ناحية حتى وصل من المكان المعين للطبخ فوجد هناك حللاً كل واحدة بقدر المركب الكبير فعرف ان الخوند يستعمل هذه الحيلة وانه يأتي بالطباخين من قبل العيد بيومين يطبخون الطعام والخبز ويضعونه على كرسي من خشب مدور موضوع على لولب له بكرات من تحته فيديرون اللولب فيكر الى ان يصل الى الخوند فيتناوله ويناوله للناس فيأخذونه سخناً ولغشمهم وبلادتهم يظنون انه يخلق ذاك الطعام في الحال وعند ما اطلع عمر العيار على تلك الحيلة قال والله لا بد من ان اكيده واغيظه ثم اخذ في ان يكسر تلك الحلل ويقلبها وكسر اللولب وكل ماكان هناك وهدم المواقد ولم يبق شيئاً على اصله

ولما فرغ من كل شيء خطر له ان يذهب الى القصر الذي ينام فيه الخوند وعند وصوله منه صعد على سطوحه ونزل الى داره وطاف حتى وصل الى الغرفة التي ينام فيها فدخل عليه وبنجه وحمله الى مكان بعيد وضعه فيه ورجع فاخذ ثيابه ولبسها وجعل نفسه كأنه الخوند ونام تلك الليلة الى الصباح وعند الصباح نهض من فراشه فغسل وجهه وجاءت الجوار اليه تقبل يديه والعبيد تخدمه فامتنع

احداً وبقي على حاله الى ان جاء كبير الخدم ومشى امامه فتبعه حتى وصل الى القصر المعد للاحكام فخرج الناس لملاقاته فدخل وجلس على كرسيه ولما استقر به المقام دعا اليه عرج فحضر وهو لايعرف لاي سبب دعاه الخوند وقد خاف ان يكون الدرويش قد عمل عليه حيلة وعرف انه يكرهه فبلغه كل شيء . ولما صار بين يديه قدم له فروض الاحترام وسأله عن سبب دعوته فقال له اريد ان تسلمني ولدك . قال لاي شيء يا سيدي تريده قال لقد عرفت انه نجيب فاردت ان انعم عليه واسلمه جيشاً من العساكر يأخذه ويسير الى العرب فيحاربهم عند السبائل . فارتمى عرج على رجلي الخوند يقبلهما وقال العفو يا سيدي ان ولدي لا يقدر على محاربة العرب ولا هو من رجال هذا الميدان وكيف تسلم اليه جيشاً فيهلك هو والجيش لانه بطول زمانه لم يحمل سيفاً ولا نقل رمحاً ولا غار غارة . قال مالك ولهذه الغلبة احضر ابنك اليَّ فانا الذي امنحه النصر والغلبة على العرب واجعله قادراً على انفاذ كل شيء فيهلك العرب باجمعهم واحداً واحداً ويرجع سالماً وهذا الذي قدرته عليه

قال فلما سمع عرج هذا الكلام كادت تنشق مرارته لانه كان يعرف انه لا يقدر ان يفعل شيئاً ولا يمكنه ان يقاوم الخوند ولا يستطيع الهرب والفرار فلم يرَ اوفق من تسليم الغلام والاتكال على الله سبحانه وتعالى فهو الحي القيوم الذي يهبه الحياة ويخلصه من مخالب المصائب فرجع في الحال طائعاً سامعاً وجاء بولده فرج فوقف بين يدي الخوند فامر ان يخلع عليه حلة من الذهب وان تفرغ له الاموال وقال له خذ خمسين الف فارس واذهب الى مدينة السبائل فترى العرب هناك فحاربهم حيث اعطيك القوة والنصر . واذا رأيت نفسك غير منتصر فارجع حالاً وسلم بنفسك اسيراً حتى اذهب انا بنفسي الى هناك فاقضي على تلك الاقوام بالفناء والهلاك وابيدهم عن آخرهم لانهم قد طغوا وتمردوا وعصونا واخذوا بنتي زوجة وادخلوها في دينهم وانا اطيل بروحي عليهم واصبر من يوم الى يوم الى ان رأيت خوند السبائل قد عجز عنهم فتأكدت انه لا يقدر عليهم لانه لم يقدر على

خلق الخبز والطعام لحياة البشر

فاطاع فرج وقبل يدي الخوند وذهب فرأى الجيوش قد تهيأت وركيت فركب على جواد اعد له وسار الخدم بين يديه افواجاً افواجاً

واما عمر المتزيي بزي الخوند فقد صنع ما صنعه ليرسل الولد فرجاً الى قبيلته العربية وفي الليلة الثانية اتى بالخوند من الموضع الذي كان وضعه فيه والبسه ثيابه ووضعه في سريره لينام وفي صباح اليوم الثاني ذهب الى بيت عرج وبعد التحية والسلام سأله الشيخ عبدالله اين كنت في هذه الايام فاني منذ مدة لم اراك قال كنت جائلاً في شوارع البلدة وضواحيها اتره الطرف بالمناظر الجميلة ثم قال له اين ابنك . فاخبره بما فعله معه الخوند وكيف ارسله الى محاربة العرب . قال له ربما تقتله العرب او تسبيه وتبقيه عندها ولا تعود تنظره ما دمت حياً . فاجاب عبدالله اذا رجع اليَّ فهذا غاية ما اتمناه واذا سبته العرب وابقته عندها فيكون رجع الى قبيلته التي اخذ منها . فقال اليس فرج هو ابنك فكيف ترضى ببقائه عند العرب . اجابه لا ليس هو ابني ولا ادري ابن من هو حينئذٍ بات عنده تلك الليلة وصباح الغد ودعه وذهب الى السبائل فوجد فرجاً راجعاً بالجيوش ويده مجروحة . فدنا منه الامير عمر العيار متظاهراً انه لا يعرف شيئاً من امره وسلم عليه وسأله قائلاً اين كنت انت وهذه الجيوش الكماة فاني ارى يدك مخدشة بالجراح . فاجابه فرج . كنت ذهبت لمحاربة العرب حسب امر سيدي الخوند ولكن صادمنا فارس شديد الباس والاقتدار يسمى الامير قاسماً فهجم علينا هجمة الليث الباسل وجرحني وهزم جيوشي حتى اضطرنا الامر الى الهرب من وجهه . وبهذه الواسطة نجونا بانفسنا من بطشه وسلمنا من فتكه وشره وخير الامور السلامة . فقال له الامير عمر عند ما تصل المدينة لا تدخل على الخوند ولا تخبره بشيء مطلقاً لئلا يغضب عليك ويجازيك شراً فتكون جدعت انفك بكفك وبحثت عن حتفك بظلفك لاني سمعت ان الخوند يقتل كل من يذكر العرب بلسانه لو يتكلم شيئاً بهذا الخصوص . وكذلك اخبر الجيوش الذين بصحبتك ان يقولوا

ان لا علم لهم بشيء وان يكتموا مسألة الحرب كل الكتمان ثم توجه فرج الى المدينة ولم يذهب الى الخوند ولا اخبره بشيء عما حدث

واما عمر فذهب الى السبائل وحين وصوله الى المعسكر رأى وكيلاً على العيارين بوظيفة حارس الابواب وحامي القبائل والجيوش وحين ترك عمر وظيفته وذهب الى بلاد الخوند اجتهد هذا الوكيل كل الاجتهاد وعمل جميع الوسائط اللازمة والتدابير المهمة ليحصل على وظيفة عمر فتقدم اليه الامير عمر بصفة متسول يطلب الاحسان منه فوجده باصر الى الارض بعين شاخصة وحالة تدل على التحير والارتباك . فسأله قائلاً ما بالك يا سيدي في حالة الحيرة والدهشة ولاي سبب انت متكدر كل هذا الكدر . اجابه الوكيل دعني يا درويش الخير لان الذي اصابنا لم يحدث بمثله قط قال عمر وماذا حدث اخبرني به وانا باذن الكريم افرج كربك وازيل همومك اجاب الوكيل انني كنت اطلب هذه الوظيفة بكل اجتهادي وميلي متوهماً انني اصير اسعد العالم واحسن الناس خيراً وكرامة فلما حصلت عليها وجدت ذاتي اشقى خلق الله واقلهم راحة واكثرهم عناء وهماً لان الذي اصاب المعسكر هو امر تستك له الاذان وتدك لهوله الجبال والوديان كيف لا وان فرسان العرب العرباء المشهورة في الشجاعة والبسالة والعز والاقدام قد سرق اكثرها وسلب اعظمها ولربما سرق الباقي باقرب وقت اذا بقيت الحال على هذا المنوال . واعظم البلية اننا لا ندري من يسرقها ولا نعرف من اين يأتي ولا كيف تسرق وللان لم يبقَ في القبيلة سوى الامير حمزة وبديع ونور الدهر وقاسم والسلطان وهذه هي الليلة الخامسة من ابتداء هذه المصيبة العظمى والرزيئة الكبرى وفي كل ليلة كان يسرق سبعة فرسان وكان العيارون يجتهدون كل الاجتهاد ولا تأخذهم سنة ولا نوم لا ليلاً ولا نهاراً ومع ذلك لم يجدوا واحداً . واما الامير فكان يعنف حارس الابواب والعيارين ويتهددهم قائلاً عند ما ذهب عمر من معسكرنا ذهبت فرساننا ادراج الرياح . فيقول له الوكيل ماذا نعمل يا سيدي او ماذا نصنع اناء الليل واطراف النهار لا ننام ولا نعرف طيب الرقاد لا انا ولا

العيارون ومع كل هـذا لم نرَ صادراً او وارداً . ففكر عمر في قلبه قائلاً انا تركت القبيلة هذه المدة الوجيزة وصار فيها كل هذا فكيف في مدة طويلة ثم توجه الى صيوان اليون شاه فوجد الامير جالساً وهو يضرب اخماس لاسداس وتتنازعه عوامل الافتكار والتحير والارتباك في هذه المصيبة التي حدثت لهم وعلائم الغم والكدر تلوح على محياه فقال له بديع والسلطان سعد كل هذا اصابنا بسببك ايها الامير فانك عندما طردت عمر لما لحق بنور الدهر من الاهانة اصبحنا مغنماً للصوص والعيارين يتصرفون بابطالنا وفرساننا كما شاءوا وسوف يلم بنا ما الم بالغابرين ويسرقوننا كما تسرق الامتعة ويقودوننا الى حيث شاءوا كما تقاد البهائم وكل ذلك لغياب عمر الذي اولانا من الجميل ما اثقل عاتقنا ومن الاحسان ما لا يجب علينا ان ننساه مدى الحياة فلو كان موجوداً لكنا في مأمن من تلك المحظورات هـذا والامير حمزة حائر باهت في ما آل اليه امره لا يعي لشيء من الاضطراب ولا يفقه لما يوجه اليه من الملام والتفنيد لبلباله وانشغاله بالحوادث الحاضرة المكدرة

اما الامير عمر العيار فانه تأثر مما جرى غاية التأثير وتكدر مما حصل غاية الكدر ولام نفسه للذهاب من الجيش ولعدم صبره على اهانة الامير حمزة له بما اوقع هذا الخلل بالمعسكر فندم اشد الندم وارتأى ان يداوي الحاضر بالحاضر فانطلق بخفته المشهورة وبافكاره السامية ينتقل بين المعسكر من مكان الى مكان ويرمق بعيونه اليواقظ الشارد والوارد والقائم والجالس وهو لايشغله شاغل عن كشف ذلك المكنون ولايقر له قرار ولا تاخذه سبات الغفلة والملل عن ايجاد اولئك اللصوص حتى عثر في الساعة الخامسة وقد خيم الظلام بسبعة رجال مرتدين بملابس العرب وقـد خفاهم الليل الدامس واتقان الملابس وتصنع الحركات عن اعين المراقبين ولكن عمر الذي لم تكن تخفى عليه خافية علم ما تحت تلك الملابس من الدسائس وايقن بانهم من العيارين الذين اقلقوا الجيش لغريب ما صنعوا فتركهم وشأنهم وانطلق وكن خارج المعسكر كمون النار بالحجر حيث مرورهم

لا يكون الا من هناك

وقد صدق ظنه فانه لم يلبث بكمنه ساعة من الزمان حتى رآهم عائدين وعلى كاهل كل منهم رجلاً فاقد الرشد والصواب وهم بوجوه تتهلل بشراً وطرباً بما نالوه من الظفر فتأثرهم ليعلم مقرهم ولم يزل وراءهم بدون ان يشعر به احد حتى قربوا من البحر فتأخر احدهم ليزيل الضرورة وانزل من كان على كاهله فاستغنم عمر تلك الفرصة والتي عليه البنج وهوخلفه برشاقة غريبة فسقط على الارض متأثراً من البنج لا يفقه ولا يعي فانقض عليه للحال واوثق يديه ورجليه ثم اعطاه ضد البنج فاستفاق مرتعباً مذعوراً وقال له ولسانه يتلعثم من شدة الخوف الامان يا سيد العيارين فقال له لا امان الا اذا كنت تخبرني الحقيقة عن غايتكم بسرقة نخبة ابطال العرب وعن مقركم فقال له احلف لي بانك تبقيني في قيد الحياة فاجابه نعم اذا كنت تصدقني في الكلام والا امزق احشاءك بهذا الخنجر فارتعب ذلك العيار وقال اسمع يا سيدي فاني اعلمك بحقيقة الخبر لان ذلك الخنجر المسلول قد هالني بما سيؤكد لك صدق اخباري عما اعلمه وان حياتي عزيزة لدي وقد تعهدت لي بحفظها فاجابه نعم تكلم قال نحن ستة من العيارين تحت إمرة رجل اشبه بالشياطين لمهارته واحتياله يسمى خفيف الطيار وهو رئيس العيارين عند كاووس شاه صاحب مدينة الدواليب والسبب في مجيئنا هو انه من مدة من الزمان قدم الي مدينتنا نور الدهر حفيد الامير حمزة وهو ذلك الملقى امامنا على التراب بدون حراك وبنيته اخذ الثريا الجوهر فعلم بقدومه الوزير بواسطة الرمل واعلم كاووس شاه فقبض عليه واودعه في السجن وفي اليوم الثاني وجد خفير السجن مذبوحاً والاسير هارباً والثريا الذي كان اخذها عمر العيار حيث تزيا بزي وزير ليحتفظ عليها مفقودة والوزير دوش قدم مكبلاً بالقيود فصعب ذلك على الملك وكبر عليه ذلك الامر جداً وتأسف غاية الاسف حتى علم من الوزير الذي ضرب الرمل وعرف الحقيقة بان عمر العيار الذي اخذ الثريا بالمكر والاحتيال وفرّ بها وبنور الدهر الى بلاده فاستدعى خفيف الطيار وامره ان يذهب بنا

اليكم ويسرق امراءكم وابطالكم لينتقم منهم ويسترجع الثريا التي هي اعز عليه من حياته فجئناكم راكبين البحر وانتهزنا فرصة تغيب عمر العيار عن المعسكر بسبب النفور الذي حصل بينه وبين الامير حمزة وفي هذه الليلة اتممنا ما انتدبنا اليه من سرقة جميع الامراء والابطال ونحن في عزم السفر بالمركب الذي ينتظرنا على الشاطيء. وهذا جميع ما اعلمه فجد بما وعدتني به ويعلم الله باني لم اكذب بحرف واحد

فانقض عليه بالحال عمر وقال له يسوءني جداً ان احنث بيميني ولكن وجودك لسوء الحظ يثقل عليَّ وطعنه بخنجر في صدره القاه يختبط بدمائه ثم اخذ المكحلة وقال لها اني اقسم عليك بما اعطيت من السر ان تجعليني بهيئة ذلك العيار ومثاله فصار مثله وللحال حمل نور الدهر على كاهله ولحق بالعيارين حتى ادركهم وهم ينتظرونه بفروغ صبر على الشاطيء فتقدم منه رئيسهم ولطمه على خده لعاقته وقد كاد يغمى عليه لشدة تلك اللطمة فلم يجاوب بشيء سوى انه نزل معهم بالقارب ولم يزالوا يجذفون حتى بلغوا المركب واعطوا الاسرى ضد البنج وشدوهم الى اصحابهم بقعر المركب فنزل خفيف الطيار الى الاسرى يوسعهم من الضرب الاليم ويعاملهم باقبح انواع الشتم والسباب وعمر باذائه يتأفف ويتململ وقد كادت الحدة تحمله على ان يهجم عليه ويبطش به ولو مهما كلفه ذلك العمل من الفشل والخذلان ولكنه صبر الى ان غرق واصحابه العيارون ببحار النوم العميق فبنجهم وذبحهم ذبح الكلاب عن آخرهم ولم يبق الا رئيسهم خفيف الطيار الذي كان امر بتشريع القلوع وسفر السفينة فنزل عمر بعد ذبح العيارين الى قعر المركب ليرى ماحل بالاسرى فوجد ان اليأس قد تمكن منهم عند ما شعروا بسفر المركب وصال عليهم القنوط والكدر فاقبلوا على الامير حمزة يوسعونه من التفنيد ويحملونه من الملام ما لا يطاق وهو ساه ساهر من الانفعال وبه فوق ما بهم من القلق والاضطراب الى ان لمع فوق جبينه شعاع من الامل فرفع راسه وقال اعلموا يارفاقي اني مقر بغلطي وسوء تدبيري بابعاد عمر ولكن سهم القضاء نفذ فليس

لنا الا التسليم وقد الهمت بان سيكون خلاصنا قريباً فاسمعوا لما اقول فاصغى القوم بملء مسامعهم وقد رقصت قلوبهم املاً بكلام الامير حمزة الى ان قال لهم اعلموا يا سادات انه يوجد بيني وبين عمر عهد وهو اني اصرخ ثلاثة اصوات فيحضر فسأناديه الان بتلك الاصوات عساه يأتي ويخلصنا فتغيرت وجوه الاسرى عند كلامه وعلا الضجيج ما بينهم فمنهم من كان يسخر به وينسبه للخرف ومنهم من كان يعنفه ويوبخه بمزيد القساوة ومنهم من كان اصفر الوجه باهت النظر مضطرب القلب لما نابه من اليأس والحزن الشديد بجيبة امله كل ذلك وعمر بينهم يسمع ويرى كل ما دار بينهم من الحديث والحركات فتأثر الامير حمزة من هذه المعاملة فقال لهم دعوني يا اصحابي اناديه وسيتضح لكم الامر وللحال صرخ بمزيد الخشوع قائلاً « اسألك يا صاحب الامر ان تاتيني باخي عمر » فلم يكن صراخه الا ليزيد استهزائهم وسخرهم به فكان هذا يقول انظر ايها الامير كيف ان الله استجاب دعاك وارسل عمراً لنا ينقض من الجو باجنحة عقاب وذاك يقول انظر كيف يشق عباب البحر بانياب تمساح لتمزيق الاعداء وهذا يقول مره بالنزول ايها الامير فانه معلق على الصواري باستنظار اوامرك فلم يكترث بكلامهم بل انه صرخ ثانية فاستعد عمر لذلك ولم يتمم نداه للمرة الثالثة حتى انتصب عمر بينهم وصرخ لبيك يا امير العرب ها قد حضرت فمرنا شئت فاندهش الحاضرون وحاروا ولبثوا برهة صامتين باهتين كأن على رؤوسهم الطير وشرع عمر يوبخهم ويلومهم اشد اللوم لما عاملوا به الامير حمزة من الهزء والاستخفاف بقدره ومن ثم تقدم اليه وقبل عارضيه فاعتذر اليه الامير حمزة عما فرط منه بحقه وسأله الصفح عن خطاه ونسيان ما مضى فاصطلحا على احسن حال وراقت منهما القلوب ففك عمر قيود الاسرى وادار دفة السفينة الى البر فبلغوه ونزلوا الى الشاطيء يصحبهم خفيف الطيار مكبلاً بالقيود.وهم بوجوه تتهلل من البشر بالخلاص وقلوب تخفق من الفرح والسنة تدعو لمخلصهم من ذاك الاسر الوخيم العاقبة ومن وقوعهم بايدي كاووس شاه المشوم

فلما وصلوا الى المعسكر وجدوا الجيش بحالة يرثى لها من التفريق واهتمام كل بنفسه وهم يستعدون للرحيل ويحملون الاحمال ليبعدوا عن الخوند حذراً من صولته فظهر امامهم الامير حمزة بابطاله وهدأ روعهم فردت ارواحهم اليهم بقدومه وهنأوه اصحابه بالسلامة . وبعد ما فرغوا من التهنئة والسلام تقدم الامير حمزة من عمر وصافحه وقال له عاهدني يا اخي عمر بانه مهما حصل لك مني لا تفارقنا لاننا لا نأمن على نفوسنا بفراقك ولا ننفع شيئاً بدونك فانت ركن حياتنا ومنقذنا من جميع المصائب فعاهده عمر على ذلك وقال له اني خلقت لاخدمك واسير بركابك اين سرت وان طردتني فليس لي قلب لارحل به عن خدمتك . فشكره الامير حمزة على هذا الكلام ثم سألوه عما جرى له واين كان اثناء تغيبه . فاخبرهم بكل شيء على التفصيل وبعد ذلك احضر عمر خفيف الطيار وهو حانق عليه اشد الحنق وصدره موغر حقداً لتلك اللطمة التي لطمه اياها على خده عند الشاطئ فايقظه من البنج فانتبه ذلك خائفاً وجلاً فقال له عمر اتتذكر تلك اللطمة التي لطمتني اياها على الشاطئ عند ما كنت بصفة احد اتباعك ولكنك لاتعرف اللطم والحال صفحه على خده بيد من حديد تحركها شرارات من القلب لاتطفئ وقال انا اعلمك حقيقته وسأميتك ميتة يتأدب بها غيرك ويعلمون بان عمراً لا يقوى عليه احد من العيارين ولا من الابالسة . وعند ذلك امر العيارين ان يأخذوه الى جبل عال ورمي به من رأس ذلك الجبل الى واد عميق حيث الارض مفروشة بالصخور التي رؤوسها اشبه بالابر فهوى الى الارض واقتسمت جسمه الصخور فكان فريسة وغنيمة باردة لانيابها

اما فرسان العرب فكانت خائفة من الخوند حائرة تعمل الفكرة ولا تجد وجهاً تهتدي به للخلاص من قبضته . فبينما الامراء والقواد ذات يوم مجتمعون بمجلس اذ دخل عليهم ابن سيار العيار وقال لهم اني كنت خارج السبائل اتفقد احوال الاعداء وعند رجوعي شاهدت عسكراً جراراً ينوف عن المائتي الف يتقدمهم رجل عظيم والشجاعة لائحة على وجهه وقد وصل ذلك الجيش في هذا

النهار فدخلت بينهم وعلمت منهم انهم من عساكر الملك الفراش صاحب مدينة مطلع الشمس وقد اتوا لمساعدة الخوند علينا تحت امرة ملكهم البطل الصنديد وبقيادته وان ذلك الملك قد اتى بالرغم عن ارادة ابيه الذي علم من الرمل بان موته يكون من احد فرسان العرب وقد حذره من ذلك كثيراً فلم ينتبه لكلامه ولم يرعوِ عن غيه بل انه عصي اوامر والده وزحف علينا بهذه العساكر التي ضاقت دونها واسعات البيد

فتكدروا جداً من ذلك الامر وجلسوا يتشاورون في امر هذه الحرب المهولة يضربون اخماساً لاسداس ويخبطون خبط عشواء وكل منهم يشجع الاخر ويظهر عدم اكتراثه بهذه الجيوش التي سدت منافذ النسمات حسباً فطروا عليه من الشجاعة والاقدام وعدم المبالاة بصعاب الامور

واما ما كان من امر الملك الفراش فانه عند وصوله بعساكره الجرارة ذهب الى الخوند وقدم له خضوعه واحتراماته واخبره ما الغاية من مجيئه فمنحه البركة وقابله بكل بشاشة واكرام وقال له ان قدرتي تحفظك من بغي المعتدين ومن سيوف الاعداء فخرج من عنده شاكراً متهللاً وقد اقسم له بانه سيفني العرب بحد السيف القرضاب ويجعلهم عبرة لامثالهم على ممر الزمان وكرور الايام

ولما بلغ معسكره افتكر بان يعلم بنفسه حقيقة احوال الاعداء فعزم على ان يذهب اليهم بصفة رسول فكتب كتاباً يتهددهم به ويأمرهم بالامتثال والطاعة والرضوخ لاوامره فغير ملابسه وذهب الى معسكر العرب حيث اجتماع الامراء وقادة الجيش واولياء الامور فمنعه الحجاب عن الدخول ولما علموا بانه رسول استأذنوا له فدخل وقدم كتاباً للامير وشرع يفحص الحاضرين بعيون ناقد بصير اما الامير فانه فض الكتاب وقرأه وعرف رموزه ومعناه فهدر وزمجر كالاسود وغضب اشد الغضب مما حواه ذلك الكتاب فمزقه وعزم لفرط حدته ان يفتك بالرسول لو لم يمنعه غزير حلمه عن ذلك العمل المخل فانتبه الملك الفراش لحدة الامير حمزة وحاول التخلص من هذا المركز الصعب المهول فقال له بصوت عذب لطيف

هلّا يسمح سيدي الامير بجواب هذا الكتاب

فقال له الامير حمزة وقد كاد يتميز من الحدة والغيظ . لا جواب عندنا غير حدود الصوارم التي تقطع الكبر والخيلاء من رؤوسكم وحرب تجعل الولدان شيباً تسعرها رجال بقلوب قدت من الفولاذ وعزم قدّ من الجبال فعد الى مولاك الجاهل واخبره بما رأيت وسمعت وأن يستعد للقتال ويرى افعال الابطال . وقد كان الامير يتكلم وصوته بزيد الارتفاع كانه بساحة النزال يفرق الرجال بحد صارمه وسنان رمحه العسال حتى ارتاع لذلك الملك الفراش مع عظم شجاعته وخاف عاقبة حمقه فهرول مسرعاً الى معسكره وهو يلعن العرب وما طبعوا عليه من العناد والشجاعة والاستخفاف بقدر الفرسان ولو بلغت الرمال عدداً . ولم تخفى على الامير حمزة حالة ذلك الرسول لانه لما رأى من لحصه للجيش والامراء ومن تصنعه للاتيان بحركات عامة القوم لتطابق وقفته وهيئته هيئة الرسل ومن ثباته وازدرائه بكلامه عند غيظه علم يقيناً انه الملك الفراش ولذلك اخبر جميع من حضر المجلس فصادق على كلامه كل من كان ينظر الى الرسول بعين الباحث المنتقد لان حالة الملوك والعظماء لا تخفى عن الاعين اليواقظ

اما الملك الفراش فانه لم يزل يهرول ويسرع الجد وهو لا يعي على نفسه لما رأى من احتقار العرب لهم ويود لو يزول ذلك النهار والليل باقل من لمح البصر ليركب بجيوشه ويبدد شمل العرب حتى وصل الى الخوند فقبل يديه واخبره بما رأى وسمع وهو يتفتت من الغيظ ثم استسمح من الخوند ان يبرز نهار غد الى ساحة النزال ويأسر جميع الفرسان والابطال ومن ثم يهجم بجيوشه على فرسانهم ويمحو من الارض آثارهم ويبيد فرسانهم ورجالهم وساداتهم وابطالهم فطيب خاطره وشكره لشجاعته وقال له اني اعلم يا ولدي انك قادر على فعل ما تقول ولكنك تعبت في هذا النهار من مشاق السفر فدعنا نتحمل عنك قتال الاعداء وننكبهم بانواع الشقاء والبلاء وبعد ذلك تكون استرحت فتحمل على ما قلت وتنتقم من ملوك العرب اشكالا وتذيقهم من الم الشتيت والذل نكالاً

فتكدر الفراش من ذلك وخاف الا يعيقه الخوند عن القتال وهو بانتظاره على مقالي الجمر فقال له اني لست بتعب يا مولاي ولا يقعدني التعب عن قتال اولئك المتمردين البغاة الجاحدين فضل الوهيتك وما كان التعب ليقعد اسود الهضاب عن افتراس هررة البراري وكلاب الاسواق فدعني انزل اليهم نهار غد واشفي بقتالهم الغليل وجد عليَّ ببركتك ورضاك لاريهم من ثباتي الجبال الشواهق ومن وثباتي كيف يكون انقضاض الصواعق فاني ما خلقت الا لابذل مهجتي بين يديك وما هي بعزيزة بسبيل تنفيذ مآربك وكبح جماح اعدائك فشكره الخوند لما ابداه من الطاعة والشجاعة وقد افعم قلبه سروراً لمزيد اخلاصه وقال له افعل ما تشاء فاني سأرسل ملائكتي لتحميك وتمنع عنك غدر الاعداء وبقوتي فتلبسك وتجللك وتساعدك على تدميرهم وخرابهم فتعود اليَّ ظافراً منصورا حيث اشملك بنعمتي وانعشك برضاي وبركتي . فذهب الملك الفراش بغاية السرور والحبور وتام تلك الليلة يتقلب على فراش الامل بالنصر والفوز واكتساب المجد والفخار بإذلال العرب واجبارهم على الطاعة والامتثال بعد الفتك بامرائهم ورؤسائهم وقادة جيوشهم وقد تحققت آماله باحلامه تلك الليلة ووجد الجميع امامه برؤوس منحنية وعيون منخفضة اجلالاً وهيبة لمقامه والخوند قد شاركه بعرشه وقاسمه بجبروته ومجده ولم يزل عارقاً ببحار تلك الاحلام اللذيذة حتي بزغ الصباح وعادت شمس آماله الاشراق فمحت نجوم الاحلام ولم يصدق ان بزغ الصباح حتى نهض من الفراش واعتمد بدنه وامر البيورق ان تتقدم الى ساحة القتال فاصطفت الصفوف وترتبت المئات والالوف و[illegible] ذلك [illegible] العرب بالترتيب التام والنظام الكامل وقد كان بجتيار يرتب [illegible] خائف على الفراش لما رأى [illegible] من عجبه بنفسه [illegible] فروخ الجان . ولما انتظمت [illegible] دقت طبول الحرب [illegible] الوديان والجبال وبرز الملك الفراش الى ساحة القتال [illegible] بعدها الطابر تصيح بانغام انواعها على [illegible] وتريد ان تمزق [illegible] كتب الموت على [illegible]

رمحاً مكعباً طويلًا بسنان لا يجد امامه من معارض الى مقاتل الرجال وعليه درع دلاص من نسيج داود ضيقة الزرد والعيون تفدي لابسها بعيونها وتمنع عنه بوائق الغدر وعلى رأسه تاج مرصع بالجوهر واليواقيت وهو مرتد بثوب يكل عنه الواصفون فتوسط ساحة النزال ولعب بجواده على اربعة اركان المجال واشار برمحه الى الاعداء وطلب البراز فلم يتمم كلامه حتى انطبق عليه معقل البهلوان انطباق الجبال وانقض عليه الملك انقضاض الصواعق واخذا في الطعن والضرب واظهر كل واحد لخصمه ما عنده من الفنون في الحرب وقد كرًّا وفرًّا وتقاتلا وتناضلا وتزاحما وتلاحما وافترقا وتلاصقا واظهرا ماعندهما من الشجاعة حتى توسطت الشمس في قبة الفلك فضجر الملك الفراش من مطاولة خصمه ولحظ منــه العجز والضعف فاستغنم تلك الفرصة وتقدم منه حتى حك الركاب بالركاب فهجم عليه واقتلعه من بحر سرجــه فكان بيده كالعصفور ورجع به فسلمه الى احد اعوانه حيث كبله بالقيود وقادوه اسيرًا فرجع الى ساحة النزال وطلب البراز فانحدر عليه قاهر الخيل وهو يلتهب غيظاً ويود لو يقدر ان يبتلعه فتجاولا وتقاتلا والتطما واصطدما وتقاربا وتباعـدا ولم يزالا على مثل هذا الحال حتى سبحت الخيول بالعرق من تحتهما وتقصفت بين ايديهما عوالي الرماح فاعتمدا الى البيض الصفاح لانهـا اقرب الى قبض الارواح وقد خاف الفراش ان ينقضي النهار دون ان ينال من خصمه المراد فجاوله واتعبه وانهكه حتى لحظ منه العجز والتقصير فانقض عليه واخـذه اسيرًا وعاد به الى معسكره حيث قابله بختيار وقبــل اياديه وشكره على صنيعه . فقال له اصبر فسأسوقهم سوق المواشي واذبحهم ذبح الاغنام وكان قد خيم الظلام فدقت طبول الانفصال وافترق الجيشان على امــل العود بالصباح وقد تأكدت فرسان العرب شجاعة الفراش وتفننه بالفروسية والبراز وانه يفوق على طهماز ابو الساطور

وقد بات الجيشان يتحارسا وهم بانتظار الصباح ليعودا الى الحرب والكفاح وعند بزوغ نوره دقت الطبول فتقدم الملك الفراش وطلب البراز فبرزت اليه فرسان العرب واحدًا بعد واحد وهو يجول جولة الاسود ويفتخر بنفسه ويسود حتى ولى

النهار واقبلت جيوش الظلام فرجع الفراش الى معسكره فرحاً مسروراً وقد اسر خمسة من الابطال المشهورين فقرنوهم الى اصحابهم ونام تلك الليلة متهللاً وقد انعش فؤاد كسرى وبختيار بما فعل فتأملا بواسطته لما شاهداه من شجاعته بالعود الى الاوطان والنصر والمجد بعد الخزي والخذلان

وفي اليوم الثالث برز الملك الفراش الى ساحة النزال واشار الى العرب بعظمة وفخر طالباً براز ابطالهم فتسابق للقائه نور الدهر بن بديع الزمان وقاسم بن رستم فكان السابق قاسم فصدمه صدمة تزعزع الجبال فقابله بمثلها وانطبقا على بعضهما وكل يأمل الفوز والانتصار وجللهما الغبار فخفيا عن الابصار فكانا يلتحمان حتى تضيق منهما الانفاس ويفترقان حتى ادهشا الناس وتطاولت اليهما الاعناق ليعلموا من منهما يحرز السباق وحام على ذلك البطلين غراب البين فما كان يرى ويسمع الا صدمات يرتعد لها كل فارس جبار واصواتاً تهتز لدويها القفار وقد قصرت من تحتهما الخيول وتحدر العرق منهما كالسيول وتصور كل الموت بين عينيه فتقاتلا قتال من يئس الحيوة وهجما على بعضهما هجوم من لا يخشى الحمام ولا يروعه الموت الزوام الى ان قرب العصر فاحس قاسم من نفسه بالتقصير وان الفراش ليس كمن لاقاه من الرجال فلام نفسه لخروجه اليه فندم اشد الندم وقاتل قتال من سئم العيش وانف من الذل الى ان كل ومل وضعف عزمه وانحل فانقض عليه الفراش انقضاض الباز على فريسته واقتلعه من بحر سرجه حيث اخذه اسيراً وقاده ذليلاً حقيراً وذهب به الى المعسكر فشدوه الى اصحابه مكبلاً بالقيود وبات تلك الليلة العرب على فراش القلق والملك الفراش على فراش الرغد وقد سكر بخمرة الفوز والانتصار وبختيار وكسرى على فراش الامل والرجاء الى ان اشرق الصباح فتقدم الفراش وطلب البراز فبرز اليه نور الدهر وما زالا الى الساعة الثامنة وهما في اشد طعن وضراب وقد تكسرت في ايديهما العوالي وانفلت ظبي السيوف واختنقت الجياد من الكر والفر وشكت الارض من عظيم قتالهما وضاقت انفاسهما من الجولان والحر وتمنى كل منهما لو لم يخلق او يفوز بالارب الى ان احس نور الدهر

من جواده بالتقصير فايقن بشراب كاس العطب وضعف عزمه فقاتل قتال الجبابرة الى ان تحول قتاله الى المدافعة فدافع عن نفسه دفاع الابطال ولم تطل هذه الحالة لان الفراش من ابطال ذاك الزمان فانقض عليه واخذه اسيراً وهو يترنم من الطرب وقد كوى بذلك قلوب العرب وفي اليوم التالي برزوا اليه ملوك الظلمات فاسر منهم بنهار واحد اربعة وكان جملة من اسر من العرب تسعة عشر فارساً وكلهم من الابطال المشهورين الذين تضرب بشجاعتهم الامثال فانقضت لاسرهم ظهور العرب ولا سيما بديع الزمان فانه جزع اشد الجزع لوقوع ولده بايدي الكفرة والامير حمزة فانه ندم اشد الندم لعدم برازه في اول الامر وكان اكثر الناس خوفاً على الاسرى من الخوند لئلا يقتلهم ويعجل بهلاكهم قبل ان يتسببوا بخلاصهم ولذلك كان قلقاً هائماً لا يعي لشدة اليأس اما الملك الفراش فانه ذهب في تلك الليلة الى الخوند حيث كان هناك ايضاً كسرى وبختيار وقبل يديه وقال له ان كل ما فعلته لم يكن الا بسبب رضاك عليّ وبما وهبتنيه من البركة وسأبذل غاية الجهد باسر باقي ابطالهم زمن ثم نهجم جميعنا بجيوشنا الجرارة على الاعداء ونبيدهم بيوم واحد ونشتتهم بالقفار ونمحوا منهم الآثار فوقف اذ ذاك بختيار وقد كان خائفاً كل الخوف من ان يسعوا بسرقة الاسرى قبل الفتك بهم لما يعلم بعيارهم من الشطارة وعدم المبالاة بالصعوبات وقال اعلم ايها الملك العظيم انه يوجد بجيش العرب رجل يقال له عمر واقل صفاته انه يخدع الابالسة ويسرق الكحل من العيون بما أعطي من المهارة بهذا الفن ومما يزيده نجاحاً بخداعه مكحلة بيده يتزيا بواسطتها بزي من يشاء من الرجال والنساء بحيث يصير كالمراد تقليده تماماً وعنده ايضاً مرآة تهديه الى كل خفي ولولا ذلك العيار وافعاله العجيبة التي يشهد بها حربهم القديمة مع كسرى لم تقم للعرب قائمة وكانت اخبارهم اندثرت واصبحوا لا ترى الا مساكنهم فانه خلص ابطالهم مراراً من القتل بخداعه ودك الحصون المنيعة وفتح القلع المتينة بحيله ومكره وقد لمّ شعثهم بعد ان افترقوا وخاص اميرهم حمزة من الصلب واني لموقن يا سيدي اذا لم تفتكوا بالاسرى وتهدروا دماءهم

بهذه الليلة لا يشرق الصباح الا وترونهم يطلبون حربكم ونزالكم فاستحسن الخوند ذلك الرأي وعزم على ان يتمم قتل الاسرى بتلك الليلة فعارضه الملك الفراش قائلاً انكم قد نظرتم موضع النظر بهذه المسألة وان ذلك مسلم به لاننا لم نأسر ابطال العرب لنكرمهم ونمجدهم بل لنميتهم شر ميتة ولكني قد رأيت ان نؤجل هلاكهم الى الصباح حيث نرمي رقابهم امام اصحابهم ونحرق بذلك قلوبهم فيعلمون باننا لا نخاف باسهم ولا نحسب عاقبة لمثل هذه الحوادث . فاستحسن الخوند ذلك الرأي والجم بختيار خوف الفشل وتذكر الضرب بالاحذية فسكت وبقلبه شرارات لا تطفى الا بانتقام وقد ايقن بان الاسرى سينجوا قبل الصباح

واما ما كان من امر العرب فانهم حسبوا لما انتكر به الخونديون وخافوا كثيراً ولذلك اجتمعوا بصيوان اليون شاه وجلسوا يتشاورون بطريقة يمكنهم بها خلاص الاسرى قبل هلاكهم فلم يجدوا غير منقذهم ومخلصهم من الشدائد عمر العيار لذلك استدعوه واخبروه بافكارهم فقال لهم اطمئنوا لاني في هذه الليلة اخلصهم ولو كانوا وراء سد الاسكندر واريد منكم فقط من يتعهد لي بقتل الملك فراش في هذا الصباح فنهض بديع الزمان وقد اكتوى قلبه لغياب ولده وقال لعمر اقسم بالله وبانبيائه الكرام اني سأقتله وامحو اثره ولو اتخذ من المردة اعواناً وتحزبت له الجن في ستراتها فخرج عمر من الصيوان وقد تأكد قدرة بديع الزمان على ما نوى ووضع المرآة في وجهه فأدارها الهواء الى جهة البحر فتعجب عمر من ذلك وظن بانهم بعثوا الاسرى الى غير جهة فخاف اشد الخوف وانطلق يعدو لجهة البحر حتى بلغ الشاطىء فوجد صيواناً متقن الصنع مزركشاً بالذهب وحوله اثنا عشر خيمة من الحرير البديع الغالي الثمن وسفينة كبيرة تبعد عن الشاطىء قليلاً وقد وجد بالبحر قارباً آتياً من السفينة وبه شيخ كبير مرتد بحلة بيضاء وله من العمر تسعون سنة واثنا عشر شاباً لابسين حللاً ارجوانية وهم بين يديه كالغلمان يقدمون له كل اكرام واحترام بما يظهر سلطته النافذة عليهم وقد كانت

الساعة السادسة من الليل والقمر في كبد السماء الخالية الا من النجوم الساطعة المتلألئة بتلك الليلة الصافية يرسل باشعته الى الارض بما يشبه ضوء النهار واختبأ عمر باحدى الزوايا الى ان بلغ القارب الشاطىء فصعدوا منه الى البر وذهب الشيخ الى الصيوان الكبير تحفه رفقاؤه الى ان ولج الصيوان فذهب كل الى خيمته المعدة له فتحير عمر في ذلك وعمي عن معرفة اولئك القادمين بهذه الساعة المتأخرة من الليل وما لبث بمكمنه يقدح زناد الفكرة ولا يهتدي برهة من الزمان وهو يراها اطول من دهر حتى سهلت له الصدفة خروج احدهم ليزيل ضرورة وقدبعد عن الخيم فتأثره عمر بمهارته المشهورة حتى ادركه وقد بعد كثيراً عن اصحابه فتقدم من ورائه وبنجه فسقط على الارض كالقتيل لا يفقه ولا يعي فشد وثاقه وحمله وبعد به مقدار غلوة كي لا يسمع صراخه اذا عزم على الاستغاثة وهناك ايقظه ولم يتمالك من الضحك عندما رآه استيقظ وطفق يتكلم ويبدي اشارات المجانين لرعبه وخوفه فسر عمر من ذلك وايقن بانه يعلم منه كل شيء بكل سهولة اذا هدده بالقتل وامنه على نفسه فقال له لا شك انك عمر العيار وقد اتيت لتسرق الاسرى من الخوند وها اني سأجازيك بما تستحق من القتل لتعلم بانه يوجد على الارض من يكبح جماح عمر العيار ويمنعه من خرق حرمة الملوك ويميته شر ميتة فأجابه متلعثماً انك موهوم ياسيدي فلست بعمر العيار ولا سمعت به بزماني ولكني احد مرازبين متوحد الفؤاد ابي الملك الفراش فقال له وما اتيت لتعمل وحدك بهذه الساعة من الليل فقال له لست وحدي بل اتيت صحبة المرازبين ورئيسنا متوحد الفؤاد الذين هم على الشاطىء وقد انفردت عنهم لازيل ضرورة فقال له اني اعلم مكرك ايها الخبيث واريد امتحنك واسألك عن شيء لا يمكنك ان تبتدعه مهما تفننت باساليب المكر فان لاح الصدق من كلامك اطلقتك والا قتلتك فقال له سل ما شئت فاني لا اعرف الكذب ولا اخبرك الا بحقيقة الذي اعرفه فقال له اذا كنت بالحقيقة من تبعة موحد الفؤاد فلا شك بانك تعرف الغاية من اتيانكم بهذا الظلام فاخبرني بالسبب وكن صادقاً والا اغمدت هذا الخنجر

باحشاءك فأجابه وقد كاد الخوف والرعب يقضيان عليه اعلم يا سيــدي بان الملك الفراش بن متوحد الفؤاد قد اتى لاسعاف الخوند بدون ارادة ابيه وقد ضرب ابوه ليلة امس الرمل فبان له بأن ابنه سيأسر كثيراً من ابطال العرب واخيراً يقتل من يد احدهم لذلك حضر بأمكن ما يكون من السرعة فوصلنا بهـذه الساعة المتأخرة من الليل وما القصد من اتيانه الا لردع ولده وكفه من الحرب ومراده ان يأخـذه ويرحل به وهذا جميع ما اعرفه ولا يوجد سوى هذه الغاية حيث هو القصد الوحيد بحضوره فان صدقتني واطلقتني كان لك المنة والاحسان والا فافعل ما تشاء فجاوبه عمر بان طعنه بالخنجر بصدره فألقاه على وجه الصعيد يختبط بدمه وللحال اخذ ثيابه وتردى بها وطمره بالارض وذهب الى رفقـاءه فألقى عليهم البنج وقتلهم وطمرهم بالارض بعد اخذ ثيابهم خيفة ان تظهر آثارهم بمرور احد رجال الاعداء فتتعرقل مساعيه فانطلق يعدو بسرعة البرق الى معسكر العرب فأحضر اثنى عشر عياراً وذهب بهم الى حيث كانوا القتلى فألبسهم ثياب المرازبين ولبس ثوب متوحد الفؤاد وتكحل وكحل الجميع حتى صاروا جميعاً بهيئة المرازبين تماماً وامرهم بان يحملوه على التخت الذي كان يحمل عليه متوحد الفؤاد وان يضعوه امام صيوان الفراش فأمتثلوا لما امرهم به واذ بلغوا الصيوان امرهم ان ينزلوه ففعلوا واوعز الى محترك الباب ان يذهب الى الفراش ويعلمـه بقدوم ابيه وانه يريد مواجهته حالاً لاسباب ضرورية فذهب الى الصيوان ولم تسمح له الحراس بالدخول لان سيدهم كان نائماً فقال لهم اني احد مرازبين متوحد الفؤاد وهو مع مرازبينه الاثنى عشر خارجاً بالقرب منا فايقظوا سيـدكم حالا واعلموا بأن اباه قد اتى وهو يريد مواجهته فذهب احدهم الى صيوان الفراش فأيقظه من النوم واعلمه بقدوم ابيه فنهض مذعوراً متعجباً من قدوم ابيه في مثل هذه الساعة ولـكنه خرج مسرعاً وتقدم منذهلا من ابيه فسلم عليه وقبل يديه وسأله عن سبب مجيئه فقال له عمر اعلم يا ولدي اني مددت الرمل ليلة امس فظهر لي بأنك اسرت اكثر ابطال العرب وانك بعد هذا النصر ستمسي مقتولا ويكون

قاتلك احد ابطالهم المشهورين فقال له صدقت يا ابتاه فاني اسرت تسعة عشر فارساً من اشد فرسانهم وانّنا عزمنا على قتلهم في هذا الصباح فابق هذه الليلة لتتفرج على هلاكهم وبعد ذلك ارجع بصحبتك الى بلادنا مراعاة لاوامرك فقال له كلا يا ولدي فان ذلك لا يوافق ابداً بل الاوفق ان تسلمني الاسرى الان فاذهب بهم الى المركب وتتبعني انت وجيوشك قبل الصباح حيث ترى المراكب مهيأة لنقلكم ويجب ان يكون ذلك سراً وقبل الصباح حيث تبين لي من الرمل بان الخطر على حياتك يكون بالغد فلا تمانع ابداً بذلك ان كنت تود رضى والدك وتحب الحرص على حياتك فامتثل لاوامره وامر ان يسلموه الاسرى واوعز الى رؤساء جيشه سراً بأن يتهيأوا للسفر اما عمر العيار فأخذ الاسرى وذهب بهم الى المعسكر وهو بغاية السرور بنجاحه القريب التام وهو لابس ثياب متوحد الفؤاد وبهيئته فلما بلغ المعسكر تقدم منه احد الحراس وقال ما شأنك وماذا تريد فاجابه اني اريد مواجهة الامير حمزة وكان الامير وبديع الزمان بانتظار عمر على مقالي الجمر لم ينموا تلك الليلة لقلقهم واضطرابهم فدخل الحارس واخبر الامير حمزة بذلك القادم وانه يريد مواجهته فامره ان يدخله عليه فدخل عمر وهو بهذه الهيئة الغريبة فتعجب من ذلك حمزة وسأله عن مراده فقال له انا متوحد الفؤاد ابو الملك الفراش وما اتيت اليك الا لاقدم اليك نصيحة لتمتثل لاوامر الخوند وتقدم له الطاعة والا هلكت انت ورجالك وامحي ذكر العرب من العالم فصعد الدم لرأس الامير عند هذا الكلام واستل حسامه ليفتك بعمر فصرخ به وقد كاد يقتله على رسلك يا امير العرب نسيت اخاك عمر وتريد الفتك به فانذهل الامير من ذلك واغمد سيفه وقال له ويلك يا عمر من اين جئت بهذه الهيئة الغريبة فأخبرهم عمر بكل ما جرى فذهبوا وسلموا على الاسرى وهنأوهم بالسلامة وصرفوا بقيه ذلك الليل بغاية ما يكون من السرور

اما ما كان من الفرّاش فانه بينما كان يستعد قبل الصباح للرحيل اذ دخل بختيار وقال له هيأ ايها الملك الباسل مر بتقديم الاسرى الى ساحة القتال لنفتك

بهم وغيتهم شر ميتة امام هذا الخلق العظيم من العساكر ليتحقق الاعداء بسالتك وانك لا تكترث بهم ولا يهمك عدوانهم وتتشجع بذلك العمل عساكر الخوند فقال له انصت اليَّ يابختيار فاني يوم معرفتي بك اصطفيتك واتخذتك من الاخدان ولذلك لا اخفي عليك شيئاً مما جرى واخبره بحضور ابيه واخذه للاسرى وبانه مزمع ان يلحق به حالاً فارتاع لذلك بختيار وايقن بخلاص الاسرى ونجاتهم من يدي قناصهم وقال له لا اظن بان اباك الذي اتى واخذ الاسرى ولكنه عمر العيار قد اتى وخلصهم وانت غافل عن ذلك فقال له عجباً اولست اعرف ابي فاني كلمته شفاهاً وسلمت عليه وقبلت يديه واعطيته الاسرى يداً بيد فمن ابن يكون ذلك عمر العيار فأجابه اني اؤكد انه اياه لان له مكحلة يقلد بواسطتها الهيئة التي يريدها واذ كنت لا تصدق كلامي فهيا بنا الى البحر لنفحص هذا الامر وتشاهد عياناً بانها خديعة نصبها ذلك الشيطان الرجيم وقد نجح تمام النجاح بمسعاه واخاف ان يكون قتل اباك حيث ان ذلك العيار قد تجرأ مراراً على خرق حرمة الملوك والفتك بهم فلا يخاف باسهم ولا يخشى عقابهم فركب للحال كل جواده وانطلقا بهما يقطعان الارض نهباً والملك الفراش بغاية ما يكون من القلق والاضطراب وهو شديد الخوف على ابيه وقد تصور عمر العيار لخوفه بهيئة عزرائيل قابض الارواح لا تقف اشد الموانع امام غايته حتى بلغا الشاطىء فوجدا مركباً راسياً وقارباً قريباً من الشاطىء وصواوين عديدة فدخلوها ووجدوا ثياب العيارين منتشرة على الارض وآثار ردم التراب ظاهرة فأحس الملك الفراش بثقل المصيبة وابتدأ ان يصدق كلام بختيار الى ان حفر عند الاثر بصيوان ابيه فشاهد جثة الفاقدة الروح فبكى وصرخ وولول ولطم خديه واحث التراب على راسه وقد اكتوى قلبه لهذه المكيدة وضاقت به الارض بما وسعت وتمنى الوصول الى عمر العيار لينهش لحمه بانيابه ويرتوي بشرب دمائه فأخذه بختيار وعزاه على هذه المصيبة وحرضه على اخذ الثار فذهب الى المعسكر وامر بالحال ان تتهيأ العساكر وتدق طبول الحرب ونزل الى ساحة القتال واول ما طلب ان ينزل اليه

عمر العيار اياخذ منه بالثار وهو يشتم ويجذف ويلعن ويهدر والزبد يرغي على شدقيه لشدة الغضب ويصيح ويتهدد بما دل على فقد رشده فعزم بديع الزمان ان ينزل اليه ويقتله ايفاء لما وعد فمنعه عمر العيار وقال مرادي ان ابارزه واضحك الناس عليه واحرق فؤاده وازيد جرحه كيا فقف مكانك وتفرج ثم قفز الى ساحة الميدان وشرع يهمز همزات الغزال وعلى راسه قبعة معلق بها كثير من الاجراس وبيده المقرعة وهو يدور حول الملك الفراش بسرعة التصور والملك الفراش يدور معه ويحاول ان يراه فلا يستطع ان يرى سوى غبار ارجله ولا يسمع سوى صوت المقرعة المهول ولا يشعر الا بضرب المجلدة على قزائله وراسه وبين اكتافه فاحتار في ذلك وغاب صوابه وشعر بالدوار براسه لكثرة الضرب وفرط دورانه ليبحث عن مبارزه ويدافع عن نفسه من ذلك الشيطان غير المنظور فلما شاهد عمر منه ذلك اقترب من جواده وضرب بالمقرعة على القبعة التي على راسه فاهتزت الاجراس وطنطنت فجفل الجواد اي اجفال وبدا يرقص بفارسه على صوت هذه الاجراس ولم تزل الاجراس تدق والجواد يرقص حتى ثمل الملك الفراش واخذت منه خمرة المنظر كل ماخذ فسقط على الارض عن ظهر الجواد وقد ايقن بان ذلك عمل الشياطين فركب عمر بين اكتافه وهو يقهقه ضاحكاً وقال له انا ابوك عمر العيار تريد مبارزتي فاخلع ثيابك يا قليل الادب وارجع الى معسكرك وتب عن قتال العرب ثم سلبه ثيابه وسيفه وجواده وهو يضربه الضرب الشديد على راسه حتى ان فرسان العرب لم تعد قادرة على النظر اليهما لشدة الضحك ورجع الفراش الى معسكره مهرولاً يلتفت وراءه جازعاً في كل حين وهو يتصوره شيطاناً بصورة انسان حتى بلغ صيوانه فلبس ثياباً وركب جواداً وتقلد حساماً واعتقل رمحاً ورجع الى ساحة القتال وطلب براز عمر فهم ان ينزل ثانية اليه ويضحك عليه كالمرة الاولى فمنعه بديع الزمان وقال له يكفاك فانت اضحكت الناس عليه وانا ساجعل اهله يولولون ثم انقض على خصمه وصدمه صدمة تزعزع الجبال ولبثا برهة يتقاتلان حتى تعجب الملك الفراش من قتال خصمه وشجاعته النادرة المثال فساله

ـن تكون من فرسان العرب أأنت حاميتهم ام قائدهم والى من تنتسب فقال له انا حية بطن الواد قادح النار من غير زناد عروسة الميدان في يوم الطراد السلطان بهزاد وسألبس عليك اهلك وذويك ثياب الحداد فانطبق عليــه الملك الفراش وصرخ به بديع الزمان صرخة اهتزت لها الجبال واشتبكا ببعضهما وتضــاربا بالسيوف الحداد والرماح المداد حتى استقرت الشمس بقبة الفلك منذهلة من قتالهما فأحس الملك الفراش بالتقصير وتذكر كلام ابيه حيث اخبره بان احد ابطال العرب سيقتله وندم اشد الندم لمخالفته وقد ضاقت عليه الطرق والمذاهب وعلم بانه هالك لا محالة فعزم على الهرب ولحظ بديع الزمان منه ذلك الامر فجاوله برهة من الزمان حتى اتعبه واكربه وسد عليه طرقه ومذاهبه وطعنه بالرمح في صــدره خرج يلمع من ظهره فصرخ من الالم وسقط على الارض يختبط بدمائه واشار بديع الزمان الى العرب فتقدمت وصرخ بختيار بالخوذديين فاقتربوا وانطبق الجيشان على بعضهما واختلطوا ببعضهم فجرى الدم انهاراً وابست الشمس من غبــارهم استاراً فما كنت ترى الا جواداً غائراً ودماً فائراً وجباناً حائراً ورأساً طائراً وحساماً باتراً ورمحاً جائراً وسيوفاً تبرق واصواتاً ترعد واجساداً من الدماء تمطر ولله در بديع الزمان فانه كان يضرب الجبان ضربة فيطير لها قلب الشجاع ويضرب الشجاع فيميت الجبان وهماً والامير حمزة فانه كان ينثر الرؤوس ويبريها كبري الاقلام فتنثر الاجساد بالية على بساط الصحصحان ونور الدهر وقاسم والمعتدي ومقبل وسعود والاذدهوق وملوك الظلمات وباقي الابطال فان كلهم ما كان يميل على موكب الا ويفرقه وعلى فارس الا ويرديه ويعدمه الحياة وقد جعل النقع في هذا النهار فوق رؤوس المتقاتلين ضباباً كثيفاً حجب عن الاعين النور والتهبت الاحشاء من الظمأ الناتج عن الحر وعن الحركة والالتئام ويا له من يوم عجيب تمنى كل مقاتل به لو لم يخلق هذا وما زال الضرب يعمل والدم يبذل والشجاع بالنصر يشمل والجبان يخذل والرجال تقتل حتى حذرت الشمس ان تحترق من بريق السيوف وهالها منظر الدماء فولت هاربة واقتدى بهــا عساكر الفراش الذين تشتتوا في

القفار والعرب تشيعهم بوخز الاسنة ولكز السيوف ودخل الخوند وعساكره مدينة السبائل واوصدوا الابواب وهم لا يصدقون بالنجاة ويتعوذون من قتال العرب فرجع العرب بالتهليل والتكبير وعلى رؤوسهم اكاليل الظفر والنصر وباتوا تلك الليلة بالرغد والهناء الى ان اشرق الصباح فاجتمع الملك والامراء ورؤساء الجيش وقادته بصيوان اليون شاه وجلسوا يتعاطون كؤوس التهنئة والهناء وينقلون تذكر النصر وتتميم الدعاء

الى ان تذكر الامير حمزة امراً كان منسياً فانتصب قائلاً اعلموا ايها السادات ان الملك الفراش قتل واندثر وتساوى بين عبد وجيوشه ولت الادبار منهزمة بالبراري والقفار والخوند دخل بعساكره السبائل وهو لا يخرج لقتالنا ما لم ينجده احد الملوك ويأت لاسعافه بجيوش جرارة فلنغتنم هذه الفرصة ونعقد بهذه المدة الزفاف على الامير نور الدهر وابنة قاسم فنرتاح قليلاً من الحرب والكفاح ونتمتع من ذلك الزفاف بالسرور والافراح فكل من الحاضرين تهلل وانسر من كلام الامير حمزة بهذا الصدد لما لبديع الزمان من الوقع والمحبة في قلوبهم وصادقوا كلهم على كلامه واستحسنوا ما ارتأى وقالوا نعم الفكر فكر الصواب ايها الامير فان كلنا يود بقلب صادق ان يشترك بهذه الافراح وينفي عنه بهذا الزفاف الهموم والاتراح فعجل به ما زال طرف الدهر غافلاً ليكون السرور شاملاً والحبور كاملاً فسر الامير من كلامهم غاية السرور واعتمد بان يجعله باقرب آن ليشملهم الهناء والحبور وينسوا بذلك اتعاب الحروب والشرور فاستدعى الامير قاسم وقال له قد اعتمدنا ان نجعل الزفاف في اليوم الثاني فاستعد لذلك وسأسلمك ما طلبته من المهر والصداق كي لا تخرج بذلك عن سنة العرب واملي ان سينزع ذلك الزفاف الاضغان من قلوبكم ويقطع الاحقاد من نفوسكم ويسود عليكم الاتحاد والالفة والمحبة فتتفقوا جميعاً بقلوب صافية وافكار رائقة على [illegible] جماح الاعداء والمعتدين وتكونوا يداً واحدة لدفع كل مكروه ثم اوعز الى عمر العيار ان يذهب ويأتي اليه بالجوهر [illegible] راجعاً بسرعة البرق [illegible] تتغير

وتلمع وترسل باشعة النور فتغذي الباصرة كانها الشمس بافقها فأخذها الامير حمزة وقدمها للامير قاسم وقال له خذ هذا صداق ابنتك فاستعد للزفاف غداً وانتبه لما اوصيتك به فاعتمدوا على ما اتفقوا عليه

وذهب كل يلعن قاسماً ويشتمه ويستضيعون تلك الثريا به لانه كان عند استلامها باهتاً حائراً واشارات الحقد والبغض والكدر لائحة على وجهه ولم ينطق بادنى كلمة عند استلامه المهر لانه كان ضائع الفكر ساهي الطرف باهت اللون خائر القلب لا يعي لشدة مقته وكرهه لبديع الزمان الناتج عن كبريائه وحقده واعوذ من شيطان هذه العادة المخلة فانها اذا تمكنت بالقلوب لا يزيلها الا الموت ولا يقدر على قطعها تكرار الزمان فتصير ملكة راسخة بصاحبها يرى بها الشريف دنيئاً فيحتقره والشجاع جباناً فيحاول ذله والمتواضع ذليلاً فيهينه والملك عبداً فلا يكرمه ولا تزال عربانها حائمة على جيفة افكاره ومخيلته حتى تهوي به الى الحضيض وترسله الى وديان الظلمات فيحتقره الخاص والعام ويمقته وينكره ذووه واصحابه الى ان يموت ممقوتاً من الاقارب مكروهاً من الاصحاب مذموماً ومرذولاً من العالم وتلك صفات الامير قاسم الذي طبع عليها وخلقت معه وهبطت عليه وهو في المهد وستهبط به الى اللحد فانه ذهب الى صيوانه يشتم الامير حمزة بكل شفة ولسان ويامن الامير عمر العيار الذي ذهب مع نور الدهر واحضر له الثريا وما زال يمشي الى ان وصل الى الصيوان كيباً حزيناً فسألته امرأته عما به فأخبرها بحقيقة الامر وقال [illegible] لم احلق [illegible] يقترنون ببنات الامراء فطيبت امرأته خاطره [illegible] الامر [illegible] كانت تميل كل الميل [illegible] هذا الزفاف [illegible] الحقد والكبرياء والحسد فنامت تلك الليلة [illegible] الصباح [illegible] ابنتها عروسة انور الدهر بن بديع الزمان [illegible] ذلك الدهر [illegible] وكل [illegible] ذلك الليل [illegible] حده بجنبها يتساكيان داء الحب ويتناوبان [illegible] ويود له ان [illegible] ذلك [illegible]

على فراش الامل ويتململان بفروغ الصبر ويدعوا على ذاك الليل بالمحاق والزوال حتى بزغ الصباح ونشرت الغزالة انوارها على البسيطة ففتح صيوان اليون شـاه وشرعت الامراء والابطال تتقاطر افواجاً الى ساحته وكلهم بثياب العرس المتقنة الزينة وفرشت الارض بالزهور احتفالا بذلك النهار السعيد . ثم وفد الامير حمزة وابنه بديع الزمـان وحفيده نور الدهر وقاسم فانتصب الحاضرون وقوفاً على الاقدام اجلالاً وتكرمة فجلس نور الدهر بين ابيه وجده يضيء كوكب وعلائم البشر تلوح على وجهه ونور السرور يتدفق من محياه وقد كان جميع الحاضرين بثياب الزينة الفاخرة والبدلات الرسمية المرصعة البهجـة فأصبح ذلك الصيوان يعج ويضج بالزين والفرسان حتى تم اجتماع الامراء والتئموا كحباب الراح وانتظموا فاستدعى الامير حمزة قاضي العرب وطلب منه ان يعقد زفاف الامير نور الدهر الدهر على عروسته ذات الجمال الباهر ففعل وشهد كل الحضور بقبول المتعاقدين ودعا لهم القاضي بالتوفيق والنجاح . ثم تقدم الامير نور الدهر من ابيـه وجده وقبل ايديهما وسألهما الرضا وان يدعوا له بالتوفيق والراحة والهناء ففعلا وقبلاه وهنآه بهذا الزفاف . ثم تقدم بعد ذلك الامراء والابطال والفرسان كل بدوره يهنئوا نور الدهر واباه وجده ويدعوا بالراحـة والسرور وهم يشكرون من احساساتهم ويثنوا عليهم لمحبتهم ومودتهم الصادقة وما برح الصيوان حافلاً بالامراء والفرسان تقدم واجبات التهنئة واحداً بعـد واحد حتى فرغ الجميع وانقضى ذلك النهار الذي كان يراه نور الدهر طويلاً عريضاً كالليلة السابقة واقبل الليل فذهب كل الى مضجعه وذهب نور الدهر الى الصيوان المعـد له ولزوجته فوجده مزيناً بالزين الفاخرة ومكللاً بالزهور الزكية الرائحة البهية الالوان وروائح العطر والند تنبعث منه ونظر عروسته فوجدها كالشمس في رابعة النهـار وقد برزت بحلة مزركشة بالذهب مزدانة بالزهور البديعة الالوان وعلى راسها اكليل من زهرات الليمون البيضاء يتخللها بعض زهرات حمراء وزرقاء وافرغت عليها من الحلي والجواهر ما جعلها تضيء كالشمس حتى خيل له انها من ابدع حوريات

الجنان قد جاءت اليه نعمة من ربه ولما رأته وكانت بانتظاره وقفت اكراماً له وتقدمت منه وقبلت يديه فقبلها بخدها وكان بشوق زائد الى قتل هيامه وغرامه وما لاقى من شدة الوجد والوله والهيام فتناولها وصرف ليلة على الحظ والهناء والمسرة يقوم ويقعد ويطرب ويرقص ويسكر ويثمل بسلاف معناها اللطيف وينتقل من الخد بتفاحة ومن الصدر برمانة وهي تبدي له كل ما في وسعها لسروره وانشراح صدره غائبة عن الوعي لعظم ما نالها من المسرات لانها كانت تحبه محبة لا توصف وما زالا على هذه الحالة الى ان انتبهت لها الاطيار في وكناتها فاندفعت تغني ببديع انشادها وصدحت البلابل مهنأة للعروسين داعية لهما بالهناء والعز والراحة فنهضا متكدرين من مفاجأة الصباح ومن رحلة ذلك الليل الذي مر باسرع من التصور فلبس ثيابه وذهب الى الصيوان منشرح الصدر مسروراً للغاية بما لاقى من جمال عروسته فهنأه الامراء والاعيان ودامت الافراح شاملة والكؤوس دائرة واصوات البشر والرغد صادحة الى سبعة ايام وفي كل يوم كانوا يذبحون الاغنام ويفرقون على الفقراء والايتام وداموا مدة ثلاثين يوماً لا يلهجون بغير الافراح ولا يهجمون الا على الاقداح الى ان كانوا ذات يوم جالسين بالصيوان فدخل عليهم رسول بعدما استأذن وقدم كتاباً الى الامير حمزة وكان هذا الكتاب من كوهين زوجة بديع الزمان وام نور الدهر تتشكى به من هجر بديع الزمان لها ونسيانه اياها وتظهر تشوقها لرؤية ولدها وتخبر انها علمت من الناس بزفاف ولدها وتعتب على الامير حمزة لعدم اخبارها بهذا الامر ومعاملتهم اياها كغريبة عنهم وما اشبه من هذا الكلام ففتحه الامير حمزة وقرأه وعرف رموزه ومعناه فعلم انها مصيبة بدعاها وان لها اكبر الحق برؤية ولدها فأحضر نور الدهر وقال له هيء استعد للذهاب الى والدتك لان الشوق اضناها وهي باستنظارك بفروغ الصبر لتسعد عيناها برؤياك وتباركك بزفافك فتكدر من ذلك نور الدهر وكان لا يريد مفارقة جده وابيه ولا يقوى على ترك معسكر العرب فقال له اني لم آتِ اليكم وبنيتي الرجوع الى السنجار ولا اطيق مفارقتكم

فدعني بينكم اتقلب برغد العيش ونعيمه واقاتل تحت لوائك حتى تنتهوا من حرب الخوند فأذهب لمشاهدة والدتي فلم يقبل الامير حمزة بذلك بل قال له يجب الان ان تذهب لان ذهابك ضروري حيث بذلك رضى وسرور امك وانك تقدر على العود الينا في اي زمن شئت بعد مشاهدتها ولم يقدر نور الدهر على مخالفته فعزم على الرحيل وهو بغاية الاسف وقد اعطاه ابوه رسالة الى امه وفي اليوم الثاني امر ليثاً بالرحيل فودع جده واباه وعمه وسائر الابطال واخذ امرأته ورحل وبمعيته ثلاثون الفاً من الفرسان قاصداً السنجام

وما زالوا يطوون الارض والامير نور الدهر بجانب هودج زوجته وقد اشغلته برقة حديثها ولطيف كلامها عن الفكر بمفارقة العرب حتى امسى المساء فباتوا بسهل هناك على الطريق واسع الجنبات ولما اشرق الصباح اعتدوا بعددهم وركبوا خيولهم وساروا فلم يتقدموا بضع خطوات حتى رأوا بصدر البر فارساً مقبلاً عليهم يحيطه شرذمة قليلة من الرجال تبلغ الاربعين عداً وكلهم بالسلاح والعدد الكاملة على خيول مضمرة ودلائل الفروسية والشجاعة عليهم لا سيما رئيسهم فانه كان ممتازاً عنهم بكبر الجثة واشارات الثبات والشجاعة . فلما اقتربوا من بعضهم صاح ذلك الفارس بهم اين تذهبوا وانا باتباع آثاركم ولي مدة من الزمان وانا اتجسس اخباركم حتى سهلت لي الصدفة خروجكم مع اميركم نور الدهر لآخذ منه بثأر والدي طهماز ابي الساطور من كان اوحد ذلك العصر وبهجة هذا الدهر واعلمه كيف تكون عاقبة الغدر ثم نادى بصوت القى الرعب بقلوب الفرسان يالثارات طهماز مبيد الاقران ومبدد الابطال والشجعان بيوم الحرب والطعان وطلب نور الدهر الى البراز وقال له لا تخفي نفسك يا قاتل طهماز وابرز اليّ لاروي الارض من دمائك واجعلك عبرة لامثالك المعتدين على فحول الرجال فلم يتم كلامه حتى هجم عليه نور الدهر وانطبق الفارسان على بعضهما وتضاربا بالسيوف الحداد وتطاعنا بالرماح المداد واظهر كل ما عنده من فنون القتال حتى ادهشا بغريب ما صنعوا من شاهدهم من الابطال وقد تحقق الفريقان بانهما من

الابطال الشداد ولذلك كان كل خائفاً على رئيسه من الهلاك الى ان قرب العصر فأيقن نور الدهر بان خصمه من اشد الناس باعاً واقدرهم ثباتاً واعرفهم باساليب القتال وابوابه وقد علم بانه افرس منه وانه لا يقدر على مقاومته اكثر من ذلك النهار فما صدق ان مالت الشمس للغروب حتى افترقا عن بعضهما ورجع نور الدهر الى معسكره وهو موقن بشرب كاس العطب اذا بارزه وانه لا يقوى على مقاومته اكثر من يومين لذلك استدعى بليث واخبره بأن يذهب حالاً الى جده ويخبره سراً ان يدركه بامكن ما يكون من السرعة لئلا يقتله ذلك الفارس العظيم فانطلق ليث يقطع الارض نهباً بذلك الظلام الدامس ولم يزل الجواد طائراً به من خفته حتى وصل الى معسكر العرب قبل الظهر فدخل سراً الى صيوان الامير حمزة وقال له ادرك حفيدك والا يثأر منه ابن طهماز ابي الساطور الذي قتله نور الدهر ويفتك به لانه من اشد الابطال وقد ارسلني اليك حفيدك بهذه المهمة كي تدركه وتخلصه والا يمسي طعماً لسنان رمحه . فطار صواب الامير حمزة عند هذا الخبر وقد كان يحب نور الدهر محبة عظيمة لذلك ركب جواده وخرج من المعسكر هو وليث بدون ان يشعر بهما احد وانطلقا بذلك البر الفسيح والامير حمزة يود لو ان له جناح طائر ليطير بهما الى حفيده ويخلصه من يد قناصه

هذا ما كان منهما واما ما كان من نور الدهر فانه قاسى الاهوال في ذلك النهار من قتال ذلك البطل ولكنه اظهر الثبات والجلد وصبر صبر الكريم الى ان ولى النهار فلم يصدق بذلك حتى ذهب الى صيوانه وارتمى فاقد الرشد باهت الوجه ساهي الطرف خافق القلب . وتيقناً بشرب كاس العطب اذا لم يدركه جده في هذه الليلة وقد شعرت امرأته بحالته وعلمت انه هالك لا محالة اذا لم يساعده الزمان على النجاة من قبضة ذلك الفارس العظيم فكانت بحالة اعظم من حالته تندب سوء حظها وترتعد خوفاً وبأساً عندما ترى زوجها بهذه الحالة من القلق والاضطراب وبينما هما على هذه الحالة لا يعيان على شيء مما امامهما وقد ضاقت بهما الارض بما رحبت اذ دخل عليهما سيد الفرسان ومبدد الاقران آفة الابطال في

يوم الطعان الامير حمزة البهلوان فانتعش فوأدهما عند رؤياه وردت روحهما اليهما فانكب نور الدهر على يديه يقبلهما تقبيلاً ويبللها بدموع الفرح فعانقه الامير حمزة وسأله عن ذلك الفارس فأخبره بجميع ما علمه ورآه من شجاعته وتفننه باساليب القتال وثباته ووثباته عند الطعن والنزال فطيب خاطره وناما تلك الليلة على فراش الهناء ولم يكن الامير نور الدهر جباناً بل كان باسلاً شجاعاً من اشد الابطال واعرفهم بالضرب والطعان ولكنه كان عاقلا خبيراً تلقن الحكمة عن ابيه وعلم من اول مبارزته لذلك الفارس بانه لا يقدر على الثبات امامه فلم يأنف من ذلك ولا استعمل الكبر والخيلاء كغيره من الفرسان الذين لا يستنجدون باحد ولو شربوا كاس الحمام بل علم ان مبارزه اقدر واثبت منه فاستنجد بجده ولم يحسب ذلك عاراً لانه لم يخلق ليكون من اقدر الفرسان بل حسبه شرفاً وافتخر باظهاره الحقيقة وانسر لخلاصه بهذه الواسطة ولما اشرق الصباح وسرحت غزالة الارض والسماء برز ابن طهماز وقد ايقن بانه في ذاك النهار يقتل نور الدهر ولكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن وما كل ما يتمنى المرء يدركه فانه وقف بساحة النزال وطلب نور الدهر فانقض عليه الامير حمزة انقضاض الصواعق وصدمه صدمة قوية ارجعته الى وراء فتعجب ذلك الفارس وسأله من تكون من الفرسان ولماذا برزت اليّ وانا طالب نور الدهر فقال الامير حمزة ما برزت اليك الا لاخمد انفاسك وامحو من الارض آثارك فدافع عن نفسك ان كنت تستطيع او سلم سلاحك واشد كتافك لتقاد ذليلا حقيرا فجاوبه ذلك الفارس بضرب السيف وانطبقا على بعضهما والتحما والتصقا وكان لهما بضع ساعات وقد طار لهما قلب الجبان جزعاً والتهب الشجاع حماسة وتعلم ابواباً وفنوناً [illegible] منتصف النهار حتى احس ذلك الفارس بالتقصير وايقن بالعجز والفشل [illegible] ذلك وصرخ به صرخة ارتعدت منها الجبال الراسيات فاختبل ابن طهماز وسقط السيف من يده فانقض عليه الامير حمزة البطل الصنديد واقتلعه من بحر سرجه ورمى به الى اصحابه فشدوا كتافه واوثقوا سواعده واطرافه وهجم على الاربعين

فتفرقوا من بين يديه وصرخوا الامان يا سيد الفرسان اتقاتل البنات الابكار وللحال كشفوا البراقع والاستار عن وجوههم فظهر صدق مقالهم فتعجب الامير حمزة من ذلك وقال لهم ومن هو قائدكم فاجابوه اعلم يا امير العرب ان قائدنا هو الذي اسرته وليس الا ابنة ملكنا فقال لهم ومن تكون هذه الابنة قالوا انها العنقا ابنة طهماز ابي الساطور الذي قتله نور الدهر واما سبب قتالها فانها تكدرت جداً اذ علمت بموت ابيها فأقسمت بانها تاخذ بالثار وتكشف عنها الذل والعار فذهبت الى السبائل من مدة من الزمان وقصدها حربكم والانتقام منكم فوجدت انكم اكثر من ان تعدوا وانها لا تنال منكم ارباً لذلك كنت هنا بهذا السهل الواسع وصارت تتجسس اخباركم وتترقب فرسانكم وابطالكم الى ان امت بخروج نور الدهر قاتل ابيها فسرت بذلك جداً وقد ايقنت ببلوغ المرام الى ان قابلته وجرى ما جرى فتعجب الامير حمزة من فروسية العنقاء وشجاعتها وضم البنات الى معسكره وجلس بديوانه وامر باحضار العنقاء فحضرت ثم ازيح اللثام عن وجهها فسطعت كالشمس في رابعة النهار وقد كانت من اجمل النساء فاندهش الامير من هذا الجمال وسألها قائلاً ما مرادك بهذه الحرب والكمون بهذه الطريق فقالت بمزيد الثبات وعدم المبالاة لم يكن قصدي الا ضرب اعناقكم بثار والدي طهماز وتشتيتكم بالقفار وقد ابى الزمان ان انال غايتي واشفي كربتي ولوعتي فتعجب الامير حمزة من كلامها وقد اسف على جمالها ان يمحوه الموت والهلاك لذلك قال لها اني لا اصفح عن قتلك الا اذا كنت تتركين ما تعبدينه من الاديان الملفقة وتعبدي الله الحي الازلي القادر على كل شيء والموجود بكل مكان فاذا رضيت بما اشرت اليه زوجتك بنور الدهر والا فما جزاؤك الا الموت والهلاك فاختاري احسن الامرين ووقعها امر العنقاء فكانت مع ما هي عليه من الجمال والفروسية والاقدام ذات مكر وخداع فاظهرت سرورها من كلام الامير حمزة وتظاهرت بانها آمنت بالله ورضيت مع السرور الزائد الرضى التام بزواج نور الدهر فانخدع الامير حمزة بكلامها وسر من عملها ففك قيودها

واطلق سراحها وامر العساكر بالمسير الى السنجام وذهب مع حفيده واخذ معه العنقاء والبنات لكي يتم الزفاف ويشاركهم به فساروا ذلك النهار بطوله وفي اليوم الثاني اشرفوا على المدينة فلاقاهم امراؤها بمزيد الاحتفال والتكريم ودخل الامير حمزة الى السرايا فسلم على كوهين ورأت كوهين ولدها وزوجته فباركته ودعت له بالتوفيق والهناء وقد سرت كثيراً بقدومه وسألته عن ابيه فأعطاها رسالته فقرأتها بشوق زائد واستراحوا جميعاً في ذلك النهار وفي اليوم الثاني عزم الامير حمزة على المباشرة بالعرس وشاور كوهين فأجابت بالايجاب وهي بغاية الفرح لذلك اولموا الولائم وذبحوا النوق والاغنام وفرقوا على الفقراء واشبعوا الجياع وكانت كوهين من اسر الناس بذلك الزفاف لذلك امرت بان تزين المدينة بمزيد البهجة والاحتفال واوقدت المصابيح والمشاعل فصارت مدينة السنجام اشبه بشعلة من النار ودارت الكؤوس وطربت النفوس ورقصت المولدات وعزفت الآلات وقد كان الفرح شاملاً عموم الناس في ذلك النهار فأحضروا القاضي وعقدوا الزفاف نهنأ الجميع من الامراء وولاة الامور نور الدهر وامه وجده وانقضى ذلك النهار فدخل نور الدهر على زوجته وهو بغاية السرور وقد كانت من ابدع النساء قداً واعتدالاً وظرفاً وجمالاً وصرف تلك الليلة معها على اتم ما يرام الى ان اشرق الصباح فلبس ثيابه ونزل الى المجلس فقابله الجميع بالدعاء والهناء وجددوا الافراح في ذلك النهار وداموا على مثل هذه الحال خمسة عشر يوماً وهم غارقون ببحار اللذات والسرور لا يشغلهم شاغل عن معاقرة المدام ولا يلهيهم شيء عن تلبية دواعي المسرات واستعمال كل ما يؤول لسرورهم وبسطهم وبعد انقضاء تلك المدة عزم الامير حمزة على الرجوع الى معسكره فطلب اليه نور الدهر وألح بالطلب ان نذهب معه حيث لم يكن قادراً على مفارقة العرب فرضي بذلك واستسمح له من امه فقبلت بعد مقاومات عنيفة فاستعدوا للرحيل وعزموا في صباح اليوم الثاني على السفر فلم يجدوا العنقاء ولا البنات فتكدر نور الدهر من ذلك لانه احبها حباً عظيماً لجمالها النادر المثال وعرف الامير حمزة مكرها الشريرة

فشكر الله الذي خلص نور الدهر من غدرها ولم يدعهـا تفتك به واما العنقاء فانها كانت بغاية ما يكون من الكدر لزواجها بقاتل ابيها وما قبلت بذلك الا لتخلص من القتل واملاً بأن تجد طريقة للانتقام فلبثت مع زوجها طول هذه المدة وهي تترقب الفرصة لتفتك به وبجده فلم تستطع ولذلك اخذت معسكرها المؤلف من البنات عندما علمت بأنهم مزمعون على الذهـاب الى جيوش العرب ورحلت يسترها ظلام الليل الدامس عن اعين الرقباء « وهـذه تذهب من بلد الى بلد وتسافر من مكان الى آخر حتى تصل الى حلب وهناك تستقر مدة ثم تقتل نصير الحلبي وتهرب فتصل الى احدى الغابات وهناك تلد ولداً علقت به من زوجها نور الدهر وتسميه نصيراً فيخرج بطلاً حلاحلاً وقرماً شجاعاً » اما حمزة ونور الدهر فانهم ودعوا كوهين ورحلوا فلندعهم يقطعون ذلك البر الواسع بغاية السرور ونعود بالقارىء الى العرب فانهم في تاني ايام غياب الامير حمزة افتقدوه فلم يجدوه فاضطربوا لذلك وقلقوا وفتشوا عليه في كل المحلات فلم يعثروا عليـه وارسلوا العيارين فملأوا الطرقات وتجسسوا الاخبار ولم يدعوا مكاناً الا بحثوا فيه فذهب كل عملهم وبحثهم ادراج الرياح فلبثوا كل هذه المدة يضربون اخماساً لاسداس ويهيمون بمفاوز الحدس والتخمين الى ان كانوا ذات يوم جالسين فظهر لهم غبار سد منافس الاقطار فارسلوا عمر ليتحقق الخبر فعاد يتقدم ذلك الجيش وهو يبدي اغرب الحركات ويلعب ويقمز قفزات الغزال امام جواد الامير حمزة ونور الدهر اللذين احضروا بمعيتهم ليثاً والثلاثين الف فارساً فصفق العرب سروراً ورقصوا طرباً وحبوراً وما منهم الا من فرح اشد الفرح بحضور الامير فسلموا عليـه وجلس كل في مكانه فسألوه عن سبب غيابه فقال لهم اني ذهبت لمشاهدة كوهين يدفعني مزيد الشوق الى ذلك وكتم عنهم بقية الخبر فصرفوا ذلك النهـار بالانس والبسط وهنأوا الامير ونور الدهر بعودتهما وتفرقوا كل الى مكانه وفي اليوم الثاني اجتمعوا بصيوان اليون شاه وجلسوا يتشاورون ويتباحثون في كيفية انجاز امر الخوند ونهاية هذه الحرب التي طال امرها وكلهم يقدم رأياً ولا يحصلون

على فائدة ولا يفتح لهم باب الفرج والخلاص حتى نهض الامير حمزة وقال لهم اننا عبثاً نفكر وباطلاً نجتهد بالبحث على طريقة لرفع الحصار عن مدينة السبائل ولو شاء عمر لدك حصونها بقنابل حيله وفتح ابوابها بمفاتيح فكره الثاقب واوصلنا الى الغاية من املنا بهذه الحرب بمعرفته وتفننه باساليب الخديعة وابواب الحيل فوعدهم عمر بالظفر والنصر ونوال الغاية باقرب وقت فسروا من وعده وهم موقنون بانه لا يصده عن تنفيذ مقاصده شيء بالعالم ولا يقف امام غايته ومآربه اشد الموانع واصعب الصعوبات

ولما كان اليوم الثاني انطلق عمرا قاصداً مدينة السبائل وابتدأ يجول حولها ليرى له منفذاً ومدخلاً يدخل منه الى المدينة فلم يتسهل له هذا الامر وما زال الى الظهر وهو لا يألوا جهداً عن البحث والتفتيش حتى وصل الى مكان وسمع صوت خرير المياه فألتفت ليعلم اين وجود تلك المياه فرأى وادياً عميقاً كثير الصخور والاشجار البرية فنزل الى ذلك الوادي وشرع يفحصه بعيونه اليواقظ ويلتفت من جهة الى جهة كالظبي النافر حتى سمع صوت فأس باحد الجهات خارجاً من بين شجرات مشتبكة ببعضها تؤلف حرشاً كبيراً فانطلق يعدو نحو تلك الجهة وهو كلما قرب يزيد الصوت ارتفاعاً حتى بلغ ذلك المكان فوجد رجلاً حطاباً بيده فأس يحتطب من هذا الحرش وهو بوجه اصفر وجسم هزيل وقامة احنتها السنون وشعر بيضه كرور الايام يرفع الفاس بزيد العناء ويضرب به فرع الشجرة فيقع معه على الارض لكبر سنه وضعفه فضحك عمر بعمله وتقدم منه وسأله ماحاجتك هنا ايها الشيخ ومن اين خرجت فألتفت اليه ذلك الشيخ وارتاع لهيئته ثم قال له خرجت من باب السر قال وما جئت تعمل هنا فاجابه صار لي مدة طويلة اقاسي من مرضي اشد العذاب وقد دخلت مراراً على الخوند وطلبت منه ان يشفيني فكان يماطلني الى ان دخلت عليه مساء امس وجثوت على ركبتي امامه وتضرعت اليه ان يشفيني فاجاب طلبي وقال لي انك لا تشفى الا اذا اتيت ذلك الوادي الوعر واحتطبت منه حزمة عظيمة وحملتها الى مطبخي فأتيت الى هنا

وصار لي من الصباح وانا لم اقوَ على النذر القليل مما طلب لضعفي وعجزي ولو جمعت ما طلب فاني لا استطيع حملهم لثقلهم وضعفي وصعوبة مسلك هذا الوادي وعجزي فعلم عمر بان مراد الخوند يقتله ويخلص منه فقال له هات الفأس يا عماه لاساعدك وانت اجمع الحطب وسأساعدك بحملهم ونقلهم فتوصلهم الى مطبخ الخوند وتشفى من مرضك فتهلل الشيخ من ذلك واعطاه الفاس فأخذه عمر وضرب به رأس ذلك الشيخ فشقه الى قسمين وقال له اهنيك بالشفاء حيث لا يقدر الخوند ان يشفيك اكثر من ذلك ثم لبس ثيابه وتكحل بالمكحلة فصار بهيئته تماماً ثم جمع رزمة من الحطب وحملها على ظهره وذهب بذلك الوادي الى ان وصل الى باب السر الذي خرج منه الحطاب المرحوم وطرقه ففتح له الحراس ودخل وهو يتظاهر بالعجز ويئن ويتشكى من ثقل هذا الحمل كي لا يدع ادنى ريب بقلوبهم وذهب من هناك الى قصر الخوند فدخل الى المطبخ ووضع رزمة الحطب ثم جمع اوعية كثيرة من النحاس وربطها ببعضها بحبل وصعد بها راس سلم كائنة امام الغرفة التي ينام بها الخوند وقد كانت الساعة السادسة من الليل وجميع الناس نيام في مثل هذه الساعة فأخذ تلك الاوعية النحاسية ورمى بها من اعلى السلم الى اسفله فسقطت على الارض التي هي مبلطة بالرخام الاملس فخرج منها صوت اشبه بالصواعق فانتبه الخوند خائفاً مذعوراً وافتكر بان الارض زلزلت زلزالها او ان العرب دخلوا المدينة وهم يردمون عليه منزله الى ان صحا من اضطرابه فنهض من الفراش وفتح باب الغرفة وصاح قائلاً من ذا الذي تجاسر ان يكدر راحتي ويزعجني في منامتي فجاوبه عمر قائلاً انا هو احقر مخلوقاتك يا مولاي واطوع عبيدك وقد سألتك ان تشفيني من دائي الدياء فقلت لي باني لا اشفى الا اذا احتطبت من ذلك الوادي الذي اشرت لي عنه وها انا قد اتممت اوامرك واحضرت ما احتطبته الى المطبخ وقد شفيت بقدرتك وارادتك فتال له ولماذا ... واتيتني في منتصف الليل وعلى هذه الحالة من الاضطراب فأجابه عمر قائلاً اني لم ازل ذلك الا ليتنبه الغافلون ويتحققون الوهيتك وقدرتك العظيمة فسر الخوند من هذا الجواب

وافرغ عليهم السلاح ونفتح الابواب بظلام الليل فيدخل المدينة حمزة وبديع الزمان بجميع العساكر ونستلم المدينة ونفوز بالمراد ولا حيلة للخلاص بغير هذه الطريقة فوافق جميعهم على هذا الرأي الا الامير قاسم فانه كان يضحك عليهم ولا يصدق هذا الامر ويستهزىء بهم فانتبه الامير حمزة على ذلك العمل فقال لهم انكم جميعاً جهلاء ولو لم تكونوا من اسذج الناس لانه ارتشى من الخوندومراده يسوقنا اليه ليذبحنا ذبح الاغنام فقال له الامير حمزة باحتقار اذا كان هذا حد فهمك فالاجدر بك ان تجالس الغلمان وتتحادث مع صغار الاولاد وهذا الامر لا يعنيك فان عدت لمثله تنال ما تستحق من الجزاء فسكت قاسم بالرغم عنه وهو يضحك عليهم واما عمر فانه اتفق معهم على هذا الصدد وتركهم وذهب الى السبائل ودخل المدينة واستنظر اشراق الصباح فلما بزغ نوره تهيأ وتقدم الى الخوند وطلب منه ما وعد به فسمح له بذلك وبختيار يتفتت من الغيظ ولا يقدر ان يتكلم بشيء خوفاً من الاذية ولعلمه بان كلامه يذهب ادراج الرياح فركب عمر الحمارة وتقلد بعصاه وخرج باسواق المدينة على هذه الهيئة وهو ينادي سوف تنظروا ماهي قوة الخوندوكيف سيحل الدمار بالعرب بقدرته وعظمته ومازال يمشي بالاسواق والعالم تضحك منه وهو يتمايل على ظهر الحمارة حتى انتهى الى ابواب البلد ففتحها الحراس له وخرج الى ساحة القتال وكان الخوند واصحابه على الاسوار مقيمين ليشاهدوا قتاله فاشار الى العرب وطلب البراز فلما نظره الامير حمزة عرفه وقال للفرسان فليبرز اليه احدكم واوصاهم جميعاً بان يكونوا تحت امرته وان يطاوعوه ويعملوا حسب ارادته فنزل اليه معقل البهلوان وهو يلعب برمحه على ظهر الجواد ويجول ويتقن جميع حركاته ويهيج ويصيح كان ذلك البراز حقيقي وينحدر كان امامه احد الجبابرة بما كاد يزيل الشك من مخيلة بختيار لولا علمه بدهاء عمر واتقانه للحيل والخدائع فتجاولا وتضاربا وكان عمر قد اوصاه بان يكون القتال ملاطفة شيئا على هذا الحال الى نصف النهار فصرخ عمر صرخة قوية وقال يا قدرة الخوند وضربه بالعصا على راسه فرمى بنفسه الى الارض

وانقض عليه عمر فكتفه وحمله وذهب به مسرعاً الى داخــل المدينة وجميع سكانها متعجبون من قدرته على اسر اشهر ابطال العرب وهو كهل احنت ظهره السنون ولم يكن بيده غير عصا وراكباً غير حمارة تكاد لا تنتقل من مكانها لولا معرفته بمداواتها من اللكز والوخز والنخز ولم يزل حامله على كاهله حتى انتهى به الى محل الخوند وقال له خذ يا مولاي ذلك احد مشاهير ابطالهم وساسوقهم بقدرتك سوق المواشي فنجازيهم بما يستحقونه من عقاب الموت ويحقق كل عظمتك وقدرتك

اما الخوند فانه امر في الحال ان يؤخذ الاسير الى ساحــة الاعدام وينفذوا فيه القضاء فقال له عمر تمهـل يا مولاي ومر بوضعه الآن في السجن يقاسي انواع العذاب الى ان أسر الجميع فتنفذ بهم ارادتك السامية ومن ثم نخرج بعد الفراغ من قتل جميع ابطال العرب ونزحف بجيوشنا الجرارة على معسكرهم ونهجم عليهم هجمة واحدة فنبيدهم عن آخرهم ويعلمون اهـل السائل وتابعيها بقدرتك وقوة سلطانك فيهابك الجميع ويتشبثون بايمانهم بك

وقد كان بختيار ممن حضروا وسمعوا كلام عمر فلم يسعه السكوت ولم يقدر على احتمال ما هو حاصل من مكر عمر الذي سيفضي بهم الى الهـلاك والدمار لذلك انتصب واقفاً وقال بمزيـد الحماسة مخاطباً الخوند الى كم تنخدع يا مولاي وتغش بمكر هـذا الخائن الغادر فانتبه وتحذر لنفسك فان ذلك الواقف امامك بزيائه العجيب لم يكن الا عمر العيار فاذا لم تقتله دارت عليك الدوائر ودخـل العرب المدينة ونزعوا الملك منك باقرب وقت . فقال له الامير عمر وقد خاف ان يستميله اليه اذا طال الجدال : ويك ألم تر اثر الضرب بالاحذية على لحيتك ولم تتذكره فالى كم ينهيك عن مشاركته باراته ولم تنته ويصفعك فلا تتأدب وقـد جلبت باراتك الفاسدة وافكارك الواهية غاية الدمار على بلاد كسرى ومرادك مساواة هـذه البلاد بها كي لا تدخل بلاد عامرة الا وتتركها قاعا صفصفاً ينعق باطلالها البوم والغربان . وقـد هيج بهذا الكلام غضب الخوند على بختيار فامر

بان يداوموا صفعه حتى يغيب عن الصواب ففعلوا ولم يزالوا يصفعونه حتى تلاشت قوته من الالم وبطلت حركته من انصباب الدماء من جسده وتركوه على هذه الحالة وكلهم يرمقه شذراً وهو بغاية السرور مما ناله الى ان عاد الى رشده فقال له الخوند اذا لم يكن ذلك كافياً لتأديبك فليس جزاؤك الا القتل ان تعد لمثلها ثم امر باخراجه وان لا يعود يسمح له بالمثول بحضرته فاخرجوه وذهبوا به بعناية كسرى الى احد الاطباء ليعالج جروحاته العديدة

واما عمر فان الخوند انعم عليه بجوائز وافرة واحسن اليه كل الاحسان ثم قال له اذهب وافعل بمعونتي ما تشاء فاني راض منك كل الرضي فسر عمر كل السرور من هذا النجاح الغريب واخذ مقبلاً البهلوان فوضعه باحدى غرف السجن واخذ المفتاح بيده ومضى فنام ذلك الليلة شاكراً حامداً من توفيقه الذي سهل له هذا النجاح وخلصه من تعرض بختيار ومتابعته اياه وتحذير الخوند . ولما كان اليوم الثاني تقدم من الخوند وطلب البركة فباركه وشمله بقوته فنزل الى ساحة القتال وطلب البراز فنزل اليه المعتدي فتجاولا برهة وضربه بالعصا فرمى بنفسه الى الارض فكتفه وتقدم به الى الخوند فانعم عليه واخذ ذلك الاسير ووضعه مع مقبل البهلوان وفي اليوم الثالث اسر اندهوق والرابع نور الدهر والخامس ليثاً وهكذا في كل يوم كان يأخذ اسيراً ويشده الى رفقاءه ولم يزل كذلك خمسة عشر يوماً حتى اخذ جميع ابطال العرب ولم يبق غير الامير قاسم المجنون فامره الامير حمزة ان ينزل اليه ويسلم ذاته كما فعل رفقاؤه فابى وقال اني لا ابيع حياتي برضاكم عليَّ ولا اسلم ذاتي لمن غدر بنا وخاننا وارتشى من الخوند ليسوقنا بين يديه ويذبحنا ذبح الاغنام . فقال له الامير حمزة وقد غضب من كلامه اشد الغضب ان كنت لا تود ان تمتثل لما امرتك به وتسلم ذاتك فالاوفق ان تخرج من معسكري الى حيث شئت غير مأسوف عليك لان جيشنا بغنى عن المجانين . فاظهر الامير قاسم الرضى والطاعة وكمن الشر لعمر بقلبه . اما عمر فكان يدخل في كل ليلة الى الاسرى ويقدم لهم اطيب المآكل والمشارب ويبقى معهم على الانس والمنادمة الى الصباح

فلما كان صباح ذلك النهار نزل عمر وهو خائف من الامير قاسم ان يهدم بنزقه وطيشه ما بناه بهذه المدة الطويلة من النجاح وان يعرقل مساعيه بخفته وجنونه فلما توسط المجال طلب البراز وقد كان الامير قاسم امتنع عن البراز فقال له الامير حمزة ايقن انك اذا لم تنزل اليه وترضخ لاوامره لا اكتفي بطردك بل اقتلك واريح من وجودك جيش العرب . فغضب الامير قاسم من هذه الاهانة ونزل وبنيته قتل عمر . فلما اقترب منه صدمه صدمة قوية وقال له لا بد عن قتلك ايها الخائن فارتاع لذلك عمر وقد تحقق ما كان يحسبه فقال له ويك يا قاسم لو اعطاني الخوند كنوز العالم هل يمكن ان اسمح بجدك واخونه ولو كان هذا مرادي لكنت قادراً عليه باسهل من هذه الواسطة فارجع عن غيك واطرح ما صورته لك افكارك من الاوهام واقتد بابطال العرب فانك لست بافضل منهم فان نجوا تنجي وان قتلوا تقتل واني اقسم لك باعظم الاقسام بان جميع نواياي سليمة وما المراد بما اعمله الا قتل الخوند وتدمير مملكته بدون ان ابذل قطرة دماء من عساكرنا وفرساننا فقال له الامير قاسم انك فطرت على الغدر والخيانة فلا اصدق اقسامك ولا اود ان اقتدي باولئك المجانين الذين اسرتهم انفسهم للموت طوعاً لان روحي عزيزة لدي وللحال هجم عليه وضربه بالسيف فقفز الامير عمر عن الحمارة الى الارض فوقع السيف على الحمارة فقدها نصفين وقسمها شطرين فعلم عند ذلك بان لا خلاص منه الا بالحيلة فقال له اعلم ايها الامير انه قد اعجبني جداً فكرك الثاقب وآراؤك الحميدة واني سأخبرك الحقيقة واركن اليك اعظم الركون لانك من اعظم الناس تدبيراً واوسعهم حكمة وانفذهم عقلاً اما الحقيقة فاني قد ارتشيت من الخوند بمال كثير وفضلاً عن ذلك فانه حكمني بمملكة عظيمة كثيرة المدن واعطاني منديلاً مطلسماً اذا وضعته على وجهي ارى جميع تلك المدن واحدة فواحدة وارى اهاليها وسكانها وحكامها واسمع جميع ما يتكلمون به كاني جالس مع كل واحد منهم فان شئت ان تتفق معي آخذ المال وحده واعطيك هذه المملكة العظيمة التي يتحسر عليها كل ملوك العالم فيطيعاك جدك وتنتقم من بديع الزمان

وابنه نور الدهر باسهل واسطــة وان شئت ان تتأكد صدق كلامي فاني اريك المنديل فترى به جميع ما اخبرتك عنه تماماً وتعلم باني لك من اشد المخلصين . فقال له قد شوقتني الى ذلك واني لك اتبع من ظلك بكل ما تشاءه اذا كان كلامك صدقاً فارني ذلك المنديل لارى به احد المدن الشهيرة فاعطاه عمر منديلا وقال له يجب اولاً ان تسمي المدينة التي تروم مشاهدتها ثم تقول اريد ان انظر تلك المدينة وتضع المنديل على وجهك فترى كل شيء فانخدع قاسم بكلامه وقال اريد ان انظر مدينة اصفهان الشهيرة ووضع المنديل على وجهه فسقط على الارض لا يعي على شيء من تأثير البنج فانقض عليه عمر وكتفه وجعله على ظهر جواده ومشى به برهة فاعطاه ضد البنج فانتبه قاسم وقد علم حيلة عمر عليه فكاد يقضي عليه من الغيظ واستولى عليه حب الانتقام فطفق ينادي باعلى صوته وقد كانا دخلا المدينة تحذروا يا اهل هذه المدينة فان هـذا عمر العيار وقد اتفق مع العرب على مافعل وهو يقصد بذلك خرابكم وهلاككم فأخذ عمر سوطاً وجعل يضربه بدون شفقة ولا رحمة وهو يشتمه ويشتم الخوند حتى كاد اهل المدينة ينتكون به لما لحق بالكهم من الاهانة . ولم يزل عمر يضربه وقاسم يقذف باقبح انواع الشتم والسباب حتى وصلوا الى الخوند فقال له عمر هذا الذي سلب ابنتك وخرق حرمتك وشتمك فعامله بما تحكم عليه قحته وجسارته . فقال له قاسم لا تغتر يا الملك بما تسمع فان ذلك عمر العيار وقد اتفق معنا مختيار على ما عمل ومراده التنكيل بكم وكسر شوكتكم . فاستغنم بختيار هذه الفرصة وقال اسمع يا مولاي ما يقوله احدهم لتتحقق صدق كلامي وصفاء نيتي . فتماذل الخوند من كلامهما وامر جميع من كان حاضراً ان يضربهما كيف شاء فسقطت على رأسيهما الاحذية من كل النواحي [illegible] عليهما من كل جانب حتى كادا يفارقا الارواح فشفق كسرى على مختيار زبره وسأل الخوند [illegible] بكف الضرب عنهما فاخذ عمر [illegible] وذهب بهما الى السجن [illegible] فقال له عمر كيف رأيت ذلك يا مختيار [illegible] كان [illegible] بلت [illegible] وترقى [illegible] ألم .

بك من الضرب والاهانة . فقال له قاسم قد اخطأت بحقك وقد صورت لي افكاري كونك مرتشياً من الخوند وانك عامل على الغدر والنكال بنا . اما الآن وقد تحققت صفاء قلبك وصدق نواياك فارجوك المسامحة عما اقترفته فصالحه عمر وغفر له واخذه الى اصحابه فقال لهم استعدوا للخلاص من الاسر في هذه الليلة

اما كسرى وبختيار فانهما ذهبا الى ياقوت بن الخوند واخبراه بجميع ما رأوه من قاسم فاحتال على ابيه في نفس تلك الليلة وسرق منه الخاتم الذي يسهل لهم سبل الفرار عند الحاجة

واما ما كان من عمر فانه ذهب بسرعة البرق الى معسكر العرب واخبر الامير حمزة وبديع الزمان وباقي الفرسان بأن يتهيئوا للهجوم على الاعداء ودخول المدينة في الساعة الثالثة من الليل حيثما يجدون الابواب مفتوحة وعساكر الاعداء آمنين في بيوتهم واثق الدعر خالين من السلاح فيفعلوا بهم ما يشاءوا ويفوزوا بمآربهم بدون أدنى تعب فصافحه الامير حمزة وشكره ووعده بالامتثال لما رسم به فذهب عمر من عنده الى المدينة ودخلها من الباب السري ومضى حالاً الى محل الاسرى خوفاً من ضياع الرتت الذي كان ترتيب الحلول وفك قيودهم وافرغ عليهم السلاح وسرق لهم من اصطبل الخوند خيولاً مطهمة كريمة واوصاهم بما يجب عمله فمشوا جميعاً وهم يتسترون خوفاً من ان يشعر بهم احد فتتعرقل مساعيهم الى ان بلغوا الابواب وقد كان العرب خارجاً بانتظار اصوات الداخلين فأشهر عمر واصحابه اذ ذاك انفسهم وضربوا الحراس فشتتوهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وفتح عمر الابواب فدخلت جيوش العرب كالجراد المنتشر تزأر كالآساد وتصيح باعلى اصواتها حتى انتبه سكان السبائر مذعورين خائفين وقد ايقنوا بحلول المصيبة فنهم من اختبأ ومنهم من خرج نازلاً الى حيث بدادئ عساكر العرب فيذهب فريسة لاسنة رماحهم ومن احتبا سحتته الاحجار حيث كانوا يهدمون البيوت والمنازل وقد احاط فرقة بقصر الخوند نهدموه وبحثوا قبل ذلك على الخوند فلم يظفروا الا بحاشيته وخدمه ولم يشرف الصباح الا وتحت العرب

تلك المدينة العظيمة وسلبوا منها كل ما خف حملا وعلا قدرا وداموا على هذه الحال وهم ينهبون ويهدمون ويقتلون مدة سبعة ايام حتى لم يبقَ من آثار الخونديين شيء يذكر ولا من سكانها غير الكهول العاجزين والاطفال القاصرين فبحثوا عند فراغهم من هذه الواقعة المهولة على الخوند وكسرى وبختيار فلم يقفوا لهم على اثر ولا عرفوا عن وجودهم ادنى خبر فارسلوا باثرهم العيارين فتفرقوا بكل النواحي للبحث عليهم ولكن بدون جدوى

واما ما كان من كسرى وبختيار فانهما عندما علما بدخول العرب المدينة ايقنا بقرب الاجل فذهبا حالاً الى ياقوت بن الخوند واعلماه بما جرى وقد كان ياقوت كما تقدم معنا قد سرق الخاتم من ابيه ففركه واذا بمارد عظيم قد انتصب امامه بكل طاعة وخضوع فأمره بان يحملهم ويذهب بهم من هذه البلدة فامتثل لما امر وحملهم على كاهله وطار بهم بطبقات الجو الى حيث امنوا نفوسهم من الهلاك

واما العرب فانهم طلبوهم بكل صقع وناد فلم يقفوا لهم على خبر وطلبوا الى عمر ان يسعى بالكشف عن محل اقامتهم فعجز عن ايجادهم لذلك سألوا قاضي العرب ان يكشف لهم ذلك المخبأ ويبرز ذلك المكنون فمد الرمل ونظر طالعهم وفحص ودقق ثم قال ان ياقوت وكسرى وبختيار قد حملهم المارد خادم الخاتم الى شرقي هذه البلاد واما الخوند فلم اتمكن من معرفة وجوده ثم مد الرمل ثانية وبحث عن الخوند فوجد بانه لم يخرج من المدينة ثم قسم المدينة الى اربعة اقسام وبحث بكل تدقيق بكل قسم من هذه الاقسام الاربعة فلم يعلم شيئاً من ذلك فقال للامير حمزة اعلم ايها الامير اني لمتأكد بان الخوند لم يخرج من المدينة وهو مختبأ باحدى زواياها ولكن الرمل لم يهدني الى معرفة محل وجوده ففرق العيارين بانحاء المدينة ومرهم بان يفتشوا عليه بالبحث والتدقيق فعسى ان يجدوه فقال الامير حمزة ليس لنا لهذه المهمة الا عمر وما من احد غيره يتمكن من القبض عليه ثم قال لعمر هيا يا اخي وابحث عليه عساك تجده فقال له عمر اذا كان الخوند داخل المدينة لا يمكن ان يتعذر عليّ وجدانه ولو اختبأ تحت المياه او ارتفع الى فوق

الهواء ثم تركهم وذهب للبحث عليه ولم يزل ينتقل من جبل الى واد ومن زاوية الى شارع حتى نظر على الطريق مرحاضاً فدخل ليزيل ضرورة وبينما هو يستعد لحل سراويله اذ سمع صوت سعال بالقرب منه فتعجب من ذلك حيث لم يكن سواه بهذا المرحاض المنفرد فخرج ليعلم هل يوجد احد خارجاً فلم يرَ احداً فزاد انذهاله ثم طرأ عليه فكر تلالئت منه عيناه بنور من الامل فطرق بيده على حائط وتحرك المرحاض فارتج ذلك الحائط وقد كان من الخشب الرقيق فعلم ان وراءه زاوية وان بالزوايا خبايا فضربه بالخنجر فنفذ منه الى الجهة الثانية وغرق فيه الى قبضته فرفس ذلك الحائط برجله بمزيد قوتـه فانفتح وظهر انه باب ذو مصراعين وقد كان ملوناً بلون الحيطان فلا يعرفه الا من اختبر ذلك بالصدفة ولما فتح الباب وجد غرفة صغيرة فيها سرير بغاية البساطة وعليه رجل نائم ومغطًى بجلد نمر الى ما فوق رأسه فتقدم منه ورفع ذلك فبان من تحته وجه الخوند وقد غير هيئته اصفرار الخوف وهو واضع يديه على عينيه لعلمه بانه اذ لم يرَ لا يُرى فضحك عمر من ذلك ونبهه فلم يشاء ان ينتبه وحاول ان يتستر بالغطاء ليمنع عنه شر مطارده فحمله على كاهله وذهب به الى صيوان اليون شاه وهو لم يتحرك ولم يتكلم ولم يبد ادنى اشارة كانه سر السكونه محمولاً على الايدي وقد كان بالصيوان جميع الامراء والقواد فوضعه امامهم وهناك فتح عينيـه للمرة الاولى ونظر الى الحاضرين بدون ان يتكلم فاخبرهم عمر عن كيفية وجوده وكيف كانت حالته وقال للامير حمزة اعلم يا اخي ان هذا هو الذي شفاني من مرضي العضال بدواء الاحتطاب وهذا الذي البسي ثوب القوة فبارزتكم وقهرتكم واني ارجوك ان تكافئه عني بما يستحق فضحك الحاضرون من كلامه وشكروه على همته ومهارته ثم تقدم الامير حمزة من الخوند وقال له ها قد وقعت بشر عملك فاخبرنا ما كنت تعمل بهذا المحل المدنس النجس فقال له بعظمة ان نفسي قد خرجت عن طاعتي فكنت اؤدبها فضحكوا من هيئته اكثر من جوابه ثم سأله جملة مسائل فكان يجاوبه بهذه العبارة نفسها فضجر الامير حمزة من هذه البلادة

وقال له اتريد الان ان ترتدع عن غيك وتؤمن بالله فنعفو عنك ونعيدك الى ملكك مكرماً معظماً ام تمتنع فنقتلك ونساويك بن عبد فلم يكن هذا الكلام ليؤثر به شيئاً فأجابه بنفس الجواب السابق فغضب الامير حمزة من ذلك وامر ان يساق الى ساحة الاعدام حيث ينفذ فيه سهم القضاء فلم يصدق عمر بان يسمع هذا الحكم حتى عمد اليه فسلبه ثيابه وما عليه من المجوهرات واخذ منه الذخائر ثم ذهب الى المحل المعين للقتل وبينما السيَّاف مشهر السيف بيده ليضرب عنقه اذ انقضت على الخوند يد غير منظورة ورفعته الى طبقات الجو وسمع صوت عظيم ارتجت له الجبال وكان ذلك المختطف هو المارد خادم الخاتم والسبب في حضوره واختطافه الخوند هو انه لما حمل ياقوت وكسرى وبختيار كما تقدم معنا مر بهم اثناء طيرانه على مدينة فسالوه عنها فقال لهم هذه مدينة الدواليب لصاحبها كاووس شاه وكان هذا من عمال الخوند فامره ياقوت ان ينزل بهم فانزلهم بالسرايا حيث كان الملك ووزراؤه فلاقوهم بالترحيب والاكرام وتعجبوا من هبوطهم على هذه الصفة فسألهم الملك عن ذلك فاخبروه بجلية الخبر وكيف هجم العرب على المدينة ودخلوها وامتلكوها بالمكر والخداع فتأثر كاوس شاه من ذلك غاية التأثير ثم سألهم عن الخوند اين هو فاجابوه لسنا نعلم مقره ولا نعلم اذا كان باقياً بقيد الحياة ام قتله العرب فقال لهم يجب اولاً ان نسعى بالتفتيش عليه فمر المارد ان يذهب ويبحث عنه عساه يجده فامتثل ياقوت وفرك الخاتم فحضر المارد وقال له اذهب وابحث عن ابي بمدينة السبائل واين ما وجدته احضره فذهب ذلك المارد ووجده بساحة الاعدام وهو على شفير الموت فاختطفه وذهب به الى كاووس شاه فلاقاه بكل احترام وتمجيد وقبل يديه وطيب خاطره ثم حلف له باعظم الاقسام انه لا بد من تشتت شمل العرب اذا اتوا لهذه البلاد

اما العرب فان عمر العيار دخل عليهم واخبرهم بكيفية اختطاف الخوند منه من بين ايديهم فتكدروا من ذلك وسألوا قاضيهم بزرجمهر عن محل وجوده اذ ذاك مد الرمل وقال لهم قد ظهر لي بانه مع ولده وكسرى وبختيار بشرقي هذه

البلاد مجتمعون بمحل واحد ومجتمعون بظل ملك عظيم فامر اذا ذاك الامير حمزة بهدم المدينة ثانية وان لا يتركوا بها حجراً قائماً ولا رابية مرتفعة ففعلوا وداموا ثلاثة ايام حتى صارت لا تعرف من عارفها قبلًا وبعد ذلك جلسوا يتشاورون ويتباحثون بامر ايجادهم فكلفوا بهذه المهمة عمر العيار ففرق العيارين بكل النواحي ومـا زالوا يبحثون حتى علموا انهم موجودون عند كاووس شاه بمدينة الدواليب

فلما بلغ ذلك الامير حمزة عزم على ان يلحقهم ولو اختفوا وراء سد الاسكندر واخبر الامراء بعزمه فما منهم الا من كان راضياً اتم الرضى من ذلك وراموا سرعة المسير ليصلوا باكراً وينهوا هذه المشكلة ويعودوا الى اوطانهم حيث قد طالت مدة غيبتهم وهم في غاية القلق كل على مملكته ورجاله فاجابوا الامير حمزة بالامتثال واظهار السرور والرضى التام امامه فشكرهم على ما ابدوه من الجميل وقال لهم نظراً لكثرة عساكرنا لا يوافق ابداً ان نذهب جميعاً سوية فاذهبوا انتم تحت قيادة ولدي بديع الزمان وخذوا فرقة من العساكر وانا والسلطان سعد والوزير بزرجمهر نذهب باثركم بعد سبعة ايام ببقية الجيش والعساكر وعند وصولكم كاتبوا اولاً كاووس شاه واطلبوا منه تسليم اعدائنا لمنع هدر دم العباد فان سلمكم كان خيراً والا فشبوا نار الحرب واخربوا مدينته وخذوا اعدائنا رغماً واغتصاباً فاستحسنوا رأيه وذهب في اليوم الثاني جميع ابطال العرب يتقدمهم بديع الزمان البطل الغضنفر وعلى جانبيه الامراء والابطال يتبعهم مائتا الف من العساكر وما زالوا يطوون الارض ويقطعون تلك المفاوز والفلوات الشاسعة حتى وصلوا الى سهل مدينة الدواليب وكان عظيماً واسعاً جداً فنصبوا خيامهم وناموا تلك الليلة باكراً يستريحوا من مشاق السفر ولمـا اشرق الصباح نهضوا من المنام واجتمع الامراء والابطال بصيوان بديع الزمان وتباحثوا في ما يجب عمله فاتفقوا على ان يرسلوا كتاباً الى كاووس شاه ففعلوا وارسلوه صحبة احد العساكر فذهب به الى ان دخل المدينة فتقدم الى مجلس كاووس فدخل فوجد المجلس حافلًا بالامراء والوزراء

وكاووس شاه بصدر المجلس وعليـه من الحلل والجواهر ما يدهش العقول وهو كبير الجثة عريض المنكبين والشجاعة لائحة بين عينيه وامامه الخوند وولده وكسرى ووزيره وهم جالسون بغاية التكريم فقدم الرسول الكتاب الى كاووس شاه ورجع فوقف بغاية الاحتشام واللياقـة بآخر المجلس فاخذ كاووس شاه المكتوب وقدمه للوزير ليقرأه على رؤوس الاشهاد ففضه وقرأ ما يأتي :

بسم الله الرحمن الرحيم

من بديع الزمان بن الامير حمزة البهلوان مبيد الاقران ومذل الجبابرة الى السلطان كاووس شاه حاكم مدينة الدواليب

لا شك قد بلغك بعض افعالنا التي سارت بذكرها الركبان وببطشنا التي ارتجفت لذكره جبابرة الزمان اما بعد فاخبرك بان اولئك المستظلين بحمايتك هم الد اعدائنا وصار لهم مدة من الزمان وهم يهربون من قتالنا من مكان الى مكان ونحن نلحق بهم حتى انهم كانوا السبب بخراب اكثر الممالك التي التجاوا اليها فان انتصحت وسلمتنا اياهم كنت لنا من اعز الاحباب وكنا لك عوناً على اعدائك وان خدعت كما خدع غيرك وابيت تسليمهم فما ملامك الا على نفسك حيث اخذناهم بالرغم عن عنادك وخربنا ديارك واطلالك وجعلناها قاعاً صفصفاً ينعق بها البوم والغربان فاختر لنفسك ما يحلو والسلام

فلما فرغ الوزير من قراءة هذا التحرير صعد الدم لراس كاووس شاه وقامت عيناه في ام راسه فهدر وزمجر وارغى وازبد كالجمال ثم قال للرسول لو لم يكن محرماً على العقلاء والابطال دم الرسل لما ابقيتك بقيد الحياة فعد الى مولاك واخبره بان يتأهب للقتال واعلمه باننا قادرون على رعي الذمم ومحاماة المستجير فذهب ذلك الرسول وانطلق يعدو الى ان وصل الى صيوان بديع الزمان فاخبرهم بما سمع ورأى فاغتاظوا من ذلك الغيظ الشديد وعزموا على ان يفتكوا به فلما كان اليوم الثاني نهض الجميع واعتدوا بعددهم وركبوا خيولهم وقد كان كاووس شاه نبه على العساكر ان يخرجوا خارج المدينـة وينصبوا الخيم مقابلة العرب فاصطف

الفريقان وترتب الجيشان ودقت طبول الحرب فهجموا على بعضهم هجوم الاسود الضواري وانقض بديع الزمان على جيوش كاووس شاه كانه الاسد الضرغام واخترق الصفوف وفرق الميئات والالوف ومد الرجال على بساط الوهاد وحمل بعده اندهوق بن سعدون والمعتدي حامي السواحل البطل الحلاحل وفرهود صاحب التكرور وقاهر الخيل وبشير ومباشر وعلى الميسرة حمل الامير قاسم الليث الغضنفر وحمل معه معقل البهلوان واصفران الدربندي والامير عقيل بجماعته الثمانماية فارس الذين ولدوا وتربوا مع الامير حمزة البهلوان ولله در بديع الزمان فانه ملأ الارض من جثث القتلى واجرى دماء الفرسان انهاراً ومثله كاووس شاه وكان من الابطال المشهورين فانه حمل على العرب فتنافرت منه الفرسان هاربين وصائحين من الالم وارتمت الرجال بين قوائم فيله من مجروحين ومقتولين هذا وقد راج سوق الخصام وانفتحت ابواب الجحيم فرمت المتقاتلين بنار عظيمة الاضطرام وظن القوم ان يوم الحشر قد قام لفرط ما وقع من الاشتباك والازدحام وحجب نور الشمس غبار كثيف اشبه بالغمام فعم الظلام وما زال السيف يعمل والدم يبذل ونار الحرب تشعل حتى ولى النهار فدقت طبول الانفصال وافترق الجيشان عن بعضهما وقد خسر كاووس شاه من معسكره قسماً عظيماً فانب عساكره ووبخهم اشد التوبيخ ثم قال لهم ويحكم لما هذا الخوف والجبن وكيف انخذلتم امام جيوش العرب وانتم تزيدونهم عشرة اضعاف فقالوا انا لم نقاتل بشراً مثلنا ايها الملك المعظم وما كان قتالنا الا مع الجن والمردة فعلم كاووس شاه ان بين العرب ابطالاً يضن بمثلهم الزمان ويندر وجودهم وايقن ان الحرب العمومية لا توافقه ابداً لذلك اعتمد على البراز واخذ ابطال العرب ومن بعد ذلك يقدر على مقاومة باقي العساكر لاسر ابطالهم فعذر عساكره على تاخيرهم وذهب الى محل منامه

وفي صباح اليوم الثاني ضربت طبول الحرب والقتال وخرجت العساكر تتسابق الى ساحة القتال وقبل ان يتم انتظام الفريقين سقط كاووس شاه الى ساحة النزال وطلب البراز وكان كاووس شاه يركب على فيل عظيم ويقاتل بعمد من

الفولاذ يبلغ ثقله القنطار وكان معتمداً بقتاله على سلسلة من الحديد معلق بهـا كثير من الكلاليب مخيفة وراء ظهره عند البراز فكان اذا تضايق مع خصمه واحس من نفسه بالتقصير رمى على مبارزه تلك السلسلة فتعلق به الكلاليب ويدير راس فيله ويطلق له العنان فيسحب المعلق بالكلاليب ولو كان من الجبال الرواسي نظراً لقدرة الفيل وقوته ويأخذه اسيراً ذليلاً بتلك الحيلة المبتدعة

فلما طاب البراز كان اكثر ابطال العرب مستعدين لذلك فسبقهم اليه الامير قاسم وصدمه صدمة جبار وقرم عنيد فقابله بالمثـل وهجما على بعضهما واخذا بالضرب والطعان حتى تقصفت بايديهما عوالي المران فعمدا الى البيض الصفاح التي هي اقرب لقبض الارواح وما زالا في كد وجد وكر وفر حتى توسطت الشمس في قبة الفلك واستطال الامير قاسم على خصمه وجاوله واكربه حتى كاد يعمي ابصاره ولم يدع له سبيلاً للراحة ولذلك عزم كاووس شاه على الالتجاء الى حيلته فاخذ السلسلة من وراء ظهره واقترب من الامير قاسم ورمى عليه تلك السلسلة فعلقت كلاليبها بطوقه واشتبكت بثيابه فالوى راس فيله واطلق له العنان فجرى به الى معسكره وهو يجر قاسماً على الارض حتى ترضرض جسمه وبلغ الخيم فاخذوا منه اسيره وكبلوه بالقيود ثم رجع الى ساحة القتال وطاب البراز فبرز اليه بشير فلم يمهله ان حرك السيف بيده حتى رمى السلسلة عليه فاخذه اسيراً وسلمه الى اصحابه حيث شدوه الى قاسم ورجع الى الميدان فاسر مباشراً بهذه الطريقة نفسها وعاد الى معسكره وقد دقت طبول الانفصال حيث ولى النهار وهجمت جيوش الظلام فتقدم بختيار من كاووس شاه وشكره على ما ابداه من الشجاعة النادرة المثال واطنب بوصفه حتى سر من ذلك غاية السرور والتهبت الحمية في راسه فقال له اصبر لا بد من اسر جميع اولئك الابطال المعتدين بانفسهم والمفتخرين على ابناء جنسهم واذبحهم ذبح الاغنام على مشهد من العرب ليعلم العالم مكانتي من الشجاعة والاقدام ويرهبني ويرتعش لذكري سائر الانام فقال له بختيار انك قادر على اكثر من ذلك ومثلك من قال وفعل وليس يصعب على

الاسود افتراس الهررة فنم آمنا مطمئناً فانك لم تخلق الا لتكون آفة العرب ومبيد شملهم وبك يندثر ذكرهم ويأفل نجم سعدهم وكل آت قريب ثم تقدم منه كسرى واثنى عليه جميل الثناء واطنب بذلك لعلمه بان البضاعة رائجة بسوق افكار كاووس شاه فشكرهما وافترق عنهما وذهب الى الخوند وكان قد افرد له قصراً عظيماً ورتب له العلوفات واكثر له من الخدم والمحافظين لانه كان يكرمه ويعبده دون الاله الصمد واعوذ بالله العلي العظيم من الكافرين

ودخل عليه فخضع بين يديه وقدم له كل اجلال واكرام واخبره بجميع ما عمله في هـذا النهار ففرح لذلك الخوند ومنحه البركة وقال له سر فان قوتي تحفظك وتؤيدك بالنصر على الاعداء المتمردين الذين عموا عن اتباع الهدى وجحدوا فضل الوهيتي فقال له كاووس شاه ايقن يا مولاي باني سأرد كيدهم الى نحرهم واجبرهم على عبادتك بعد احراز النصر عليهم بعنايتك وقوتك فان امتثلوا كان لهم عظيم الاكرام والا فاني ابيدهم عن آخرهم وامحو اثرهم وارمل نساءهم وايتم اطفالهم فشكره الخوند وقال اذهب يا مولاي ونم تلك الليلة مستريحاً لتقوى على قتال الاعداء واني متيقن بانك تفوز عليهم وتجعلهم عبرة لامثالهم ممن يتجاسر على عصياني وينبذ طاعتي وراء ظهره ما زلت اشملك ببركتي واحفك برضاي وانعم عليك بقوتي فقبل كاووس شاه يديه وخرج من عنده متهللاً مسروراً الى محل منامته

وفي اليوم الثاني برز الى الميدان وطلب فرسان العرب فانقض عليه اصفران الدربندي وصاح عليه كالرعد القاصف فاجابه بمثله وتجاولا ساعة من الزمان حتى علم كاووس شاه بان فرسان العرب لا تؤخذ بالعدل والانصاف بالبراز بل بالغدر والمكر والخديعة فاعتمد على سلسلته ورماها عليه واخذه اسيراً وسلمه لاتباعه ثم رجع الى ساحة القتال وهمهم ودمدم وافتخر بنفسه وتكبر وطلب المبارزة فهجم عليه الامير عقيل واشتبكا ببعضهما اشتباك الاصابع ثم افترقا وتطاعنا بالرماح الطوال ولم يزالا بين كر وفر وكد وجد وطعن وضرب حتى اقترب الامير

عقيل من كاووس شاه وقد لاحت له فرصة لقتله ولم تكن الا حيلة من كاووس شاه ليقترب منه فضربه الامير عقيل بسيفه فاستتر بدرقته وابطلها بمعرفته وخبرته ورمى عليه السلسلة فكان نصيبه نصيب من اسر من رفقاءه فهجم عليه اتباع كاووس شاه وقيدوه وقادوه اسيراً ذليلاً وشدوه الى اصحابه فرجع الى ساحة القتال وطلب المبارزة فنزل اليه قاهر الخيل وقد تعجب من اسره لفرسان العرب مع انه كان كما يظهر للناقد البصير بانه دونهم شجاعة واقداماً وثباتاً بموقف الطعن والجولان فهجما على بعضهما وتضاربا بالسيوف الحداد وتطاعنا بالرماح المداد وقد لحظ قاهر الخيل بانه يحاول القرب منه دائماً فانتبه لغايته وان مراده ان ياسره بالسلسلة فلم ينفعه شيئاً هذا التحذر لان كاووس شاه كان صاحب حيل ومكر ولم يزالا الى المساء وهما يتطاعنان ويتضاربان ويحتذران من بعضهما حتى اظهر كاووس شاه على نفسه العجز بدهائه ومكره فاقترب منه قاهر الخيل وكاد ان يفتك به لو لم يسبقه كاووس شاه وياخذه اسيراً ذليلاً بواسطة تلك السلسلة فهجم عليه اتباع كاووس وكبلوه بالقيود ودقت طبول الانفصال فرجع كاووس شاه ظافراً منصوراً معتقداً بان كل ما جناه من ثمر هذا النصر نتيجة بركة الخوند ورضاه فذهب اليه راساً وطلب منه البركة فمنحه اياها وقبل يديه ورجع الي صيوانه فنام آمناً مسروراً يستنظر بزوغ الصباح ليرجع الى الحرب والكفاح بفروغ صبر

ولما اشرق الصباح توسط المجال وطلب النزال فبرزوا اليه فرسان العرب وكل يتحذر على نفسه من عدره ولكن بدون جدوى فاسر منهم اربعة من اشد ابطالهم ولم يزل في كل يوم ياسر من ابطالهم ثلاثة او اربعة حتى اسر الجميع ولم يبقَ في معسكر العرب الا اندهوق وهارون وبديع الزمان فجلسوا في هذا الليل يتباحثون وهم في غاية القلق والاضطراب من خوفهم على الاسرى لئلا يفتك بهم بواسطة ذلك الغادر الماكر بختيار فقال بديع الزمان اننا كنا آملين الفوز والانتصار وان لا يقف شيء من الموانع تجاه غايتنا فها قد خاب املنا واسرت ابطالنا وان

لم يبذل الجهد في الخلاص من هـــذه الورطة الوبيلة والا ركبنا العار واحاط بنا الذل والشنار الى كرور الايام وتوالي الاعصار واني لموقن بان كاووس شاه اذل من ان يقدر على قتال اجبن عساكرنا ولكنه التجأ الى الحيل والخداع واسر فرساننا وابطالنا بهذه السلسلة العجيبة وركن الى الغدر والمكر شأن على كل جبان لئيم عديم الشرف كثير الجور والاسراف ولا يعرف بالقتال العدل والانصاف وسوف ابرز اليه عند الصباح واتحذر منه غاية الحذر وانتبه لنفسي غاية الانتباه بقتاله فعسى ان افوز عليه بقدرة الله العظيم ونرفع عن العرب هذا البلاء المصبوب ونخلص الاسرى الذين يقاسون مر العذاب الاليم لوقوعهم بايدي الكفرة فقال له اندهوق اعلم ايها الامير اني قد نظرت موضع النظر بقتاله فوجدت ان الدائرة قدور على من يقرب منه فيجب على مبارزه ان يتحذر كل الحذر من ذلك وحيث اني لاحظت هذا الامر جيداً فدعني ابرز اليه عند الصباح واخطف روحه من بين جنبيه فقال له بديع الزمان طب قلباً وقر عيناً فاني نظرت كما نظرت وعلمت اكثر مما علمت لاني امعنت النظر بقتاله فعرفت طرق حيله ومكره فابقَ انت وهارون على ملاحظة العساكر واذا اسرني ذلك الخادع الماكر ينزل اليه احدكم ويحاوله ويطاوله بالقتال فان ابي صار على اهبة القدوم ومعه عمر العيار فاذا اسرنا فلنا الامل بخلاصنـــا ونجاتنا عن يدهم واذا فزنا وقدرنا على اسره نكون بلغنا المراد ونفينا عنا الذل والعار فاذعنا لما ارتاه بديع الزمان وناموا تلك الليلة وهم خائفون اشد الخوف على الاسرى لئلا يقتلوهم ومتأملون بسرعة حضور الامير حمزة وعساكره الجرارة وعمر العيار الذي هو غاية املهم فلما بزغ الصبـــاح واشرق الكون اصطف الصفان وترتب الجيشان وخرج بديع الزمان البطل الغضنفر الى ساحة القتال وطلب براز كاووس شاه وهو ينادي انا السلطان بهزاد قادح النار من غير زناد قاهر الجبـــابرة في يوم الطراد وقد نزلت اليك لاخطف روحك من جنبيك واحمي العالم من غدرك فقال له كاووس شاه صه يا جبان وسترى من يقاد اسيراً ذليلاً الم تعلم بان الخوند قد اعطاني القوة ومنحني البركة فصرت اراكم

لذلك كالذباب بعيني وكنت اود ان يكون حمزة بينكم لاقطع رأسه واخمد انفاسه وكل آتٍ قريب فسامحو ذكركم واجعل قبوركم بهذه الديار بقوة الخوند وبركته لا نجي العالم من تعديكم وانتقم منكم لاهانتكم الخوند وطغيانكم عليه فاشتعل بديع الزمان من هذا الكلام وصرخ صرخة اهتزت لها الجبال وصدمه صدمة جبار عنيد وهجم عليه هجوم اساد البيد فقابله بالمثل والتقيا كانهما فرخا جان او عفريتان من عفاريت السيد سليمان وقد اشهر كل منهما المهند وانحط على خصمه انحطاط الصواعق واخذا في العراق والصدام والافتراق دون الالتحام لحذر بديع الزمان من الغدر واشتبك القتال بين الاثنين اي اشتباك فصاحا وهجما وهمهما ودمدما وابديا من فنون القتال ما ادهش صناديد الابطال وشابت لمشاهدته الاطفال فكانا تارةً باليمين وطوراً باليسار وقد ارتفع فوقهما الغبار وتكاثف فوق رؤسهما حتى احتجبا عن الابصار وغابا عن الانظار وما زالا على هذه الحال حتى كاد يولي النهار فخاف كاووس شاه ان ينجو من بين يديه فاظهر على ذاته العجز والتقهقر كعادته عند محاولته الغدر والمكر وعرف بديع الزمان منه ذلك فاراد ان يمتنع عن الهجوم عليه ولكنه نفذت جعبة صبره فهجم عليه وطعنه بالرمح وبفكره انها القاضية فعدل عنها ومال بمهارته ورمى عليه السلسلة فاصطاده كالاسماك والوى عنان فيله وذهب به الى المعسكر فانقطعت ظهور العرب لاسر بديع الزمان وايقن كل منهم بالموت وشرب كاس الحمام وعزموا على ان يهجموا جميعاً ويخلصوه من يدي قناصه فدقت طبول الانفصال حيث قد ولى النهار وتفرق الجيشان على امل العود بالصباح

اما كاووس شاه فانه سلم بديع الزمان الى احد الفرسان وامره ان يضعه مع اصحابه وجلس في ديوانه وهو في غاية السرور لما احرز من النصر والظفر على العرب الذين دوخوا البلاد بفتوحاتهم وارعبوا الابطال بذكرهم فدخل عليه بختيار طاق الوجه باسم الثغر وقال له بشراك بالنصر التام ايها البطل الصنديد فانك قد قطعت ساعد العرب باسرك بديع الزمان وتركتهم سكارى من الهم

حيارى من الغم لفقد حاميتهم وبطلهم الوحيد الذين لا يقومون على حمل السلاح بدونه وايقن بانك احرزت ما كنت تأمله من النصر اذا لم يعد ادنى مانع من تفريق العرب وتشتيتهم ومحو ذكرهم وآثارهم غير الامير حمزة الذي هو غائب عن معسكرهم الآن واذا جاء لنصرتهم فانه لا يجدي نفعاً لانه كبر وشاخ وفضلاً عن ذلك فانه دون ابنه شجاعة واقداماً وثباتاً بمواقف الطعن والجولان ومن اقتنص العقاب لا يعجز عن صيد العصافير فانعش قلوبنا صباحاً ومر بقتل الاسرى من فرسان العرب على مشهد من عساكرهم فتأمن بذلك دواهي عمر العيار لانه لا يلبث عند قدومه ان يخلصهم ولو مهما اجتهدت باخفائهم فقال له كاووس شاه اني لا اقتل الاسرى ما زال بالعرب بقية رمق من الابطال ولم يبقَ منهم غير اثنين وفي هذا الصباح ابرز الى الميدان واطلبهما فانتشلهما كما انتشلت غيرهما وبعد ذلك نفعل بالاسرى مرادنا وغيتهما كما نشاء فتكدر بختيار ولم يظهر على نفسه لا السرور فقال له الامر اليك فما هم الا اسراك ولك الحرية بمعاملتهم كيف تشاء وخرج من عنده وهو خائف الخوف الشديد من خلاص الاسرى اما كاووس شاه فذهب الى الخوند وقبل يديه وطلب منه البركة و لرضي فباركه وقال له نم آمناً مطمئناً فان جميع ما فعلته لم يكن الا بقوتي واني لم ازل الدهر شاملك برضاي فسر كاووس شاه من ذلك غاية السرور وذهب الى صيوانه تنام بغاية السرور والراحة والسكون

واما ما كان من امر العرب فانهم كانوا في اشد الاضطراب والجزع لاسر بديع الزمان ولغيبة الامير حمزة الذي آن وقت حضوره فكانوا من فرط الحمق والكدر لا يفقهون حديثاً وقد كاد اليأس يعمي ابصارهم وقلوبهم لانهم كانوا غير قادرين على مقاومة ذلك الجيش العرمرم وقد فقدت ابطالهم واسر حاميتهم وانقطع عنهم المدد والاسعاف من الامير حمزة الذي طالت غيبته وغادرهم يهيمون بوهدة اليأس والقنوط فصلوا الى الله وناموا تلك الليلة على فراش القلق والخوف وبعض الامل ولما كان اليوم الثاني وقد بزغ الصباح واشرق الكون وانتشرت

انواره على البسيطة اصطف الجيشان وترتب الفريقان ودقت طبول الحرب فنزل كاووس شاه الى ساحة القتال وهو يلعب برمحه العسال على ظهر فيله مفتخراً بنفسه ومتهدداً العرب بقوة الخوند وسلطانه فانحدر اليه هارون البطل المجنون وصاح به صيحة اوقعت الرعب بقلوب الحاضرين وصدمه صدمة تزعزع الجبـال فقابله بالمثل وهجما على بعضهما واشتبك القتال بينهما فتضاربا وتنضالا وهمهما ودمدما وتلاصقا وافترقا وتطاعنا حتى تكسرت بـين ايديهـا عوالي الرماح فعمدا الى البيض الصفاح التي هي اقرب الى قبض الارواح في ساحة الحرب والكفاح وما زالا بين كر وفر وطعن وضرب وافتراق واشتباك حتى وقفت الشمس في قبة الفلك مندهشة من قتالها مندهلة من صياحهما فاقترب البطل هارون من خصمه وكاد ان يعدده على بساط الصحصحان فرمى عليه كاووس شاه السلسلة فعلقت به وقاده اسيراً ذليلًا فامر بختيار بدق طبول الانفصال فدقت وتفرق الجيشان وتكدر كاووس شاه من ذلك فقال لبختيار لم اوقفت القتال ومنعتني في هـذا النهار عن انجاز امر الاعداء فقال له اعلم ايها الملك المعظم ان الراحة للانسان من اهم الامور ولم يبقَ في معسكر العرب غير واحد من ابطالهم وهو اندهوق وانت قادر عليه في كل ساعة فلماذا تتعب ذاتك وتجهد النفس وتحملها فوق طاقتها بالقتال فاسترح الآن من مشاق القتال وفي صباح اليوم الثاني تنزل الى ساحة الميـدان وتفعل ما تريد وتهواه من الاعداء فاذعن لما قال وصرفوا بقية النهار بمجلس الخوند وهو يتعاظم ويشمخ بانفه تيهاً وينتفخ كبرياء وعظمة وناموا تلك الليـلة على فراش الراحة والهناء

اما معسكر العرب فلم يبقَ عندهم من الابطال غير اندهوق بن سعدون فعول البعض منهم الى الفرار ليخبروا الامير حمزة بمـا تم وجرى وباسر جميع ابطال العرب وفشلهم وخذلانهم وفي صباح اليوم الثاني برز كاووس شاه الى ساحة النزال وطلب اندهوق بن سعدون فحمل عليه وزأرا زئير الآساد والتحما ببعضهما وابديا من عجيب القتال ما ادهش صناديد الابطال وشابت لهوله رؤوس الاطفال

ولم يزالا في مجاولة ومقاربة ومطاعنة ومقاتلة وزئير وصياح وحرب وكفاح وقد تطاولت اليهما اعناق الرجال ليعلموا من الذي يفوز بهذا النزال فما حانت الساعة التاسعة الا اعتقل اندهوق بالسلسلة وذهب كاصحابه فريسة الخداع والمكر وقد اضاعت شجاعتهم دواهي الاحتيال فدقت طبول الانفصال وافترق الجيشان وهم ما بين آمن وجازع وآمل وآيس ودخل كاووس شاه باسيره الى بقية الاسرى فشده اليهم وطلب الى الخوند ورؤساء جيشه ان يدخلوا المدينة ليقتلوا الاسرى ويكون يوماً حافلاً عظيماً يشمل السرور به جميع عباد الخوند بقتل جاحدي نعمته وناكري الوهيته فدخلوا الى المدينة بموكب عظيم وقد كانوا عسكراً جراراً بلغوا الخمسمائة الفاً ما بين فارس وراجل والخوند على جواده تحفه الامراء والروساء وكاووس شاه تخفق فوق راسه الاعلام والبنود وقد توجتهم اكاليل النصر الى ما سيشاء الله من الدهر

وفي اليوم الثاني اجتمعوا بالمدينة بصيوان كاووس شاه الوزراء والامراء والروساء وولاة الامور وكان ممن حضر وكان له اعظم الاكرام الخوند الذي كان بصدر المجلس وعليه من الحلل ما يدهش العقول ويخلب الالباب والجميع بين يديه خاشعون خاضعون وامامه ابنه ياقوت وكسرى وبختيار بقلوب تطفح سروراً ووجوه تتهلل بشراً بهذا اليوم السعيد الذي طالما تمنوه حتى ظفروا به وهو يوم يثأرون من العرب وابطالهم ويرفعون عنهم العار والذل والشنار فأمر كاووس شاه باحضار جميع الاسرى فاحضروا جميعاً موثوقين الايدي وكلهم غير مبال بما سيصل اليه بعيون تقدح شرر الغضب وتنظر الى الحاضرين باستهزاء واستخفاف حسبما فطروا عليه من الشجاعة والاقدام وعدم المبالاة بصعاب الامور فلما رأى كاووس شاه منهم ذلك علم ان ما وراء مخاطبتهم والبحث معهم وتهديدهم الا الاهانة لانهم لا يصبرون على الذل ولا يهابون كأس الحمام فأحب ان يقتصر ويزيدهم غضباً وحنقاً فأمر بان يأخذوهم الى ساحة الاعدام ويذبحوهم ذبح الاغنام فقال له بديع الزمان ويك يا كاووس شاه هل ظننت بانك امنت بوائق الدهر

وصروف الزمان وكيف تأمر بقتلنا ألم تعلم بان على اثرنا مبيد الاقران ومذل الجبابرة الشجعان من خضعت له الانس والجان ودانت له رقاب الليالي وصروف الزمان الامير حمزة البهلوان الم تعلم بان بخدمته الف الف وسبعمائة الف من العساكر المجربين بالقتال وهم على اثرنا وسيصلوا غداً او بعد غد اليكم باثرنا فيمحوا آثاركم ويخربون دياركم واطلالكم . فقال له بختيار وما نفع ابيك حمزة بعدما يعلم بقتلك وقتل سائر ابطاله ومن يعتمد عليهم من رجاله وعدا عن ذلك فاننا بقدرة الخوند وبأسه لا نرهب له بأساً ولا نخشى له قتالاً وسيكون نصيبه نصيبكم من القتل والهلاك لان نجم العرب قد أفل وتحوّلت سعودهم الى النحس والفشل فانتصب عند ذلك احد الوزراء العقلاء المشهور بحسن السيرة وفرط الذكاء وحصافة العقل وكان اسمه عبد الله وهو يعبد الاله المتعال الواحد الصمد دون غيره بالسر خوفاً من كيد كاووس شاه الذي كان يعبد الخوند وقال وكان بنيته خلاص الاسرى لانهم يعبدون مثله المهيمن الجبّار ليس من الصواب ايها الملك العظيم قتل الاسرى الآن لان وراءهم الامير حمزة بعسكره العظيم الذي شاع ذكره بالاقطار وادوخ بفتوحاته الاقاليم والامصار ومن الصواب والرأي الذي لا يعاب ابقاء الاسرى الى حين حضور حمزة فان قدرت عليه تقتله مع الاسرى وتبلغ منهم غاية مرادك وان لم تقدر على ذلك تعقد الصلح معه بتسليمه الاسرى وعلى كل الاحوال لا يضر ابقاء الاسرى مدة من الزمان تحت الحفظ فتكدر بختيار من هذا الكلام وقد علم بمراد عبدالله من توقيف قتل الاسرى فقال اعلم ايها الملك العظيم انك اذا أصغيت لرأي وزيرك لا يلبث عمر العيار ان يخلصهم فيعودوا لحربنا وقتالنا ويتسع الخرق ويفدح الخطب ونهدم بايدينا ما بنيناه من النصر فقال عبد الله كلا يامولاي فانا اذا احتفظنا على الاسرى وسهرنا عليهم بمزيد الرعاية والعناية واحتفظنا عليهم الحفظ التام لا تقوى المردة على اختطافهم ولا الابالس على خلاصهم من بين ايدينا وعلى كل فالامر لعظمتك وانت في غنى عن آرائنا لما لك من الموهبة العقلية والفكر الثاقب فافعل ما تشاء

وكان كاووس شاه يحب ذلك الوزير محبة عظيمة وله في قلبه موقع عظيم لحسن آرائه وجودة تدبيره فكان لا يعمل شيئاً بدون مشورته ولا يعقد امراً بدون ارادته فاستحسن رأي الوزير وقال اني مذعن لرأيك ايها الوزير وقد وجدت غاية الصواب ابقاء الاسرى الى حضور الامير حمزة واما بخصوص ما قاله بختيار من خوفه من خلاص الاسرى بواسطة عمر العيار فان ذلك الامر سهل للغاية حيث اننا نترقب خطواته بواسطة الرمل فمتى علمنا بمقاصده وشعرنا بوجوده نقبض عليه ونميته شر ميتة فامتعض وجه بختيار وايقن بخلاص الاسرى وخراب المدينة وعلم ان الوزير عبد الله نافذ الكلمة عند كاووس شاه قوي الشوكة لا يمكن معاندته وخاف بان يعمل على عداوته فيتسع الخرق عليه ويقع بورطة وبيلة لا يمكنه الخلاص منها فعمد الى الصبر والسكينة واخفى حقده وكدره واظهر السرور من رأي عبد الله الوزير ثم وافق على رأيه واضمر بفكره له الشر وتدرع بالصبر والسكينة لعلمه ان بالصبر تدك شواهق الموانع فلحظ عبد الله منه جميع ذلك ولكنه لم يكترث به وبمكائده لعلمه وتيقنه بما له من النفوذ عند كاووس شاه بما يتمم مآربه وينيله غايته ويساعده على رد كيد بختيار الى نحره

فقال مخاطباً الملك انه لنعم الرأي رأيك يا مولاي فاني سأعلم حركاتهم وافكارهم ونواياهم وجميع ما يعملونه وما ينوون على عمله بواسطة الرمل فلو اتت مردة الجان لا تقوى على اختطافهم من بين ايدينا وكفى بذلك شاهداً معرفتك بخبرني بعلم الغيب بواسطة الرمل الذي شاهدت نفعه وصدقه مراراً عديدة

فتهللت وجوه الاسرى عند ذلك الكلام وافعمت قلوبهم سروراً وطرباً وايقن بديع الزمان بانه سيجد من الوزير عبد الله رجلاً كاملاً شنوقاً معيناً آمناً بالله وانبيائه لينجيهم ويخلصهم من هذه الورطة الوبيلة ويرفع عنهم عذاب الاسر وهوانه واذا لم يقدر على ذلك فلا اقل من ايقاف هلاكهم الى حضور حمزة بعساكره الجرارة لان من كان بهذه الصفات الحميدة يعبد المهيمن الجبار الواحد الصمد دون غيره لا يتقاعد عن اسعاف عباد الله ومعونتهم باكثر ما يقدر عليه

واما كاووس شاه فانه سرّ غاية السرور كما علمنا من كلام وزيره الذي كان يحبه كما يحب الجبان نفسه وقد اعمته تلك المحبة عن معرفة نواياه واميـاله بخلاص الاسرى لذلك قال له اني مذعن لرأيك ايها الوزير العاقل ومن الان انيط بك امر هؤلاء الاسرى واعطيك الحرية التامة بالتصرف بهم كيف شئت لاني ما حدت ولا احيـد اصلاً عن آرائك القوية المصيبة فاحتفظ عليهم الى ان يحضر حمزة قائدهم العام ولي الامل الوطيد ببركة الهنا الخوند ودعائه ان اقرنه الى رفقائه واصلبهم جميعاً على ابواب المدينة وبذلك اثأر لحضرة الخوندالذي تجاسروا على اهانته وخرق حرمته والكسرى ووزيره بختيار الذين لم يرعوا جانبهما ولم يرهبوا بأسهما وسلطانهما وسأبيد العرب واحو ذكرهم من العالم ليتأدب بهم المتمردون العصاة ويكفوا عن خرق حرم الملوك

فقال له الخوند بمزيد العظمة والكبرياء تأمل بما شئت ايها الانسان العارف واجباته نحو الهه والعامل بهاءل الطاعة والخضوع واني سأرسل بملائكتي ليحفظوك وجيوشك من شر المعتدين واكللك برضاي واتوجك بنعمتي فتقوى بهذه الهبات العظيمة على ارهاب العالم بأسره ويطيعك كل متمرد باغي

فقال له بختيار بنفسه : احفظ ذاتك ايها الغبي واسترجع ملكك ان استطعت من يد الاعداء عوضاً عن ان تخبئ اياه بالكنيف كالجراذين هرباً منهم

اما الوزير عبد الله فانه امتثل لمـا امره به كاووس شاه من الاحتفاظ على الاسرى وذهب بهم الى السجن وهم يحجلون بقيودهم واصفادهم كالخيول المطهمة ويهمهمون كآساد الغاب وعند بلوغهم السجن امر السجان بالحرص عليهم وبان لا يمنع عنهم شيئاً مما يطلبونه وان يقدم لهم من افخر المأكل والمشرب واعداً اياه ان امتثل بحسن المكافأة ومن ثم اختلى ببديع الزمان على حدة وبدون ان يلحظ إليه احد وقال له انك ولا ريب علمت ايها البطل الغضنفر من وساطتي امام علك ومجاهدتي لتأخير اعدامكم بأعظم البراهين واقواها شيئاً من نواياي المسببة النحوكم وما السبب في ذلك لو تعلم الا اتحادنا واتفاقنا وائتلافنا على عبادة الله

القادر على كل شيء الذي تامرنا شرائعه وقوانينه العادلة بمساعدة بعضنا بعلى قوتنا واستطاعتنا والتي تحثنا على عمل الاحسان والبر بالمصابين . ولم اختل بك واوضح لك افكاري دون غيرك الا لعلمي بانك اكمل رفاقك عقلاً واعلاهم همة واكرمهم قلباً وعنصراً وابعدهم عن نكران الجميل اذا ساعدني الله وسهل عليَّ امر خلاصكم وتسليمكم تلك المدينة المخصبة العـامرة الواسعة الثروة ولكي استطيع ذلك لا اطلب منك الان غير بعض مساعدات طفيفة يمكنك اجراؤها بدون تعب ولا عناء على ما اظن وهي ان تحرض اصحابك على ملازمة السكينة والهدوء والملاطفة حيث سيحضر نهار غد وما بعـده اكثر رجال المدينة للفرجة عليكم كعادتهم عند اسر الغرباء وغاية ما ارجوه ان توصيهم بان يعتصموا بالصبر ويلازموا الهدوء والسكينة حيث سيهانوا ويشتموا ويلطموا من اكثر المتفرجين وخصوصاً من اقرباء الملك وشرفاء البلدة ولم اوصك بذلك الا لما اعهد بكم من عزة النفس والشرف والبسالة وعدم صبركم على الذل وخوفي من ان تفتكوا باحد اقرباء الملك او شرفاء البلدة عندما يقصدوا اهانتكم فيتسع الخرق ويفدح الامر ولا يعود يمكنني تأجيل اعدامكم حيث يتسع المجال لبختيار الذي لا يفتر عن كل عمل يؤول لتعجيل هذا الاعدام ويستحيل نفع شفاعتي اذ ذاك لتهييج الملك ومحبته العظيمة لاقربائه وارجوك ايضاً اسعافي بمسئلة عظيمة الاهمية لان غايتها المجاهدة بسبيل الله وهي ان مفاتيح البلد في يدي واني موقن بقرب مجيء الامير حمزة والدك وقتل كاووس شاه اذا لم يكن من يده او يد عياره عمر فبمساعدتي او من يدي وعند قتله اسلمكم المدينة التي لا يقوى احد بالعالم على افتتاحها لتلك الاسوار المنيعة التي تحيط بها احاطة السوار بالمعصم وعند حصول ذلك ارجوك بان تذكرني امام ابيك ليقيمني ملكاً على تلك المدينة واعلم جيداً باني ما طلبت اليك ذلك رغبة بحب السلطة ورغد العيش وحاشاي من ذلك لان غايتي الوحيدة هي المجاهدة بسبيل الله ورد اولئك الضالين الى الدين القويم ولا يقدر عليه غيري الا لي بقلوبهم من الوقع العظيم والمحبة العمياء

فقال بديع الزمان وقد انذهل من لطفه وكماله . ايقن يا عماه باني سأوقف حياتي بسبيل خدمتك لاني ما شاهدت بك من الرقة والرأفة وحب الاحسان لم اشاهده تصورًا باحد من الناس وايقن بان كلنا سينال غايته بعون الله تعالى لانه برّ بمحبيه رؤوف عادل لا يوقف احدًا عن المجاهدة بسبيله واني اسأله وهو المجيب ان يخلصنا من هذا الاسر الذي هو من انكى الامور عليّ واصعبها حملًا حيث اخذت غدرًا

فطيب قلبه الوزير وفارقه بعد ان حرضه على تحذير الاسرى من مخالفته وذهب يشيعه بديع الزمان بالدعاء

فتقدم بديع الزمان من اصحابه الاسرى وهم اندهوق بن سعدون البطل الغضنفر والمعتدي حامي السواحل البطل الجلاحس وهارون البطل المجنون ونور الدهر بهجة ذلك العصر والامير قاسم وفرهود صاحب التكرور والاصفران الدربندي وقاهر الخيل ومعقل البهلوان وبشير ومباشر والامير عقيل وجميع من كان اسيرًا بسجن كاووس شاه واخبرهم بما فعل الوزير معهم وجميع ما قاله له وحذرهم من خصام المتفرجين عليهم واهانتهم فسروا جميعهم غاية السرور بهذا النبأ المطرب وقبلوا باجراء ما امرهم به بديع الزمان من وجوب ملاطفة المتفرجين عليهم ما عدا الامير قاسم فانه صاح ببديع الزمان قائلًا ويك اتوصينا بان نذل بعد شامخ عزنا وان نتضع ونصبر على الاهانة من كلاب الاسواق ونحن من وقعت هيبتهم بقلوب اشد الابطال وضربت بشجاعتهم وعزهم الامثال

فاجابه بديع بمنتهى اللطف قائلًا اعلم يا قاسم بان ظروف الاحوال تحوج اغنى العالم لان يستعطي والشجاع لان يكون جبانا والشريف العزيز النفس ذليلًا مهانًا فاذا اتبعنا ارائك واصرينا على العناد والمحافظة على شرفنا وكبريائنا نهدم ما شيده لنا الوزير الحكيم من قصور الامال ولا نلبث الا ويحكم علينا بالاعدام وينفذ فينا سهم القضاء

فقال له قاسم ان موت العزيز خير من حياة الذليل واني مستعد لان امزق

باسناني وادوس بقدمي كل من يحاول اهانتي ويتجاسر على رفع يده علي قاصدا ضربي وسيان عندي الموت والحياة بعد مدافعتي عن شرفي باكثر ما يمكنه لاسير مكبل بالقيود

فقال له بديع يمكنك ان تتجنب هذه الاهانة وتحافظ على شرفك بان تختبىء باحدى زوايا هذا السجن واذا رآك احد واهانك بالكلام فاصبر عليه ولا تجاوبه حيث سنجازيه بعد برهة من صبرك بقتله اي عندما يتداركنا ابي حمزة بجيوشه ويسلمنا الوزير عبدالله المدينة وننتقم جميعنا اشد الانتقام ممن اهاننا وبذلك نكون عملنا ما يجب على الحكيم العاقل عمله عند ما تعاكسه التقادير ويحوجه الدهر الى استعمال رايه بدلاً من شجاعته

فقال له انك حر بان تفعل ما تشاؤه واما انا فاني لا اصبر الى ان اهان فادافع عن ذاتي بل اني اقصد اشرفهم واورد له من الشتائم والسباب ما يجعله يقابلني بالمثل والويل له اذ ذاك حيث لا اجيبه الا بضربه بقيودي على رأسه واخماد انفاسه ومن ثم حل قيودي ولا اسهل عليَّ من ذلك واهجم عليهم جميعاً الى ان يقتلوني واقتل منهم كثيراً وهذه هي الميتة الشريفة التي اتمناها وافضلها على الحياة الذليلة كما طلبت اليَّ

فخاف عند ذلك جميع الاسرى من ان تحبط مساعيهم لانهم يعلمون طيش قاسم وجنونه وانه يعمل ما يقول لذلك طفق البعض يوسعوه من الزجر والتوبيخ والبعض يتذمر من فعاله ويشكو من نزقه والآخرون يقدمون له النصائح وهو يجيب كلا بما يهياه له حمقه وقد علا الضجيج ما بينهم وارتفعت الاصوات على اختلاف مصادرها : فلندعهم بهذا الهياج والغضب ولنرجع الى حمزة امير العرب والجيوش التي معه فنقول

انه بعد ما حدث لبديع الزمان وسائر الفرسان ما حدث من الاسر تفرقت العساكر التي كانت بخدمتهم وولت الادبار هرباً من وجه كاووس شاه وعساكره الجرارة ولوقوع حاميتهم وقوادهم بايدي الاعداء وما زالوا يطوون الارض وخداً

وذميلاً ويقطعون تلك الفلوات الواسعة ثلاثة ايام وثلاث ليالي وهم في غاية الخوف على قوادهم وابطالهم من مكر كاووس شاه وغـدر كسرى وبختيار وهم لا يصدقون ان يصلوا الى الامير حمزة ويعلموه بحقيقة الخبر لمداركتهم وخلاصهم قبل هلاكهم حتى اشرفوا في صبـاح يوم على سهل واسع ورأوا بمنتهاه جيوشاً عظيمة ضاقت دونها واسعات البيد وسمك عثيرها من فوقها سماء تلبدت فيها الغيوم وتكاثفت برحب الفضاء على بعضها فحجبت انوار الشمس الساطعة وقطعت حبال اشعتها المغذية الباصرة فسقطت تلك الشرذمة اليسيرة بين تيارات الخوف والامل وارتبكت فما علمت اتخاف تلك الجيوش المتجمعة بعدد الرمال من ان تعيقهم عن سرعة المسير واعلام الامير حمزة بما حصل لاولاده وقواده من الفشل ام تأمل بكونهم جيوش العرب يتقدمهم اسد الغاب وسلطان الموت الزؤام الامير حمزة البطل الغضنفر فتشاوروا بما يفعلون وعزموا على ان ينقسموا الى فرقتين تتقدم الواحدة وتمر بذلك الجيش وتلبث الثانية بمكانها فاذا اعترضت وفشلت تتمكن الفرقة الثانية من معرفة ذلك وتذهب بغير طريق فتبلغ الغرض المقصود وتصل الى الغاية المطلوبة من الوصول الى الامير حمزة واعلامه بما تم فعملوا بما عزموا عليه وتقدمت فرقة مؤلفة من عـدد يسير من الفارين تتعارك على وجوههم ظلمات اليأس والقنوط مع اشعة الامل وما زالوا يجدون المسير حتى اشرفوا على الجيش فتهللت وجوههم بشراً لانهم راوا الامير عمر العيار يهمز كالغزال ويقفز ويلعب امام جواد اخيه قائد ذلك الجيش الذي كان يمشي الهوينا. فلما وقعت العين على العين صاحوا به : ادرك ايها الامير اولادك وقوادك قبل ان يفتك بهم ذلك الغادر كاووس شاه فارتعد حمزة لهذا الانذار المخيف وارتجفت مفاصله جزعاً لانه كان آملاً بانه سيشرف على مدينة الدواليب فيرى بنوده تخفق على ابوابها وثكناتها لما كان يعلم ببديع الزمان وسائر الفرسان من البسالة والحكمة والاقدام فصرخ بمن اخبره ويلك وما حصل لاولادي ومن معهم من الابطال الذين تهابهم الجن يوم النزال اخبرني اليقين حالاً والا افصل راسك عن جسدك بهذا الفصال واجعلك

طعماً لوحوش الغاب

وقد كانت الحدة وصلت بالامير حمزة الى منتهى درجات الحمق والغيظ فلم يعديعي لشيء ولم يرحم ذلك الجندي حيث لم يمهله الى ان يمالك روعه وقواه ويخبره فرفسه برجله وكاد ان يفتك به لو لم يمنعه عمر عن ذلك فتقدم غيره من الجنود الفارة وقال له وهو يخشى من ان يصيبه ما اصاب رفيقه اعلم ايها الامير الخطير لا زالت هيبتك محكمة الوقع بقلوب البشر وحكمك واسعاً جزيلاً اننا منذ فارقناكم تقودنا آساد الشرى بنوك واتباعك الى مدينة الدواليب نزلنا بسهل واسع امام المدينة وارسل ابنك بديع الزمان رسالة الى كاووس شاه ينصحه بها بان يسلمه من اتى لاجلهم ويتهدده اذا لم يقبل بذلك فما كان جوابه الا اشهار الحرب في اليوم الثاني فدامت الحرب الى آخر النهار حيث فتكنا بهم فتكا ذريعاً واملنا بالنصر وافتتاح المدينة ان دام القتال على هذا الحال ثلاثة ايام وفي اليوم الثاني دقت طبول الحرب بعد ما ترتبت الصفوف وخرج من معسكر الاعداء ملكهم وهو يركب على فيل عظيم الهيئة فبرز الى ساحة النزال وطلب البراز فنزل اليه الامير قاسم وتجاول واياه برهة وكل منا امل الفوز مما رأينا من احجام كاروس شاه واقدام الامير قاسم ولكن ذلك لم يكن الا حيلة مبتدعة لانه كان يصبر على الفارس الى ان يكل ويعجز او ينتهز منه فرصة فيرمي عليه سلسلة ذات شناكل عديدة فتعلق بخصمه ويدير راس فيله ويلكزه فيسير الفيل يجر وراءه من تقع عليه السلسلة ولو كان له عزم الجبال وهذا الذي حدث فانه في كل يوم كان ياسر اثنين او ثلاثة من نخبة الابطال حتى كان اليوم الاخير ولم يبقَ بالجيش غير ابنك بديع الزمان فاسره مع من اسر وادخله المدينة ومراداه ان يفتك بهم حسبا علمنا كما اشار عليه بختيار الغدار فولينا الادبار واسرعنا الى اعلامك لتعمل ما تشاء

فتنغص عيش الامير عند هذا الكلام واحتدم غيظاً وارغى وازبد كفحول الجمال وود لو ان له اجنحة طائر ليسرع المسير الى مدينة الدواليب ويجعل ديارها

قاعاً صفصفاً ينعق فيها البوم والغربان لذلك امر عمراً بان ينبه الجيش ويحرضهم على سرعة المسير وضم تلك الشرذمة المتفرقة الى جيوشه واقلع عن هذه الديار قاصداً كاووس شاه الذي وصل اليه مراراً بآماله ومزقه بانيابه وخلص اولاده وقواده حيث ضمهم اليه وقبلهم قبلات عديدة كان يجدها بغاية اللذاذة الى ان ينتبه من رقاد تصوراته العميق فيصر على اسنانه جزعاً اذيرى ذاته بعيداً عنهم ويود لو يغرق بلجج هذه التصورات الى ان يصل فيجعلها حقائق

وكان ذلك الجيش العظيم يسير برحب ذلك البر الوسيع يتقدمه الامير حمزة والسلطان سعد تخفق فوق رأسيهما البنود وتحفهما الامراء وتحيط بهما الابطال وورائهم ذلك المعسكر الذي حجب غباره نور الشمس وعكر صافي الهواء فكادت تختنق الفرسان وما زالوا يجدون المسير ليلاً ونهاراً يأكلون وهم على ظهور الخيل ولا يناموت الا القليل والامير عمر يحثهم على سرعة المسير حتى اشرفوا في مساء اليوم الثالث على سهل مدينة الدواليب الواسع الرحب فضربوا الخيام وناموا جميعاً في تلك الليلة وهم سكارى من التعب وعناء المسير ما عدا الامير حمزة الذي لم تأخذه سنة ولا نوم لقلقه واضطرابه وخوفه على الاسرى ويروم لو يشرق الصباح فيخلص اولاده ويخسر باقي ايامه وعمر العيار الذي طاف حول المدينة من اربع جهاتها عساه يرى منفذاً يدخل منه المدينة فلم يجد وحاول مراراً تسلق الاسوار ولكنه لم يستطع ذلك لان الحراس كانت تسهر عليها بمزيد التحفظ والعناية بما لم يدعه يأمل اصلاً بدخول المدينة قبل الصباح فرجع على غير رضى ونام تلك الليلة ولكن على فراش القلق والخوف على الاسرى

وكان الوزير عبد الله قد علم ساعة وصول الامير حمزة بجيوشه الجرارة لانه كان وضع له الجواسيس تترقب اتيانه فأعلموه عند قدومه ووصفوا له ذلك الجيش العظيم فسر غاية السرور وذهب حالا الى بديع الزمان فبشره بهذا النبأ المطرب وقال له لي مزيد الامل بحول الله والثقة التامة بالانتصار على كاووس شاه وقتله كما دلني الرمل على ذلك فارجوك الا تنسى ما اتفقنا عليه وقد اتيت اليك الآن

لابشرك بقدوم ابيك حيث اعلم ان بذلك سرورك وطربك وتحقيق آمالك بالنجاة ولا اقول لك شيئاً بخصوص عمر العيـــار فانه لا بد من حضوره اليـكم يشاهدكم ويحقق كونـكم بقيد الحياة واني اعلم واوقن بحضوره حيث لا يقف امام غايته اقوى الموانع ولا تحله المردة والارصاد عن مشاهدتـكم كما خبرت عنه فعندها ارجوك بان ترسله اليَّ لاتفق معه على تسليم المدينة وادبر بمعونته امرًا سديدًا يـكون فيه الخير لنا ولـكم

فوعده بديـع الزمان بذلك بعد ما شكره واظهر له عظيم امتنانه منه وافترقا فذهب الوزير الى منزله وبديع الى رفاقـــه فاخبرهم بمجيء ابيه وجميع الفرسان فسروا غاية السرور وامحت عن وجوههم علائم اليأس والقنوط حيث اضاءت باشعة الامل فشربوا وطربوا وصفقوا ولعبوا وقاسم منزو باحدى زوايا السجن لا يـكلم احدًا حسبا فطر عليه من شراسة الاخلاق وفساد المبادئ لانه اهين في اليوم السابق من احد رعاع البلدة ولم يقدر على المجاوبة حيث منعوه اصحابه عن ذلك

فلما اشرقت شمس اليوم الثاني من قـــدوم الامير حمزة بعسـكره الجرار وملأت اشعتها البسيطة عقد العرب مجلساً يرأسه السلطان وتشاوروا طويلًا بما يفعلوا ثم ارتأوا ان يرسلوا لـكاووس شاه كتاباً يسألونه به الصلح واطلاق قياد الاسرى وتسليمهم من جاء بطلبهم فاذا اذعن نزعوا الخصام وعملوا ما تقتضيه الشرائع الانسانية وان ابى التجأوا الى حد الصارم القرضاب وبلغوا مآربهم بالقتال

فـكتبوا الـكتاب وسلموه الى الامير عمر ليوصله فاخذه عمر وقال لهم ان مرادي ان ازور الاسرى واعلم احوالهم ثم اذهب متخفياً واطوف في شوارع المدينة لاعرف جميع مسالكهـــا فلا ترتاعوا اذا غبت طويلًا فاستحسن فـكره الامير حمزة واوصاه بان يظهر للاسرى ويبشرهم بقرب الخلاص فوعدهم بذلك وتزود بذخائره ومشى حتى خرج من الجيش فتـكحل وصار بصفة وهيئة احد الجنود خوفاً من مـكر بختيار وكيده وما زال يمشي حتى بلغ المدينة فطرق الباب

الكبير وصاح قائلاً اني رسول الامير حمزة الى ملككم فافتحوا لي لان بيدي كتاباً له ففتحت له الحراس ودخل المدينة فطفق يفحص كل ما يرى امامه بنظر الناقد البصير ثم استهدى على محل اقامة الملك وذهب الى السرايا الملكية فوجد بناية شاهقة ترتفع الى الجو مشيدة الاركان طويلة الدعائم مزدانة من الداخل والخارج بالنقوش والتماثيل الغريبة المدهشة وعلى بابها الاول عشرة من الحراس مشهرون السيوف بايديهم وهم واقفون هناك للمحافظة فدخل عمر غير مرتاع مما رأى ولم يعترضه احد بدخوله حيث كان لرسل الملوك بـذلك الزمان الحق بتسليم ما يحملونه من اسيادهم للمرسل له يداً بيد فقطع كثيراً من السلالم الكبيرة وهو كل ماخطي بضع خطوات تعترضه فرقة من الحرس فيعلمهم بأنه رسول فيفتحوا له ممراً الى ان بلغ غرفة الملك التي كان يحرس بابها اربعة انفار يوقعون الرعب في القلوب لكبر جثتهم وعظيم هيئتهم وللسلاح الكثير المرعب المدججين به فاخبرهم بمرامه واوقفوه الى ان استأذنوا له ودخل غير هياب. ولا وجل الى تلك الغرفة فوجد بها ما ادهشه وجعله يتظاهر بالبله بالرغم عنه لان حيطانها كانت تساعد الشمس بالضياء مما عليهـا من الرسوم البديعة المنقوشة بماء الذهب وكان بصدر تلك الغرفة سرير من العاج يحمل كاووس شاه الذي كان عليه من الجواهر ما يدهش النظر وعلى رأسه تاج مرصع باليواقيت والالماس والاحجار الكريمة ومما يسلب العقول ويجعل الناظر مدهوشاً مبهوتاً انه كان على يمينه شخص يمثـل هيئة اسد من الذهب الخالص بعينيه فصان من الياقوت الاحمر الساطع وعلى يساره تمثال رجل من العمالقة منحوت من عظم الفيل وبيده اليمنى حسام طويل يسطع كالشمس وباليسرى مجن من الذهب الابريز تحمله فوق كرسي الملك وعلى وجه ذلك التمثال هيئة الغضب كأنه يحاول الانتقام ممن يتجاسر على خرق حرمة الملك وكاووس شاه جالس بصدر ذلك المجلس بمنتهى العظمة والفخار كأنه اسد الغاب وعلى يمينه الخوند الذي كانت تلوح على وجهه هيئـة الرئاسة الممزوجة بالبله والسذاجة وبالقرب منه الوزير عبد الله بهيئة شريفة جليلة وبلحية بيضاء

طويلة كان يحركها بيديه وهو منخفض الرأس غارق ببحار التأملات وعلى وجهه ملامع السكينة والوقار بما يدل على حسن طويته وشرف قلبه وعلى يسار كاووس شاه كان الملك كسرى بهيئة تستوجب الشفقة لانه كان منحني الراس بنظر باهت يكاد يترقرق الدمع به مما يدل على انه موجع القلب حزين الفؤاد غير راض مما هو حاصل وكان يظهر عليه بانه عرف مكر وزيره واصبح يؤثر الصلح مع حمزة على عدوانه ولكنه ايقن باستحالة ذلك فأن تحت اثقال الندم وظهرت على وجهه اوجاع قلبه فاصبح لذلك موضوعاً للاسف والشفقة وبالقرب منه وزيره بختيار الذي لا حاجة لذكر صفاته الباطلة ومبادئه الفاسدة الوخيمة وقد غص ذلك المجلس بالامراء والروءساء وكلهم يبدي علائم الخضوع والطاعة لكاووس شاه فتقدم عمر العيار وخضع بين يدي الملك وقدم له كتاب الامير حمزة فأخذه منه واعطاه للوزير عبد الله ليقرأه على مسمع من الجميع فامتثل الوزير لما امر وفض ختام الكتاب حيث قرأ علانية ما يأتي

بسم الله الواحد القهار

من الامير حمزة ملك العربان ومذل الجبابرة ومبيد الاقران بيوم الحرب والطعان الى كاووس شاه صاحب مدينة الدواليب

انك ولا ريب ايها الملك المعتز بنفسه قد بلغك من افواه الناس شيئاً من شجاعتنا التي ضربت بها الامثال وإقدامنا الذي سيخلد لنا ذكراً لا يمحوه كرور الايام اعلم ايها الطاغي ان من خضعت لهم مردة الجان وذلت لذكر بسالتهم الجبابرة والشجعان لايعجزون عن نيل مأربهم ولاتقف دون نوال غاياتهم سلسلتك وخداعك وغدرك بالقتال فهم بعون الله وببأسهم وثباتهم يستسهلون الصعاب ويدركون المنى وياخذون من اتوا بطلبهم ولو اختبأوا وراء سد الاسكندر فها انا اقدم لك النصح بان ترد اليَّ من اسرتهم بسبيل الغدر شيمة الجبان العاجز وتسلمني الخوند وابنه وكسرى ووزيره وترجع عن غيك بعبادة الخوند وتعبد الله الصمد الواحد الجبار والا حملت عليك بجيوشي التي بلغت حب الرمال عداً

وجعلت ديارك قاعاً صفصفاً ينعق فيها البوم والغربان ولك الخيـار بين ان تقبل نصحي او تستعد للقتال والسلام على من اتبع الهدى وعرف الدين القويم

فلما سمع هذا الكلام كاووس شاه هدر وزمجر وارغى وازبد وقامت عيناه في ام رأسه واحمر وجهه من الغضب حتى خيل بانه يلتهب وقال لعمرعد ايهـا الرسول الى مولاك الجلف الابله وقل له ان يستعد غداً لقتال يجعل الولدان شيباً وقسماً بجرمة الهي الخوند لو لم تجب صيانة ومراعاة الرسول على اصحاب الشرف والناموس لقطعت رأسك واخمدك نفسك بهذا الحسام المشطب ليعلم مولاك الخرفان باني لا ارهب له باساً ولا اخاف تهديداً ولا وعيداً

وما صدق عمر ان امر له بالذهاب حتى انسل من هـذه الغرفة وانساب كالافعوان لانه خشي من غدر بختيار ان يعرفه لانه كان لا يرفع نظره عنه ويفحصه من قمة رأسه الى اقدامه بعيونه اليواقظ ونظره الناقد البصير ولو طال وقوفـه برهة لـكان عرفه ووشى به امام كاووس شاه فقرنه الى الاسرى او قتـله في الساعة وللحال خرج من تلك الغرفة التي كان واقفاً بها باقدام ترتجف من الخوف وقطع بسرعة التصور السلالم الطويلة حتى بلغ فناء السرايا فخرج من بابها الكبير وكمن هناك بزاوية يترقب مرور الوزير عبدالله ليتبعه ويعلم محله

واما ما كان من كاووس شاه فانه بعـد خروج عمر احتدم غيظاً والتهب غضباً لهذا التحرير المملوء من عبارات الاحتقار والازدراء ولذلك طلب من الذين سمعوا قراءة المكتوب ان يبدوه بآرائهم بـكيفية وجوب الحرب فنهض بختيار الخائن الغدار وقال: اني ارى يا سيدي ان تكون الحرب عمومية صباحاً لان جيشنا بـكمل النظام وجيش العرب خال من القواد والرؤساء فاذا داومنا الحرب على هذه الصفة ثلاثة ايام فقط نبدد شمل العرب ونجعلهم عبرة لمن اعتبر ببركة الخوند ودعائه الصالح ووافقه كسرى على هذا الرأي وجميع من حضر

واما الوزير عبد الله الذي كان يعلم حقيقة العلم بان كاووس شاه لا يقتله الا الامير حمزة كما ظهر له من الرمل خشي على العرب المؤمنين من قتال الكفرة الذين

كانوا بتمام النظام كما انه خشي على الاسرى من الهلاك اذا طال زمن الحرب لذلك تدارك الامر قبل وقوعه وقال اعلم ايها الملك العظيم والقرم الشجاع ان الحرب على النمط الذي ارتأوه هو بغاية الشؤم علينا لاننا اذا عملنا به نخسر اكثر ابطالنا وقسماً عظيماً من فرساننا لان العرب فرسان مجربون لا يلهجون بغير الطعان ولا يعملون بغير الضراب وان يكونوا بدون قواد ورؤساء فان كل جندي منهم يصلح لان يكون قائداً ورئيساً وفضلا عن ذلك انهم كثيروا العدد وهم تحت قيادة اميرهم وحاميتهم الامير حمزة البهلوان وتحت رئاسة حفيده السلطان سعد وان اجبنهم واجهلهم بفنون القتال يلقي بنفسه الى الهلاك ويقاتل قتال الجبابرة عند ما يكون الامير حمزة قائده كما علمنا وسمعنا عن مواقع عديدة لهم سارت بذكرها الركبان تنقل ما يخلد ذكر بسالتهم وينقش إقدامهم على صفحات قلوب الشجعان ولم اصف يا سيدي باس العرب وقوتهم لانقص شيئاً من شجاعتك فانك اعظم من ان تخاف قتال الجن والمردة ولكنه تمهيد جعلته لما سأرتإيه ان سمحت لي بالكلام

فسر كاووس شاه من كلام وزيره لانه كان بحكمة عظيمة كما علمنا وقال له تكلم بما شئت ايها الوزير الخطير الحكيم فاني لا احيد عن آرائك السديدة ولا اعمل بغير افكارك المصيبة . اما بختيار فانه ارتعدت فرائصه وارتجفت لحيته ورقص شارباه لانه خشي من الوزير عبد الله ان يشير بالبراز على كاووس شاه فيبرز اليه الامير حمزة الذي كان يخافه اكثر مما يخاف الموت وقد ايقن بان الوزير يروم تطويل المدة بالبراز فاذا لم يفز حمزة يتسهل بهذه المدة لعمر العيار او الشيطان الرجيم بان يخلص الاسرى ويعود لجيش العرب النظام الذي فقده ولكنه لم يكن يقدر على شيء. فأن تحت اثقال يأسه ووضع رأسه بين يديه يستعد لنزول صواعق كلام الوزير المهولة عليه

اما الوزير عبد الله فانه اظهر بانه لم يرَ تأثيرات بختيار ولم ينتبه لتشنجه وتغيير هيئته فتكلف هيئة رجل صادق حسن الطوية وقال ان رأيي ايها الملك

العظيم ان تدع الحرب العمومية وتعمد الى البراز لاني مددت الرمل البارحة فظهر لي بانك تأسر الامير حمزة وتصلبه على الابواب مع رفقائه ومتى شاهدت جيوش العرب ما حل بقوادها وعلى الاخص بحاميتها ورافع اعلام مجدها الامير حمزة تنفصم ظهورها وتركن الى الهرب والفرار وبذلك يكون تمام النصر وتحقن دماء رجالك الذين تذخرهم الى وقت الملمات ويطير صيتك بالآفاق لانك تكون قهرت حمزة الذي عجزت عن قتاله الجبابرة وفحول الرجال

فتحمس كاووس شاه عند ذلك الكلام وكان عارفا بشجاعة حمزة وبسالته التي ضربت بها الامثال ولكنه كان عنده شيء من الشجاعة فاثر به كلام وزيره واعتمد على سلسلته فقوي عزمه على مــلاقاة حمزة وقتاله فاذعن لرأي وزيره وقضيت تلك الجلسة حيث ذهب كل الى محله وبختيار يكاد ينشق من الغيظ لفشله وخذلانه

فنزل الوزير عبد الله تتقدمه حاشيته وخرج من السراي فرآه عمر وقد كان يترقب قدومه كما اشرنا لذلك تكحل بالمكحلة وصار بهيئة رجال المدينة وتبع الوزير وهو يتظاهر بانه يحاول النزهة ولم يزل بأثره حتى بلغ منزله فانسل وراءه عمر حتى علم محل غرفته ثم رجع وفحص القصر مدققاً حال خروجه ودخوله وتركه راجعاً الى المدينة يتنقل بالشوارع والاسواق باحثا عن محل السجن حتى اهتــدى اليه فرأى ازدحام الناس وغوغاء اصوات الخصام مرتفعة فشق الجموع لانه خشي على الاسرى وتقدم حتى انتهى الى ابواب السجن فوجد الامير قاسماً اشبه بالمجانين وهو يلعن ويقذف ويشتم احد امراء مدينة الدواليب الذي اهانه وضربه وهو يحاول عبثاً التخلص من قيوده ليفتك بذلك الامير الذي تحزب له كثير من الناس واوشكوا ان يفتكوا بجميع الاسرى وبديع الزمان واقف باحدى زوايا السجن يتفتت من الغيظ لعمل قاسم وباقي الاسرى كان بعضهم يعنفه ويسبه امام رجال مدينة الدواليب والبعض يلاطفونهم وينسبون لقاسم الجنون ليحصلوا على رضاهم ويدرأوا عنهم ملامة الوزير عبد الله وهو يزداد عتواً وعناداً ويبــالغ بالشتائم

والسباب حتى فرغت جعبة صبر بديع الزمان وظهرت على وجهه علائم اليأس والقنوط منذرة بعذابات قلبه واوجاعه من نزق قاسم وطيشه الذي اوشك ان يجعلهم جميعاً فريسة لجنونه ففحص عمر ذلك بسرعة المعرفة ونظر الى بديع الزمان بهذه الهيئة المرعبة فخاف ان يقضي عليه من عمل قاسم لذلك تلافى الامر واقترب من بديع الزمان واشار له ان يحضر اليه وتكلف هيئة كثيرة اللطف حتى ان بديع الزمان عاوده شيء من الامل اذ رأى ان احد رجال المدينة يريد ان يكلمه متخذاً هذه الهيئة اللطيفة فاقترب منه للحال ولكنه كان مرتاباً ومتردداً بالحكم على ذلك الرجل اهل يريد مكالمته ام يريد غيره لذلك قال له بصوت عذب لطيف اهل تريد مكالمتي انا يا سيدي ام اني توهمت غلطاً كونك تناديني

اما عمر فلم يكن يحب ان يتمادى بالحديث معه لانه رام ان يسأله عما هو حاصل ليتدارك الامر ويسد هذا الخلل لذلك قال له نعم اني ناديتك لابشرك بقرب خلاصكم من هذا الاسر

فقال له بديع ومن انت ايها الرجل الشريف القلب وباية واسطة يمكنك خلاصنا اهل بعثك احد الينا ام انت آت من تلقاء ذاتك يا سيدي

فاجابه عمر كلا يا سيدي لا يمكنني ان اخبرك عن شيء من ذلك الان ولكني ارجوك ان تخبرني ما شأن هذا الرجل الذي هو اشبه بالمجانين فاني اراه جلب لكم جميعاً الكدر العظيم فاخبرني اليقين لاتلافى الامر واعمل ما استطيع وايقن يا سيدي باني اقدر على خلاصكم فاخبرني عما سألتك عنه حالاً وبعد ذلك اعلمك باية واسطة يمكنني خلاصكم واعرفك بنفسي

فتعجب بديع من ذلك ولكنه عوّل على اخباره بالحقيقة لانه تأمل به شأن من يقع بوهدة اليأس والقنوط وقال له ان هذا هو الامير قاسم بن الامير رستم وقد اهانه احد امراء بلدتكم فلم يحتمل اهانته وقابله بالمثل فاغتاظ الامير من عمله وضربه لجسارته وقحته فهاج غضب الامير قاسم لطيشه وحدته وعول على ان يكسر قيوده ويفتك بالامير وقد لاطفناه كثيراً فلم تنجع به الملاطفة ثم عنفناه فلم يرتدع

ولم يرعو عن غيه ثم عمدنا الى ملاطفة الامير وحاشيته وكلما كاد يصفح عنه ويذيب عنا راضياً يجدد اهانته فيتجدد تهيج غضبه لانه امير من الدم الملكي لا يمكنه احتمال الاهانة من اسير واذا بقي الامر على هذه الحال لا شك بان يصدر الامر باعدامنا حالاً فيكون هدم ببرهة ما شيدناه من قصور الامال بالخلاص والنجاة

فتكدر عمر من عناد قاسم الذي دائماً يكون عثرة بسبيل امالهم وعزم على ان يعامله بدون شفقة ولم يكن يود اظهار نفسه لبديع خوفاً من ان تظهر على هيئته افراح قلبه فيلحظ احد على ذلك فتركه وطيب قلبه ثم مضى واختلط بين حاشية لامير ووقف بينهم يظهر اشمئزازه من كلام قاسم ويتصنع هيئة من كان واقفاً بينهم وقاسم يزيد من شتائمه وسبابه الى ان تحمس الامير وضربه على اكتافه بعصا كانت بيده فصرخ به قاسم صرخة ادوت لهـا غرف السجن وتمطى بقيوده يحاول التخلص منها لينتقم من الامير فلم يدعه عمر ان يتمكن من ذلك بل انقض عليه انقضاض الصواعق وقبض عليه من خناقه فكاد يخمد انفاسه ثم رفعه بين يديه ولم يستطع المقاومة لكونه كان مكبلاً بالقيود فرمى به الى لارض فرض عظامه ثم جعل يضربه برجليه ويديه حتى كاد يعدمه الحياة وكان كلما عاد اليه رمقه وحاول الصياح والشتمة يضربه على وجهه وفمه برجليه ولم يزل كذلك حتى صيره يعوي كالكلاب من الم الضرب ويهذي كالسكارى لتضعضع حواسه من نزيف الدماء ثم غادره صريعاً لا حراك له وقال له هذا جزاء من يتجاسر على الامراء ايها الذميم وتركه ورجع الى الامير وحاشيته يستعطفهم ويثبت جنون قاسم ولم يزل يضحكهم ويمازحهم بدون ان يظهر شيئاً من امياله للاسرى حتى ذهبوا تام الرضى فرجع الى بديع الزمان وقال له لا تيأس يا بديع فان خلاصك سيكون غداً او بعد غد

فاندهش بديع عند ما ناداه ذلك الرجل باسمه وظن بانه آت من عند الوزير عبد الله ولم يخابر على باله عمر ابداً لانه كان بهيئة غريبة لا يقدر ان يعرف

صاحبها احد من الناس حتى انه هو ذاته لو نظر الى المرآة لارتاب بكونه عمر العيار فقال له بديع بالله عليك ايها المحسن الي ان تعرفني بنفسك وما اتى بك الينا فاني ارى لك وقعاً عظيماً بقلبي

فاجابه عمر انا من خلقت لاخدمكم مدى الحياة وقد بعثت بي اليكم العناية الالهية بمثل هذه الساعة لاخلصكم من تلك الورطة الوبيلة التي كاد يوقعكم بها قاسم

فقا له بديع وقد التهب شوقاً لمعرفة مخاطبه: زدني عرفاً بنفسك يا سيدي فاني ارى بك شمائل الحرب العرباء

فاجابه عمر اي والله صدقت يا بديع فابشر بالخلاص لاني انا عمر العيار الذي لا تقف دون مآربه الموانع ولا يعيقه عن نيل غايته شيء بالعالم

فاخذ السرور عند ذلك كل مأخذ من بديع واقترب من عمر بتشوق ليضمه اليه فمنعه عن ذلك خوفاً من ملاحظة السجان ووقفا برهة يتحادثان وكلهم يشرح لصاحبه عما حدث له بمدة هذا الفراق فاخبره عمر مفصلاً عن اتيان ابيه حمزة بجيوش تبلغ عدد الرمال والتحرير وما حدث لكاووس شاه عند سماع قراءته من الغضب والغيظ الشديد وعما دار في ذلك المجلس من الآراء بخصوص الحرب وكيف اعتمدوا على العمل بما ارتآه الوزير وخذلان بختيار وتتبعه الوزير عبد الله الى ان علم مقره . فاخبره بديع بجميع ما حدث له وكيف اشار بختيار على كاووس شاه باعدامهم ومفارقة الوزير عبد الله وتأجيل صلبهم الى حين حضور حمزة ثم اخبره بجميع ما دار بينه وبين الوزير عبدالله من المفاوضة وان الوزير يريد ان يواجهه ليخابره بشأن تسليم البلد عند قتل كاووس شاه

فسر عمر بذلك الخبر المفرح غاية السرور وقال لبديع ان يبشر اصحابه بقرب الخلاص وحذره من ان يخبر قاسماً بان الذي ضربه هذا الضرب الاليم هو عمر خوفاً من طيشه وافترقا بعد ما اوصى بديع عمراً ان يذهب لملاقاة الوزير وان يحرس الامير حمزة من قتال كاووس شاه ومن تلك السلسلة التي اوقعتهم بين

ايديه يقاسون عذاب الاسر وهوانه

اما عمر فانه خرج من دائرة السجن وطفق يتنقل بالاسواق والشوارع من مكان الى مكان حتى علم جميع مسالك المدينة وطرقاتها ومنافذها وصار عارفاً بعوائد سكانها ومنازلها كشيوخها وقد كان خطر على باله ان يعرف منزل بختيار وكسرى ليداهمهم بظلام الليل ويسترق شيئاً من اسرارهم ونواياهم فوجد شيئاً من الصعوبة ببادىء الامر وجمع افكاره برهة ليهتدي على طريقة يقدر بها ان يعلم محل سكنهما بهذه المدينة الواسعة ثم تغلب على هذه الصعوبات وانار وجهه شعاع من الامل وقال بنفسه انهما ولا ريب يسكنان بالشارع الملكي وبقرب قصر الملك لما لهما عنده من الاكرام والاحترام فسأقصد هـذا الشارع وابحث به ومتى علمت محل سكنهما لا يصعب عليّ ان ادخله واجالسهما بدون ان ادعهما يرياني اصلاً وللحال خرج عن طور التصور الى طور العمل واندفع يمشي الهوينا من شارع الى شارع ومن مكان الى مكان حتى بلغ الشارع الملكي فوقف باحدى ساحاته حائرًا باهتاً لا يعلم يهتدي الى معرفة سكن كسرى وبختيار ولم يزل على هذه الحالة الى ان حانت منه التفاتة فرأى حاشية الامير الذين كانوا بالسجن صباحاً يدخلون من باب كبير فتقدم من ذلك الباب وهو لا يعلم ما يوجد داخله الى ان رأى كثيرين من الناس يدخلون ويخرجون فعلم انه محل عمومي يجوز لكل من يشاء ان يدخل اليه فصبر الى ان اتى جماعة من الرجال فاختلط بينهم ودخل معهم فرأى محلاً عظيماً متسعاً وبه كثيرًا من الناس بعضهم يتسلون بالات الملاهي وبعضهم يدخنون وبعضهم يتحادثون فجلس بالقرب من جماعة كانت ثيابهم تدل على انهم من ذوي المقامات الرفيعة وانتبه بتمام الاصغاء الى احدهم الذي كان يقول

علمت يا اسيادي بان الحرب ستشب نارها نهار غد وانها ستكون عمومية ولكني عجبت من ذلك كيف لم يحصل التنبيه علينا لنكون بتمام الاستعداد لمقابلة ذلك الجيش العرمرم الذي ضاقت دونه واسعات البيد

فاجابه رجل اخر انك موهوم يا صديقي فان غداً ستحصل المبارزة ما بين ملكنا المعظم وقائد العرب حمزة البهلوان وان معسكرنا لا يخرج منه الى ساحة القتال سوى حراس جلالة الملك كما علمت من كاتم اسراره الوزير عبدالله الذي ارتأى هذا الراي معارضاً به وزير كسرى بختيار الذي اشار كما قلت

فاجابه ان ذلك لا يمكن التصديق لانني رويت ما اخبرتكم اياه عن ابن عم القائد العام الذي كسرى وبختيار هما بضيافته وان شئتم ان تتأكدوا صدق كلامي فها هو منفرد يدخن وهو جالس لوحده على الطاولة التي هي امام الباب فيمكنكم ان تسألوه

فاشرأب عمر وصار كله اعيناً ليرى ذلك الرجل الذي تكلموا عنه ومذ رآه وتحقق كونه ابن عم القائد العام مضيف كسرى وبختيار اقترب منه خوفاً من ان يضيع عن نظره لانه كان بينهما مسافة طويلة يشغلها كثير من الرجال ولم يزل باستنظاره حتى نهض وخرج من ذلك المحل فاقتفى اثره بدون ان يشعر به ولم يزل يتبعه حتى بلغ احدى الدور العظيمة فدخل بباب كبير لقصر شاهق كان مفتوحاً فانسل عمر وراءه واختبأ بين الاشجار بحيث اصبح يرى الناس ولا يرونه فصعد ذلك الرجل سلماً طويلة وقبل ان يطرق الباب فتح من تلقاء ذاته وظهر على عتبته بختيار بهيئة مصفرة نحيلة من تداول افكار السوء بمخيلته وتزاحمها فسر عمر اذ ذاك غاية السرور وايقن بعد ما كان مرتاباً بان ذلك الرجل قد اتى لمنزله الذي سمع عنه بالقهوة بانه محل كسرى وبختيار فنهض من مكمنه وذهب وقد كادت الشمس ان تغيب الى بعض الفنادق لانه احس بالجوع العظيم الذي لا يصبر عليه احد فاكل وشرب وصبر الى ان ادلهم الليل وجن الظلام فخرج من ذلك الفندق وذهب راساً الى ذلك القصر فوجد بابه موصداً ولكنه لم يحفل بذلك بل انه انتظر انقطاع المارّة بهذا الطريق حتى اصبح ذلك الشارع خاوياً خالياً فتسلق الحائط ورمى بنفسه فسقط على العشب الاخضر الذي كان يفرش ارض روضة ذلك القصر بدون ان يصاب بادنى ضرر او مكروه ثم صعد السلم حتى انتهى الى

الباب فوجده مقفلًا فتكدر من ذلك وحاول ان يعالج القفل ويجرب عليه بعض مفاتيح كان يحافظ عليها دائمـا تحت ثيابه فلم يستطع ذلك لان اشعة المصابيح كانت ساطعة بما يدل على انهم بتمام اليقظة وخشي من ان يسمع صرير المفتاح ضمن القفل فترك السلم ونزل الى الجنينة التي تحيط بالقصر ودار حول القصر مرتين ليبحث على محل يمكنه ان يدخل منه فوجد نافذة مفتوحة وللحال رمى عليها حبلًا طويلًا معقود بطرفه شنكل من الحديد فعلق بالنافذة فصعد عليه بخفة السعادين حتى بلغ النافذة فدخل منها الى غرفة معتمة وحاول ان يفتح بابهـا ويخرج الى ساحة الدار ليبحث على بختيار فسمع صوت اقدام بالدار وعلم من ذلك الصوت ان صاحبه متجه لنحو الغرفة التي هو فيها فاحتار بنفسه كيف يعمل اذا دخل ذلك وراءه بهذه الغرفة فانه ولا ريب يسوقه الى السجن كسارق ولكنه فحص بنظر سريع الغرفة فوجد صندوقاً كبيراً باحدى قرنها فاقترب منه وحاول ان يفتحه ليختبيء به ولكن خاب ظنه وساء ما توهمه لانه كان مقفلًا ولم يعد له وقت للتفكر بذاته وبطريقة لنجاته لان صوت اقـدام الداخل كان اقترب واحس عمر بوقوع اقدامه على عتبة الغرفة فهلع قلبه وخارت قواه ولا يقدر الانسان ان يتصور ما احاط به من الخوف وان خوفه لم يكن عن جبن لانه كان معروفاً بالاقدام والبسالة واقتحام صعاب الامور ولكن مركزه كان صعباً جداً لانه لو افتضح امره بهذه الليلة واخذ كلص الى السجن بقي به مدة طويلة بدون ان يقدر على النجاة وامتنعت عنـه مقابلة الوزير عبدالله ويأس من خلاص الاسرى لان المدينة لا يقدر حمزة على افتتاحها ولو حاصرها اعواماً بدون مساعدة الوزير عبدالله والوزير لا يتمكن من ذلك قبل مشاهدة عمر والاتفاق معه على نوع من الانواع بكيفية استلامها ولو افترضنا انه يخابر حمزة بواسطة احد خدمه الامنـا فان بختيار لا يدعه ان يتمكن من ذلك قبل ان يهيج صدر كاووس شاه ويوغر قلبه حنقاً وحقداً على الاسرى بما يفتري عليهم من الاكاذيب وينسب اليهم من الفتن ويسعى باعدامهم وصلبهم على الابواب

ولكن عمر كان سعيد الطالع حسن البخت لانه عند ما احس بتحريك الباب استل خنجره وعزم على الفتك بمن يدخل اذا رآه وما امكنه التخلص بطريقة سليمة العاقبة

وفتح الباب ولم يرَ احداً داخله لاشتداد الظلام ولكون ذلك الداخل لم يكن حاملاً بيده مصباحاً يستضيء به وينير الغرفة ولكن عمر علم بدخوله من صوت اقدامه ثم احس بانه اقترب منه وكاد يلمسه فانطرح على الارض بالقرب من الصندوق وكمن يترقب خروجه وهو يزيد الخوف من ان يعثر به فيعلم بوجوده لذلك كان منطرحاً على الارض ماسكاً بيده خنجره وهو خائف بان يسمع صوت تنفسه

اما ذلك الرجل فلم يكن يعلم بشيء من وجود عمر فولج الغرفة بدون مصباح لانه لم يكن بها من الاثاث ما يخشى ان يعثر به وتقدم من الصندوق لانه كان مراده كما سيظهر ان ياخذ شيئاً من قعره فاخذ مفتاحاً كان بيده وفتح به قفل الصندوق

فتهلل عمر فرحاً وشكر الله الذي لم يكن الصندوق مفتوحاً لانه كان دخله واختبأ به فافتضح امره وسيق الى السجن وربما قتلوه قبل ان يسجنوه اذا عرفوا جلية امره

ففتح الرجل ذلك الصندوق واول ما استطلع منه سجادة غليظة ثقيلة يبلغ وزنها عشرين رطلاً وطرحها على الارض فسقطت على عمر وكادت تهرمه فارتاع لذلك وقال بذاته تخلصنا من خطر الصندوق نرقعنا بخطر اعظم لانه لو طرح عليّ ايضاً رطلاً واحداً لكان كافياً بان يميتني

ولم ينتبه ذلك الرجل لصدم ارتجاج دورة الطنفسة حيث سقطت على جسم عمر لانه كان يتغنى بانشيد حماسي اشغله عن الملاحظة والانتباه لهكذا امر لم يكن يتصور امكان حدوثه فاخذ طنفسة ثانية من الصندوق ورماها فوق الاولى فاحس عمر بان الجبال سقطت لانه كان ممدوداً على بطنه بالارض وقد كاد يختنق

فقال بذاته « والله انها لالطف الميتات لاني سأدفن حياً واذهب شهيد الطنافس » ثم افرغ كل قواه ان يقلب على جنبه فلم يستطع ذلك الا بعد تعب عظيم وعناء ولم يتمكن من ذلك الا وسقطت عليه الطنفسة الثالثة فنزلت على راسه نزول الصاعقة وقال بذاته انه منزلاً يسكنه بختيار ليس عجيباً ان امطرت سقوفه رصاصاً وليس طنافس ثم انقطع ذلك الرجل عن الغناء وطفق يرمي عليه طنافس عديدة حتى يئس من الحياة وايقن بحلول الاجل فعزم على ان يستغيث منتخباً اخف الضررين ولكنه رجع بغتة عن عزمه اذا شعر بالراحة لان ذلك الرجل كان فرغ من عمله واخذ ما يريد اخذه من الصندوق ثم طفق يرجع الطنافس الى محلها بالصندوق حتى وصل الى الاخيرة وكان عمر قد حسب ذلك وخاف من ان يشعر بوجوده فتخلص من تحتها وانساب كالحية بدون ان يدع الرجل يسمع صوت انسيابه حيث اختبأ وراء الصندوق فاخذ الطنفسة ووضعها بالصندوق ثم اطبقهم بدون ان يوجد قفله وذهب يشيعه عمر باللعنات والدعاء عليه لانه كاد يعدمه الحياة

اما عمر فانه لم يصدق بذهابه ولم يسمع صوت الباب الذي اوصده من وراءه حتى نهض واحد حريته بالتنفس فصار يلهث من التعب ويتنفس بما يشبه التنهد فيخرج نفسه كالزفرات المتصاعدة ثم انتصب واقفاً على اقدامه وقد سر كثيراً لانه وجد ذاته بتمام الحرية بالنسبة للحالة التي كان بها من عهد الطنافس فوضع يده على جبهته كمن يستجمع قواه العقلية ثم ارسل نظره الى دائر تلك الغرفة المظلمة وحانت منه التفاتة الى احد حيطانها فوجد به نافذة صغيرة الحجم مستديرة الهيئة ينبعث منها نور خفيف فتوقف برهة ليبحث على طريقة يقدر بها ان يتوصل الى تلك النافذة ويعلم ما داخلها وبعد توقفه سمع اصوات ضعيفة لم يكن قادراً على فهمها لوجود حائط غليظ بينه وبين مصادرها ثم اصغى بمزيد الانتباه واسند رأسه الى الحائط واعار اذناً صاغية لعله يقدر ان يفهم شيئاً من ذلك الكلام الذي كان يسمعه مقطعاً فلم يقدر ان ينتفع بشيء من ذلك سوى انه علم من لهجة الاصوات انها اصوات كسرى وبختيار لذلك تهيج شوقاً للوصول الى تلك النافذة

والاكتشاف على ما اتى لاجله من معرفة نوايا كسرى وبختيار عن الحرب وما مرادهما ان يفعلا اذا دارت الدوائر على كاووس شاه ولم يعد لهما من مجير بهذه الديار فوقف برهة ينظر الى تلك النافذة التي يبلغ علوها عن ارض الغرفة خمس اذرع بتحرق زائد ويعمل الفكرة بالبحث على طريقة يمكنه الوصول اليها فسهى وغرق بلجيج الافكار والتصورات برهة طويلة ثم افتكر بغتة بالطنافس وما قاساه من العذاب تحت حملها الثقيل فداهمه فكر فجائي وعمد حالا الى الصندوق وهو يقول بنفسه مرددا معنى هذه الآية «لا تكرهوا شيئاً لعله خير لكم» ففتحه واخرج الطنافس واحدة فواحدة بكل هدوء ثم اغلق الصندوق ووضع عليه الطنافس فوق بعضها حتى بلغت النافذة فشكر الله الذي قدر له ان ينتفع من الذي كاد يكون سبب موته وقفز كالغزال فجلس على تلك الطنافس ونظر من تلك النافذة الى داخل الغرفة فوجد كسرى وبختيار جالسين مقابلة لبعضهما وهما يتحادثان بصوت منخفض كانهما خائفان من ان يكونا مسموعين من احد

فسر عمر من ذلك غاية السرور لانه امسى يمكنه ان يسمع كل شيء فاصغى اليهما بمزيد الانتباه واحكم جلوسه بما لم يدع لهما سبيلا لرؤيته اذا التفتا لناحية النافذة بالصدفة

ولكن بعد برهة ارتعشت مفاصله وخارت قواه وكاد يسقط عن الطنافس الى الارض لانه سمع صوت فتح باب الغرفة التي هو فيها ووقع اقدام على عتبة ذلك الباب

وكان الذي فتح الباب هو ذات الرجل الذي اتى من برهة وطمر عمراً بالطنافس وكان قد رجع ثانية الى تلك الغرفة ليأخذ شيئاً كان محتاجاً اليه ولكنه منذ فتح الباب وقف عليه متفكرا يتردد بنفسه في الدخول ام لا لان ذلك الغرض الذي كان آتياً لاخذه كان قادرا ان يستغني عنه فآثر الرجوع عن عزمه لان الغرفة كانت مظلمة وخاف من العثار او من التعب باطلا بايجاد مرغوبه لاشتداد الظلام

اما عمر فانه مذ علم بانه توقف عن الدخول من انقطاع صوت اقدامه امتلأ رعباً وظن بانه محدق به وقد رآه على الطنافس ولكنه تشجع اخيراً ودار بقلبه دم اليأس والقنوط فاستل خنجره وعزم على ان يقفز الى الارض ويذهب خارجاً من الطاقة التي دخل منها بواسطة ذلك السلم المصنوع من الحبال ولكنه تردد اخيراً وعدل عن عزمه مفتكراً بذاته انه لوهمه يرى ذلك الرجل محدقاً به وصبر برهة وهو جامد كالخشبة بدون حراك وبيده الخنجر وهو بتمام الاستعداد موطد عزمه على ان يفتك به ان ظهر له منه ادنى حركة

اما ذلك الرجل فبعد وقوف دقيقة من الزمن مفتكراً بذاته عزم على ان لا يلج الغرفة فتركها واوصد الباب وراءه

فسر عمر لذلك غاية السرور وسكن هياج قلبه وخفقانه ورجع الى ما كان عليه من الاصغاء الى حديث كسرى وبختيار اللذين كانا باهتين جامدين يموجان بتيارات الافكار وكل منهما ينظر الى ما امامه باعين جامدة ساهية فتضايق عمر من ذلك لانه لم يخاطر بنفسه لمشاهدة صنمين ثم رفع كسرى رأسه وتنحنح والتفت نحو وزيره قائلاً :

ما رأيك يا بختيار بهذه الحرب المهولة التي ستحدث فان قلبي ينذرني بقرب حلول الاجل لاني ارى بان الدائرة ستدور على كاووس شاه ورجاله ولا يعود لنا ملجأً اذ ذاك حيث ان اخبار تعدينا على الامير حمزة قد بلغت اعلى الخافقين فضلاً عن انه لم يعد لنا بلد امين نلجأ اليه حيث اننا جبنا البلاد مشارقاً ومغارباً وصيت حمزة قد ملأ قلوب الناس رعباً فلم يعد يتجاسر على مساعدتنا منهم احداً

فاجابه بختيار اني اراك ياسيدي قد القيت بنفسك الى وهدة اليأس والقنوط واعماك خوفك واوهامك عن رؤية كوكب آمالنا الزاهر المشرق بسماء هذه المدينة فان حمزة الذي انت في وصف شجاعته قد كبر وشاخ وذهبت بسالته وثباته الايام والسنون وسوف ترى وتشاهد برأي العين ان نجم سعده قد افل وحانت ساعة ذل العرب وتبديد شملهم لان اكثر فرسانهم سيقتلون وان كاووس شاه

الذي يقارب الامير حمزة بفنون القتال يمتاز عنه بتلك السلسلة التي سيصطاده بها صيد الارانب فما تخاف اذاً وقد ظهر لك امر نجاحنا عياناً

فأجابه كسرى الذي كانت تلوح على وجهه علائم الندم بما يجعل هيئته كئيبة حزينة تستوجب الشفقة : اني اخاف الامير حمزة الذي خضعت له الملوك ودانت لصولته الابطال والذي اوصلني سوء تدبيرك وفساد مبادئك المنطوية على الكذب والمكر الى معاندته وعدوانه واني اقسم بالشمس والنار ذات الشرر انه لو امكنني ان اذهب اليه واكب على رجليه سائلاً منه الصفح عني لما تأخرت دقيقة واحدة

فقال له عمر بذاته قد تأخرت ساعة ندمك ايها الغشوم فقد قدر المكتوب عليك لان الالوف من الرجال التي ذهبت دماؤها هدراً بسببك تنادي عظامها طالبة الى اخي حمزة ان يثأر منك فاستعد الان لان تدفع ديتهم من دمائك

فاجابه بختيار وقد خشي من حنق كسرى عليه ومن ان يفعل ذلك لانه ان فعل ذلك يبقى بختيار شريداً غريباً بدون محام ولا مجير : يسوءني جداً يامولاي ان اراك تخمد نار شجاعتك عند تحقيق آمالنا بعد ما لازمتك طويلاً بايام الضيق فاصبر يا مولاي وايقن بالرجوع الى اوطاننا سالمين ظافرين واتكل على النار ذات الشرار التي لا تخيب سائلها

فاشعل عمر عندئذ فتيلة من البنج والقاها من النافذة الى الغرفة ثم قال لهما بذاته خذا شيئاً من تلك النار التي تعبدانها فسوف تنجيكما وترسل بكما الى سماء الغيبوبة

فقال له كسرى صه يا اثيم فلا باركتك النار ولا حرمت اجدادك لانك اصل هذه النوائب وسبب خرابي حيث عملت بفسادك وخبثك على عدواني مع الامير حمزة وسيد العرب وكل ذلك تثأر لوالدك الذي ورثت عنه المكر والحسد والغدر وكل هذه الصفات الذميمة

فحاول بختيار ان يجيبه ولكنه شعر ان السماء انطبقت عليه وان الارض تموج تحت اقدامه ثم فقد حاسة النظر فصار يرى اشباحاً مختلفة الالوان وانعقد

لسانه فصار يثرثر ويهذي ويتكلم بما لا يفهم ثم سقط عن كرسيه الى الارض طريحاً لا حراك به وكان كسرى ينظر اليه بطرف جامد باهت ثم لم يلبث برهة ريثما تمم نوبته من الاقتداء ببختيار حتى خر على الارض صريعاً ووقع فوق بختيار اصفر الوجه هزيلاً كالموتى

وكان ذلك الذي اصابهما هو من تأثيرات البنج فمنذ رآهما عمر لم يتمالك عن الضحك لهذه الهيئة وهذا السقوط المضحك فنزل حالاً عن الطنافس الى الارض وهرول الى الباب ففتحه وطفق يمشي على رؤوس اقدامه بارض الدار وفحص ابواب جميع غرف ذلك المنزل فحصاً مدققاً فعلم بان جميع سكانه نيام لذلك رجع حالاً الى تلك الغرفة التي بها كسرى وبختيار وهو بمزيد الفرح لانه سيثأر لنفسه حيث انه كاد يقضى عليه من الطنافس بسببهما وبمنتهى الاطمئنان لانه سيفعل ما يشاء بدون ان يعلم احد بذلك

فلما بلغ الغرفة رفس بابها ودخل اليها فوجد الاثنين كما غادرهما منطرحين على بعضهما بدون حراك وقد تعالى صوت غطيطهما ففصلهما عن بعضهما واوثق ايديهما ثم حلق حاجب بختيار اليمين فصارت هيئته من اضحك الامور

فمكث عمر برهة يتأمله ويضحك عليه ثم طرأ على باله فكر فجائي فترك تلك الغرفة حالاً وذهب سريعاً الى المطبخ فأخذ سلماً طويلة منه ورجع الى الغرفة فنصبها على الحائط وتسلقها الى ان بلغ السقف حيث كان موجوداً بوسطه حلقة واسعة من الحديد فاخذ حبلاً طويلاً وقصبة كان احضرها مع السلم من المطبخ ووضع طرف الحبل بشق القصبة ومن ثم ادخله بالحلقة وقذفه حتى وصل الارض فنزل عن السلم وربط رجلي بختيار بطرفي الحبل بعدما رفعه حتى صار ما بين سقف الغرفة وارضها ثم اخذ حبلاً ثانياً وربط به اكتاف بختيار وربط كسرى ايضاً من وسطه بذلك الحبل المربوط به بختيار فصارت ارجل بختيار معلقة بالحلقة وكسرى معلق باكتافه

فنظر عمر الى ما عمله فوجده غير كاف لعذابهما فمسك كسرى من رجليه

وبرمه على ذاته بمنتهى قوته فطفق كسرى وبختيار بالحبل الداخل بالحلقة من طرفه يدورا كحجر الرحى وتركهما الى ان التف طرفا الحبل على بعضهما فعاود الانحلال والانفصال من تلقاء ذاته

فسر عمر بهذا النجاح الغريب وقد علم بان ذلك الحبل سيبقى الى ان يفنى يلتف ثم ينفصل ثم يعود الى عمله وكسرى وبختيار يدوران معه كالدواليب الى ان ينتبهوا من غفلة البنج ويستنجدوا فيدركهم اصحاب المنزل ويخلصوهم من هذه الحالة المضحكة معاً ويشاهدوا بختيار بحاجب واحد وشارب واحد ولحية محلوقة من جنب واحد

فترك الغرفة بعدما وقف برهة يتأملها ويضحك عليها وذهب الى الغرفة التي كان بها سابقاً فعمد الى النافذة وفحص السلم المصنوع من الحبال الذي كان مربوطاً بها فوجده محكماً متيناً لذلك نزل عليه فلفه وتأبط به وذهب الى الجنينة فتسلق الحائط ورمى بنفسه منه الى الارض فجاء منتصباً على اقدامه سالما وابتدأ يمشي بذلك الشارع العمومي تخفيه ظلمات الليل عن اعين الحراس قاصداً بيت الوزير عبد الله لمشاهدته والمخابرة معه كما اوصاه بديع الزمان وهو بالسجن بان يذهب اليه ويخابره بشأن استلام البلد

اما ما كان من الوزير عبد الله فانه كان بتلك الساعة جالساً مع امرأته التي كانت باتفاق معه على عبادة الله والتي لم يكن زوجها يخفي عنها شيئاً من اعماله وافكاره حتى ومن تصوراته لانها كانت بمنتهى الحصافة والذكاء اديبة عاقلة عارفة باحوال العالم حكيمة هذبتها العلوم والرصانة الغريزية دون التجارب فكان زوجها يستشيرها باكثر الامور ويستمد آراءها احياناً فتجيبه بكل ما يحسم ما اشكل عليه وما يجعله بغاية السرور ويجعل لها بقلبه وقعاً عظيماً . وكان بتلك الساعة المتأخرة من الليل مختلياً بها بتلك الغرفة يتباحثان بشأن هذه الحرب وما عزم عليه من تسليم البلد الى حمزة قائد العرب وسيدهم فكانا جالسين على خوان بغرفة تركا بابها مفتوحاً لانهما كانا بتمام الامن ممن يحاول الاشتراك معهم باحاديثهم

من قبيل الاختلاس والتلصلص وكانا جالسين ووجهاهما متجهان الى الحائط المقابل تماماً للباب بحيث لو وقف احد على الباب لسمع كل ما يتكلمان به بدون ان يقدرا على رؤيته وكان جلوسهما على هذه الصفة تصادفاً

وكانت الساعة الرابعة من الليل عندئذ وكل من في ذلك القصر من عائلة الوزير وحشمه نيام والوزير وامرأته لم تأخذهما سنة ولا نوم اولاً لاضطرابهما وقلقهما الناتجين عن خوفهما مما سيحدث من خيانتهما لملكهما وتسليم المدينة وثانيا لانهما كانا آملين بحضور عمر نخشيا من ان يحضر ويجدهما نياماً فكان الوزير يخاطب امرأته بالحديث الآتي قائلاً :

— اننا لفي مركز صعب جداً يا امرأتي العزيزة لاننا سنقدم على امر مهول واذا لم يأتنا عمر في هذه الليلة فاننا نخسر ما املناه

فسألته امرأته وكيف ذلك يا سيدي فاني لم اراك قبل الان بهذا الاضطراب الشديد وهذا الارتباك العظيم فاخبرني عسى ان اكون قادرة على اسعافك بارائي واذا لم اقدر على ذلك فاني اود ان اشاركك باضطرابك واكدارك كما اني اشاركك بارتياحك ومسراتك لاننا جسم واحد فيجب علينا ان نكون بحالة واحدة

فاجابها الوزير عبد الله نعم يا امرأتي العزيزة اني بغاية الاضطراب والارتباك واني بحالة من القلق لم اصل اليها تصوراً بايامي الماضية وقد سرني جداً ما رأيته من فراستك لانك علمت من هيئتي ما اعانيه من نفسي . نعم انني في غاية الاضطراب ولكني اسأل الله الرؤوف الرحيم ان ينظر اليّ بعين الرأفة ويلهمني على ما يجب عمله

فقالت له امرأته وقد وصلت الى الدرجة النهائية من القلق حسناً يا سيدي فاخبرني عساني ان اكون قادراً على نفعك . فقال نعم يا عزيزتي اني اخبرك بسبب قلقي وهو [illegible] تحت البارزة . وقد ظهرت على وجهه علائم الكآبة واليأس الممزوج بالامل مما يدل على عذاباته الشديدة الناتجة عن معاركة الامل واليأس

بخيلته : ما بين الملك والامير حمزة العرب . فاجابته وما يقلقك من ذلك

فقال لها يقيني بان كاووس شاه سيكون المقتول

فقالت بمزيد الاندهاش : يا للعجب اولست ترغب بذلك وكم مرة خابرتني بشأنه وانك علي اتفاق مع العرب على تسليم المدينة

فاجابها الوزير ليس كدري يا عزيزتي ناتجاً عن كون الملك سيقتل عن مبارزته مع حمزة فان ذلك جل مرادي ولكن قلقي ناتج عن تسليم المدينة

فقالت له امراته وقد اخذت منها الحيرة كل مأخذ : عجباً وهذا الذي يدهشني ويجعلني اغرق بلجج الانذهال اولست ترغب بنزع تلك المدينة العامرة من ايدي الكفرة وتسليمها الى المؤمنين

فقال لها الوزير انك الى الان لم تفهمي شيئاً من مرادي يا امرأتي العزيزة ولم تعلمي شيئاً من اسباب قلقي

فاجابته نعم يا سيدي وذلك اما لكوني لا ادرك او لكونك تتكلم بالمعميات والالغاز لانك تكلمت عن قتل كاووس شاه واظهرت كدرك من ذلك ثم اظهرت بانك تتمنى قتله وسألت الله ان يتممه وبعد ذلك اوضحت قلقك من تسليم المدينة واني لموقنة بانك تود ذلك برغبة حارة وتبذل دون حصول هذا الامر اعز شيء لديك فمن اين لي اذاً ان افهم شيئاً اذا لم اوتي علم الغيب

فقال لها الوزير اني لمظهر لك قلقي وستعلمين باني مصيب وذلك ان كاووس شاه سيقتله غداً الامير حمزة كما اتضح لي من الرمل وكما اخبرتك مراراً فعندقتله تحاصر المدينة ويجلس ابن كاووس شاه مكانه على كرسي الملك واني لعالم كما وانه امر جلي واضح ان مدينة الدواليب لا تدك حصونها ولا يقوى على افتتاحها عند حصارها رجال العالم باسره

ولا ريب ان ابن كاووس شاه لا يقوى ولا يتجاسر على قتال حمزة فلا شك بانه سيحاصر داخل المدينة واول عمل يعمله هو قتل اسرى العرب بثأر ابيه

وهم بحفظي ولا يمكنني اطلاق سراحهم الا ساعة دخول العرب المدينة ولا يمكنني ادخالهم الا بتسليمهم المفاتيح ليدخلوا المدينة مساء ،وقتل الملك قبل ان يتمكنوا من قتل الاسرى ولا استطيع تسليمهم المفاتيح الا بالاتفاق معهم على كيفية دخولهم المدينة ولا اقدر على ان اتفق ،معهم على نوع من الانواع الا بمواجهة عمر العيار الذي اخبرت الاسرى بان يرسلوه اليّ عندما يحضر اليهم والى الان لم يحضر فاذا مضت هذه الليلة ولم يأت اوقن بهلاك الاسرى وهلاكي ايضاً لان ابن كاوس شاه سيطغى من بختيار الذي سيوشي بي اليه ويعرفه بميلي للعرب فيوغر صدره حنقاً عليّ ويميتني شر ميتة فهل علمت يا عزيزتي سبب اضطرابي

فاجابته امرأته بمنتهى الحزن والكآبة نعم يا سيدي قد علمت فليس لنا الا الدعاء الى الله تعالى ان يرسل لنا عمرًا في هذه الليلة وهو السميع المجيب

وقبل ان تتم كلامها ظهر عمر على عتبة الباب وقال لهما بشراك ياسيدتي فقد اجيب دعاؤك واصغى الله الى صوت ابتهالك لانه سميع مجيب لا يغفل عن نداء محبيه

فارتعش عند ذلك الزوجان وكاد ان يغمى عليهما من الاندهاش بهذا القدوم المستغرب فانتصب الوزير واقفاً على اقدامه ولم يصدق بان الواقف امامه هو عمر العيار لذلك قال له من انت ايها الرجل وما اتى بك الى هنا فعرف عمر اذ ذاك بانه خائف من ان يكون سواه لانه لم يكن يعرفه شخصياً وقال له انا عمر العيار يا سيدي وقد ارسلني اليك بديع الزمان الذي زرته بسجنه في هذا النهار

فقال له الوزير وكيف اصدق ذلك واني اراك بملابس رجال هذه المدينة وهيئتهم وانت ان صدق مدعاك رجل عربي الاصل تختلف لباساً وهيئة عن رجال هذه المدينة

فقال له عمر ان بيدي يا سيدي مكحلة اغير بها هيئتي وزيي كيف شئت وان رمت ان تتحقق كلامي فاني ساكتحل امامك واصير بهيئة الوزير بختيار فتعلم اذ ذاك صدقي من ميني

فاجابه الوزير وقد ارتاح باله نوعاً لان بديع الزمان كان قد اخبره شيئاً عن اعمال عمر وعن الذخائر التي معه : حسناً فكن بصفة بختيار لاعلم ان كنت صادقاً والا فالحذار لنفسك لاني سأتركك على الارض صريعاً لجسارتك على خيانتي والاكتشاف على اسراري

فاخذ عمر المكحلة من جيبه وقال لها اني اطلب اليك بما عليك من الاسماء ان تصيريني بهيئة بختيار الحالية

فارتاعت امرأة الوزير وتأخرت خطوتين الى الوراء من الرعب واستلقى الوزير على ظهره من الضحك لانه رأى بختيار محلوق الحاجب والشارب واللحية

ثم تقدم منه وقبله بعارضيه وقال له العفو يا اخي عمر فاني اخطأت بك ظني . فاجلس معنا الآن لنتخابر بالذي اظنك سمعته وعلمته تماماً

فاجابه عمر نعم اني علمت كل شيء ايها الوزير الجليل فكن مطمئناً لانك ستبلغ مآربك وتنال جميع ما املته وتتحقق امانيك

وكان السبب في مجيء عمر هو انه كان قاصداً مواجهة الوزير كما اوصاه بديع فقطع ذلك الشارع العمومي الذي تركناه به عند ما خرج من عند كسرى وبختيار وما زال يقطع شارعاً بعد شارع حتى بلغ قصر الوزير عبد الله فتسلق الحائط لان الباب العمومي كان موصداً وسقط منه الى الروضة وبعد ذلك دار حول القصر ليجد له منفذاً يدخل منه اليه لانه كان يود ان يدخل على الوزير عبدالله بدون ان يشعر به فوجد باباً موصداً بآخر القصر فعالج قفله وفتحه ثم دخل الى الدار وطفق يبحث ويفحص الغرف فوجد الجميع نياماً والغرف مظلمة ثم حانت التفاتة فوجد نوراً ينبعث من احدى الغرف فقصد ذلك النور حتى وصل الى الغرفة التي كان بها الوزير وامرأته حيث وقف على الباب وسمع جميع حديثهم ودخل كما اشرنا

فقال له الوزير وقد تعجب من مجيئه كما انه انذهل من هيئته التي كان بها بصفة بختيار المشوه : عجبا وكيف زرتنا ولم نشعر بك يا عمر

فاجابه كنا زرت كسرى وبختيار

فسأله مندهشاً وهل ذهبت في هذه الليلة اليهما وما عملت هناك

فاجابه عمر نعم اني ذهبت وتركتهما بفضاء الغرفة معلقين ببعضهما يتمرجحان الى ما شاء الله وجئت اليك بعد ما غادرت بختيار مشوه الخلق بهذه الهيئة التي تراني بها الآن ثم اخبره بجميع ما حدث له هناك من حين دخوله الى حين خروجه فهدأ روع الامرأة وطفقت مع زوجها يضحكان مما حدث وعلى هيئة بختيار

فقال له بالله يا عمر تكحل وعد الى هيئتك لاني لا اطيق النظر الى وجه ذلك الشرير المحتال الذي نفعتنا جداً بتشويه خلقه حيث انه ولا ريب سيتظاهر بانه مريض لا يمكنه حضور التئام جلساتنا فيريحنا من ارائه الفاسدة ومعارضاته المضرة

فتكحل عمر وعاد الى هيئته الاصلية ثم جلسوا جميعاً يتخابرون بشأن الحرب وتسليم البلد فقال له الوزير اني اشكر الله يا عمر الذي سهل حضورك لترفع عني القلق وتخفف اضطرابي لاني كنت بمنتهى الكدر والارتباك قبل ان تأتي ولو تأخرت ساعة لوقعت بوهدة اليأس وتركت هذه المدينة فاراً الى حيث لا اعلم لاني لا اطيق النظر الى مقتل ابطال العرب المشاهير المؤمنين فاعلم يا اخي العزيز ان في نهار غد سيكون البراز بين كاووس شاه والامير حمزة واني لموقن بان كاووس سيكون المقتول فهل تقدر ان تتعهد لي بانك تكون عندي بعد مقتله ببرهة وجيزة

فاجابه عمر وكيف اقدر على ذلك اذا لم تسهل لي طريقة للدخول لاني في هذه المرة دخلت بصفة رسول ولا يمكنني دخول تلك المدينة الشديدة التحرس على ابوابها وحصونها بهذه السرعة التي طلبتها الي الا اذا سهلت لي ذلك ووجدت لا منفذاً سري او خلاف طريقة

فافتكر الوزير برهة ثم قال ان ذلك من اسهل الامور يا عزيزي عمر لان لي

بذلك القصر سرداباً طويلاً يتصل منه الى خارج المدينة ففي ساعة مقتله تدخل سريعاً من ذلك السرداب السري الى قصري حيث تجدني هناك بانتظارك مع الاسرى وعند ذلك اعلمك ما يجب عمله

فسر عمر غاية السرور بذلك وقال له هلمّ يا سيدي وارني ذلك السرداب لاخرج منه الى اخي حمزة الذي هو بانتظاري على مقالي الجمر ولا اعلم اين بابه لكي لا اضيع عنه عند العمل

فاجابه الوزير الى ما طلب وللحال نهض الثلاثة الوزير وامرأته وعمر فحمل عمر المصباح وتقدمهم الوزير عبدالله فخرجوا من تلك الغرفة الى غرفة غيرها فاوصد وراءهم الباب ورفع الوزير سجادة عن ارض الغرفة فبان تحتها ارضاً مبلطة بالرخام الابيض وبوسطها رخامة بها حلقة فتقدم الوزير منها وذكر اسم الله مراراً ثم مسك الحلقة ورفع تلك البلاطة فظهر تحتهـا سلماً طويلة من الحجر فتقدمهم ونزل امامهما بتلك السلم فتبعاه ولم يزالوا ينزلون بكل تحرس حتى قطعوا ذلك السلم وكان يبلغ طولها مائة درجة فاشرفوا عندئذ على ممر ضيق لا يستطيع ان يمشي به اثنين فمشوا وراء بعضهم ولم يزالوا على ذلك نصف ساعة حتى انتهوا الى حائط وبه باب من الخشب مدهون بصفة الاحجار من الداخل والخارج بحيث لو رآه احد المارة لا يشك بان هناك باباً

فاخذ الوزير مفتاحاً من جيبه ووضعه بقفل ذلك الباب ففتح وظهر منه سهل المدينة الوسيع ثم اخرج المفتاح واعطاه لعمر قائلاً هذا هو مفتاح ذلك الباب الذي يجب عليك عند خروجك ان تضع علامة على الباب تختص بك وحدك معرفتها لكي تقدر ان تميزه من حجارة الاسوار عند ما تحاول الدخول فاوصيك الآن ان تهدي عاطر سلامي الى اخيك الامير حمزة وتخبره باني لا اجد اسر من الساعة التي اشاهد بها راية المؤمنين تخفق فوق اسوار هذه المدينة ثم ارجوك بان تحرسه جداً من غدر كاووس شاه وسلسلته وان يركب اقوى وافضل جياده عند برازه كما اني ارجوك بان تبقى دائماً باقرب منه لتحفظه من الغدر واذا وجدت بان كاووس

شاه فاز على اخيك بسلسلته فارشق صدره بسهم يكون به منتهى حياته ثم اني احذرك من البطوء بحضورك لانك اذا تأخرت ساعة واحدة بعد مقتل كاروس شاه تقتل الاسرى لانهم يطلبونهم مني ولا استطيع العصيان ونخسر جميع ما املناه من الفوز والنصر

فوعده عمر باجراء جميع ما اتفقا عليـــه بغاية النظام وودعه وودع امرأته وخرج من ذلك الباب وبيده مفتاحه فاغلق ورائه من تلقاء ذاته فوضع عليه علامة بحيث يهتدي اليه حالاً عند رجوعه ووقف برهة يتأمل بذاك الباب ومركزه فوجده متصلاً بحائط السور وبلون واحد بحيث لو لم يضع عليه تلك العلامة لم يعد قادراً على الاهتداء اليه اصلاً ثم طرح نظراً طويلاً على تلك الفلوات الواسعة ليعلم اين هو واين الجيش وكيف يقدر على الرجوع اليه فكاد يضل لو لم يسمع اصوات اقدام جياد الحراس بجيوش العرب ولغب اصواتهم فمشي على الجهـة اليسرى من وقوفه قاصداً تلك الاصوات بدون ان يرى اصحابها لاشتداد الظلام وجعل يأخذ عند مسيره علائم من تلك الطريق ولم يزل كذلك حـتى بلغ الجيش فاحاطت به الحراس من كل جانب الى ان عرفوه فتركوه وفرحوا جـداً بقدومه ثم ذهب راساً الى صيوان اخيه حمزة فوجده ساهيـاً ساهراً منتظراً قدومه وقد اقلقه جـداً طول تغيبه ولو لم ينبهه عمر على ذلك قبل مسيره لكان يئس من قدومه وايقن بانهم قرنوه الى الاسرى لما يعلم من غدر بختيار وتيقظه لجميع حركاتهم

فلما دخل عليه وشاهده شهق شهقة الفرح ووقف له على الاقدام فقبله بعارضيه وهنأه بسلامة الرجوع واول حديث دار بينهما هو ان حمزة سأله قائلاً بالله يااخي عمر اخبرني اليقين عما حصل لاولادي وكيف غادرتهم

فاجابه عمر انهم سالمان بتمام الصحة والعافية وقد تركتهم نائمين على بساط الامل . فتنفس حمزة نفس الراحة وطفح نور البشر على وجهه المكلل بالشيب ثم قال له وهل فقد احد من باقي الاسرى وما شأنهم

فاجابه انهم جميعاً بمزيد الارتياح والسلامة لا ينقصهم شيء من مطاليبهم وهم بتمام الزهو والراحة لان ذلك الوزير الخطير الجليل الكامل وهو الوزير عبد الله لا يفتر عن ملاحظتهم ورعايتهم والعناية بهم وهو يعاملهم بمنتهى الحنو والرأفة ولا يحرمهم شيئاً من جميع ما يحتاجون اليه كما يعامل الاب الحنون اولاده ولكن قاسما المجنون تركته ملقياً على الارض بحالة اعياء طويل لا اعلم ان كان يقوم منه او يذهب بحياته

فاضطرب حمزة وارتجفت اعضاؤه مما اصاب قاسما الذي وان كان طائشاً يجلب كثيراً من المضرات على الجيش بنزقه وطيشه كان يحبه لانه كان من صلبه وكان بطلاً حلاحلاً شجاعاً لا يهاب الموت ولا يخفى حب حمزة للابطال الشداد لذلك تكدر جداً وصرخ بعمر ويلك اخبرني بالتفصيل عما حصل له

فاجابه عمر وقد علم بان السبعين من سنيه رفعت الحقد من قلبه وصيرته شفوقاً حنوناً يتأثر لكل المصائب حتى ولمصاب اعدائه : اعلم يا اخي ان قاسماً كاد ان يلقي باولادك وسائر الاسرى الى ساحة الاعدام او لم ادركهم واجعله بهذه الحالة ثم اخبره مفصلاً بجميع ما حدث له بالسجن فخف اضطراب حمزة نوعاً عند ذلك ونظر بان عمراً محق في عمله لانه نجى بهذا الفعل جميع الاسرى من القتل وصبر برهة الى ان هدأ روعه فسأله قائلاً وما حدث بالرسالة التي ذهبت بشأنها

فاجابه عمر انها لرسالة مباركة يا اخي لانها فضلا عن انها سببت حصول البراز صباح غد بينك وبين كاووس شاه قد اتيت بسببها اعمالاً تخلد لي عاطر الذكر الى الابد ثم اخبره بجميع ما حصل له بتلك المدينة من حين دخوله من الابواب الى حين خروجه من الحيطان فضحك حمزة لاعماله وسر غاية السرور ونام العالم بتلك الليلة بعضهم على فراش الامل وبعضهم على بساط الجزع والشوق الى اشراق الصباح وبعضهم على اسرة الخوف والاضطراب واخرون على بساط الفضاء يتمرجحون بالهواء

وفي اليوم الثاني صاحت الاطيــار مبشرة بقدوم الصباح وبزغت الشمس فاضاءت الفضاء وملأت الكون باشعتها نوراً وكان الفلك صافياً رائقاً لا يشوبه غير بقعة كثيفة سوداء من الغيوم كانت متلبدة فوق قصر كاووس شاه بما انها رمز انذار وان الافق لم يشا ان يحرم كاووس شاه من منظر الغيوم قبل موته

فاصطفت جيوش العرب بذلك السهل الوسيع وهم بتمام النظام وكلهم يهمهم ويدمدم كالآساد ويودون لو يقتحمون الموت الزؤام ويخلصون اسيادهم وقوادهم وبمقدمتهم اسد الغاب والبطل الغضنفر الامير حمزة مذل الابطال ومبيدها بساحة النزال وهو راكب على جواد الاشقران الذي يضاهي بقوته الافيال وهو عليه اثبت من جلده وعلى جنبه حسام مشطب عريض النصل كتب الموت على افرنده وبيمينه رمح طويل مكعب وبيسراه مجن كبير مستدير يستتر به ويدفع عنه ضراب السيوف وعلى راسه خوذة لامعة وقد افرغ على جسده درع ولاص كثيرة العيون ضيقة الزرد وفوقها ثوب يسلب العقول ويدهش النظر لما عليه من الاحجار الكريمه واليواقيت

وكان وجهه الابيض الجميل المكلل بالشيب تظهر عليه ملامح العبوسة الناتجة عن الجزع وعن فروغ صبره من انتظار من يود مبارزته بما يوقع الرعب بقلب رائيه ويلقي الضعف على مقاتله وهماً وخوفاً

ثم فتحت ابواب المدينة فتطاول العرب باعناقهم ليروا الخارج منها وتقدم الامير بضع خطوات الى الامام لانه سئم اصطباراً ليرى ذلك الخارج فرأى كاووس شاه تحيط به الحراس والجنود بتمام الزينة والزهو وهو مسربل بالحديد راكب على فيل عظيم الهيئة كبير الجثة ولكنه كان يظهر على وجهه كثير من علائم الكآبة والحزن بما يدل على ان قلبه انبأه بما سيحدث له في ذلك اليوم

واذ رأى جيوش العرب مرتبة بتمام النظام وشاهد الامير حمزة متقدماً يطلب القتال لكز فيله وقد التهب بالشجاعــة الى ان توسط المجال وصرخ بعساكر العرب قائلاً من منكم الامير حمزة فليبرز اليَّ لاريهُ كيف يكون القتــال

وكيف القيه صريعاً على بساط الرمال

قال الراوي ولم يصدق حمزة ان يسمع هـذا الكلام حتى لكز جواده الاشقران فطار به بسرعة البرق وعمر العيار يدور حواليه كما كان يدور كسرى وبختيار على ذاتيهما حتى وصل به الى كاووس شاه

اما كاووس شاه فانه انذهل اشد الانذهال وتعجب غاية العجب لانه لم يكن يعرف الامير حمزة وقد رآه شيخاً هرماً بيضت شعره السنون وجعدت وجهه الايام فظنه سواه لذلك قال له ويك اهل انت هو حمزة الذي يروم قتال من خضعت له الابطال وذلت له صناديد الرجال في ساحة المجال

فاجابه حمزة بصوت اجش خرج كأنه الرعد القاصف نعم انا هو ملك الموت ورسول القضاء فودع دنياك لان هذا هو آخر ايامك

فقال له كاووس شاه وقد استخف به مذ رآه بهذه الهيئة لانه كان يخيل له بانه احد العمالقة او مخالف لهيئات البشر مما كان يسمع عن الافعال العظيمة التي كانت تنتسب له : اني اخجل ايها الابله الخرفان من ان اقاتل كهولاً يصلحون لقص الروايات ونقل قديم الاخبار وليس للحرب والكفاح ومبايعة الارواح

فصرخ به حمزة صرخة ادوت لها الجبال وفرقعت بالفضاء كانها الصاعقة وقال له خسئت يا جبان أمثلي يقال هذا الكلام وانا من ارعب الجن بستراتها وقنص الاسود بغاباتها واذل الابطال بغاراتهـا فلاجعلنك لجسارتك عبرة لمن اعتبر ولاذيقنك بحد هذا الصارم الذكر ضرباً يجعل الولدان شيباً وتتناقله الالسن جيلاً بعد جيل

وللحال انطبق عليه قبل ان يسمع جوابه وهجم عليه هجوم من لا يرهب الردى ولا يهاب الموت فقابله كاووس شاه بالمثل وانقض عليه انقضاض الصواعق فانطبقا على بعضهما انطباق الجبال فكراً وفراً وتقاتلا وتناضلا وتراجما وتلاحما وافترقا وتلاصقا واخذا في الطعن والضرب حيث اظهر كل لخصمه ما عنده من فنون الحرب فشكت الارض من قتالهما وقد انصب منهما العرق انصباب الماء

من افواه القرب وكانت الاعناق مشرأبـة والاعين شاخصة والقلوب واجفة والآراء مختلفة والافكار مضطربة قلقة من معسكر الفريقين فانذهل الجبان وتحير وتحمس الشجاع وتكبر وهلل المؤمن وكبر لقتالها الذي لم يسمع بمثله في سالف الزمان لانهما كانا بطلين مجربين موصوفين بالثبات والبسالة والاقدام ولم يزالا بين كر وفر وطعن وضرب وقد سبح الجواد والفيل من تحتهما بالعرق وتقصفت بين ايديهما عوالي الرماح فعمدا الى البيض الصفاح التي هي اقرب لقبض الارواح ولم يزالا على هذه الحال حتى توسطت الشمس بقبة الفلك ووقفت حائرة مذهولة لقتالهما وكان حمزة قد فاز تمام الفوز على كاووس شاه وتمكن منه مرارًا ولكنه لم يقرب منـه حذرًا على نفسه من غدره ومكره فترنح على جواده الاشقران طربًا ورجع الى طبع العرب حيث انشد :

اذا مـا شرعت سمر الجلاد ولاحت غرة البيض الحداد
سمعت لضربتي بالسيف رنًا على قلل الجماجم والايادي
انا ملك المنيـة من تسمى عروس الحرب في يوم الجهاد
ورمحي صاحبي مذ كنت طفلا وسيفي كان من عهد ابن عاد
فسقتهم بحد السيف قهرًا ومزقت الحواضر والبوادي
انا من نسل اسياد البرايا وذكري شائع في كل ناد
بهم اسطو على الكفار جهدي وارجو النصر من رب العباد
دعوني اصطلي بالحرب نارا على ظهر المضمرة الجياد
اذا دارت رحى الهيجاء يوما وظفر الموت ينشب بالاعادي
فنادوني اكون لكم مجيبا بقلب قد من صخر الجلاد
فكم من جحفل وصفوف قوم نزلت بهم وقد طلبوا عنادي
وكم اشبعتهم طعنًا وضربًا وسقت جيادهم والسيف حادي
وابطال المطامع مذ رأوني لهم سندًا اقاموا لا تنادي

فلما فرغ من انشاده اعتز بنفسه وشمخ بانفه وهو فوق جواده كأنه قلة من

القلل او قطعة فصلت من جبل وكان يترنح على الاشقران ويميل ذات اليمين وذات اليسار كأنه بعرض لهو او ثمل يستنشق ريا النسيم بين الخمائل ثم تكدر من التطويل وخشي من ان يذهب ذلك النهار بدون جدوى فعاود عليه الهجوم بعزم شديد وحمل عليه حملة جبار عنيد فقابله بالمثل وانطبقا على بعضهما وكل يأمل الفوز والانتصار وجللهما الغبـار عن الابصار وكانا يلتحمان حتى تضيق منهما الانفاس ويفترقان حتى ادهشا الناس وتطاولت اليهما الاعناق ليعلموا من منهما يحرز قصب السباق وحام على ذينك البطلين غراب البين فما كان يرى ويسمع الا صدمات يرتعد لها كل فارس جبار واصوات تهتز لدويهما القفار الى ان كل كاووس شاه ومل وضعف عزمه وانحــل فعمد الى الغدر وافتقد سلسلته ثم تأخر بضع خطوات الى الوراء ليطغي حمزة ويظهر بانه يحاول الفرار من وجهه فلحظ منه حمزة جميع ذلك كانه قرأ افكاره ونواياه بكتاب مفتوح امامه ولم يؤخذ بحبال هذه المكيدة بل انه صرخ بكاووس شاه قائــلاً ويك يا جبان اتظن بانك تطغيني وتقدر على ان تغدر بي يا خبيث يا مكار وانا من عرك الدهر وعركه ونقلت به اعواماً عديدة فتقدم ايها الغدار والق بسلسلتك عليّ لتعلم باني لا احسب لغدرك حساباً واني اثبت من الجبال الرواسي

فتقدم كاووس شاه وجذب سلسلته والقاها عليه بسرعة التصور فعلقت للحال شنا كلها باطواق درعه ولكن حمزة كان مسكها بيده اليسرى واوقف جواده الاشقران الذي كانت تضرب بقوته وثباته الامثال فألوى كاووس شاه عنان فيله وجعل يضربه برجليه ويديه ويوخزه بسنان رمحه ليمشي به ويجر وراءه الامير حمزة فلم يستفد شيئاً لانه لم يكن قادراً على ان يتقدم خطوة واحدة لان حمزة كان يشد بالسلسلة التي كانت بيده فلم يقدر الفيل ان يتحرك او ينتقل من مكانه وكانت حالة كاووس شاه كمن يركض باحلامه

فارتاع لذلك كاووس شاه وساء ما توهمه بسلسلته ولم يكن حاسباً بان الامير حمزة يقوى على مصادمة الافيال وانه قدّ من الجبال الراسية لذلك ندم اشد الندم

لبرازه اليه ولعن الوزير عبدالله الذي اشار عليه وحاول الهرب والفرار لينجو بنفسه وكيف يستطيع ذلك والامير حمزة قد سدّ له منافذ الامل وفتح له ابواب اليأس وصرخ به صرخة ارتعدت لها فرائصه واخيلته وقال له ويك يا كاووس شاه هل باقٍ بقلبلك اثر من الامل بسلسلتك وهل بنفسك مطمع بالحياة وهل تيقنت بان الامير حمزة ليس كمن لاقيتهم من الرجال وانه من اشد الابطال

فالتفت اليه كاووس شاه وقد تجددت آماله بالفوز لانه رآه محدقاً به فظنه غافلا عن السلسلة لذلك وكز فيله بمنتهى قوته فانتبه اليه حمزة وقد كاد يؤخذ اسيرًا فوقف بركاب الاشقران وصرخ بكاووس شاه صرخة ارعبته واوقفته عن المسير ثم جذب السلسلة اليه بقوة تفوق عن قوى البشر فهوي كاووس شاه عن ظهر الفيـل ووصل الى الارض قطعتين لان الامير حمزة ضربه بالحسام عند هبوطه الى الارض على وسطه فقده شطرين وجعل يخبط بدمه على الصحصحان وقد ارسل به الى هوة اجداده يقاسون العذاب الاليم لكفرهم وابتعادهم عن الدين القويم

فعلا الصياح عن الاسوار من رهط كاووس شاه وبنيه واركن حراس كاووس شاه الى الفرار من وجه حمزة ولكن اين يهربون وملاك الموت ساع وراءهم يجد بطلب حقوقه فان الامير حمزة لم يزل باثرهم يضرب في اقفيتهم حتى بلغ باب المدينة الذي اوصد حالاً في وجهه وقد مدد اكثر من عشرين منهم عـلى بساط الرمال فرجع وثوبه كالارجوان لما سال عليه من دماء الفرسان وهو يترنم حبورًا بالظفر وينشد بهجةً وسرورًا بالنصر

اذا جمع الجيوش عليَّ حالاً وقد جذبوا المواضي والنصالا
ولا سيف ولا رمح بيدي ولا مهر اخوض به المجالا
اقول لهم تعالوا بادروني ودوروا بي يميناً والشمالا
انا الفتاك حمزةُ المسمى عروس الحرب اشبعهم قتالا
وسيفي لا يروم الغمد لكن اذا ما هـزه كفي تلالا

فدونكم القتال وبادروني ولا تتذكروا قيلًا وقالا
وازمع رأيهم بغياً وظلماً على قتلي ولم يبدوا مقالا
وكنت بوسط اعدائي فريدًا ولم املك فرارًا او انتقالا
سأفنيكم بعون الله وحدي بجد مهند يزهو صقالا
فكم من غابة اخليت منها سباع البر قد هجروا الدحالا
وامنع صاحب سيفي ورمحي وقلبي ليس يكترث الرجالا
ما جعل للوحوش اللحم رزقاً وللاطيار مأكولاً حلالا

ولم يفرغ من انشاده حتى بلغ معسكره فلاقوه بمزيد الابتهاج والسرور وكل يثني عليه ويشكره ويمدحه على شجاعته النادرة المثال وكيف انه قوي على مصادمة الافيال والثبات امام قوتها الشديدة وهو يبسم لهم ويقتبل منهم المدائح الكثيرة بكل لطف وايناس

ثم التفت بغتة باحثاً على عمر فلم يره فسأل عنه ولم يجبه احد فارتاع لذلك اولاً ثم تذكر ما اخبره به عمر وكيف اتفق هو والوزير على الذهاب اليه بعد مقتل كاووس شاه فارتاح باله وسر غاية السرور ولكنه كان مختلج القلب فاقد الصبر عن رؤية اولاده والاسرى موجساً عليهم خيفة من معاكسة التقادير ووقوف الزمان بسبيل خلاصهم لذلك جلس بطرف ساه وبنظر جامد باهت تعبث به رياح التفكرات والتصورات العميقة القلقة ويؤج بنيران الشوق الى الاسرى

اما ما كان من عمر العيار فانه مذ شاهد كاووس شاه ملقى على بساط الارض صريعاً لا حياة به افتقد منطقته واطلق ساقيه للريح يجري كذكر النعام وقطع بعض ذلك السهل الواسع كفرخ الجان حتى وصل الى باب السرداب الذي اهتدى اليه من العلامة التي وصفها عليه

فاخذ المفتاح الذي اعطاه اياه الوزير عبدالله ووضعه بالقفل وفتح الباب ثم دخل واغلقه وراءه ولاجل الصدفة نسي المفتاح بالقفل الخارجي فولج ذلك السرداب،

الطويل وهو لا ينقطع عن ذكر الله والابتهال اليه بان يوقفه في مشروعه ومع كل سرعته بالحضور الى الوزير كان يخال بانه تأخر جداً لذلك كان يزيد الخوف على الاسرى لان خبر كاووس شاه كان انتشر بالمدينة وعلى الوزير عبد الله ولا شك يقتلونه مذ يرونه محتفظاً على الاسرى ببيته وقد كانوا بالسجن مكبلين بالقيود

فطفق يركض بمنتهى قوته وبسرعته المعهودة حتى قطع ذلك السرداب ببضع دقائق وبلغ السلم المودية الى القصر ولم يصعد ثلاث درجات حتى صرخ مندهشاً وتوقف حائراً مندهلاً لانه رأى شيئاً عظيماً هاوياً من اعالي السلم وهو ينحدر ويسقط على درجاته فيخرج لسقوطه صوت مهول يوقع الرعب باشد القلوب باساً بمثل هذا السرداب المظلم الضيق

فارتعدت فرائص عمر عند ذلك وتحذر مبتعداً من طريق الساقط ولكن لم ينفعه الحذر لان ضيق السلم لم يسمح له بالابتعاد اكثر مما ابتعد فبلغ ذلك الهاوي بعد بضع ثوان الدرجة الثالثة من السلم حيث كان عمر واقفاً بمنتهى الوعدة والخوف وسقط عليه فوقع الاثنان على الارض احدهما غير مبال بهذا السقوط والآخر يرتعد خوفاً ويشكو الماً

وكان عمر قد شعر وهو يحاول التخلص من ذلك الساقط الذي وقع فوقه ان ذلك جسم بشري وعلم من لمس وجهه بانها جثة رجل من شاربه ولحيته فاوجس خيفة على الاسرى واساء الظن بالوزير عبدالله وخشي من ان يكون نصب عليه مكيدة وحاول بدله على ذلك السرداب ليأمن من شره ويتمكن من القبض عليه بطريقة سهلة فنهض للحال واخذ من جيبه شمعة فاشعلها بيد مرتجفة من الخوف لانه خشي بان تكون تلك الجثة جثة احد الاسرى ونظر اليها جيداً فتهلل وجهه بشراً وافعم قلبه حبوراً لانه رأى امامه ابن كاووس شاه مجندلاً على الارض وبصدره خنجر طويل ونصله العريض خارج طرفه من ظهره والدم يتدفق منه كافواه القرب

فانذهل من ذلك وتحير وتعجب كيف وصل ابن كاووس شاه الى بيت الوزير ومن قتله فصعد السلم مهرولاً وقد اضطرب باله وارتبك من هذه الحادثة ووصل الى آخر درجة بدون ان ترجعه جثة ثانية فوجد البلاطة مرفوعة لذلك دخل الى الغرفة وهو كاد يذرب شوقاً لمعرفـة سبب موت ابن كاووس شاه وذهب الى الغرفة الثانية فاسند يده على خصره ووقف باسياً مما رآه

وكانت تلك الغرفة حالتئذ اشبه بمراسح اللعب واللهو حيث علا بها الضجيج وارتفعت الغوغاء وكثرت حركات الموجودين بهـا وعلت اصوات وقع اقدامهم السريعة حيث كان بها الوزير عبد الله وعلى وجهه علائم الجزع والاضطراب واولاده وهم يساعدون اباهم بتتمة ما هم عازمون عليه وبديع الزمان الذي كانت تلوح على محياه علائم الامتنان والشكر لعبدالله الوزير ويطفح وجهه نور البشر والسرور بالخلاص والامن واندهوق بن سعدون والمعتدي حامي السواحل البطل الحلاحل وهارون البطل المجنـون وفرهود صاحب التكرور والاصفران الدربندي والامير قاسم ونور الدهر وقاهر الخيل ومعقل البهلوان وجميع من كان باسر كاووس شاه من جيوش العرب وكلهم يعاون رفيقه على حل وثاقه وفك قيوده واصفاده

ولم ينتبه احد من الموجودين لعمر ووقوفه على الباب لانشغالهم بانفسهم عن رؤيته فاكتسب عمر من ذلك فرصة واخذ المكحلة بها وقال اقسم عليك بما بك من الاسماء ان تجعليني بهيئة ابن كاووس شاه المقتول فصار بهيئته وللحال دخل وتمدد على بساطها بينهم

فبينما اندهوق بن سعدون كان فرغ من حل وثاق قاهر الخيـل وآتياً الى المعتدي حامي السواحل ليفك له قيوده اذ عثر بعمر وكاد يقع على الارض فالتفت ليرى ما اوجب هذا العثار وللحال رقف شعر رأسه وصرخ باعلى صوته قائـلاً يا للهول اما قتلته الآن والقيت به الى عمق السرداب بيدي فما الذي اوصله الى هنا .

فانتبه الجميع الى صوت اندهوق وقربوا منه ليعلموا ما الخبر فذ رأوا ابن كاووس شاه ممدداً امامهم على البساط ارتعشت مفاصلهم وارتجفت اقدامهم وقال احدهم عجباً احملته مردة الجـان الينا ام نشر من القبور ودبت به حرارة الحياة فاستعار جناحي طائر ورجع بهذه السرعة الغريبة الم يلقه اندهوق بن سعدون مجندلاً على الارض بضربة خنجر ومن ثم قذف به بمرأى عيوننا الى اعماق ذاك السرداب فنزل وهبط « كجلمود صخر حطه السيل من عل » فما الذي صعد به الى هنا

فاحتاروا بامرهم وانذهلوا واعملوا الفكرة طويلاً بحل هـذا المشكل فلم يهتدوا وكاد يذهب هذا الحادث بعقولهم لغرابته كل هذا وعمر ممدد على الارض لا يبدي حركة على الاطلاق وهم واقفون جامدون باهتون برؤوس منحنية واعين ساهية نامتة اليه

وطال وقوفهم على هذه الحالة وكلهم خائف وجل الى ان تحرك بديع الزمان وهو اعظمهم شجاعة فقال نعم ان هذا الحادث لهو بمزيد الغرابة وقد اوقع الرعب بقلوبنا جميعاً ولكن يجب ان نتخلص منه في الحال ونرجع الى جيشنا ومعسكرنا قبل ان تداهمنا الجنود التي ذهب بطلبها خادم ابن كاووس شاه الذي شاهد مقتله فيتسع الخرق علينا ويفدح الامر ويصعب علينا الرجوع بالسرعة اللازمة فما رأيك ايها الوزير العاقل الحكيم

فاجابه الوزير وقد كان صوته يرتجف من الخوف: الاجدر بنا ان نلقيه ثانية ونذهب باثره فربما لم نكن القيناه اولاً وتوهمنا ذلك لخوفنا واضطرابنا

فأذعنوا لرأيه وحملوه بايد مرتجفة وهم بمزيد الخوف لانهم رموه اولاً بايديهم وسمعوا دوت سقوطه على درجات السلم ورأوه يتدحرج عليه كالحجر الساقط من ربوة عالية ولكنهم تناسوا عن ذلك وغالطوا انفسهم ولو اصغى الواقف بينهم اقدر ان يسمع ضربات تلوبهم المضطربة خوفاً لانهم حسبوه احد المردة او بعض الابالسة تجسم امامهم وظهر بصورة ابن كاووس شاه يريد بهم ضراً ووبالاً

فخرجوا به من تلك الغرفة قاصدين الغرفة التي بازائها ليرموه ويقذفوا به من ذلك السرداب الى الارض وعمر يرقص على ايديهم لان الرعب قد تمكن من قلوبهم واخذ الخوف منهم كل مأخذ بما جعل ايديهم ترتجف تارة وتهتز آونة واجسادهم تختلج طوراً وتضطرب فتجعل عمر يرقص على كواهلهم مناسبة لحركاتهم المضحكة الغريبة العديدة كل ذلك وعمر ينظر اليهم ويقهقه ضاحكاً وقد شغلوا عنه وعن سماع صوت ضحكه بانفسهم وبمخاوفهم الكثيرة

فلما وصلوا الى تلك الغرفة وضعوه على الارض وازاحوا الطنفسة وظهرت من تحتها البلاطة فمسكوها من الحلقة ورفعوها ثم عمدوا الى عمر وحاولوا ان يرموه فلم يستطيعوا ان يحركوه لان عمراً كان قد تمكن وجعل يشد بمنتهى قوته فامسى كأنه وتد مشدود او مسمر بالارض

فتحيروا من ذلك وكان اشدهم انذهالاً معقل البهلوان الذي كان يشد به ويجذبه بمنتهى قوته ولكن الرعب والخوف والاضطراب المستولية على افكاره والمتاوجة بمخيلته لم تدع له ادنى قوة فكان خائر القوى ضعيف العزم واجف القلب مرخي المفاصل يجذبه ويشد به ولم تكن قوته عندئذ تعادل قوة النملة لرعبه وهو يظن كونه بقوته الاعتيادية بما يزيد رعبه ويضعف قواه للوهم المتسلط عليه بنفوذ عظيم فصرخ وقد حاول ان يصبر ولا يظهر مخاوفه وجبنه امام اصحابه خوف الفضيحة والعار ولكن بدون جدوى : اليَّ يا اصحابي وادركوني قبل ان افقد رشدي وصوابي فاني اراه التصق بالارض بل صار قطعة منها وما هذه الفعال فعال البشر بل هي اعمال المردة والابالسة

فأجابه الاصفوان الدربندي ولم يكن اقل منه خوفاً بصوت مضطرب مرتجف عجباً وكيف ذلك

فلحظ عمر اذ ذاك بانهم في ارتباك عظيم وعلم انهم بمزيد الاضطراب وادرك ان هذا الحادث قد اقلقهم جداً واوقع الرعب بقلوبهم وذهب بشجاعتهم العظيمة النادرة المثال فخشي من ان يذهب بعقولهم لان اشد الناس قلباً واذكاهم عقلاً

واعلاهم حكمة وبصيرة يضرب امام خوارق الطبيعة التي تعيث رياحها بشجاعته وثباته وحكمته وذكائه ويلبث حائرًا باهتاً لا يعلم في ما آل اليه امره ثم يضطرب دماغه اذا عجز عن تأويل ما شاهده وتحقيقه فيصل الى حالة غير مرضية اقل حوادثها الجنون لذلك حاول رتق ما فتق وسد ما اخل وعزم على ان يعرفهم بنفسه ويوضح ذلك السر المكتون بطريقة لطيفة تدرأ عنه عتبهم وملامهم وتجعلهم راضين مسرورين ناسيين او متناسيين كل ما اورثه لهم من التخاوف والرعب الذلك تحرك وقلب على جنبه الايمن مبتعدًا عن باب السرداب

فدهش الاصفران الدربندي من ذلك وقال متلعثماً انظروا فانه يتحرك وقد عهدناه قتيلًا مضرجاً بدمائه وغادرناه صريعاً لا حراك به وقد دبت به نسمة الحياة وهو يحاول البعد عن السرداب

فاجابه عمر وهو يقهقه ضحكا صدقت يا اخي فاني لا اريد ان اموت كما تريدون

ولا يقدر القلم هنا ان يصف ما حلّ بهم عندما سمعوا خطاب ذلك الذي عهدوه ميتاً فانهم وقفوا جامدين باهتين وقد وقفت شعور رؤوسهم من الخوف وذهبوا فريسة الانذهال والاندهاش . وبينما هم على هذه الحالة اذ دخل بديع الزمان والوزير عبد الله وسائر الاسرى وشاهدوهم على هذه الحالة المضحكة والموجبة الشفقة معاً فصرخ وقد امتلأ حماسة ويحكم ما حصل لكم حتى امسيتم بهذه الحالة السيئة

فاجابه الاصفران الذي كان مداوماً لارتجاف : لم يحصل شيء يا سيدي سوى ان الموتى نشرت من القبور وقامت تكلمنا بلسان عربي فصيح

فسأله بديع الزمان وقد احتدم غيظاً مما رآه بالاصفران الدربندي من الجبن والخوف الذي لا يليق ان يستولي على تبعة الامير حمزة البهلوان وابطاله الشداد ويلك يا اصفران وما المراد بذلك

فاجابه ان ذلك الطريح الذي اغمدت خنجرك بصدره والقيته على الارض

قتيــلًا قد ثبت بالارض عندما حاولنا ان نقذف به الى ارض السرداب ثم ابتعد عن السرداب قليلًا وبينما نحن في غاية الانذهال نظهر تعجبنا من ذلك قال لنا لا تعجبوا فاني ما ابتعدت عن السرداب الا لـكوني لا اريد ان اموت فـكيف دبت به نسمة الحياة ورجع من حيث القيناه يكلمنا ذلك امر لم نقدر انتصوره

فجذب بديع الزمان حسامه بملء الغضب وقال اذا لم يـكن يريد ان يموت فانا اريد ذلك ايها الجبناء

فارتجف عمر عند ذلك وخاف من ان مزاحه يـكون به منتهى ايامه فنهض للحال وقفز كالغزال الى آخر الغرفة وصرخ ببديع الزمان قائلًا اياك ان تفعل يا بديع لئلا تندم فما انا الا عمر العيار

فرجع بديع الى الوراء منذهلًا ومتعجباً من ذلك وشهق الاسرى شهقة الفرح متعوذين من مـكره وتفننه بالدهاء واساليب الخداع وهدأ روعهم اما بديع فانه شـكر العناية الالهية التي نجت وخلصت عمر من سيفه القاطع الابتر ولـكنه تـكدر من عمر لما اجراه لانه كاد يذهب بعقول الابطال فسأله قائلًا ان صدق مقالك فـكيف اتيت بهذه الهيئة وكيف تصورت بهذا الجسم جسم ابن كاووس شاه الذي قتلناه من برهة وجيزة فاثبت مدعاك والا قطعتك بشفار هذا السيف القرضاب وجعلتك طعماً لوحوش الغاب

فعلم عمر اذ ذاك بان بديعاً مرتاب به ومتردد بمعرفته وادرك من هيئتــه الغضوبة بانه حانق عليه لعمله فاجابه قائلًا امهلني قليلًا يا سيدي فاني سأثبت لك ما ادعيته فتعلم اني صادق في مقالي لا احاول خداعـكم ولا اقصد لـكم شرًا وكان يتصنع الخوف في مقاله ليعلم بديعاً بانه لم يـكن عمرًا

فاجابه بديع الزمان وقد ارتاب من لهجته بصدق كلامه . حسناً فاني لا امهلك اكثر من بضع ثوان والويل لك ان تـكن كاذباً

فأخذ عمر المـكحلة من جيبه بسرعة التصور وقال لها واطياً بحيث لا يقدر احد ان يسمع : اني اقسم عليك بما تحتويه من الاسماء ان تجعليني بصفة بختيار

وهيئته الحالية ولم يلبث ريثما اتم عبارته حتى تغيرت هيئته وصار بهيئة بختيار التي نعهدها ذات اللحية المحلوقة والشارب الواحد ثم تقلد بختيار بمزيد المهارة عند ما يقف مفكرًا حيث وضع يده على جبهته وطفق يحرك شفتيه بسرعة كلية كما كان يفعل بختيار عادياً ثم جعل ينظر اليهم تارة بوجه عبوس وطورًا الى الارض ويتكلم بكلام غير مفهوم ثم يرسل نظره الى الوزير عبد الله ويبسم له تبسماً معنوياً وقد عمل كل هذه الاشارات بسرعة غريبة زائدة

فذعروا جميعاً لرؤيته ووقفت شعور رؤوسهم لهذا الوجه المشوه وهذه الهيئة المرعبة . اما بديع الزمان فانه ايقن اذ ذاك انه من مردة الجان لانه لم يفطن بان تلك هي هيئة بختيار نظرًا لضعف نور الغرفة ولقصر الوقت ولذلك الوجه المشوه الذي احدث بعض تغييرات بوجه صاحبه تخفيه حتى عن معارفه واصدقائه لاول وهلة لذلك عاود جذب حسامه وتقدم هاجماً على عمر يريد الفتك به وكاد يصل اليه ويقتله لو لم تمنعه قهقهة الوزير عبد الله الذي تقدم منه ومسكه حيث منعه عن الفتك به وهو يفحص الارض برجليه من شدة الضحك

فهدأ روع بديع الزمان نوعاً واطمأن باله لما شاهده من الوزير عبد الله فسأله عن سبب ضحكه وكانوا جميعا بمنتهى العجب لهذا الحادث الغريب

فقال له الوزير عبد الله امعن النظر يا بديع الزمان بهذه الهيئة عساك تقوى على معرفة صاحبها فتخمد نار غضبك وتمتنع عما انت عازم عليه

فاحدق بديع بوجه عمر ولم يلبث برهة وجيزة حتى صرخ بمنتهى الانذهال قائلًا اوليس هذا بختيار وزير كسرى انو شروان الذي اوصلنا خبثه ومكره الى هذه الحالة وجعلنا نقاسي بفساد طويته ضروب العذاب وانواعه وتعب الحروب ومضراتها الكثيرة البليغة

فاجابه الوزير عبد الله قائلاً : نعم تكلمت اليقين فانه هو بعينه

فزاد عجب بديع الزمان من ذلك وسأله قائلاً عجباً ومايحملك على الضحك اذًا ولما منعتني عن قتله وعن نجاة العالم من شر وجوده

فأجابه الوزير قائلاً ان السبب في ضحكي ومنعي اياك عن قتله كونه عمر العيار وليس بختيار الغدار الماكر الخائن وان شئت ان تصدق كلامي فانظر اليه الآن حيث توقن بانه عمر وليس سواه

وكان عمر قد تكحل بهذه المدة بينما كان الوزير يشاغل بديع الزمان بالحديث ورجع الى هيئته الاصلية

فالتفت بديع اليه ثانية فراى عمر العيار بذاته وشاهده باقي الابطال فردت ارواحهم اليهم وسكن خفقان قلوبهم الشديد

اما بديع الزمان فانه لم يزل مندهلاً من هيئة بختيـــار ومتعجباً من ضحك الوزير عبدالله فسأله عن ذلك فقص عليه الوزير جميع ما حدث وما فعله عمر بكسرى ووزيره فطفقوا جميعاً يقهقهون حتى وصل صوت ضحكهم الى خارج المدينة فاقبل عليهم عمر اذ ذاك يصافحهم ويهنأهم بالسلامة وكلهم مسرور به متعجب من اساليب خداعه وتفننه بالحيل والمكر حتى انتهى الى اندهوق بن سعدون واقبل عليـــه ليصافحه فامتنع عنه على سبيـــل المزاح وقال له اغرب عني فان عملك كاد يذهب بعقولنا ولا اريد لذلك ان اصافحك لانك اوقعت الرعب في قلبي واخفتني وانا الذي لم اخف شيئاً بحياتي

فاجابه عمر ضاحكاً دع عنك العتب واللوم يا اندهوق فمن ثار لنفسه لا يلام ومن الذل ان يترك الانسان حقوقه تذهب ادراج الرياح

فقال اندهوق متعجباً وبما آذيناك يا عمر لتثأر منا لنفسك وبما اعدينا عليك لتجازينا ومـــا الذي سلبناك اياه لتطالبنا بحقوقك ولا تتقاعد عنها انفر من الذل والعار .

فقال لهم عمر انكم ضربتموني بجثة ابن كاووس شاه وجعلتموني بحالة قريبة من الجنون فرجعت بها انتقم لنفسي ثم اخبرهم بجميع ما حصل له بالسرداب وما عمله مفصلاً وقال لهم ان حقوق عمر العيار لا تضيع اصـــلاً فكما اخفتموني اخفتكم وكما ارعبتموني ارعبتكم فواحدة بواحدة سواء ولا تعودوا لمثلها فاني

لا اتقاعد ابداً عن اخذ ثاري ودعوا الملام لان ما عملته هو غاية العدل واما انت يا اندهوق فبما انك عثرت بي والتني كثيراً فاني اصفح عنك الآن نظراً لقديم الصداقة واسألك ان تخبرني كيف تيسر لكم قتل ابن كاووس شاه وكيف وصل اليكم

فقال له اندهوق اني اخبرك بالتمام لاني اسأت اليك فاعلم اننا كنا في السجن عند الساعة التاسعة من النهار ونحن نموج ببحار اليأس والاهل لاننا علمنا بان نار الحرب حالتئذٍ مستعرة بين حمزة وكاووس شاه وكان خوفنا شديداً على اميرنا مما نعلم بكاووس شاه من الغدر والمكر والخيانة ولسلسلته التي صادنا بها صيد الاسماك فبينما نحن بهذه الحالة وكل منا بزيد الخوف على الامير حمزة اذ دخل علينا الوزير عبدالله من باب السجن السري وقال لنا هيا استعدوا للذهاب يا اصحابي فان الامير حمزة قد فتك بكاووس شاه وضربه ضربة لم يسمع بمثلها في سالف الزمن فقده شطرين والقاه على بساط الارض يعج علقماً ونجيعاً ثم هجم على حراسه وجنوده واذاقهم ضرباً شديداً يؤلف بين اشتات المنون ولم يزل يعمل في اقفيتهم حتى افناهم واوصدت ابواب المدينة بوجهه وقد شاهد ابن كاووس شاه اباه ميتاً فحث التراب على راسه وبكى وولول وارسل يبحث عليّ لاحضركم له لينتقم منكم بثار ابيه فعجلوا واتبعوني قبل ان يدركونا هنا وينفذ فينا سهم القضاء والقدر لان ابن كاووس شاه رجل جاهل لا يحسب للعواقب ولا يقدر شيئاً عند نوال غاياته .

فقمنا للحال ونحن بمزيد السرور لهذا النبأ المطرب وخرجنا من باب السري جميعاً ولم يرنا احد عند خروجنا حيث ان السجان كان باتفاق مع الوزير عبد الله على خلاصنا فلم يدع احداً من الناس يقف امام السجن يومئذٍ خوفاً من ان يلاحظنا

فخرجنا ونحن موثوقون الايدي وبمقدمتنا الوزير ولم نزل نمشي بطريق مجهولة بدون ان نصادف احداً بطريقنا حتى كدنا نصل الى منزل الوزير فهناك ارتعب

الوزير وقال لنا عجلوا واسرعوا بالمسير لنخرج من تلك المدينة المشومة قبـــل ان يدركونا وكانت هيئته تدل على انه بمزيد الخوف والاضطراب فاطعناه واسرعنا بالمسير ونحن نحجل بقيودنا حتى بلغنا منزله ولم نصل الى الغرفة التي كنا بها عند ما قدمت الينا الا وسمعنا صوت ابن كاووس شاه يقرقع بالفضاء وهو يشتم ويجدف ويتوعد ويصيح بمنتهى الحدة قائلًا اتظن ايها الوزير الغادر بانك تقدر على الفرار بالاسرى وانا وراءك بالطلب فلاقطعن رأسك بهذا الحسام ولاجعلنك عـــبرة للخائنين امثالك

وكان السبب في قدومه انه بينما كنا قادمين من السجن اذ شاهدنا احد الضباط فعلم سر المسألة وانطلق يعدو الى ابن كاووس شاه واعلمه بالذي شاهده فغضب ابن كاووس شاه مزيد الغضب لانه كان منتظرًا احضارنا ليقتلنا بثـــار والده كاووس شاه واتى الى بيت الوزير بدون ان يصحب معه احدًا لحدته وطيشه سوى بعض خدمه الذين تبعوه مذ شاهدوه يركض كالمجانين

فلما وصل الينا وكان بمنتهى الحدة والزبد يرغى على شدقيه للغضب المستولي عليه وبيده الحسام مسلول شق صفوفنا وعمد الى الوزير عبـــد الله ليضربه بذلك الحسام الذي كان بيده فلم ادعه يتمكن من ذلك لاني كنت خلصت احـــدى يديَّ من الوثاق وجذبت خنجري فطعنته به بصدره حيث تركته على الارض صريعاً والدم يسيل من فمه وصدره وهجمت على الخـــدم التي كانت برفقته فلم اصادف منهم احدًا لانهم كانوا هربوا عند ما شاهدوا مقتل سيدهم فرجعت واخذنا القتيل حيث القيناه من السرداب الذي دلنا عليـــه الوزير عبد الله حيث سقط عليك كما اخبرتنا ثم رجعنا الى الغرفة وجعلنا نحل قيود بعضنا كما شاهدتنا

فقال له عمر حسناً فعلتم وان السعد لا يزال يجري بركابنا والتوفيق يخدمنا ولا تزال اعمالنا بعون الله ومساعدته مقرونة بالظفر ومحفوفة بالنصر لان بموت ابن كاووس قد مات السواد الاعظم من المتحزبين له بهـــذه المدينة فيمكن والحالة

هذه للوزير عبدالله ان يجلس على اريكة الملك ويستقل باحكامه بدون ادنى معارض ولا مزاحم فهيَّ بنا اذًا نسير ونذهب الى اخي الامير حمزة باسرع ما يكون من السرعة لانه طال وقت انتظاره وهو على فراش القلق يموج بتيارات الاضطراب ولنخرج من هذا المنزل قبل ان تدركنا عساكر كاووس شاه فيعيقونا من الذهاب ويتصدوا كاشد الموانع امام نوال غايتنا اذا لم يوقفونا بهذا القصر الضيق ابدياً

فاستحسنوا جميعهم رأيه وعزموا على الذهاب فاستعدوا لذلك واخذ الوزير عبدالله ما يلزمه من القصر ثم نزل بسلم السرداب هو وامرأته وبنوه وبيدهم مصباح يستضيئون به ويستعينون على قطع ذلك الدهليز الضيق وتبعتهم ابطال العرب يتقدمهم عمر العيار

فبينما كان معقل البهلوان يستعد للنزول بتلك السلم ليقع اصحابه الذين كانوا سبقوه وكان قد تخلف عنهم برهة اقتضاء حاجة عرضت له اذ سمع غوغاء عظيمة بالدار ووقع اقدام كثيرة فالتفت ليرى مصادر هذه الاصوات فشاهد عساكر كثيرة العدد رالعدد قد ملأَت الدار والغرف وكل منهم مجرد حسامه ومستعد للقتال وملاقات الاهوال وقد كانوا ينوفوا عن الثلاثمائة رجلَا

فاقترب الى السرداب لينزل بكل سرعة ويتخلص منهم لانه كان حكيماً عاقلًا مع شجاعته فعلم بانه لا يقوى على لقاء جميع هذه الجنود التي كانت تموج بصحن الدار والغرف كالبحر الزاخر ففضل الاحجام على الاقدام حالتئذ وآثر الهرب اذ لا عار عندئذ ولكن قبل ان يضع رجله باول درجة من السلم سمع صوت رجل يركض بالغرفة لجهته وهو يصيح وينادي اليَّ يا اصحابي قبل ان يتمكنوا من الفرار

فالتفت معقل البهلوان فرأى امامهُ رجلًا عظيم الجثة وبيده حسام مسلول وهو يحاول ان يدركه ويضربه به فرجع معقل من حيث نزل وجذب حسامه فضربه به قبل ان يتمكن من الصراخ والاستغاثة ضربه ضربة جبار عنيد فاطار رأسه

عن جسده وسقط ذلك الرجل على الارض يختبط بدمائه وهو بعيد عن راسه ثلاث اذرع . .

وقد ساء ما توهم معقل فان صوت مناداة القتيل قد بلغ مسامع من كان بالغرفة المجاورة فركضوا ليروا ما الخبر فرأوا صاحبهم طريحاً على الارض والدم يخرج من جسده كافواه القرب فلما رآهم معقل هرول الى باب السرداب وطفق يقطع درجات السلم اربعة فاربعة حتى بلغ منتهاه تشيعه اصوات الوعيد الصادرة من معسكر الاعداء وتهديداتهم الكثيرة

وكانوا قد رأوا مقبلاً نازلاً من السلم فبعضهم تأثره وهم اعظمهم شجاعة وبعضهم وقفوا على باب السرداب مترددين بالنزول وبعضهم شغلوا عن ذلك بجثة الميت وآخرون ذهبوا خارج الغرفة واعلنوا خبر هذه الحادثة ولم يمض خمس دقائق حتى كانوا جميعاً ينزلون من ذلك السرداب ويقطعون تلك السلم الطويلة التي كان يقطعها فرسان العرب والوزير منذ ربع ساعة

اما معقل البهلوان فانه منذ قطع السلم واشرف على اول الدهليز انطلق يعدو بمنتهى قوته ليصل الى رفاقه ويخرج معهم قبل ان يغلق الباب وليحذرهم اذا كانوا لم يخرجوا من تلك العساكر الجرارة التي تتبعهم ولم يزل يركض وهو تارة يضرب بالحائط وطوراً يعثر بحجارة ذلك الدهليز المظلم حتى لحق بهم قبل ان يصلوا الى الباب وهو يلهث من التعب فاخبرهم وهم بسيرون بجميع ما حدث له وانهم لاحقون بهم

فجدوا المسير لانهم كانوا قربوا من الباب ، وكانوا يلاحظون وكانت اصوات المهاجمين العالية تنذر بشر ، وصول [illegible] واصواتهم المدبدبة المختلفة تعلن عن كثرة عددهم ولكنهم كانوا عند [illegible] بالباب [illegible] ذلك الا [illegible] ايقنوا كما اخبرهم الوزير عبدالله بقرب وصولهم من الباب [illegible] ما خرجوا من ذلك الدهليز المظلم الضيق الى الطرقات الواسعة يتسع لهم المجال لا [illegible] اجتماع [illegible] اسره والقائد في قتالهم لانهم كانوا نجدهم من اشد الناس باساً واكثرهم بطشاً واعظمهم قوة

جبابرة لا يهابون الموت ولا يخشون الردى وكل منهم يلاقي الوف الرجال ويفتك بهم الفتك الذريع وهو يترنم على ظهر جواده كالثميل النشوان او كالعاشق المتيم الولهان المختلي بحبيبه بين الخمائل والمحتجب عن الرقيب بالرياحين ولكن بمثل هذه المحلات الضيقة المظلمة تبطل المعرفة ولا تجدي الشجاعة نفعاً حيث يتساوى بالقتال الجبان والشجاع

وكانوا كلما تقدموا خطوة تتعاظم اصوات المهاجمين وترتفع بما يدل على انهم مسرعون بسيرهم فادرك فرسان العرب بانهم اذا تأخروا برهة وجيزة بهذا الدهليز تدركهم الاعداء فينتشب بينهم القتال وتكون الخسارة بين الفريقين متساوية او تكون خسارة العرب اكثر نظراً لقلة عددهم بالنسبة لذلك المعسكر الكثير الذي هو بكمال النظام فهرولوا وهم يودون لو كان لهم اجنحة ليطيروا بها الى خارج المدينة ويخلصوا من ذلك السجن المظلم ولم يزالوا يجدون المسير وتارة يركضون حتى وصلوا الى الباب وكان اول من وصل اليه الوزير عبدالله وبنوه لانهم كانوا بمقدمة الجميع فعند وصوله صرخ الى عمر هيَّ يا عمر واسرع الى فتح الباب لنخرج قبل ان يتمكنوا من الوصول الينا

فاجاب عمر وقفز حتى وصل الى الباب فافتقد المفتاح بمنطقته ولم يجده لانه كان نسيه خارج الباب بالقفل عند دخوله وقد كان ذلك الباب كما علمنا يغلق من تلقاء ذاته فلا يعود ممكناً فتحه الا بالمفتاح ولا يقدر الانسان ان يتصور ما حل بعمر عند ذلك امتقع وجهه ورجف قلبه وارتخت مفاصله لهذا الغلط المهول الذي حدث منه لان غلطه سيكون السبب بفقد بعض ابطال العرب ولربما بفقدهم جميعاً

وكان الباب متيناً جداً لا يمكن اقتلاعه بسهولة فاحتار عمر واعمل الفكرة عساه يجد باباً للتخلص من هذه الورطة الوبيلة ثم يهتد فلبث باهتاً جامداً مفكراً ساهياً ينظر الى الارض بدون ان يتكلم شيئاً

نظر اليه الوزير عبدالله وقد احس بوقوع المصاب وعلم من هيئته انه بارتباك

عظيم وقد ادرك عند ما شاهده افتقد منطقته ورجع صفر اليدين ومن وقوفه بهذه الهيأة المرعبة التي تنظر بهول المصاب انهم في خطر عظيم فسأله وقد كان صوته يرتجف من الخوف على امرأته وبنيه اشفاقاً وحنوًا عليهم وعلى نفسه لانه لم يكن من رجال السيف قال ما بالك يا عمر توقفت عن فتح الباب اهل يوجد ما يمنعك عن ذلك

فاجابه عمر وقد كان يزيد الاسف ساهي الطرف مشتت البال : نعم وانه لمن اشد الموانع لاني اضعت المفتاح ولا يمكن فتح ذلك الباب بغيره

فارتاع الوزير عبدالله لذلك الانظار المشوم لانه لم يكن يتحسب وقوعه من عمر العيار المشهور بالتيقظ والانتباه وعلم بانه خسر جميع ما امله دفعة واحدة فارتخت مفاصله وضعفت عزائمه وطفق العرق البارد يتصبب من وجهه وكاد يسقط على الارض مغمياً عليه لانه شاهد عن بعد مصابيح الهاجمين ونظر الى لمعان سيوفهم التي كانت تكتسب النور من المصابيح فتلمع بذلك الظلام المدلهم كالشهب الثاقبة الساطعة واصغى الى اصوات تهديداتهم المهولة العظيمة فوجدها موجهة اليه بجميعها وهي تحتوي على انواع الطعن والشتم والسباب

فعزم على ان يتكلم ويخاطب عمرًا فلم يقدر على ذلك لان لسانه ارتبط عن الكلام وامسى بحالة يرثى لها وتحمل اقسى الناس قلباً على الشفقة والرأفة والحنو لما كان على وجهه من ملامح التأثرات الشديدة والعلائم المحزنة المؤثرة

اما عمر فانه كان بحالة اعظم من حالة الوزير لانه هدم بيده وببرهة وجيزة من الزمن جميع ما بنوه من قصور الامال بايام طويلة ولكنه كان شجاعاً كثير الفطنة والذكاء معتادًا على ملاقاة مصاعب الامور يتكل على فطنته وتفننه باساليب الدهاء تتلافى الامر قبل وقوعه ولم يجد الا ان يعلمهم بالحقيقة ليكونوا على حذر من مهاجمة الاعداء ريثما يهتدي لطريقة يتيسر له بها الخلاص من هذه الورطة الوبيلة ونجاة اصحابه الذين اوقعهم بهذا الخطر العظيم

وكانت مصابيح الاعداء قد ملأت ذلك المكان الذي كان من برهة وجيزة

مظلماً جداً من النور وكادت جدرانه تتزعزع لتعاظم الاصوات التي كانت تخرج لائتلافها مع بعضها كالرعد القاصف ولم يكن اذ ذاك بين الفريقين غير بضع خطوات

وكان صليل السيوف واصوات الرجال المهولة التي كانت تدوي بذلك المكان وغوغائهم العظيمة من ارعب الامور واما ابطال العرب فانهم لم يكونوا عالمين بشيء من سبب توقيفهم عن الخروج من ذلك الدهليز بعدما بلغوا بابه فكانوا متعجبين من ذلك اشد العجب وبينما هم في اشد الحيرة والانذهال لا يعلمون المحجمون ان يقدموا لان الاعداء كادت تصل اليهم اذ اعلن لهم عمر ضياع المفتاح واوصاهم بالثبات امام الاعداء ان يجد طريقة للخلاص فتكدروا من ذلك غاية الكدر ولكنهم صبروا صبر كرام الرجال وتحولوا لجهة العدو الذي اوشك ان ينتشب بينه وبينهم القتال لانه لم يكن يعترض دون ذلك غير خطوات قليلة

فلندع الان فرسان العرب بهذه الحالة المهولة وبهذا الدهليز الذي صار يشبه اوكار النمل يستعدون للقتال ولنترك عمراً العيار يعالج فتح الباب بمهارته المشهورة والوزير عبد الله وبنيه واقفين بمنتهى الخوف وبمزيد الخشوع يقدمون الصلوات الى الله ويسألونه ان ينظر اليهم بعين الرحمة والرأفة والحنو ولنعود الى كسرى وبختيار اللذين غادرناهما بفضاء الغرفة يدوران على ذاتيهما كما تدور الفراشة حول القنديل لنعلم ما اصابهما بهذه المدة الطويلة التي تركناهما بها فنقول

بعد ما تركناهما كما علمنا وذهب عمر من عندهما الى الوزير عبد الله بقيا يتمرجحان بفضاء الغرفة ثلاث ساعات متواليات وهما فاقدان الرشد والصواب لا يفقهان حديثاً ولا يعلمان شيئاً مما اصابهما من تأثيرات البنج الذي غادرهما كالموتى لا يعيان ولا يحلمون فيه وبعد هذه المدة استفاق بختيار اولاً وفتح عينيه فوجد ذاته معلقاً من رجليه بحبل طويل وهو يدور على نفسه كالدولاب فلم يحفل بذلك واغلق عينيه لانه ظن ذلك حلما ولكن هذا الظن لم يتحقق لانه اعاد فتح عينيه وبقيت

حواسه بتزيد الانتباه فشعر بالالم الشديد برجليه ثم احس بالدوار برأسه الذي خص جيداً ولم يعلم اين مركزه فعلم اذ ذاك بانه باليقظة وليس بالمنام وغالط نفسه كثيراً بهذا الامر فلم يقوَ على ذلك لان تأثيرات البنج قد ذهبت عنه واصبح بوعيه التام وبتمام اليقظة والانتباه ففتح عينيه جيداً واحدق بنظره وجعل يفحص ذاته ويبحث عن محل وجوده ويعمل الفكرة ليتذكر ماضي ساعاته فلم يقدر على شيء من ذلك اولاً لانه كان يحدق النظر بالجدار الشرقي من الغرفة وقبل ان يتمكن من الحكم على شيء بخصوصه كان يبتعد عنه ذلك المنظر بسرعة البرق فيرى الحائط الغربي بصورة خلاف الاولى نسبة لدورانه السريع

فمكث برهة طويلة على هذه الحالة وهو يحاول عبثاً ان يعلم ما اوصله الى هذه الحالة السيئة المهولة فاطبق عينيه وجمع حواسه وجعل يتذكر ما حصل به من عندما غادر مجلس كاووس شاه وما حصل بذلك المجلس وكيف اتى الرسول من عند الامير حمزة يحمل تلك الرسالة وكيف اتفقوا على المبارزة في اليوم الثاني الى ان رجع الى منزله وجلس بالغرفة مع كسرى ثم تذكر بانه ارتاب بالرسول وانه بينما كان بالغرفة مع كسرى اذ نظر شيئاً منوراً سقط بارض الغرفة وهناك لم يعد يتذكر شيئاً فعلم عندئذ وبعد تعب طويل بانها مكيدة نصبت عليه وان ذلك النور الذي رآه بالغرفة لم يكن الا بنجاً وفاعل هذه المكيدة لم يكن الا عمراً العيار الذي كان يخافه ويخشاه كما كان يخاف الجبان الموت الزؤام

فعاود فتح عينيه ثانية وقد قدر بهذا الوقت ان يعلم اين هو وان ينظر الى رجليه ويعلم سبب الالم الناتج من الحبل والى رأسه ويعلم سبب الدوار الحاصل من سرعة الدوران فاجتهد وافتكر بان يوقف هذه الحركة او يتمسك بالحبل ويمنعه عن الدوران ولكنه علم اخيراً بانه لا يقدر على ذلك لانه كان مربوط الايدي فلم يجد حيلة ولا طريقة يمكنه الخلاص بها غير الاستغاثة فاخذ لذلك ينادي باعلى صوته قائلاً : اليّ يا اصحاب هذا المنزل وادركوني قبل الممات وبقي يكرر مناداته بملء صوته ولكن بدون جدوى حيث لم يكن احد

يسمعه او ينتبه لصوته المرتجف المتقطع لما قاساه من ألم الدواخ بمثل هذه الساعة المتأخرة من الليل حيث كان جميع من بالقصر نياماً حالتئذ فتكدر جداً من ذلك حيث لم يلبي طلبه او يغيثه احد من الناس فافتكر اخيراً بكسرى الذي كان يرقد غالباً بالغرفة المجاورة لغرفته بهذا القصر العظيم الواسع الرحب ولم يكن عالماً لتضعضع افكاره وارتباك مخيلته بان سيده كسرى شريك له بهذه الحالة يقاسي من العذاب وآلامه فاخذ يناديه ويستغيث به باعلى صوته قائلاً ادركني يا سيدي وانقذني قبل الممات فاني بمزيد الضيق وبحالة سيئة ستذهب بحياتي ان تقاعدت برهة عن نجاتي

وكان كسرى قد استيقظ من زمان طويل وقاسى من العناء ما قاساه فكان ضائع الفكر فاقد الرشد ساهي الطرف مشتت البال مرتبك الحواس مختلج القلب واجف الفؤاد مضطرب الشعائر يدور ويهم ويتمرجح بفضاء الغرفة ولا يعلم السبب ولا المسبب في ذلك ولكنه كان مطلق اليدين بخلاف بختيار فكان يدهما ويبحث بهما ليعلم بماذا كان معلقاً نعلم بعد زمان طويل فرغت به جبة صبره وانتهكت قواه وتلاشت عزائمه بانه معلق بحبل فتشبث به باحدى يديه ومد الثانية ليمسك بها ايضاً فوقعت على جسم بختيار الذي كان يناديه بتلك الساعة مستغيثاً بصوت مرتجف مضطرب متقطع ناتج عن خفقان قلبه الشديد وآلامه العظيمة

فاندهش كسرى عند ما سمع صوت وزيره يناديه وهو معلق فوقه بذلك الحبل الطويل الذي شاهده على نور الغرفة الضعيف كي يشاهد الجان عدواً له الدا شديد البطش ثباته ولكنه رجع للحال الى صوابه وعلم كيفية تعليقهما بانها مكيدة من عمر العيار وذلك ليس لكون كسرى اشد نباهة واعظم مادة واوقد ذهناً من بختيار ولكن لكونه كان يحتمل شيئاً يسيراً من العذاب بالنسبة لبختيار لانه لم يكن معلقاً بالحبل من رجليه يحمل ثقل نفسه ولم يكن معلقاً باكتافه رجل اعظم منه ثقلاً ولذلك كان احد تصوراً بالوقت الحاضر من

بختيار للاسباب المذكورة فانتقل من طور الاندهاش والانذهال الى طور الغضب والحنق على وزيره المسبب له بكل هذه العذابات وهذه الآلام الشديدة الحمل على من كان من اعظم العالم رفعة وارهبهم سلطاناً وانفذهم سطوة واعلاهم مجداً وشرفا كالملك كسرى انو شروان ملك الاعجام الذي طار صيته بالآفاق وملأ ذكر عزه مشارق الارض ومغاربها ولكنه اعتاد على مثل هذه الاهانات وعلمته التجارب ان يصير حكيماً فطناً عاقلاً صبوراً فترك الغضب وانتقل اذ ذاك الى طور الفكرة والعمل بطريقة تمهد له سبل الخلاص من هذه الحالة المشؤومة وهذه الورطة الوبيلة فاهتدى بعد تأملات طويلة وتذكر سيفاً طويلا كان معلقاً على جنبه فعمد اليه واخذه وعزم على ان يقطع به الحبل ولكنه توقف برهة وافتكر بتمر العاقبة لانه لو قطع الحبل لسقط على الارض وسقط فوقه بختيار وربما افضى بهما هذا الامر الى الهلاك والموت شر ميتة لانه يكون عندئذ كالمنتحر القاتل نفسه بيده عمداً

ولم يكف بختيار ولم ينقطع بكل هذه المدة عن الاستغاثة وارسال اصوات لغايته الشديدة العالية فكانت تذهب اصواته ادراج الرياح وبدون جدوى لان اصواته واستغاثاته لم تكن مسموعة من احد سوى كسرى الذي كان متردداً عندئذ باجراء ما ارتآه

فعمد اخيراً الى اجراء ما افتكر بعمله ووطد النفس بعزم ثابت على قطع الحبل ولو افضى بهم هذا السقوط المهول نسبة لدورانهما الدائم وعلوهما عن سطح الارض الى التهلكة او تجرع مرارة العذاب لانه يئس من الحياة ولم يعد له بها اذن تفتح و امل بالاستغاثة التي لم تكن مسموعة والتي كان ينادي بها بختيار باعلى صوته فانتضى السيف الصارم وجذب سيفه الطويل فخرط به الحبل وسقطا الى الارض الفرقة نزلت عليهما لهذا السقوط الناشئ لسرعة حركة الدوران وكاد يدخل اولهما بالارض

وكانت سقطتهما فوق بعضهما وذلك كما افتكر وحسب كسرى قبل المباشرة

بالعمل فارتعدت فرائص بختيار وانذهل اشد الانذهال لهذا السقوط المستغرب وهذا الخلاص العجيب لانه لم يفطن لكسرى سيده ولكنه اعرض فجأة عن الانذهال والاضطراب مشتغلاً بالاهم من ذلك فطفق يئن ويشكو ويتوجع لآلامه الكثيرة

اما كسرى الذي رجع اليه غضبه اذ ذاك وحنقه على بختيار باكثر من السابق لم يقابله بالمثل من التوجع والتألم والشكوى والانين بل انه جاوبه على توجعاته وانينه بالضرب المتواتر على رأسه بمنتهى الحدة لانه كان يزيد الحنق عليه بما يزيد آلامه ويصلي نيران اوجاعه التي كان يود كسرى بان لا تطفى

فاحتار بختيار من اين يأتيه ذلك الضرب المتواتر الذي جعله مضعضع الحواس مرتبك الافكار لا يفقه ولا يعي ثم التفت حيث وجد فرصة يقدر ان يتخلص بها من كسرى الذي كان فوقه يضربه الضرب الشديد فوجد امامه سيده بهيئة مرعبة وبوجه متقد بنار الغضب فكف اذ ذاك عن التوجع والصراخ ووقف امامه بغاية الاحترام والوقار وقال له بمنتهى الرصانة والرزانة ما شأنك يا سيدي وبما اخطأت اليك حتى تعاملني بهذه المعاملة القاسية وتزيدني اوجاعاً وآلاماً على آلامي

فغضب كسرى وحاول ان يجيبه بضربـــة سيف تطير رأسه وتخمد حسه ولكنه تغير فجأة واستبدلت علائم وجهه الغضوبة بملامح السرور والعجب لانه شاهد وجه بختيار المشوه ورآه كما نعلم بلحية محلوقة وحاجب واحد وشارب واحد فجعل يقهقه بعد ذلك الغضب المهول حتى فحص الارض برجليه من شدة الضحك وكأنه نسي آلامه لما شاهد ما اصاب وريره وتشويه خلقه الذي ابرد غلة فؤاده المكتوي بنار عداه ومكره وخداعه الذي اوصله الى هذه الحالة المتناهية بالعذاب

اما بختيار فانه تعجب لهذا الانقلاب السريع ولهذا التغيير الفجائي فوقف برهة كأنه صنم لا يبدي حركة ولا اشارة وكسرى يضحك حتى تمادى بختيار من هذه الحالة وسأله قائلاً ما شأنك يا سيدي ولم هذا الضحكات الكثيرة

ونحن بحالة توجب البكاء والعويل لالآمنا الكثيرة ولما اصابنا من تقلبات الزمان وغدره

فقال له كسرى وقد كف عن الضحك اذهب ايها المشؤوم وانظر الى المرآة لتشاهد ما حل بك وما جنيت على نفسك به بيديك فتعلم سبب ضحكي ولا تستغربه اصلاً لانك بهيئة تضحك الثكلى لمزيد غرابتها وبوجه لا تحسدك الخنازير عليه لقبحه وتشوهه

فهلع قلب بختيار خوفاً ورجف فؤاده جزعاً وكان بالحائط الايمن على طاولة مرآة كبيرة فهرول اليها ورجلاه لم تكد تحملاه لشدة الاضطراب المستولي عليه فذ وصل الى المرآة وشاهد ذلك الوجه المشوه الذي هو كوجه القرود امتعض وجهه وشعر بان الارض انطبقت على رأسه واوقفه هذا المنظر مرتعداً جامداً حائراً باهتاً ساهياً ثم صعد الدم الى رأسه وغضب مزيد الغضب ولكنه ايقن بانه مكبل بسلاسل العجز لا يقوى على عمل شيء فارتخت مفاصله وارتجفت اعضاؤه واصفرت هيئته ثم طفق العرق البارد ينصب من جبينه الناقص على شاربه الواحد ويسيل من هناك على رقبته حيث لم توجد لحية لتوقفه عن الجري كما يشاء فلم يتمالك اذاً عن البكاء فطفق يبكي ويشهق كالاولاد الصغار وقد اكسبته دموعه المنهملة كانصباب المطر هيئة كئيبة محزنة مؤثرة باشد القلوب قساوة بما حرك الشفقة بقلب كسرى عليه وهيج بفؤاده تأثيرات الحنو

وقد ظن بختيار بان كسرى الذي شوه خلقه وصيره بهذه الحالة المضحكة لذلك كان واقفاً ينظر اليه من خلال دموعه بعينين عارفتين بذلك البحر من الدموع وبهيئة محزنة وكان يظن من ملامح وجهه انه يؤنبه ويلومه على ما عمل معه وصنعه به وقد لحظ كسرى منه جميع ذلك وعلم بان وزيره مرتبك الحواس ضائع الفكر مشتت البال وقد ظن به انه اراد به ضراً وانه يريد ان يلومه ويوبخه ولكنه لم يتجاسر على ذلك قولاً فكأنه يستنجد بعينيه وملامحه على هذه الملامة

فتأثر كسرى من ذلك مزيد التأثر واشفق عليه اشفاقاً عظيماً ودبت بقلبه حرارة الحنو بعد ذلك الحنق العظيم وسأله قائلاً ما بالك يا بختيار يترقرق الدمع بعينيك وعلى وجهك ملامح التردد بامر تحاول ان تقوله لي ولست اعلم ما يمنعك عن ذلك

فاجابه بختيار بمنتهى الحزن قائلا انك مصيب يا سيدي بظنك واني لمتردد بشكواك امام النار ذات الشرار لاني مسيء بك ظني وحاسب بانك انت الذي شوه خلقي وتركني مضطراً مدة غير وجيزة من الزمن للاحتجاب عن اعين الناس فما جلبت عليك من الضر حتى جعلتني اضحوكة ومضغة بافواه الناس وانا الذي يغار على صوالحك كغيرته على نفسه ويحبك اكثر من محبته لذاته

فاجابه كسرى وكان بالحقيقة طاهر النية شريف القلب رقيق الاحساس وقد ابى عليه صدق طويته ان يحمل حقداً على وزيره الذي نزع منه ملكه العظيم وتركه غريباً وحيداً شريداً طريداً يلتجيء الى الناس ويستنجد بمن لم يكن يتنازل على مكالمتهم : قد ساء ما توهمت يا بختيـــار وان بعض الظن اثم واني لموقن بانك ضائع الحواس لانك اخطأت ظنك بي والبرهان جلي واضح بأني لم افعل بك هذا الفعل الشنيع لاني كنت واياك معلقين بحبل واحد وقد شاهدت ذلك عياناً عندما سقطنا سوية

فعلم اذا ذاك بختيار بانه مخطيء بوهمه وظنه وايقنا بان ذلك فعل عمر العيار فذهب كل منهما الى فراشه وهما بمزيد العناء والمشقة يلعنا عمراً ويودا لو يقدرا على ان يمزقاه باسنانهما وينتقما منه على ما صنعه بهما

فلما اشرق الصباح وملأ باشعته البسيطة نهضا من الفراش بغاية التعب والعناء ورغبا لو يقدرا على الملكوت بالمنزل في هذا النهار لانهما كانا محمومين مما قاسياه في ذلك الليـــل المهول ولكنهما كانا مضطرين الى الذهاب لمجلس كاووس شاه حيث سيحصل البراز في ذاك النهار ليعلما من يكون الفائز وبذلك صالحهما لانه لو قتل كاووس شاه لوجب عليهما ان يسعيا بطريقة تمهد لهما سبل النجاة وتمكنهما

من الفرار والالتجاء الى بلد امين وملك عظيم يمنع عنهما غارات الامير حمزة ويدفع عنهما شر قتاله واين لهما ذلك

فلبس كسرى ثيابه بالرغم عنه وبمقاومة عنيفة وذهب الى غرفة بختيار وهو يتأسف على حالته ولكنه مع مزيد تأسفه لم يتمالك عن الضحك الشديد عند ما دخل الى غرفته وشاهده امام مرآة كبيرة ينظر وجهه ويفحصه بكل تدقق وامعان لانه كان استعار من شارب الهر حاجباً ومن ذنب الكلب شارباً ومن جلد الشاة عثنوناً

فقال له كسرى ويلك يا بختيار مالي ارى الهر نادباً والكلب غاضباً

فاجابه ذلك لاني اغتصبت منهما شارباً وحاجباً

فضحك كسرى وتلثم بختيار خوف الفضيحة وانطلقا الى مجلس كاووس شاه ومن هناك الى اسوار المدينة حيث شاهدا بمرأى العين مقتل كاووس شاه وبسالة الامير حمزة العرب العجيبة مذل الابطال وقاهر الجبابرة بيوم النزال

هذا ما كان منهما واما ما كان من ذلك البطل الغضنفر الذي شاع ذكره في اقاصي البلاد وطار صيته بالافاق صاحب هذه السيرة العجيبة وجبار ذلك الزمان الامير حمزة البهلوان فانه بعد ما قتل كاووس وضربه تلك الضربة المهولة التي ارتجفت لها القلوب ورجع الى معسكره بدون ان يرى عمر العيار كما علمنا سراً وتهلل وجهه لانه علم كما اخبره سابقاً بانه ذهب الى احضار الاسرى ومفاتيح المدينة ولكنه تكدر اخيراً لانه صبر ساعة لغيابه رآها اطول من عام فضاق صدره لانه اوجس خيفة عليهم وقد عيل صبره لانه طال امد انتظاره بدون جدوى فنهض يمشي بارض صيوانه ذهاباً واياباً بخطوات غير موزونة تدل على ارتباك افكاره واضطراب مخيلاته

ولامر يريده الله فاحص القلوب وعارف المخبات خرج من ذلك الصيوان بدون ان يعلم وانطلق يمشي الهويناء بذلك السهل الواسع لترويح هموم النفس وتفريج كرب الانتظار وما زال يمشي وهو ساهي الطرف مشتت البال مضطرب

القلب خافق الفؤاد لا ينتبه لشيء مما حوله ولا يعي لمن كان على الاسوار من العساكر الجرارة التي بلغت حب الرمال عداً والتي اخفتها ظلمات الليل عن الاعين حتى انتبه بعد ما قطع مسافة طويلة على غير علمه من ذلك السهل الواسع الى غوغاء عظيمة واصوات كثيرة كانت تزيد ارتفاعاً كلما ازداد تقدماً وتزيد وضوحاً كلما ازداد اصغاء وتزيد ضربات قلبه كلما لمعت بوارق افكاره التي لم تكن تهدس اذ ذاك الا ببنيه والاسرى

فهرول متبعاً تلك الاصوات ولم يزل يمشي بمزيد السرعة والاضطراب حتى استوقفه فجأة صوت كان معلوماً عنده ينادي باعلى صوته الحذار لنفسك يا بديع الزمان

فاضطرب حمزة وارتبك وصعد الدم لرأسه ولم يعد يعلم ما يجب عمله عندئذ كيف لا وقد سمع صوت عمر العيار يحذر اعز ابنائه من الموت وهو غير قادر على رؤياه ولا يستطيع القلم ان يشرح ما اصاب حمزة في تلك الساعة التي احس بها بان نار الاشفاق والحنو والمحبة الابوية قد اشتعلت بكل جسده وقد ايقن بان ولده بحالة مخطرة تكاد تشرف به على الموت اذا لم تكن القته بحضيضه فصرخ من فؤاد متبول وقلب جريح بصوت اضطربت له جدران السور قائلًا اتاك الامير حمزة يا عمر فاين انت

وقد كان فرسان العرب داخل ذلك الدهليز بحالة مخطرة جداً لاننا قد تركناهم وعساكر الاعداء تكاد تبلغهم ولم يعد بينهم غير بضع خطوات فمذ علموا بتعذر خروجهم لضياع المفتاح رجعوا الى اعدائهم كالاسود الكواسر فجذبوا سيوفهم وهجموا على بعضهم فعلا الصياح بذلك المكان الحرج الضيق وكثر الصراخ فبرقت السيوف وامطرت الدماء وارعدت صعقاتهم فكان يخال للواقف خارج السور بان المردة والجان تتحارب مع بعضها حيث لا يمكنه ان يرى احداً وبالحقيقة كان قتالهم يشبه قتال الجان لان اصوات ابطال العرب كانت تتصاعد كالرعود القاصفة فيرتج ذلك المكان لعظم تلك الاصوات المهولة وتهتز جدرانه

التي ولا عجب اذا تشققت من تلك الصفقات التي هي اشبه بالصواعق

اما الوزير عبد الله وامرأته واولاده فلم يزالوا كما عهدناهم وقوفاً بكل خشوع يقدمون الصلوات الحارة والابتهالات الى الله تعالى ان يخلصهم من تلك الساعة المهولة وينجيهم من هذه الورطة الوبيلة ومن ذلك القتال المرعب الذي كاد يذهب بعقولهم لو لم تمنعهم صلواتهم عن النظر الي المتقاتلين والانشغال عنهم بها . واما عمر العيار فانه كان تارة يدور بين المتقاتلين كحجر الرحى ويحرسهم ويمنع عنهم غدرات الاعداء وطوراً يرجع الى الباب ليعالج فتحه الذي كان يبذل قواه وجميع ما خزن بافكاره من المهارة والتفنن والحيل والخداع بسبيل فتحه او كسره عبثاً وبدون جدوى لانه كان متقن الصنع متيناً لا تنفذ فيه مهارة عمر ولا يقوى عليه بخداعه

وقد كان عندما ناداه حمزة البهلوان على الباب ليبذل جهده في فتحه والسبب في تحذيره لبديع الزمان هو انه بينما كان يعالج قفل الباب اذ حانت منه التفاتة الى المتقاتلين فرأى بديع الزمان يضارب احد عساكر الاعداء بالسيف ورجلاً آخر من الاعداء حاملاً بيده سيفاً وهو يقرب من بديع الزمان وبنيته الفتك به على حين غفلة فصرخ بديع الزمان وحذره كما علمنا فالتفت بديع ورأى ذلك الرجل الذي كان يحاول الفتك به فاقترب منه وضربه ضربة جبار عنيد لا يخاف الموت بالسيف على وسطه فبراه كما يبري الكاتب القلم وتركه على الارض قطعتين لا تتصلان الى الابد

وعند ذلك سمع عمر صوت الامير حمزة فعرفه لاول وهلة واقترب للحال من الباب وصرخ باعلى صوته قائلاً : اقترب يا حمزة وناديني لاعلم اين انت

فعلم حمزة بالتقريب محل وجود عمر من صوته فاقترب من الحائط وقال له ها انا يا عمر فارشدني حالاً كيف يمكنني ان ادخل اليكم

فقال له عمر وقد تهلل وجهه فرحاً وايقن اذ ذاك بالنجاة والخلاص من هذا السجن المظلم : اقترب يا حمزة من الحائط فتجد عوداً مغروساً بين حجارته فارفع

يدك قليلا الى الجهة اليمنى من العود تجد مفتاحاً ضمن قفل فافتحه ونجنا من هذه الحالة المخطرة

وقد كان عمر وضع ذلك العود بالحائط علامة يهتدي بها وهي نفس تلك العلامة التي تكلمنا عنها آنفاً والتي وضعها كما اخبره الوزير عبد الله عند خروجه من عنده قبل مقتل كاووس شاه فمذ سمع حمزة كلام العيار وقد كان كله مسامعاً لم يفته شيء من كلامه وعلم جميع ما اوصاه به بالرغم عن الغوغاء العظيمة واصوات المتقاتلين التي كانت اشبه بالرعود فاقترب من الحائط وقلبه يضطرب وقد خالجت فؤاده تلك الرجفة التي تحدث للعاشقين غالبا عندما يقتربوا من منازل احبتهم مدفوعين بوعردهم ليغنموا فرص الغفلة ويختلسوا اصناء العيش وجعل يبحث بيديه على ذلك العود الذي اشار عنه عمر فكان كالعميان الذين يحاولون الخروج من غرفة فيبحثون بأيديهم على بابها لان الظلام كان شديداً مدلهماً لا يمكنه من روية العود بهذا الليل الدامس ولم يزل يبحث عليه حتى وجده فكانت حالته عندما ظفر به حالة شحيح اضاع شيئاً ثميناً ثم وجده بعد تفتيش طويل وعناء جسيم

فمذ عثر به رفع يده الى الجهة اليمنى كما اوصاه عمر فظفر بالمفتاح وهنا لم يفتكر بشيء اصلا بل انه امتلأ حماسة واداره ذلك المفتاح بقفله فسمع صريره الى الداخل وفتح الباب

فمذ شاهد الامير حمزة ابطاله وبنيه باشد الضيق بهذا السرداب المظلم صرخ صرخة ادوت لها القفار وخرجت كانها الرعد القاصف او صوت قنبلة مدفع وقال ويلكم يا كلاب البر قد اتاكم اسد الغاب وسلطان الموت الزؤام الامير حمزة البهلوان وللحال جذب حسامه وعمد الى الدخول ولكنه لم يقف على ذلك لان العرب مذ شاهدوا فتح الباب كانوا يخرجون منه واحداً بعد واحد ويصطفون بذلك السهل مستعدين لتجديد القتال واصلاء نار الحرب ثانية كأن سيوفهم لم ترتو من شرب ادمية الفرسان ولا عجب فانها اعطش من ثمالة لا تعرف الري من ذلك

وكان اول من خرج من ذلك السرداب الوزير عبـد الله ورهطه الذين ردت ارواحهم اليهم بهذا الفرج غير المنتظر ثم تبعهم العرب واحداً بعد واحد حتى خرجوا جميعاً ولم يتأثرهم الا القليـل ممن دانت آجالهم ودنى يومهم الاخير فصرموا عمرهم وعجلوا من الدنيا مرتحلهم وتركوهم ممددين على الصعيد طعماً لوحوش الغاب والباقون تعوذوا من قتال العرب واركنوا الى الهزيمة والفرار خوفاً على انفسهم وارواحهم العزيزة لديهم فلم يرغب العرب باتباعهم بل قنعوا بما احرزوا من النصر والظفر واكتفوا بنجاتهم من هذا الخطر العظيم فاوصدوا باب السرداب شاكرين الله الذي الهم الامير حمزة ليكون سبباً بخلاصهم ونجاتهم بدون ان يدعوه احد الى ذلك وبدون ان يكون عالماً شيئاً من محل وجودهم

وبعد خروجهم لحصوا بعضهم فوجدوا ذاتهم بتام الصحة والسلامة وكلهم كان غير مبال بما قاسوه كانه لم يحدث شيء وكان ذلك الاسر الطويل وذاك العذاب العظيم الذي تحملوه بصبر وسكينة كان نسياً منسياً او اضغاث احلام لا تستحق الذكر اذ لم يحـدث شيء من التغييرات على وجوههم فانكب الامير حمزة على اعناقهم يهنئهم بالسلامة ويصافحهم ثم ذهبوا الى معسكرهم بدون ان يحدث شيء على الطريق يعيقهم ومذ وصلوا ذهبوا راساً الى صيوان السلطان سعد فوجدوه وكثيراً من الامراء مستعدين لقدومهم وبانتظارهم فترحبوا بهم وهنأوهم بسلامة الخلاص برجوعهم سالمين ظافرين منصورين على اعدائهم من كل وجه وقد غص بهم المجلس وكانوا جميعاً مصطفين جلوساً بمراكزهم حيث كان بنيتهم المذاكرة بامر مهاجمة المدينة وافتتاحها قهراً بهـذه الليلة نفسها لان الامير حمزة كان نبه على قادة الجيش فاوصوا جميع العساكر بان يكونوا بتمام الاستعداد لدخول البلد بهذا الليل

فبعد ما ترتبوا وجلسوا بكراسيهم كاسود الغاب بمرابضها نهض بديع الزمان وصاح قائلاً : اليكم يا حضرة السلطان ويا ابن العزيز ويا سائر الامراء الكرام

اوجه حديثي واعلمكم بصفات اوحد اهل زمانه وباشرف الناس قلباً واعلاهم مجداً واكرمهم عنصراً واسلمهم نيـة وطهارة الا وهو ذلك الكريم النسب الجزيل الشرف الخطير الكامل الجليل حضرة الوزير عبدالله المؤمن بالمهيمن الجبار والعامل بارادته بملء الطاعة والخضوع هـذا هو الذي اعاشنا بعد الموت واحيا ذكرنا بعد ان كاد يدركه الخمول . هذا الذي نجانا من الاسر وعذابه بعد ان كدنا نشرف على الموت هذا الذي رد ارواحنا الينا بعد ان يئسنا من الحياة ونجانا من الموت والصلب بعد ان صدر امر كاووس شاه بذلك وبالاختصار هـذا هو الذي غادر وطنه العزيز وخانه وسلمكم مفاتيح ابواب المدينة وكل ذلك حباً بالعرب المؤمنين وكرهاً للكافرين فاسدوه جميل الشكر ولا سيما انت يا انت لانك مديون له بحياتي وحياة سائر ابطالك الشداد الذين تودهم اكثر من بنيك واعملوا بما يرتأيه ولا تحيدوا عن ارائه اصـلًا بشأن افتتاح هذه المدينة فانه من اعقل الناس واخبرهم وابصرهم بالعواقب واعلمهم بعوائد اهل تلك البلاد

فلما فرغ من كلامه نهض الامير حمزة ودموعه تهل وابلًا ورذاذا من الفرح وتقدم من الوزير عبدالله الذي كان عندئذ بهيئة جليلة كاملة وقد زاده ارتفاعـهُ باعينهم اتضاعاً شأن الكريم الطباع الطاهر القلب وعانقه معانقة اولاده ثم تقدم السلطان وفعل فعله وبعده تقدم الامراء وولاة الامور وكلهم يعانقه ويصافحه ويشكر فضله بدوره وقد عقدت الخناصر على الولاء وارتبطت القلوب بالرضاء والمحبة وشيدت بينهم دعائم الصفاء والالفة بما لا يقدر علي هدمه كرور الايام

فلما فرغوا من ذلك عاد كل الى مكانه وجلسوا يتـداكرون بشأن الهجوم وافتتاح المدينة واستلامها اغتصاباً وطلبوا راي الوزير عبدالله ليرشدهم ويهديهم الى ما يجب عمله فانتصب الوزير عبدالله واقفاً وقال رأيي ايهـا الكرام الامجاد ان تهجموا بجميع معسكركم وبكل قواتكم على ذلك المدينة التي سأعطيكم مفاتيح ابوابها وليكن هجومكم بعزم وثبات كي لا يقدر الحراس والجنود الكثيرة على منعكم من الدخول وليكن ذلك بكل سرعة وبدون

دنى تعويق لانهم ولا ريب علموا بهربي مع ابطالكم الذين كانوا بحفظي مكبلين بالقيود وحيث يعلم الجميع بكوني محتفظاً على مفاتيح ابواب المدينة فانهم بدون شك سيغيرون الاقفال فتكون تعبنا باطلاً ولا تعود المفاتيح وهي املنا الوحيد بالنصر تجديبا اقل نفع لان تلك المدينة ليست كما شاهدتم من المدن فاذا لم نقدر ان ندخل من ابوابها لانقوى على حصارها ولو قضينا العمر برمته ولا نستطيع دك اسوارها ولو استعنا بقوات العالم اجمع لانها بلدة مخصبة عامرة لا يحتاج اهلها الى جلب شيء من الاغلال او غيرها من سواها فانها كثيرة الخصب جيدة التربة نامية الزرع كثيرة الغدران والمياه وان حصونها من امنع الحصون وامتنها فلو اطالت القنابل عليها اعواماً لا تحدث بتلك الاسوار الشاهقة غير بعض تخديشات لا تذكر فيها ان شئتم اتباع اراتي والعمل بما اوصيتكم به استعدوا حالاً للهجوم هذه الساعة ان كنتم تودون فتتاح تلك المدينة والفوز عليها فان تلك هي احسن الفرص المناسبة لذلك

نظر الجميع الى بعضهم عند ما فرغ من كلامه وتشاوروا نظراً فكانوا جميعاً من اتفاق واحد في استحسان رأيه لذلك نهض الامير حمزة وقال هات مفاتيح المدينة ايها الوزير العاقل الخطير فاننا لا نحيد عن رأيك اصلاً ايها البصير الخبير ولا نخالف لك ارادة ولا امراً فانك اوليتنا من الجميل ما لا نستطيع نسيانه الى الابد وان حكمتك وخبرتك لمشهود بهما من اعمالك العظيمة التي اتيت بها الى الان فانا عن نفسي وبالنيابة عن الجميع اقدم لك خالص الشكر واني اوعدك عند دخول [illegible] بانك ستكون لنا [illegible] هذه البلاد [illegible] وهدانا [illegible]

[illegible] الوزير [illegible] المفاتيح [illegible] حمزة [illegible] الفرح والسرور [illegible] الامير حمزة [illegible]

قائلاً [illegible] يا ايها الابطال [illegible]

الله المهيمن الجبار ونستعين به على ارغام اولئك الكفرة وقتالهم

فلم يتم الامير حمزة كلامه حتى انتصب الجميع وقوفاً على اقدامهم وصرخوا بصوت واحد اننا كاننا نتبعك ايهـا الامير الخطير ونفديك بارواحنا لاننا خاقنا لنموت بسابيل طاعتك والرضوخ لاوامرك العالية العزيزة فهيا الى القتال لتشاهد حرب خدمك الامناء وتعلم اننا اتبع لك من ظلك واطوع من نعلك

فسر الامير حمزة من كلامهم وشكرهم على طاعتهم العمياء ومحبتهم الخالصة التي لا ريب فيها ثم خرجوا من ذلك الصيوان يتقدمهم الامير حمزة الاسد الكاسر وكلهم وراءه كرسل الموت الزؤام وقد تعجب الوزير عبدالله من طاعتهم العمياء وخضوعهم الغريب ورضوخهم لاوامره بدون ادنى اعتراض ولا ممانعة فخرجوا جميعاً الى المعسكر واعلنوا لهم بان يكونوا بعد ربع ساعة بتمام الاستعداد والنظام لمقابلة العدو وقتاله

ولم تمض ربع ساعة حتى نفذت اوامر الامير حمزة وامتطت العساكر جميعها ظهور الصافنات السلاهب فتقدموا نحو مدينة الدواليب تخفيهم ظلمات الليـل الدامس عن اعين الرقباء ويقودهم الامير حمزة البطل الغضنفر والليث الكاسر الذي لم يمل من الحروب ولم تؤثر السبعون من عمره به ، لم تنقص شيئاً من شجاعته العظيمة وبسالته العجيبة النادرة المثـال باشد ابطال العالم باساً واكثرهم قوة واقتداراً وعن كان في ريعان شبابه

وما زالوا يسيرا بجيولهم حتى بلغوا ابواب المدينة وكان الامير حمزة قد اعطى المفاتيح الى اخيه عمر العيار واوصاه بان لا يفتح الابواب الا باشارة منه فامتثل عمر ووقف على الابواب وبيده المفاتيح وهو يرد ان يصدر امر اخيه حمزة بفتح الابواب ويدخل المدينـة ليطير الى منزل كسرى وبختيار ويشاهد ما حل بهما وبعسكرهما قبل ما يتمكنا من الهرب والفرار

فرتب الامير حمزة العسكر حسب معرفته التامة بشؤون الحرب وجعل اشدهم باساً بالقرب من الابواب صفوفاً كل صف يحتوي على ثلاثين رجـلاً

من الفرسان المجربين بالقتال لان باب المدينة كان واسعاً جداً حتى انه يمكن لاربعين رجلاً ان يدخلوا منه سوية وبوقت واحد فعلمهم كيف يدخلون وحرضهم على الصبر اذا حاول احد منعهم عن الدخول ومن ثم اشار لعمر العيار الذي كان بانتظار هذه الاشارة على مقالي الجمر بان يفتح الابواب فامتثل عمر بكل سرور ووضع ذاك المفتاح الذي يبلغ وزنه عشرة ارطال بقفله واداره فخرج صوت عظيم لصريره جلب انتباه الحرس الواقفين على الباب والاسوار وقبل ان يتمكنوا من فتح الباب ودخوله كانت انصبت انبال على معسكر العرب انصباب المطر وهطلت القسي عليهم كالسيل اذا همي وضرب النفير وهاجت العساكر وماجت بفناء الباب كالبحر الزاخر وهاجت على الاسوار كالريح القاصفة وكلهم بتمام الاستعداد والنظام يدافعون عن وطنهم ببذل ارواحهم وباكثر ما يقدرون

ولم يكن العرب ممن يهمهم انصباب النبال وتكاثف غيوم القسي فانهم كانوا مجربين بـ[illegible] ابطال اشداء لا يبالون بالموت الزؤام ولا يخشون الردى [illegible] ون ان يرتاعوا لعساكرها التي بلغت حب الرمال عدداً وهم [illegible] الامير حمزة وهو يصيح صيحات ترتعد لها الجبال [illegible] يشد القلوب باساً واشتعلت بينهم نار الوغى ودارت رحى الحرب واعملت الصوارم والقنا ورقصت الجماجم المتناثرة على بساط الصحصحان وعلا الصياح بالمدينة فانتبهت الرجال خائفة مذعورة وهبت من مراقدها بعضها للهرب والفرار وبعضها للالتجاء الى محل الامير وبعضها للحرب والقتال ولم تمض ساعة من الزمان حتى غدت المدينة مزعجت بالرجال فان عساكر العرب دخلت باجمعها وعالم مدينة الدواليب ارتبك جميعه تتدفق الدم انابيباً وطارت الجماجم متناثرة وصرخت النسا مولولة وصاحت صغار الاولاد خائفة كل ذلك وفرسان العرب تصيح وتنادي باعلى صوتها وقد اروروا سيوفهم من دماء الكفرة وانعشوا قلوبهم بالفوز عليهم

ويا لها من ساعة مهولة سالت بهما ارواح الجبناء المتقلصة بحرارة الوهم والخوف وانذهل الشجاع وتحير وندم لخروجه الى معمعة القتال وقد اصبح ذلك الظلام المدلهم الاقتم بهذه الليلة الدامسة المظلمة كالفجر الوضاح ببريق السيوف ولمعانها وسالت ادمية الفرسان على بساط الارض كالبحور الزاخرة تجر بامواجها الجماجم المتناثرة والاجساد البالية وما زال السيف يعمل والدم يبذل ونار الحرب تشعل والفوارس تقتل حتى انطلق الصباح ورعت غزالة السماء كلاء الفلك الصافي فنكصت فرسان مدينة الدواليب على اعقابها واركنوا الى الهرب والفرار من وجوه ابطال العرب الاشداء ملتجئين الى جبال المدينة ومتعوذين من قتالهم الذي يشبه قتال مردة الجان

فكف العرب الحرب والقتال ودار السلب والنهب باطراف المدينة ودام على ذلك ثلاثة ايام متوالية حتى اصبحت فرسان العرب من اغنى الناس واضحت اغنياء تلك البلدة فقراء مثلين لا يملكون شروى نقير وكان كل ذلك برأي الوزير عبدالله الذي اشار على الامير حمزة بان يأمر عساكره بالسلب والنهب بشرط ان يحفظوا جميع ما يسلبونه ولا يتصرفون بشيء منه على الاطلاق ليشفع بسكان تلك المدينة امام الامير حمزة ويستجلب ميلهم اليه ورضاهم عنه وحبهم له بان يكون الواسطة لرد اموالهم اليهم بدون ان يخسرهم ما يساوي عقالاً ولذلك يتمدد بكل راحة ان يكون المتملك على البلد والحاكم عليهم وبان يردهم ويرشدهم الى الدين القويم والصراط المستقيم

وكان عمر العيار عند دخولهم الى المدينة ودارت رحى الحرب واستعرت بين الفريقين تركهم وشأنهم وانطلق عدواً الى منزل كسرى وبختيار ليعلم ما اصابهما هل بقيا بتلك المدينة ام هربا الى غيرها فلما وصل الى القصر شاهد ابوابه مفتحة ونظر الى الخدم واصحاب المنزل يخرجون منه وملامح الرعب على وجوههم لانهم علموا بدخول العرب وامتلاكهم المدينة قسراً فعمدوا الى الهرب والفرار من [illegible] عسكرا بهم امتلك الذريع فايقن عمر اذ ذاك بان كسرى

وبختيار اللذين جاء يطلبهما قد اركنا الى الفرار وادرك بانهما يكونا ولا ريب اول من خرج من ذلك القصر لتيقظهما الدائم ولعلمهما بانهما سيطلبان ويجري عليهما التفتيش قبل كل الناس لان العرب لا تضرم نار هذه الحرب المهولة ولم تهلك بها جانباً عظيماً من عساكرها وابطالها الا بسببهما ولم تترك اوطانها وتئن تحت اثقال مضرات الحروب وويلاتها الا بغاية طلبهما والوصول اليهما للانتقام

فعزم اولاً على ان يرجع صفر اليدين فارغ الوفاض قانطاً من الوصول اليهما ومشاهدتهما ولكنه عدل عن ذلك ولم يكتف بذلك البرهان على خروجهما فعول ان يفحص بذاته ويتحن بنفسه ليرتاح ضميره ويعمل بواجباته فدخل ولم ينظر الى الاستتار والتخفي لانه لم يشاهد احداً بطريقه ليخافه ويخشى غدره وخيانته فقطع سلم المنزل الطويلة الى ان وصل الى باب القصر الذي كان مفتوحاً اذ ذاك فدخل منه الى اول غرفة ثم الثانية والثالثة وفحص تلك الغرف بغاية التدقيق والتحقيق فلم يشاهد احداً ولم يسمع صوت احد فايقن عندئذ بانهم هربوا وعلم بان ذلك المنزل خاوٍ خالٍ لا يسكنه غير طنين اجنحة الذباب وترنم الحشرات

فانتقل من تلك الغرفة التي كان بها الى غيرها يقصد الفرجة على ذلك القصر العظيم واثاثه الثمين لانه يئس من وجودهما وعلم بان ما قاساه من احتمال مشقات الحروب واتعابها ذهبت ادراج الرياح بدون جدوى لانهم لم يظفروا بالغاية المطلوبة من تلك الحرب وهي اخذ كسرى وبختيار وعملهما انتقاماً منهما على ما عملوه وعلى ما جلباه من المضرات الهائلة التي لا تقدر على عساكر العرب فشرع ينتقل من غرفة الى غرفة بدون اذن ولا غاية سوى الفرجة الى ان وصل الى غرفة قريبة من دار ذلك القصر الطويل فوقف متغيراً ناظراً الماء اذناً داخلية لان شعاع الامل قد اشرق في جبينه واناره وجهه الذي كان قبلاً بلامع اليأس والقنوط حيث كان قد سمع اصواتاً وعلم بانها صادرة من الدار ومشتركة ما بين ثلاثة

او اربعة من الرجال لان تلك الاصوات كانت قريبة منه جداً بحيث لو اصغى تمام الاصغاء لعلم بجميع ما كان يدور بين هذه الاشخاص المجهولة منه من الاحاديث

فانتبه جيداً وفتح اذنيه وانصت الى ذلك الاصوات ليفهم شيئاً من تلك المحادثة التي كان يظهر من لهجة فاعلية بانها عظيمة الاهمية فلم يفوَ على فهم شيء لانهم كانوا يتكلمون باللغة الاعجمية التي لم يكن عمر يعلم منها شيئاً ولكنه قدر ان يعرف محل وجود المتحادثين ومصادر اصواتهم فاقترب من باب الغرفة ومد رأسه بمهارة كلية وارتجف من الفرح عند ما رأى اولئك المجتمعين الذين كانت ظهورهم متجهة لنحو الغرفة وعلم بانهم الخوند وابنه وكسرى ووزيره

فسر غاية السرور عند ما رآهم وعمد الى جيبه فاخذ فتيلة من البنج واشعلها ورماها بين ارجلهم فوقعت بالقرب من الوزير بختيار الذي تعجب عمر العيار عند ما شاهده بلحية طويلة كلحيته السابقة

ووقف عمر على الباب نقاب يخفق من الفرح لهذا التوفيق الغريب والنجاح العجيب والصدفة غير المنتظرة ولكن وا اسفاه

ما كل ما يتمنى المرء يدركه   تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

لان عمراً الذي كان ينظر اليهم كما ينظر الصياد الحامل بندقيته ومصوبها على الطائر المستعد لرميه ولكن قبل ما يتمكن من اطلاق النار عليه يطير ويدع بقلبه الحسرة على فقده وهكذا حدث لعمر فانهم قبل ما يتأثروا من البنج ويرتموا على الارض فاقدين الرشد والصواب كالمرة السابقة وكما كان يأمل عمر اذ هبط عليهم من الجو مارد عظيم الهيئة كبير الجثة مهول الخلقة ورفع الخوند وابنه وكسرى ووزيره على كواهله وطار بهم بطبقات الجو الاعلى حيث خرج من الدار الى الفناء ومنه الى الفضاء فحيث الغيوم المتكاثفة

فارتبش عمر عند ما شاهدهم محمولين على كاهل المارد وخفق قلبه عند ما

نظرهم طائرين بدون ان يمكنه الوصول اليهم وقد كان بختيار عند ما حمله المارد نظر الى تلك الدار النظرة الاخيرة كانه يريد وداعها فشاهد عمراً ينظر اليهم بطرف جامد وقد كادت مرارته تتفتت من الغيظ فتبسم له تبسم الاحتقار اما عمر فانه اكتوى قلبه لهذا التبسم الذي يشف عن الازدراء والاستهزاء فقال له حسناً يا بختيار سنجتمع ثانية ان شاء الله وسأنزع عنك هذه اللحية المستعارة من ذيل الكبش وهذا الشارب المأخوذ من ذنب الكلب ورجع على اعقابه اسفاً كئيبا حزيناً حيث انه لم يظفر بهم وندم اشد الندم لتأخره وتفتيشه بالغرف لانه لو لم يفعل ذلك لكان ظفر بهم ولم يدع ذلك المارد يحول ما بينه وبينهم لانهم كانوا تأثروا من البنج فبلغ منهم الوطر قبل مجيئه

واما ما كان من كسرى وبختيار فانهما مذ علما بدخول العرب المدينة وسمعا صعقاتهم المهولة بهذه الساعة المتأخرة من هذا الليل الدامس ايقنا بحلول الاجل وان قد دنت الساعة الاخيرة فرجف قلباهما خوفاً وارتعشت مفاصلهما وهما واسقطا رأياً فلم يعلما ماذا يفعلان وقد شاهدا [illegible] القصر يتركونه افواجاً ويغادرونه غير اسفين على موجدا[illegible] ذلك وهو ا[illegible]واحهم والنجاة بانفسهم سالمين فلم يتنبها [illegible] التسلط على افكارهما بنفوذ عظيم ولم يفعلا العرب [illegible] جامدين [illegible] كالاصنام بدون حراك حتى خلا القصر من الناس و[illegible] عيرهما

فبينما هما على هذه الحالة لا يفكرا بانفسهما ولا يسعيا بطريقة تمهد لهما سبل الخلاص اذ د[illegible] عليهما بغتة وبدون ان يشعرا اخوند وابنه وعلى وجهيهما علائم الشرف وملامح الكدر والكآبة والارتباك وقبل ان يتمكن من الجلوس سألا بختيار و[illegible] قلبيهما عما [illegible] اية [illegible] يمكنهم ال[illegible] من وجه ذلك [illegible] الازرق

اما بختيار فقد كان خائفاً مرتبكاً اكثر منهما ولكن قدومهما رد روحه اليه واحيا بفؤاده ميت امله لانه افتكر بذلك الخاتم الذي بيد ابن الخوند

وانهم يقدرون بواسطة خادمـه ان يذهبوا الى حيث شاءوا لذلك امعن طرفه برهة واعمل فكرته قليلاً ليهتدي الى بلد امين يلتجئون اليه والى ملك جبار عظيم يستظلون بحمايته واجابهما لا بأس علينا فاننا سنقوى على العرب ونبيدهم بقوة ذلك الملك المقتدر الذي سنلتجأ اليه فاستدعيا خادم الخاتم بامكن ما يكون من السرعة لينقلنا الى مدينة العبيد قبـل ان يدركونا ويميتونا شر ميتة

وقد اصاب بختيار بتلك السرعة وتصرف بحكمة زائدة اوحت بها اليه العناية لتمام سعد الامير حمزة كما سيأتي لانه لو تأخر برهـة وجيزة ريثما شرح لهم شيئاً عن تلك المدينة وعن موقعها وعن ملوكها وسكانها لكان تركهم بنج عمر العيار منطرحين على وجه الصعيد لا يفقهون حديثاً ولا يرون انفسهم الا معلقين على ابواب المدينة

ففرك ابن الخوند الخاتم ممتثلاً لاوامر بختيار بذلك السرعة وخاطبه قائـلاً اسألك بحق ما عليك من الاسماء والطلاسم ان تحضر اليّ حالاً ولم يتمم كلامه حتى سمع صعقة عظيمة بالجو ودخان عظيم تكاثف بارض الدار ثم انتفض وبان بهيئة مارد كبير الجثة عظيم الخلقة كريه المنظر وصاح لبيك يا سيدي ها قد حضرت فمر بما تشاء فقال له ابن الخوند هيا وانهضنا جميعاً على كواهلك ثم طر بنا الى ارض مدينة العبيد فامتثل المارد بكل خضوع وحملهم على اكتافه ثم ضرب رجليه بالارض وطار بطبقات الجو الاعلى بينما كان عمر العيار ينظر تارة اليهم وطوراً الى فتيلة البنج المشتعلة بكل اسف وتحسر ويود لو يقدر على عمل شيء يستطيع توقيفهم

فترك النصر ورجع آسفاً نادماً الى قصر كاووس شاه حيث شاهد الامير عبد الله جالساً على سرير من العاج ما بين فرسان العرب المشاهير وقد استلم زمام الملك وتسنم غارب السلطنة وانضم جميع سكان تلك المدينة الاصلية وارشدهم الى عبادة الله الواحد الاحد بمعرفة الامير حمزة ومساعدته لانه كان قد قتل البختيـ من

اقارب كاووس شاه وممن يحقق لهم ولاية العهد دون غيرهم ليأمن شرهم وغدرهم ونفى الكثير من المغرضين لاولئك الامراء والراغبين بهم عن الوزير عبدالله ليأمن شر ثوراتهم وارهب الكثير من اللذين لحظ عليهم الرغبة في مغادرة المدينة ليحافظوا على اديانهم الباطلة وللتربض ريثما تفارق العرب المدينة فيرجعون اليها ويعملون بها ما يشاءوا حتى خضع له كل قاص ودان واشرقت شمس الايمان الصحيح بتلك المدينة الزاهية الزاهرة فانورت ظلمات قلوب سكانها ورفعتهم من قفار الجهل والكفر الى مروج الايمان والدين القويم

وكان الامير حمزة بمنتهى الكدر لانه لم يتيسر له القبض على كسرى وبختيار والخوند وابنه ياقوت وكان آملاً بان عمر العيار يجدهم بعد تفتيش ثلاثة ايام حيث ظن بانهم يكونوا مختبئين باطراف المدينة ولم يكن عالماً شيئاً مما حدث فمذ جاء عمر سأله الامير حمزة مما حدث له بمدة تفتيشه واذا كان عثر بهم ام لا فاجابه عمر واخبره بما شاهده وحصل له بالتمام وكيف رآهم مجتمعين وكيف القى عليهم البنج بدون ان يشعروا به وعن طيران المارد بهم قبل ان يتمكن منهم البنج ويعدمهم الرشد والصواب

فامتعض وجه الامير حمزة عند ذلك لانه كان مصمماً العزم على اتباعهم ولو ذهبوا الى آخر الدنيا وتكدر مزيد الكدر لانه سيجلب باحاقهم اضراراً عظيمة على الفرسان اصحابه كاندهوق والمعتدي وهارون وجميع الذين كانوا بصحبته لا يحملهم على ذلك غير صدق الاخاء ومراعاة الود الخالص ويحملهم اثقالاً جسيمة بسببه وكان يود ويرغب تخفيفها عنهم اي الذهاب بطلب اعدائه برجاله الذين هم تحت صولته وحمايته الخاصة واولاده فقط ولكنهم لم يرغبوا بذلك اصلاً ويحملوا عليه اشد العتب والملام ان فاتحهم بهذا الحديث لذلك جلس عندما اخبره عمر بفرارهم ساهي الطرف مشتت البال ضائع الفكر فاقد الرشد والصواب ثم رفع عينيه ونظر الى عمر ثم سأله قائلاً

او لم تدر اين ذهبوا يا عمر واية بلدة قصدوها لاذهب اليها واجعلها قاعاً

صفصفاً ينعق فيها البوم والغربان

فاجابه عمر العيار قائلاً كلا ايها الامير فاني لم اقدر على ان افهم شيئاً من كلامهم حيث كانوا يتكلمون باللغة الفارسية ولا خفاك باني عربي الاصل وليس لي اقل المام بهذه اللغة الشريفة

فقال له الامير حمزة وقد اخذ منه الكدر كل مأخذ او لم تسمع بما خاطبوا به المارد عندما امروه بحملهم والطيران بهم ولم تسمع لفظة اسم البلدة لان اكثر المدن والاشخاص لا تتغير اسماؤها بجميع اللغات بل تبقى على حالة واحدة ولفظ واحد تقريباً

فاجابه عمر العيار كلا يا اخي فاني لم اسمع ولم افهم شيئاً من ذلك وما لنا غير قاضي العرب يعرف اما من الرمل اين ذهبوا والى اية جهة من البلاد قصدوا فارتضى الامير حمزة من ذلك وسال الوزير بزرجمهر قاضي العرب ان ينظر الى الرمل ويخبرهم عن محل وجودهم اذ ذاك

فامتثل الوزير قاضي العرب وبسط الرمل وجعل ينظر اليه بعيونه اليواقظ وبما اعطي من المعرفة التامة الممتازة بهذا الفن فلم يلبث برهة وجيزة على هذه الحالة حتى عرف محل وجودهم وظهر له كل شيء عياناً جلياً فقال اعلم ايها الامير الخطير ان اعداءك الالداء قد اركنوا الى القرار في هذه الليلة قاصدين مدينة الصيد التي هي قبل مدينة جايرصة احر بلد بالدنيا تبعد خمسة ايام عنها فقط وهي تبعد عن ذلك المكان شهراً واحداً بالتمام ولكن طرقاتها سهلة وهي كثيرة المياه والغدران والخمائل والاشجار والجنائن العديدة التي غرستها يد الطبيعة بهذه الاماكن بكثرة زائدة حتى ان القاطع هذه المسافة الطويلة الى مدينة الصيد يصل اليها وهو لا يعلم بذلك لانه يشمل بخمرة المناظر الطبيعة ويغفل عما قاساه من مشقات السفر لمنتزهاتها المنعشة الانفس والمجددة حياة القلوب

فقال له الامير حمزة وقد سر قايلاً عند ما شاهد باوجه الابطال ملامح وعلائم تدل على ارتياحهم الى السفر في هذه الطرقات البديعة ورغبتهم بسرور

عظيم في المرور ما بين هذه الغياض الجميلة : او هل تعلم ايها الوزير الخبير شيئاً من اخبار هذه المدينة وعوائد سكانها وملكها وما يعبدون

فاجابه الوزير بزرجمهر قائلاً نعم ايها الامير اني اعلم اشياء كثيرة عن هذه المدينة ارويها عن اشهر السياح والمتعمقين في اقاصي البلاد قصد الاكتشاف والاطلاع على موجودات هذا العالم فان هذه المدينة لم تسمى بهذا الاسم الا لكون جميع سكانها عبيداً وهي مدينة حصينة جداً كثيرة المتنزهات جيدة التربة نامية الخصب واما سكانها فانهم بلغوا اقصى درجات التوحش لانهم يأتون اعمالاً تنفر منها القلوب وتستك لها الاحزان وتشمئز لها النفوس حيث انهم يأكلون لحوم البشر ويميلون اليها كل الميل والد اعدائهم هو جنسنا الابيض فمذ يظفروا باحد الذين حكم عليهم نكد الطالع ودنت آجالهم يهجمون عليه هجوم الكواسر ويمزقونه باسنانهم تمزيقاً حتى يموت فينصبوا عليه انصباب العقبان على الجيف ويأكلوه بشره عظيم حيث يجدوا بذلك لذة عظيمة وعدا عن ذلك فان ليس لهم عمل غير السلب والنهب وشن الغارات وسلب حقوق الضعيف العاجز شأن من ختم الله على قلوبهم وابصارهم فجعلهم صماً عن سماع اصوات المظلومين المتيأسين وعمياً عن النظر الى ما يرتكبون من الجرائم والاثام المغايرة لشرائع الله العادلة والنواميس الانسانية

واما اديانهم فانها كثيرة مختلفة فمنهم من يعبد الشمس والقمر ومنهم من يعبد النار الذات الشرر وهم السواد الاعظم من هذه المدينة ومنهم من يعبد الاصنام على اختلاف ضروبها ومنهم من يعبد حسامه وجواده ومنهم وهم النذر القليل الذي لا يذكر من يعبد الواحد الصمد والاله الواحد الاحد وهم لا يستطيعون التظاهر بهذه العبادة خوفاً من قوانين المملكة وشرائعها الصارمة التي تحظر عليهم هذا الامر وتعاقب من تلحظ عليه ذلك باشد القصاص وبدون شفقة

واما ملك هذه المدينة فانه رجل عظيم كبير الجثة مهول الخلقة حالك السواد

واسمه آفة الرقاب والسبب في تسميته هذا الاسم هو انه عندما يحارب يركب على جواد عال ويقاتل كما تقاتل بالسيف والرمح والحراب ولكنه اخترع آلة للقتال يمكنه ان يفتك بواسطتها باشد رجال العالم باساً وشجاعة وهي سلسلة يضعها في ركابه الايسر ويلقيها على مبارزه كما كان يفعل كاووس شاه وسلسلة ثانيـــة يضعها في ركابه الايمن وبرأسها قضيبان من الفولاذ وقد جعل زمبركاً بمنتهاها فاذا تضايق من المبارزة شد على ذلك الزمبرك برجله فنفر ذلك القضيب الفولاذي ذو الراسين وعلق للحال برقبة ذلك الفارس المنكود الحظ فان شاء قتله شد ثانية على الزمبرك فيتمكن القضيب بخناقه ويميته وان شاء اسره رمى عليه السلسلة ذات الشناكل وهو بهذه الحالة فيأخذه اسيراً ويقوده ذليلاً حقيراً

فلما سمع الامير حمزة هذا الكلام من الوزير بزرجمهر تاذي العرب افعم قلبه حماسة ودار بقلبـــه دم العدل والانصاف فود لو قدر على ان يطير باجنحة الطيور ويصل الى تلك الامم المتوحشة ليرفع عن المؤمنين نير الظلم وينشر بتلك المدينة رايات الايمان الصحيح وعبادة الله عز وجل العادل وتذكر بآفة الرقاب وظلمه وغدره فهاج بقلبه الحقد عليه واضطرمت نار الحنق والغضب فانشد:

قربوا مربط المطهم مني   واجمعوني بعدتي وسلاحي
ان يكن آفة الرقاب فاني   ملك الموت قابض الارواح

ثم نهض واقفاً في وسط المجلس وقال مخاطباً اصحابه: اني اسديكم جزيل الشكر ايها الاصحاب المخلصون الذين بذلوا في سبيل نجداتي ارواحهم المزيزة في ساحة القتال ونفوسهم الغالية عنـــد اضطرام نار الحرب واستعار الوغى لما اوليتموني من الجميل الذي لا انساه مدى الحياة بمساعدتكم اياي بهذه الحروب العظيمة في طلب عدوي وتركـكم اوطانكم العزيزة اعواماً عديدة لاسعافي ومعونتي واتباعي في طلب اخذ ثاري من الذي صلبني سبعة ايام بلياليها حتى كاد ينفذ في امر القضاء لولا مساعدة العناية الالهية وسيوفكم المرهفة القاطعة

واني اشعر بعجزي عن مكافئتكم واعلم التقصير عن ايضاح ما يخالج

صدري من الممنونية الزائدة والتشكرات الفائقة كما اني اشعر بجميلكم الذي اثقل كاهلي والذي سيجعل عظامي البالية ترتعش عند ذكركم وتفوه بذكر فضلكم الذي لا ينسى

فغاية ما ارجوه الآن ايها الاصدقاء الاخصاء والاصحاب المخلصون ان تعيروا كلماتي اذناً صاغية وتجيبوا ما سأطلبه اليكم لتزيدوني ممنونية وتغمروني مدى الحياة باحسأناتكم وافضالكم اما طلبي بل رجاي الوحيد فهو اني وطدت العزم على اللحاق باعدائي الى ان ادركهم فاشفي منهم غليلي او يدركني الموت واشرب كاس الحمام فيفوزوا بالخلاص والنجاة وارقد برمسي غير آمل من الزمان جل ما اتمناه

وليس من العدل مهما احكمت بيننا رباطات الوداد واشتدت دعائم الالفة ان تتحملوا من المشقات ومضرات الحروب وويلاتها فوق ما تحملتم وتخسروا قسماً عظيماً من فرسانكم وابطالكم بسبيل غاية حقيرة لاحد اصحابكم وهي لحاق اربعة من زعانف الرجال لقتلهم والانتقام منهم لذلك ارجوكم وأؤمل ان رجائي سيصادف محلاً بقلوبكم بان تكفوا عن الحروب وترتاحوا من مشقات السفر وقد خيرتكم في امرين وهما اما ان ترجعوا الى اوطانكم العزيزة بالسلامة وتتنعموا بلذيذ العيش وترتعوا ببحبوحة الهناء ما بين اولادكم وعيالكم وهذا هو الافضل واما ان تنتظروني بهذه المدينة وتقيمون بها فترتعوا بنعيم العيش وتنسوا مشقات السفر والحروب الى حيث ارجع ان وفقني الله وسهل عليّ الرجوع ظافراً باعدائي فنجتمع هنا ونرجع جميعاً الى السبائل ظافرين منصورين حيث نصلبهم على ابواب المدائن ونقضي ما يفسح لنا الاجل بالرغد والهنا

فلما فرغ الامير حمزة من كلامه وفهم جميع الحاضرين ما اشار اليه ارتفعت ما بينهم الغوغاء وعلت اصوات العتاب واللوم وما منهم الا وكان يخاطبه بما يخجله وينسب له فتور الود والحط بشأنهم لهذا الطلب الذي طلبه اليهم حتى انه لم يعد يعلم كيف يجاوب وكيف يدرأ عن نفسه الملام لانهم جميعاً كانوا باتفاق القلوب

على حب الامير حمزة ويرغبون بان يفدوه بارواحهم ويبذلوا في سبيل رضاه عنهم آخر قطرة من دمائهم فلم يجد الامير حمزة عندئذ غير التسليم بالرغم عنه بما يودون من مرافقته بملاحقة اعدائه حتى انه اضطر لان يتعذر لهم عما ابداه ليدرأ بذلك عنه عتابهم ويمنع ملاماتهم

فاتفقوا اخيراً وعزموا جميعاً على التوجه الى مدينة العبيد بعد بضع ايام يصرفونها بضيافة الوزير عبدالله حاكم مدينة الدواليب ومكثوا عشرة ايام بتلك المدينة صرفوها ما بين ارتشاف عقار وبسط وسرور حتى حان الميقات وآن اوان السفر فازمعوا على الرحيل بالرغم عن الحاحات الوزير عبدالله الذي بذل غاية جهده بان يقيموا اكثر من ذلك عنده ولكن الامير حمزة لم يقبل بذلك نظراً لوجوب السرعة بالسفر ولحاق اعدائه قبل ان يتمكنوا من الفرار الى غير بلدة

فنبه على العساكر بان تستعد للرحيل وفي اليوم الثاني غادر بجيوشه العظيمة تلك المدينة بعد ما نشر عليها راية العرب العرباء وودع الوزير عبدالله بعد ما ضرب عليه الجزية والخراج وعين عليه مبلغاً يدفعه الى خزينة العرب سنوياً وطفقوا يقطعوا تلك الفلوات الشاسعة ويجوبوا تلك الحزون الواسعة يتقدمهم الامير حمزة على ظهر جواده الاشقران كالاسد الكاسر وهو كأنه قلة من القلل او قطعة فصلت من جبل وكانت تحيط به رجاله وبنوه واصحابه وهو بينهم كانه احد ملوك التبابعة وهو يخاطبهم بألطف الاحاديث ويبسم لهم باظرف الهيئات وكلهم يود ان يفديه بروحه ويبذل دون رضاه اعز من حياته

وما زالوا يقطعون الفدافد ويطوفرن بعرض البيد ثلاثة ايام حتى اشرفوا في مساء اليوم الرابع على خمائل وغياض وبساتين ورياض فشاهدوا طريقاً واسعة عريضة الجنبات وعلى يمناها ويسراها الاشجار الباسقة والبساتين المملوءة من الازهار التي كان يفوح مسك شذاها الاذفر فينعش القلوب ويطرب الانفس وداخل تلك البساتين اشجار شتى ملتفة الاغصان كثيفة الاوراق يانعة الاثمار شهية الطعم والمأكل وكان يجري على حافتي تلك الطريق البديعة الجميلة جدولان

كان نبعها من تلك النقطة من الارض ينحدر ماؤهما من صخرة شاهقة عالية ويتصلا الى بحر العبيد فيصبا في بحرها الكبير العظيم

وكانت مياه تلك الجداول بغاية العذوبة رائقة صافية تنساب بمجاريها على مهل كالافعوان وتكسر امواجها الصغيرة الناتجة من عبث النسيم اللطيف بها على الحصى الابيض اللطيف المنظر الكائن في قعر المجاري فتخرج لذلك اصوات تهيج القلوب وتشمل العقول وتجعل اعظم الناس كفرًا وزندقة يسبح بالرغم عنه الخالق ويمجده على ما اوجد

وكان القمر في تلك الليلة الجميلة بدرًا وهو يتلألأ بالفلك الصافي كأنه دينار وضاح ملقى على ديباجة زرقاء وينفذ بأشعته المضيئة على تلك المياه فتموج انواره بها نظرًا لحركة الماء ولحركة الاغصان الملتفة التي كان يعبث بها برد النسيم اللطيف فتتحرك خيالاتها على سطح تلك المياه اللامعة وتميل كأنها نشوانة من الطرب فتكسب تلك المياه الطف المناظر واعذبها

اما العرب فانهم ثملوا بخمرة هذه المناظر الطبيعية ونسوا جميع ما قاسوه من المشقات واصبح ما هم قادمون لاجله نسياً منسياً عندهم فدخلوا تلك البساتين افواجاً وقد عزموا على المبيت بها تلك الليلة وطفقوا يترغون ويعتقرون المدام الصافي ويجنوا تلك الاثمار الشهية اللذيذة ويتنشقوا تلك الرياحين العطرية المنعشة فلندعهم برهة على هذه الحالة المسرة التي يحسدهم عليها اشد الناس قناعة يجددون ابرام العهود بتبادل الازهار لنعود الى الذين غادرناهم على كاهلي المارد طائرين في طبقات الجو الاعلى فنقول

ركبوا كاهل المارد وامتطوا متن الفضاء فسار بهم ذلك المارد يقطع طبقات الجو ويجوب فلوات الفضاء بسرعة الرياح قاصدين مدينة العبيد فحلق بهم بالجو وتعلى وما زال ينخفض تارة ويرتفع احياناً حتى هبط بهم في اليوم الثاني من رحيلهم باحدى الخمائل النضرة وكان ذلك البستان الذي نزلوا اليه يبعد ثلاثة ايام والسبب في نزولهم بذلك المكان هو انهم بينما كانوا يسيرون على كواهل المارد

بالفضاء اذ اصابت كسرى نوبة عصبية فجائية انتجتها احزانه العظيمة وكدره المفرط وندمه الفائق الحد لانه كان مال الى الامير حمزة كل الميل وعرف خطأه وغلطه واساءته الى من هيأ له عرش الملك الكسروي ووهبه تلك الهيئة العظيمة كرماً منه واحساناً لانه كان قادراً على ان يحرمه من ذلك ويستلم زمام تلك المملكة العظيمة بدون ادنى معارض على الاطلاق

وقد احب الامير حمزة بقدر ما كره وزيره بختيار لانه ايقن بانه كان السبب الوحيد بخسرانه صداقة الامير حمزة الطاهر القلب الصادق النية وادرك بان قصاراه بذلك الانتقام لوالده بختك فعزم عندما دخلت العرب مدينة الدواليب ان يذهب الى الامير حمزة ويكب على اقدامه طالباً منه الصفح عما اساء اليه فان عفا عنه واقاله عثرته فمنة واحساناً وان ابى الا الانتقام والمعاقبة فالعدل الواجب ولكن حال دون بغيته مكر وزيره وخداعه واساليب دهائه التي توقع بشراكها اعظم الناس حكمة وذكاء فامتثل على غير رضى واطاع غير قدى واءتطى مع من ركب على كواهل المارد متن الفضاء حزيناً كئيباً آسفاً باكياً شاكياً نادماً لا يفقه حديثاً ولا يعلم ابن يسير

فقطعوا تلك الفلوات الشاسعة مساحة شهر بيومين وكسرى كما تكلمنا عنه كان لم يذق الطعام باهتاً جامداً حائراً يرسل الزفرات والتنهدات العميقة ينظر الى المناظر الطبيعية المدهشة التي كانت تمر من تحته مر السحاب بنظر جامد وينظر بقلبه الى احزانه وحالته الموجبة الشفقة حتى اصابته تلك النوبة الفجائية الناتجة عن الاحزان المتواترة وجعلته غير قادر على السير خطوة واحدة

فلحظوا منه ذلك لانه كان مرتبط اللسان لا يقوى على الكلام وتشاوروا ببعضهم فيما يجب عمله فارتاوا اخيراً الى ان ينزلوه عسى ان يخف عنه ذلك الالم ويخففوا عنه مصادمة الرياح الباردة التي كان يشير عنها بانها تؤذيه وتضره كثيراً فانزلاه بذلك البستان الذي كان شذا ازهاره العطرة ينعش قلوبهم ووضعوه على فراش نسجته يد الطبيعة من الزهور الخضراء فارتاح نوعاً ولكنه بقي بتزيد

القلق والاضطراب لانه كان بحالة مخطرة جداً تنذر بقرب موته

وكان بختيار يزيد القلق والارتباك على سيده ليس لكونه يحبه فانه لم يحب احداً بزمانه غير نفسه ولكنه كان له منافع وصوالح عديدة ببقائه بقيد الحياة اهمها انه لايقدر ان يلتجىء الى احد اذا لم يكن مشفوعاً بسيده كسرى الذي عم صيته اهل الخافقين وذكره من مشارق الارض الى مغاربها وبذلك يفقد امله من الرجوع الى اوطانه والاستبداد بآرائه والانتفاع بفوزه فطفق يبحث بذلك البستان عساه يجد شيئاً ليسكن آلام كسرى واوجاعه فلم يهتد على ذلك لانه لم يكن يعلم من الحشائش والنباتات الكثيرة بهذا البستان ما يضر وما ينفع ولم يكن بتلك الاراضي منازل ليستطيع بواسطة سكانها على منفعة سيده بل منفعته الذاتية فجعل يدور بأرض ذلك البستان الانيق على غير هدى ولم يزل ينتقل من مكان الى مكان ومن شجرة الى غيرها حتى نظر بغتة وهو على هذه الحالة الكئيبة كوخاً صغيراً مبنياً على جذع شجرة عظيمة الارتفاع واسعة الفيء والظل

فتعجب بختيار من ذلك واندهل اشد الاندهال لوجود سكان بهذه الاراضي المقفرة الا من الحقول والازهار وسر نوعاً لانه تأمل بان يجد بذلك الكوخ اناساً يقدرون ان يساعدوه بعيالة كسرى فاقترب من ذلك الكوخ الذي كان مصنوعاً من اغصان الاشجار الغليظة حتى وصل اليه فوجد بابه مفتوحاً فتقدم لجهة الباب بجرأة وبسالة لم يكن معتاداً عليها وولجه متأثر للحال وتخشع بالرغم عن مبادئه الفاسدة لانه شاهد رجلاً كهلاً بلحية طويلة يطفح منها نور الشيب وبقامة منحنية لكرور الايام وتوالي السنين وهو جاث على ركبتيه ورافع عينيه ويديه الى السماء يدعو الله ويقدم الصلوات الحارة بمنتهى الخشوع وبين يديه غلام بهي الطلعة مورد الخدين رشيق القوام عذب المقبل ساجي اللحاظ كأنه المراد بقول الشاعر :

ظبي من الترك من هندي ناظرهُ ... في كل جارحة منا جراحاتُ
ابدى النبالة لما ان اصاب به ... قلبي ولله في الدنيا اصاباتُ
وان اغار بدور التم كان لها ... من الاسود اذا صالوا اغاراتُ

صفا فابصرت وجهي في محاسنه   والمرء للمرء في ما قيل مرآة
اشكو الى ردفه المرتج لو سمعت   شكوى الغريق من الارداف موجات
ومذ بدا عقرب الاصداغ لما جرت   تبدو لنا منه في الوجنات حيات
عجبت من خمر فيه مع حلاوته   ان كرر اللفظ في شيء مرارات
اشتاق شامات مسكي بمبسمه   حياتها لنفوس الناس اقوات
مخبأ تحت اصداغ معقربة   وفي الزوايا كما قالوا خبيات
في صفحة الخد نصبات مصرحة   وللمدامع فيهـا ماجريات
رشاقة الرمح من اعطافه وله   من اسهم اللحظ في العشاق رشقات
افدي من الترك اقمارًا يحيط بها   من الجواسيس في الاسماط هالات
من كل فاتكة فينا لواحظه   سود وللبيض في يمناه فتكات
وطال اعراضه عني فقلت له   ما فيك يا ظبي للعبد التفاتات
سبي العذارى به لما لداه فلم   تبتل للارض منهن الذوابات
ان خفت اجفان عينيه وكر لها   لها على اخذها الارواح نصات
في البروق اشارات لمبسمه   وفي عبير الصبا عنه عبارات
يا حسنها حسنات لم تزل ابدًا   تمحي بهـا من تجنيه اساءات
اسائل الصدغ عما قد تفطر في   عنقوده تحت صحن الخد حبات

وذلك الغلام الجميل واقف بين يدي الشيخ الجليل يشاركه بصلواته فوقف بختيار برهة ريثما فرغا من صلاتهما ثم تقدم منهما وقبل يدي الشيخ وسأله بكل احترام قائلًا

اود ان اسألك ايها الشيخ الكامل الورع اذا كان يوجد احد في هـذه الاماكن المقفرة له المام بفن الطب فان برفقتي رجلًا اصابته نوبة فجائية وقد غادرته على بساط الارض بحالة مخطرة جدًا فهل لك ان ترشدني الى ذلك وتغنم الاجر والثواب

وكانت ملامح الرعب والخوف ظاهرة على وجه بختيار بكل وضوح لانه

خشي على سيده كسرى من الموت وقد بينا ما يلحقه من الضرر اذا تم ذلك الامر فنظر اليه الشيخ وقد كان من فحول الاطباء وابرعهم بهذا الفن وهو الذي شاهده الامير حمزة عند محاربة الخوند وشفاه من جرحه الاليم كما شفى ابنه بديع الزمان وذلك الولد الذي يصحبه الشيخ هو نفس الغلام السابق الذي نظره حمزة هنـاك وتاق اليه بدون ان يعلم السبب في ذلك وتحركت في قلبه لواعج الشوق اليه بدون ان يكون له سابق معرفة به ثم قال له واين هو ذلك المريض فاعالجه وعساي ان اشفيه من تلك النوبة وانجيه من تلك الآلام

فتوسم بختيار بوجهه خيراً وقال له هيا فاتبعني ايها الشيخ المهاب الجليل فانه لا يبعد الا القليل من هنا وعساك ان تشفيه بما اعطيت من المهارة بهـذه المهنة الشريفة وتمهد لنا سبل الخلاص والذهاب الى حيث كنا ذاهبين فنسديك جزيل الشكر الى الابد ولا ننسى فضلك واحسانك مدى الحياة

فقال له الشيخ حسناً سأتبعك ثم حول عنه نظره الى ذلك الغلام الجميل وقال ... او هل تريد الذهاب معي يا ولدي فتشاهـد ذلك المريض المسكين ونتنزه ... تنـ بذلك البستان النضر الزاهر فتسلي نوعاً وتفرج بعض همومك وتزيل عنك ... ات بالنظر الى مصائب الناس الكثيرة

فاجابه الغلام بصوت عذب لطيف سلب به عقل بختيار قائلاً اني اود يا ابتاه بان ابقى بمكاني لاني واجد لذة عظيمة بالصلاة والابتهال الى الله وان شئت ذهبت بصحبتك لانك صاحب النفوذ والسلطان المطلق عليَّ وانت وليُّ امري فأمر بما تشاء لاني لا اعصي لك امراً ولا اخالف لك ارادة

فقال له الشيخ وقد ترقرق بعينيه دمع الحزن احفظ لنفسك راحتك يا ولدي العزيز وابقَ هنا فاني سأرجع اليك بالحال ثم التفت الى بختيار وقال له هيا فلنذهب الى ذلك المريض الذي تقول عنه سوية

ومشيا سوية بذلك البستان العجيب البديع وبختيار يموج بتيارات الذكرى والتأمل لانه كان في طول مدة اقامته عند الشيخ ينظر الى ذلك الغـلام بعين

الناقد البصير ويفحصه من قمة رأسه الى طرف اقدامه وهو يخال كانه رأى تلك الصورة الجميلة وتلك الهيبة الشريفة مراراً قبل الآن فكان يعمل الفكرة ويجتهد عبثاً بتحقيق معرفة ذلك الغلام وما زالا يمشيان بذلك البستان وكل منهما مشغول عن محادثة صاحبه بافكاره وقلقه حتى بلغا المحل الذي كان منطرحاً عليه كسرى يحيط به الخوند وابنه وهو كالميت لا يفقه ولا يعي لشيء لفرط الامه التي كان يصيح منها بما يفتت القلوب تأثراً واشفاقاً

فمذ وصلا تقدم بختيار من كسرى وقال له انهض يا سيدي فقد ساقت الينا الصدفة امهر اطباء العالم لمداواتك فنظر كسرى الى بختيار ثم الى ذلك الشيخ بعينين فاترتين كانه يستنجد بهما ذلك الطبيب على آلامه ثم نهض بكل عناء بمساعدة وزيره الذي لم يكن منتبهاً الى شيء اذ ذاك نظراً لانشغال افكاره بذلك الغلام

ففحصه الطبيب نظراً وجس نبضه وفحصهُ فحصاً مدققاً فعلم من نفسه مرضه وادرك بانه عضال لا يبرأ قبل مدة من الزمن ولا تنقص عن الشهر الكامل فاعلن لهم ذلك وانه لا يمكن ان يبرح من مكانه قبل شفائه خوفاً من تجديد المرض

فعلموا ذلك وما منهم الا من تكدر وانغم لهذا الانذار المشؤوم الذي سيقف كأشد الموانع في سبيل خلاصهم ونجاتهم من العرب الذين هم زاحفون بطلبهم كالجراد ولا ريب بانهم سيمروا من هذا المكان فأين يرحلون واين يغادرون كسرى الذي لا يجدون اقل نفع بدونه ثم سألوا الطبيب اذا كان يمكن نقله لاحدى المدن القريبة حيث يصير تطبيبه بها فأبى وقال لهم ان ذلك المريض لا ينقذ من علته ما لم يتم تلك المدة التي اخبرتكم عنها ولا تأملوا بنجاته من هذا الداء العضال ان حاولتم نقله والذهاب به وهو على هذه الحالة فالاوفق لكم وله ان كنتم تحبون ابقاءه بقيد الحياة ان تعملوا بما ارتأيته وتبقوا ال كرخاً من اعيان الخور نكوخي وتحرزوه به ريثما يبرأ سالماً فتذهبوا اذ ذاك الى حيث شئتم

فامتثلوا لامره بالرغم عنهم وبنوا لكسرى كوخاً صغيراً ووضعوه به بكل راحة ورفاهية وبنوا لانفسهم كوخاً كبيراً بالقرب منه وسهروا تلك الليلة بالقرب من كسرى يمرضوه ويعالجوه حسبما اشار الطبيب الذي كان بختيار ينظر الى الادوية التي كان يركبها باتم الانتباه من بعض حشائش ونبات البستان حتى علم بالتمام كيفية تركيبها وصار يقدر على تطبيب سيده بنفسه ان احوجه الامر الى ذلك

وفي اليوم الثاني جاء الشيخ لعيادة كسرى فوجده بحالة مسرة احسن من الامس وقد ارتفع عنه خطر الموت فاعطاه علاجاً مقوياً واوصاهم كيف يستعملوه ورجع الى كوخه حيث كان الغلام ينتظره بفروغ الصبر لانه لم يكن يقوى على فراقه فمذ وصل اليه قبله قبلة ابوية بين عينيه وقال له اني اراك ياولدي العزيز شاحب اللون مضطرب الوجه فهل اصابك شيء بمدة غيابي

فاجابه ذلك الغلام نعم يا ابتاه فاجلس لاقص عليك ما جعلني بهذه الهيئة المضطربة وهذا الوجه الكالح المصفر خوفاً ورعباً

فجلس الشيخ بالقرب من الغلام وقد ارتاع لهذا الكلام وقال له هيا يا بني تكلم ولا تخف شيئاً ما زلت بقربك فاني امنع عنك جور المعتدين واحرسك بمعونة الله القدير من غدر الخائنين الماكرين

فتنهد الغلام وقال اعلم يا ابتاه انه بعد ذهابك من قربي لعيادة ذلك المريض الغريب المسكين الذي ساقته الينا الصدف والتقادير لتجديد همومي وتذكار غربتي وانتزاحي كنت مقيمة حيث انت جالس وراكعة على ركبتيّ اقدم الصلوات الحارة لله سبحانه وتعالى واسأله بملء الخشوع ان يطيل حياتك ويمهد سبل الراحة لجميع الصالحين وبينما انا في هذه الحالة مستغرقة بصلواتي اللذيذة اذ حانت مني التفاتة نحو باب ذلك الكوخ فارتعشت واضطربت وارتجفت مفاصلي لاني وجدت به ذلك الرجل الذي جاء اليك الامس باحثاً عن طبيب ليطبب رفيقه وهو ينظر اليّ بنظر جامد واعين باهتة وبهيئة رجل شرير بما اوقع الرعب بقلبي وجعلني بغاية الارتعاش

فمذ شاهدته وقد كان شعري مسدولاً على اكتافي بما يظهر حالتي ونظراً لكوني من ذلك الجنس الضعيف الذي لا يقوى على تحمل مثل هذه المشقات ولكوني لم اكن معتادة على مثل هذه المفاجأة ولا متحسبة لها اضطربت وتلعثمت قائلة له من الخوف

ما الذي حملك على المجيء الى هذا المكان في مثل هذه الساعة وما حاجتك ايها الرجل الغريب الينا

فاجابني وهو يتصنع تبسمات لطيفة انذرت بخبثه ومكره وقد ادرك من شعري الطويل المسدول على اكتافي ومن خوفي النادر الوجود باجبن الرجال عند حصول اعظم من هذا الامر بأني لست غلاماً : ان الذي حملني على المجيء هو رغبتي بان ارى اباك الجليل واذهب به الى ذلك المريض الذي عاده بالامس واني اسألك المعذرة لان هذه هي غايتي الوحيدة وجل قصدي بالحضور

فاجبته ولم يخف عليه خوفي الشديد واضطرابي الظاهر من ارتجاج صوتي وارتجافه قائلة : حسناً فيمكنك ان ترجع الى حيث اتيت لان الذي اتيت الآن بطلبه قد ذهب اليكم منذ الصباح

فتبسم عند كلماتي تبسم المكر والخديعة ودخل الكوخ فجلس على كرسي كان موجوداً امام الباب وتظاهر بأنه لا يسمع كلامي ولم يفهم غير عكس معناه كأني امرته بالجلوس فجلس وقال لي اني لم آت ايها الغلام الجميل لرؤية ابيك لاني اعلم منه الغيرة على الناس ومحبته العمياء لبني جنسه فكنت موقناً بانه يذهب لعيادة المريض من تلقاء ذاته ولكن قصاراي بالمجيء لهنا مترقباً غياب والدك لاسألك مسألة تهمني كثيراً معرفتها فهل انت ايها الغلام المحبوب ابن لذلك الشيخ الجليل الكامل ام انه تبناك فارجوك ان تتكرم عليَّ بالافادة عن ذلك كما اني ارجوك ان تخبرني عن وطنك وكيف غادرته

فمذ شاهدته يطلب اليَّ هذا الطلب بقحة زائدة وجسارة عجيبة ارجست منه خيفة ولم اعلم كيف اجيبه فاضطربت وارتجفت وانتاجت وخفت كثيراً ولكنني

تغلبت اخيراً على هذه المخاوف الشديدة واكتسبت شيئاً من الشجاعة بالطلب الى الله تعالى ان يقيني كما وقاني وحفظ لي عفتي وطهارتي في السنين الغابرة وقلت له استحلفك باعز شيء لديك ايها الرجل الغريب مثلي ان تتركني وشأني غارقة بصلواتي ولا تحرمني تلك اللذة العظيمة عندي ان كنت تراعي جانب الانسانية وترعى حقوق الشرف والعدل

وقد ظننت عند ذلك بان كلماتي تؤثر به شيئاً وتجعله يشفق عليّ ويدعني ولكنني علمت اخيراً بانها ذهبت ادراج الرياح ولم تفعل به اكثر من فعلها بالحجر لانه عوضاً من ان يتركني ويذهب لشأنه اقترب مني بهيئة حركت سكنات قلبي فصارت حركاته مسموعة مني وقال لي لمَ الخوف يا سيدتي فاني اعرف حقيقة المعرفة انك امرأة جار عليك نكد الطالع فجابت الفلوات الشاسعة وقطعت الهضاب والبطاح حتى وصلت الى هذه الاماكن ولكن مرادي ان اعلم شيئاً ولو القليل من تاريخ حياتك لاني اعرف امرأة تشبهك تماماً ويهمني كثيراً ان اعرف محل وجودها ومن اي الاماكن هي فلا تبخلي عليَّ باخبارك اياي عما تعرفينه ولا تخافي شيئاً فانك ستجدين مني رجلاً حكيماً عاقلاً مهذباً اديباً لا يعتدي على حقوق احد الناس ولا يكدر راحتهم البتة

ولكن هذا الكلام الذي ظن بانه يحملني على عدم الريبة والشك به ويجعلني أخبره بكل شيء بدون ان اخافه لم يكن الا ليزيد خوفي واضطرابي فقلت له انك تحاول عبثاً ايها الرجل ان تعلم مني شيئاً فاذهب ولا تكدر راحتي فكن اديباً والا ارجعتني الى معاملتك بغير هذه الطرق

وقد قلت له هذه الكلمات بمنتهى الجفا والحدة لاني سمعت صوت سعالك اللطيف عن قريب فرددت اليَّ قواي وسكن جأشي واكتسبت شجاعة جعلتني غير خائفة منه اصلاً اما هو فانه لا شك سمع من سعالك النبأ بقدومك ما سمعته نفسي من العاقبة وانسل من باب الكوخ ولكنه رمقني عند خروجه بنظر غضوب وقال لي لازمي الكتمان قدر ما شئت فلا يهمني ذلك حيث اني علمت كل

شيء وهذا هو يا ابت العزيز سبب قلقي واضطرابي الذي شاهدت علائمه حائلة على وجهي عند ما دخلت اليّ

فتكدر الشيخ من ذلك الامر مزيد الكدر ولكنه اخفى عنها ذلك وقال لها لا باس يا مهردكار فسأصحبك معي في كل يوم عند ذهابي الى هـذا المريض وان شئت ان تبقي هنا فاني سأمنع ذلك الرجل عن المجيء الى هنا وبعد ذلك فلا خوف عليك

فاجابته مهردكار قائـلة نعم يا ابت وانك تعمل بذلك راحتي لاني لا اود مغادرة ذلك الكوخ واني اود البقاء هنا لاقدم واجباتي نحو الله الكريم العادل واختلي بنفسي بذلك الكوخ الحقير لهذه الغاية نفسها لاني لم اعد الان اخشى مفاجئة ذلك الرجل لانك في كل يوم تذهب اليهم فتفحصهم وتنظر اليهم فان لم تجده بينهم فتعلم ولا شك بانه هنا فتدركني وتحجب عني وجهه الشرير

فطيب قلبها وسكن جأشها حتى هدأ روعهـا وجلست واياه يتحادثان كسابق عوائدهم

اما الرجل الذي فاجئها هذه المفاجئة فهو بجنيار الخائن والسبب في ذلك انه عند ما شاهد مهردكار اولاً بصفة غلام جميل ارتاب بهـا ولاح له وجه الشك بكونها غلاماً لانه كان يعرفها حقيقة من عهد ابيها ولم تذهب السنون المتوالية وكرور الايام بشيء من جمالهـا البديع المفرط الا بشيء يسير من غزل عينيها وصفاء وجهها الذي كان ولم يزل كالمرآة

فمذ شاهد تلك الهيئة وقف جامداً باهتاً يفحص تذكراته عساه يجد بينهـا رسماً لهذه الهيئة الشريفة الوضاحة فتذكر مهردكار ولكن هذه الذكرى كانت كسحابة صيف قريبة الانقشاع لان بجنيار لم يكن من الذين يعتقدون بقيام الموتى من القبر وكاد يذهب ويضمحل عنه ذلك الشك والريب ولكنه كان يهيج بمخيلته رسم تلك الهيئة الطافحة بنور البشر والجمال وذلك الوجه النقي الوضاح والثغر الأملي الباسم فتعود اليه ظنونه اعظم من الاول بمـا لا يقوى على ازالتها

تغير زيها المتلبس بهيئة الغلمان

فذهب ومكث طول ذلك الليل والنهار تعبث به رياح القلق والاضطراب ويموج بتيارات الارتباك والذكرى حتى اشرف الصباح فعزم على معاودة النظر اليها والحكم عليها فترقب مجيء الشيخ اميادة كسرى وذهب اليها فجرى ما رويناه

وعند ما خرج من عندها سمع صوت سعال الشيخ كما تقدم

فايقن بانها مهردكار وعلم الحقيقة بالتمام وارتفع من حيز الاضطراب والقلق الى حيز الجزع والخوف لانه ايقن بانها ستجد اخاها كسرى وتعرفه ويتفقا على تركه واللحاق بالامير حمزة لان كسرى سيجد شافعاً عظيماً يمحو اساءته الماضيــة ويرفع عنه حنق الامير حمزة عليه الذي اثقل كاهله وجعله يقطع الفلوات ويطوي البيد هرباً منه وهو اخته وزوجة الامير حمزة التي رمى بنفسه الوفاً من المرار بالتهلكة لاجلها واما هو فكيف يذهب والى اين يسير والى من يلتجيء وهو الخامل الذكر عند الملوك بعكس كسرى الذي ملأ صيته الخافقين وسار ذكره من مشارق الارض الى مغاربها يحمل اخبــار قدرته الفائقة وملكه العظيم

فذهب رأساً الى كوخه وهو ساهي الطرف مشتت البال فاقد الرشد والصواب وانفرد لذاته تحت احــدى شجرات ذلك البستان غارقاً في لجج التأملات يعمل الفكرة في طريقة تمكنه من حل هذا المشكل الغويص وما زال على هذه الحالة الى ان خيم الظلام وهوت الشمس للمغيب والاحتجاب تحت شفق الافق الاحمر نافرة من هيئته الشريرة ومتكدرة لانها بالرغم عنها كانت تشمله باشعتها المضيئة فدخل على الخرند وابنه ياقوت فوجدهمــا جالسين يتباحثان بمرض كسرى وكل منهما يظهر كدره واشمئزازه من حصول هذا العارض الفجائي الذي اعاقهم عن نوال غاياتهم وجعلهم عرضة للمخاوف والتحسب لمداهمة العرب

فجاس بينهم صامتاً باهتاً مفتكراً على غير عادته بما جلب انتباههما فسأله

ياقوت بن الخوند . قائلًا ما شأنك يا بختيار لا تتكلم ولا تبدي اشارة ويظهر من ملامح وجهك بانك في غاية القلق والاضطراب فهل جد ما جعلك بهذه الحالة المكدرة مثلنا لمرض كسرى وتعويقنا عن المسير

فنظر اليهما بختيار وانتبه من غفلة تصوراته ثم اجابه نعم يا ياقوت فقد جد من الامور الموانع ما يعرقل مساعينا اذا لم نتلافى الامر قبل وقوعه

فتعجب ياقوت من ذلك وتكدر لهذا الانذار المشوم بعكس ابيه الخوند الذي كان جالسا على بساطه لا يود ان يكلمه فيزعجه احد ولا يريد ان ينظر الى احد خوفا من ان يحسب ذلك منه تنازلاً وخفضاً لمقامه الرفيع العلي ثم سأل ياقوت بختيار قائلًا وما الذي جد يا بختيار انبئنا فاني اشعر من قلبي بقرب حلول الاجل وبتراكم الويلات

فقال له بختيار بصوت مرتجف من القلق كمن وقع بوهدة اليأس والقنوط : لا شيء سوى ان الموتى قامت من القبور وقامت كعثرة في سبيل آمالنا

فانذهل ياقوت من ذلك وقال له وما المراد بذلك يا بختيار اخبرني فان هذا لمن اغرب الامور وابعدها عن التصديق

فقال له بختيار دعنا من ذلك الآن ياياقوت فسأخبرك عنه فيما بعد لانه حديث طويل يستغرق مدة طويلة من الزمن واستدع لنا في الحال خادم خاتمك لارسله في بعض المهمات لانه ذلك ضروري جداً

فاطاع ياقوت بدون ان يفهم شيئـاً من ذلك وامتثل لامره بكل خضوع وبدون ان يعرف السبب وفرك خاتمه قائلًا له : استحلفك بما عليك من عظيم الاسماء ان تحضر الي في الحال . فلم يتمم مقاله حتى حضر المارد الطويل العظيم المهول وقال له لبيك يا سيدي فها قد حضرت حسب الامر المطاع فمر بما تشاء

فنظر اليه ياقوت وقال له بصوت الآمر اني آمرك وانا وليك بان تعمل بمشيئة بختيار وحسب ارادته وبان لا تخالف له امرًا ولا ارادة والا حرقتك بالنـار وجعلتك رماداً يذر بالهواء

فارتعش المارد ونظر الى بختيار قائلاً مر يا سيدي بما تشاء فاني لك اطوع من العبيد واتبع لاوامرك العالية من ظلك لك

فافتكر بختيار برهة ثم قال له اذهب حالاً الى مدينة الدواليب وابحث هناك على العرب فاذا لم تجدهم بتلك المدينة ابحث عن محل وجودهم واتبعهم اينما كانوا فاذا وجدتهم هناك تريا بزيهم واعلم منهم نواياهم وافكارهم واذا وجدتهم علموا بمحل قصدنا قادمين الينا فسر بصحبتهم وقبل ان يصلوا الينا بثلاثة ايام اقبل اليَّ حالاً واخبرني بذلك وهذا الذي اطلبه اليك فاذهب بسلام

ولم يفرغ من كلامه حتى ضرب رجليه بالارض فسمع له قعقعة كانها الرعد القاصف وطار بطبقات الجو فاختفى عن الاعين كل ذلك والخوند لم ينظر اليهما باهتاً الى الارض فكان مثله مثل النعامة التي لا ترفع نظرها عن بيضها خوفاً عليها من الفساد

فاضطجع كل في مكانه واختلى بختيار بياقوت فاخبره بجميع ما يعرفه عن مهردكار وجميع ما علمه ورآه فعرف عندئذ اسباب اضطراب بختيار ومخاوفه وشاركه بها فناما على بساط الجزع والخوف والتحسب ونام الخوند على فراش اخضر نسجته يد الطبيعة التي ساوته فهماً وادراكاً بما نسجت

فلما اشرق الصباح ورعت غزالة السماء كلاء الافق الصافي نهض الجميع من النوم وعزم الشيخ على عيادة كسرى كعادته واجبر مهردكار على الذهاب معه بصفة غلام اما هي فابت اولاً وامتنعت عن الذهاب معه ثم اذعنت لرايه وامتثلت لاوامره فذهبا سويا لعيادة كسرى الذي كان اصبح بحالة قريبة من الشفاء التام نظراً لاعتناء ذلك الطبيب النطاسي به ومعالجته بانفع الادوية واجودها

ولم يكن احد منهما عالماً بشيء من اخبار كسرى ورفقاءه بل كان يظنان بانهم غرباء من السياح او من الدراويش يجوبون البلاد بقصد الفرجة ويطوون البيد والفلوات الشاسعة بقصد الاكتشاف والتنزه والاطلاع على بعض المدن

المجهولة عندهم ومعرفة عوائد سكانها فمذ وصلا الى الكوخ الذي كان كسرى انو شروان الملك العظيم ملقى به على بساط من النبات الجاف لمنع الرطوبة وتحت رأسه وسادة اتخذها من ثيابه وعليه دثار من جبة غليظة تقيه من برد الليل وضره دخلا عليه فوجداه ناظراً الى الارض غارقاً بلجج التصورات وهو هزيل شاحب اللون اصفر الوجه نحيل الجسم فبادئاه بالسلام ومذ سمع صوتهما وعلم بقدومهما رفع نظره اليهما ورد عليهما السلام بالطف هيئة واعذب كلام

ثم تقدم الطبيب منه وجس نبضه وفحصه فحصاً مدققاً فسر غاية السرور وبرقت اسرة وجهه لانه ايقن عندئذ بقرب شفاءه وبزوال هذا العارض الذي حدث بغتة والذي كاد يذهب بحياته لولا وجود ذلك الشيخ ومداركته بالعلاجات الشافية ثم ابتعد عنه قليلاً ليركب له دواء من عصير بعض حشائش كان مستحضراً عليه بمنطقته وعند ذلك اي بمدة انفصال الشيخ ليركب الدواء شخصت الاعين وتحركت القلوب وارتبكت الافكار واضطربت الحواس واستعرت نيران الذكرى بمخيلة كل من كسرى واخته فكان شاخصاً الى اخته التي كانت بصفة غلام وهو لا يعلم شيئاً من كنه امرها ولم يفكر اصلا بأنها اخته لانه كان موقنا بكونها ماتت وساوت من سكن الثرى من زمن مديد ولكنه كان يتذكر من هيئة ذلك الغلام الصبوح اخته مهردكار فتهيج احزانه لفقدها وتستعر نيران الشوق بقلبه اليها فكان ينظر اليها باهتاً ويرسل التنهدات العميقة والزفرات الشديدة من حين الى حين ثم يدور بأحشاءه دم الحب الاخوي فيتذكر اخته مهردكار العزيزة من النظر الى وجه ذلك الغلام الصبوح وتسكب عيناه الدموع الغزيرة كانهمال السيل

واما مهردكار فانها كانت بحالة اعظم من حالة اخيها كسرى لان توالي السنين وكرور الايام عليه وترادف الهموم العظيمة والاحزان الكثيرة على قلبه الجريح قد احدثت تغييرات عظيمة في وجهه فضلاً عن ذلك المرض العضال الذي صيره بهيئة بعيدة عن هيئته العادية جداً بحيث لو رأى نفسه بالمرآة لارتاب بكونه

اياه وابقى له شيئاً يسيراً من ملامحه تكاد لا تدرك مع تدقيق النظر

فمذ رأته مهردكار لم تتجاسر على الفكر بكونه اخاها نظراً للبعد الشاسع ما بينه وبين هذه المحلات التي هي باخر البلاد المعمورة ولكنها تذكرت من بعض ملامح بوجه اخاها ثم وصلت بهذه التذكارات المحزنة الى عائلتها ووطنها فطفقت تتنهد وترسل الانين العميق ولم تظهر على نفسها شيئاً من اضطرابها لهذه التذكارات المكدرة المحزنة لانها كانت تعوّدت على الصبر وتجرع كاسات المصائب على اختلاف طعمها وضروبها ثم اجتهدت بطرد هذه التصورات والمخيلات التي كانت تهيج بقلبها احزانها السابقة التي كانت تضربها كثيراً ولكنها لم تتغلب عليها حتى شعرت من نفسها بحنو عظيم على هذا المريض وبميل اليه غريب لا يقاوم ثم شاهدته ينظر اليها ويبكي بما يفتت الجلمود فلم تتمالك عندئذ عن البكاء وسكب الدموع المنهملة بدون ان تعلم لذلك سبباً يحملها على البكاء من غير حنو واشفاق خصوصي لم تكن تقدر ان تقاومه ولم تعلم السبب في تسلطه على افكارها وقلبها بمثل هذا النفوذ

ولم تطل هذه الحالة عليهما لان الشيخ كان فرغ من تركيب الدواء واقترب من كسرى فسقاه جرعة كبيرة منه واوصاه بان يشرب مثلها منه في كل برهة عينها له واخذ مهردكار وذهب بعد ما ودعا الملك كسرى واودعا بقلبه نيران الذكرى وهيجا بقلبه لواعج الاحزان والحسرات

واما ما كان من مهردكار فانها مشت مع الشيخ وكانت على غير هدى واجفة القلب باكية العين خافقة الفؤاد مشتتة البال لا تفقه ولا تعي لانها تارت لروئية ذلك المريض النازح فبكت لبكاه وحزنت لحزنه حتى انها كادت تمرض لمرضه ولم تعلم لذلك سبباً فكانت تسائل ذاتها قائلة عجباً وما يحملني على هذا ولم يكن لي به سابق معرفة ولا علم وما الذي يجعلني اتأثر لمصابه وابكي لبكائه بل وما هي تلك القوة العظيمة القادرة التي تجذبني اليه بسلطان عظيم لا يدفع ولا تقاوم قدرته . اهل رأيته قبل هذه المرة وهل نظرته غير بضع دقائق. نعم انه

يشابه اخي بعض المشابهة فيجعلني اتذكره واتذكر عائلتي التي نزحت عنها من سنين واعوام عديدة ولكني تذكرتهم مرارًا باوقات انفرادي وتأسفت كثيرًا لفراقهم وبعدهم عني ولم يحصل لي هذا الاضطراب ولم اشعر بمثل هذا الهيجان بافكاري وهذا الخفقان بقلبي فما السبب في جميع ذلك يا ترى ان قلبي ينبأني وجود مسبب لما اصابني من هذا الاضطراب برؤية ذلك المريض وستكشف لي الايام هذا السبب

وما زالا يمشيان وهي تخاطب نفسها غارقة بلجج تصوراتها والشيخ ينظر اليها باعين الاب الحنون وهو يقرأ في وجهها احزان قلبها وشيئاً من مكنونات ضمائرها حتى وصلا الى كوخهما الحقير فجلسا به واقاما ذلك النهار جميعه وقد علم الشيخ منها جميع ظنونها وافكارها واسباب حزنها واضطرابها حتى دلهم الظلام فرقدا بتمام الامن والراحة

وفي اليوم الثاني اشرق الصباح وسطعت الشمس وماست بعرض الافق ترسل باشعتها على تلك المحلات الجميلة فتكسبها ابدع الهيئات واجمل المناظر الطبيعية والطفها فذهب الشيخ تاركاً مهردكار وحدها بالكوخ وذهب الى كسرى ليعالجه ويعلم شيئاً من تاريخ حياته ومن هو لانه لم يكن يعرفه لحد الآن ومذ وصل اليه وجده بحالة كئيبة جداً لما بذل من الدموع في الليلة الغابرة ولتشوقه الشديد لمعرفة ذلك الغلام الذي اشغل افكاره وجعله فريسة للتذكارات المكدرة المحزنة

فمذ شاهده على هذه الحالة تكدر مزيد الكدر لانه كان آملاً بشفائه بوقت قريب وقد ساء ما توهمه لانه رآه انتكس وعاد الى حالة اعظم من حالته الاولى فتعجب من ذلك وتحير لانه كان يجب ان يتقدم في معارج الصحة والشفاء بواسطة تلك الادوية والاجزاء النافعة الجيدة التي كان يتكل عليها الشيخ كثيراً بالتطبيب فسأله بعد ما بادئه بالسلام قائلاً

اني لمتعجب بك ايها الرجل فاني غادرتك بالامس بحالة جيدة وقد املت بقرب

شقائك فما الذي حدث لك وما اصابك حتى صرت في هـذه الحالة التعيسة التي يكدرني جداً ان آراك بها

اما كسرى فانه لم يفقه لحديثه ويظهر بانه لم ينتبه له اصلاً لانه عوضاً عن ان يجاوبه على حديثه كما يجب قال له اني اود ان اسألك ايها الشيخ الجليل سؤالاً واحداً ولا اراني احرم من ذلك نصيباً نظراً لما عهدته بك من الكرم والمروءة وحسن الطوية

فانذهل الشيخ لكلامه وظن بانه اصيب بالجنون لانه بدلاً من ان يجيبه على سؤاله يريد ان يسأله فتكدر من ذلك ولكنه رام ان يتحقق ذلك الامر فقال له تكلم يا ولدي بما شئت فاني لا ابخل عليك اصلاً بما اقدر عليه

فقال له كسرى اود ايها الشيخ الورع ان اسألك عن هذا الغلام الذي جاء بالامس معك اهل هو ابن لك ام تبنيته وكيف وصلتم هـذه الديار البعيدة واتخذتموها لكم موطناً وتركتم المدن العامرة

فتعجب الشيخ من كلامه وقد اساء به الظن في بادىء الامر ولكنه مذ رآه يبكي ويرسل التنهدات العميقة من خلال دموعه بهيئة تدل على شرفه وصدق نواياه ادرك بان وراء الاكمة ما وراءها وان في المسئلة سر عظيم خفي عليه ولا بد من وجود سبب عظيم يحمله على البكاء عند ذكر الغلام غير المقاصد الفاسدة فانتبه لذلك الامر وعزم على ان يسأله عن اصله ويستعلم منه عن احواله لانه خامر قلبه بعد الظنون مذ رأى مهردكار تبكي وتتأسف وتشفق على حاله بدون ان تعلم ما يحملها على ذلك فقال له

وانا ايها الشاب احب ان اعرفك واعرف اصحابك لان لي رغبة في ذلك فارجوك ان تخبرني عن اسمك وعن وطنك ولك الفضل

فتنهد كسرى بما يدل على كثرة احزانه وقال له حباً وكرامة ايها الشيخ الجليل فاني سأخبرك بكل شيء لتعلم باني رجل عضه الدهر بنابه وجار عليه نكد الطالع فغادره ذليلاً بعد شامخ عزه غريباً نحيباً شريداً طريداً لا يعلم كيف

يتوجه وابن يسير باكياً شاكياً عليلاً ينشده الحال

ورحمتا للغريب في البلد اا نازح ماذا بنفسه صنعا
فارق اوطانه فما انتفعت ببعده بعده ولا انتفعا

ثم جعلت دموعه تنهمل انهمال السيل وتنحدر على وجهه الباهت الشاحب اللون انحدار المطر بما جعل قلب الشيوخ يذوب اشفاقا وحنوا عليه فقال له

دع البكاء ايها الشاب واترك النحيب واشرح لي شيئا عن احزانك وبعض مصائبك فعساي ان ارفع عنك عبؤها الثقيـــل او اخف عنك بعضها بنصائحي وارشاداتي وتسليتك بروايات اعظم المصائب

فاجابه كسرى قائلًا وباذا تسليتي ايهـــا الشفوق الحنون وباي شيء تعرفني ايها الرجل البر بالمصابين وانا من كان اعظم الناس شأنا وارفعهم مجدا واطولهم باعاً وقد هوى بي الجهل الى الحضيض وصيرني نكراء الجميع ذليلا مهانا بعد شامخ عزي وبعد ما كنت من اعظم ملوك هذا الزمان

فتعجب الشيخ بذلك وقد قويت ظنونه واشتدت دعائم ارتيابه وشكوكه فقال له قد زدتني شوقاً الى معرفتك ايها الرجل وقد اثر كلامك بما في اشد التاثير فبالله عليك ان تسرع باظهار ذاتك وبايضاح مكنونات احزانك التي جعلت قلبي يكاد يذوب حنوًا واشفاقاً

فقال له كسرى نعم وان اشد القلوب قساوة ستأثر لمصـــائبي ... سارت لذكره الركبان وخفضت لشامخ عزه وباسه مارك الزمان الملك كسرى نوسروان من كان وا اسفاه صاحب التاج والايوان

فارتعش الشيخ عنـــد ما تحققت ظنونه وايقن بان ذلك هو كسرى اخو مهردكار وعلم سبب بكاءها الذي انتجته تلك التأثيرات التي ... تشعر بها ولكنه لم يرغب بان يظهر له شيئـــاً من ... ولا ان ... عن ... بهيئة الغلام بل رام ان يعرفهما ببعضهما بطريقة ... ما ظهر على وجهه من ملامح السرور بهذا الخبر ... سابقة

الحزينة الشفوقة وقال له

عجباً وما الذي وصل بك الى هذه الحالة المكدرة وكيف غادرت ملكك واتيت الى هذه الديار لتقاسي هذه المشقات التي لا يقوى على حملها احد من الناس

فقال له كسرى انصت اليّ ايها الشيخ الجليل لاخبرك بما اوصلني الى هذه الحالة وارعني سمعك لتعلم كم يعذبني ضميري ونكران الجميل فانصت الشيخ اليه واصغى حيث اصبح كله مسامعاً فقال اعلم ايها الوقور المهاب انه كان لي اب وكان له وزير كريه المنظر فاسد المبادي ذميم الخلق والخلق منطوٍ على الشر والفساد وكان لي اخت جميلة الوجه بهيئة الطلعة رشيقة القوام باسمة الثغر وضاحة المحيا قد جمعت كل المحاسن فيها واضحت فتنة للعالمين بما حازت من الجمال الفرط البديع

وكان قد ظهر من ارض مكة المكرمة بطل حلاحل صنديد سارت بذكر حماسته الركبان وضربت بشجاعته الامثال ولا ريب بانك سمعت به اذا لم تكن نظرته فهو الامير حمزة البهلوان فارس البيد ومذل الصناديد ونار الوغى الحامية

اتى المدائن ذات يوم بفرسانه وكان في صباه جميلاً اديباً فصيح المقال عظيم الفعال فنظر ترداداً الى اختي مهردكار ونظرت اليه فعلقا ببعضهما واستعرت بقلبيهما نيران الحب ثم تراسلا ولم تمض عليهما برهة وجيزة حتى اصبحا عاشقين منذ من كل واضح محاسن الآخر ولا يفكران بغير مستقبلهما من هذا القبيل

كان الامير حمزة قد اتى اعمالاً عظيمة امام ابي الذي كان يحبه الحب الشديد نظراً لما اتاه من درته لما ل وا صدق اخلاص فطلب اليه اختي واجابه ابي الى ذلك ولم يطلب اليه مهراً ولا صداقاً

فلما ذاك وزير بختك وعظم عليه هذا الامر جداً لانه كان يبغض العرب البغض الشديد ويكره كل من ينتسب اليهم وكان فضلاً عن ذلك متشحاً بتلك

الصفات الفاسدة الممقوتة من كل كريم نجيب وهي الدهاء والمكر والحسد والنميمة وكل ما يمجه الذوق السليم من الاميال الفاسدة والصفات الباطلة فطفق يعمل على عدوان الامير حمزة ويجتهد في غدره ومكره ويحرك والدي عليه حتى اوغر عليه قلبه حنقاً وحقداً وصار يطلب اليه من الامهار كل ما تعجز عنه الجبابرة وكل ما هو فوق قدرة البشر

اما الامير حمزة فانه علم الحقيقة ودرس نوايا بختك بكتاب مفتوح امامه فتدرع بالصبر وتلبس بالسكينة وقد صيره الحب حكيماً عاقلا صبوراً كريم النفس شريف القلب فذهب الى حيث ارسله ابي واعمل ارادته بملء الخضوع ثم ارسله ثانية بخيانة بختك فاجاب طلبه وقد اهلك المتمردين عليه واباد العداة فزاد كلمته نفوذاً وقدره ارتفاعاً وشأنه عظمة ولكن قد قيل

ومن يفعل المعروف مع غير اهله   يجازى كما جوزي مجير ام عامر

فان ابي لم ينظر الى معروفه العظيم وجميله المستحق المكافأة بل انه حاول الفتك به وكل ذلك من خبث بختك ومكره فاسعر عليه حرباً عواناً طال زمانها وقتل بها الالوف من الابطال الى ان انقشعت غيومها وخمدت نارها وكان النصر بها للامير حمزة البطل الصنديد فقتل والدي ووزيره واخذ اختي زوجة بالرغم عن الجميع لانه سئم اصطباراً ففعل ما فعل ولم يكن ذلك الا اضطراراً فهو معذور ولا ملامة عليه ولا تثريب

ومما يجعل له وقعاً عظيماً بقلبي ويفعم فؤادي حباً له ويجعلني اكاد اذوب ندامة وتحسراً هو عفته بعد المقدرة وكرمه واحسانه وحسن معاملته بعد وجوب الحقد والبغض فانه بعد ما قتل والدي واستلم زمام مملكته فدانت له رقاب العباد ورهب باسه كل جبار عنيد واطاعه كل متمرد باغ لم يشا بان يحرمني من الملك بعد ما عملت طويلا على عداوته وسعيت بضره مراراً بل انه اقالني عثرتي وصفح عن ذنوبي واصبحت اساءتي الماضية نسياً منسياً عنده فسلمني زمام الملك كرماً واحساناً

اما انا فاني بعد ما تسنمت غارب السلطنة واقتعدت متنها شاكراً من هيأ لي تبوأ ذلك العرش الكسروي استوزرت ابن بختك بختيار فكان قدوة ابيه بالمكر والدهاء والخيانة وتذكر والده فعزم على ان يبذل الجهد في الثار له فطفق يحركني على الامير حمزة ويهيج قلبي عليه ويحرضني على الثار لابي والفتك بالامير حمزة خوفاً من ان يطمح نظره الى الملك بعد ما غادره بارادته ويطمع اذا تركناه وشأنه فانطبعت لارائه الساطلة وشاركته بامياله الفاسدة وتظاهرت وان بعد الامير حمزة بعد ما كان له وقع عظيم بقلبي وكان من احب الناس اليَّ فدارت بيننا رحى الحرب واستعرت نارها فمزقنا كل ممزق وطردني من بلادي فخرجت بصحبة وزيري الماكر واستنجدت بكثير من الناس فكنت شؤماً وويلاً على كل من يظللني بحمايته حتى افضى بنا الامر الى الهرب من وجهه الى مدينة العبيد واصابتني تلك النوبة وانا محمول على كواهل المارد فانزلوني بذلك المكان

والسبب في بكائي ايها الشيخ الوقور هو انني شاهدتك ومعك ذلك الغلام فتذكرت منه بعض ملامح بوجه المشرق الجميل اختي مهردكار فزاد شجني وتذكرت زوجها الحبيب الكريم واحسانه السابق اليَّ فاستعرت نيران ندمي وهاجت احزاني واني اود بان اراه لاكب على اقدامه واسأله الصفح عني فاما اموت بسينة قرير العين ناعم البال واما اشفى بركابه فاخدمه مدى الحياة واني اود بان يطول زمن مرضي لاني موقن كون الامير حمزة مجداً بلحاقنا واتباعنا الى مدينة العبيد فعساي ان اراه قبل ان اموت واسكن رمسي واظهر له ندمي واوضح له حرارة اخلاصي طمعاً بان انال منه الصفح عن اساءتي الماضية وعما اقترفته من الذنوب فاموت وقد ظفرت من الزمن بمنتهى آمالي

فلما سمع الشيخ كلامه وعلم ندمه على ما مضى وايقن بصدق اخلاصه الى الامير حمزة سر غاية السرور وعزم على ان يعرفه باخته ويجمعهما بالامير حمزة عند مروره من ذلك المكان فطيب قلبه وقال له ذر البكاء يا كسرى فستبلغ

امالك وستنال بغيتك ان ثابرت على الصبر والسكينة وابعدت عنك الاحزان التي تضر كثيراً بمرضك وايقن بانك ستكون من اشد الناس سروراً وانعمهم بالاً وارضاهم عيشاً

فبرقت اسرة وجهه عند ذلك الكلام وسطع على محياه شعاع الامل فقال له وكيف ذلك يا سيدي

فاجابه الشيخ قائلاً كن مطمئناً يا كسرى فسيعود لك التاج والايوان وسترجع ملكاً كما كنت سابقاً وستجتمع باحب الناس اليك .

ولم يزده الشيخ على ذلك شيئاً من الكلام سوى انه اوصاه بالمدارة وباستعمال العلاج وودعه وانصرف

فجلس كسرى بعد ذهابه غريقاً بلجج التصورات ولا يعلم اينطرح بظلمات اليأس والقنوط ام يستضيء بما وضعه له الشيخ من اشعة الامل فكان يتعارك بشهامة اليأس ضد جواذب هذا الأمل الذي لم يكن يقوى على ملاشاته

واما ما كان من ذلك المارد الذي ارسله بختيار ليبحث عن العرب ويعرف احوالهم فانه عند ما اطلق ساقيه للريح وطار في الجو وتعلى ولم يزل يقطع فدافد الفضاء ويجوب فاوات الجو الاعلى حتى بلغ مدينة الدواليب فنزل بها وفحصها فحصاً مدققاً فلم يجد بها اثراً للعرب فتزيا زي اهل تلك المدينة واختلط بين سكانها فعلم منهم بان العرب باجمعهم اقلعوا من تلك البلاد وتركوا تلك المدينة وهم يجدون باثر اعدائهم قاصدون مدينة العبيد التي التجأ اليها كما انبئهم الرمل بذلك

فما صدق ان علم الحقيقة حتى تركهم وذهب وهو مرتد بثياب العرب كي يقدر ان يخالطهم ولا يكون معروفاً منهم وما زال يطير طوراً كالطيور ويقفز تارة كالغزلان ويمشي الهوينا احيانا ليتمتع بمناظر الطبيعة الموجودة هناك الى ان وصل الى ذلك البستان الانيق الزاهر الذي غادرنا جيوش العرب والاسطار نتنزه به وتبرم حبال المودة والاخاء بتبادل الازهار العطرية الزكية الرائحة

فاختلط بينهم وشرب وطرب معهم ونام تلك الليلة واباهم بذلك البستان ولما اشرق الصباح واضاء بنوره الوضاح ضرب نفير العرب المؤذن بالرحيل ودق طبلهم الرجوج فامتطوا الجياد واقلعوا من ذاك المكان الذي اقل صفاته ما قيل فيه :

لله روض في ابيطح غابة آسادها صرعى عيون ظبائه
فلجينه من ماءه والعطر من ارجاءه والدر من حصباءه

ومشوا بذلك البر الفسيح وهم يترنحون على ظهر الجياد كالثمل النشوان ويخطرون كالاغصان يبعث بها النسيم بوجوه طافحة بنور البشر وكلهم يضحك ويطرب كانه مدعو الى وليمة والامير حمزة البهلوان بمقدمة الجيش على ظهر جواده الاشقران تحيط به الابطال والامراء وهو كان قلة من القلل او قطعة فصلت من جبل وعلى يمينه ويساره ابنه ددبع الزمان مذل الشجعان ومبيد الفرسان في يوم الطعان والوزير بزرجمهر قاضي الا[illegible]ب الحكيم الخبير نادرة زمانه وكوكب الحكمة المشرق وهو يقص عليهما حلما كان قد رآه في تلك الليلة حيث كان نائماً في ذلك البستان ما بين الازهار والرياحين

فتقدم ذاك المارد منهم واختلط مع حاشية الامير حمزة الذي كان يخاطب الوزير بزرجمهر قائلاً

اني رأيت في هذه الليلة حلماً واحب ان [illegible] سمعك [illegible] ان تكشف لي شيئاً من رموزه لانك بكل الامور خبير عليم

فقال له بزرجمهر اني مصغ [illegible] تمام الا[illegible] ايها الامير فاقصص عليّ ما تشاء

فاجابه الامير قائلاً اني رأيت [illegible] طارق لجج [illegible] حلماً طويلاً سأورده لك باختصار خوف الملال وذلك [illegible] جميل [illegible] احدى الصحارى وكانا مرتدين بثياب الصيد [illegible] كنانته

فبينما نحن نطوف بذلك البر الفسيح اذ وقع نظري على اربعة من الخنازير البرية باطراف تلك الصحراء وهم يتقدمون مسرعة بالبعد عنا فانتقدت حسامي

وسناني وكان لي شوق عظيم الى صيدهم ورغبة زائدة في مطاردتهم فلكزت بطن جوادي الاشقران فطار بي لجهة تلك الخنازير البرية وعند ما قربت منهم شعروا بقدومي فنفروا من وجهي وهربوا في تلك الفلوات الواسعة

اما انا فلم اجد بدًا من اللحاق بهم طالما هم تحت نظري ونظرًا لرغبتي الزائدة فوكزت الجواد ثانية وسرت في طلبهم بسرعة البرق ولم يزل الجواد يركض بي طاويًا تلك الفلوات الواسعة وهو يكاد يسبق ظله حتى اختفوا عن نظري ولم اعد ارى لهم عيناً ولا اثرًا

فوقفت عندئذ حائرًا باهتـاً اسفاً لكوني لم اظفر بهم ثم التفت الى الوراء مفتقدًا اصحابي فلم ارَ احدًا منهم فعلمت اذ ذاك باني وحيد شريد في هذا البطاح لا اعلم كيف اذهب ولا الى اين اسير

فنزلت عن ظهر الجواد الذي كان يسيل العرق من جسده كالسيل المنهمل لاكسبه شيئاً من الراحة اقدر بها على العود ثانية الى اصحابي وجلست هناك على رابية عالية مفتكرًا بتلك الخنازير وجوادي سارحاً يرعى الكلا الاخضر

وبينما انا على هذه الحالة اذ لمحت من بعد شبحاً يقترب مني وبين يديه شيء لم اقدر ان اتحققه لبعد المسافة بيننا فاقتربت منه ولم تزل نمشي حتى التقت العين بالعين فرأيت من ذلك الشبح صيادًا لطيف الهيئة وبين يديه غزال الوف لم ترَ عيني اجمل منه

فتقت الى اقتناء ذلك الغزال ووددت كثيرًا لو كان لي وكأن ذلك الشيخ علم مرادي بالنظر الى وجهي التي كانت عيناه تنظر الى ذلك الغزال بشره وتشوق فقال او هل اعجبك هذا الغزال ايها الرجل فقلت له اجل ايها السيد الكريم فان لي رغبة لا تقاوم فهل لك ان تبيعني اياه وتكسب رضا الامير حمزة عليك

فتبسم ذاك الصياد تبسماً لطيفاً وقال لي ان ذلك الغزال لم يخلق لا ليكون لك ايها الامير ولم يكن الا وديعة لك عندي واني لواجد ارتياحاً تاماً بارجاعه اليك بشريطة ان لا تدعه يعود اليه ثانية

فانذهلت من كلامه الغريب واخذته منه وانا بغاية السرور والانذهال فبينما انا انظر اليه مندهشاً ومعجباً بجماله وقد صار له وقع عظيم بقلبي اذا بكلب عظيم اسود البشرة قد ارتمى بين قوائم ذلك الغزال بما جعله يرتاع لهيئته وينفر منه خوفاً ويلتجيء اليّ فاشفقت على ذلك الغزال واخذ الغضب مني كل مأخذ على الكلب الاسود فجذبت الحسام وهجمت عليه لاقده به شطرين فهرب من وجهي واحتمى بذلك الصياد وصار يبدي علائم واشارات شتى

فاشفق عليه الصياد وقال لي بالله عليك ايها الامير الا ما رضيت عليه وقرنته الى ذلك الغزال اكراماً لخاطري فانه ينفعك للصيد

فتكدرت من ذلك جداً لاني لم اكن اود مخالفة الصياد ولم يكن لي رغبة في قنية كلاب الصيد فقلت له وكيف اقرن ذلك الكلب الكريه المنظر الى ذلك الغزال الجميل اللطيف الذي ينفر منه تمام النفور

فقال لي خفض ما عليك فسألطف هيئته وسأجعل الغزال يألفه ويميل اليه بعد ذلك النفور وللحال اخذ ذلك الكلب الاسود ورماه بساقية ماء كانت جارية هناك ثم انتشله فخرج بهيئة حمل وديع يسر النفوس ويطرب الاعين وقربه من الغزال فمال اليه كل الميل وسر به غاية السرور وانطبقا على بعضهما يلعبان ويداعبان وبينما انا معجب بائتلافهما مسرور بملاعبتهما وقد حاولت اظهار تشكراتي وممنونيتي الزائدة لذلك الصياد اذ استيقظت من المنام مطرباً من هذا الحلم واعملت الفكرة في ما بقي من ساعات ذلك الليل فلم اقدر على ان احل شيئاً من رموزه ثم انتظرت الصباح بفروغ صبر لاتص عليك ذلك واعلم منك تأويله

فاجابه الوزير بزرجمهر بعد ما افتكر برهة ايقن ايها الامير السعيد بانك ستبلغ من الآن منتهى آمالك رتد لاح لي نجم سعدك من خلال هذا الحلم المطرب البديع فانك ستظفر بعدوك وستجتمع باحباء كنت اسأت اليهم قبلاً وستصافي بعض اعدائك وهذا الذي ظهر لي من ذلك الحلم والعلم عند الله الخبير

فسر الامير حمزة بهذا الكلام وداوموا المسير ولم يزالوا على هذه الحالة بضع

ايام وهم ينامون ليلًا بتلك البساتين الزاهرة النضرة ويسيرون نهارًا بذلك البر الفسيح حتى كادوا يصلوا الى مدينة العبيد ولم يعد بينهم وبينها غير خمسة ايام فقط فتركهم المارد اذ ذاك نائمين باحد البساتين وضرب رجليه بالارض فطار وتعلى ولم يزل طائرًا حتى وصل الى حيث بختيار والخوند فسقط عليهم دخانًا كثيفًا وكانوا ساهيين باهتين منتظرين قدومه ثم انتفض فظهر امامهم بهيئته العادية ووقف منتظرًا ان يسألوه فيجيبهم

فقال له بختيار ويك وما حدث لك حتى غبت هذه المدة الطويلة فاخبره المارد بجميع ما رأى وكيف ان العرب قادمون مجدون باثرهم وانهم عن قريب يصلون فارتاع بختيار لذلك الانذار المشؤوم عليه لان كسرى كان باقياً على حالة لا تمكنه من مغادرة هذا المحل فصرف المارد وابعده عنه ثم جلس يتخابر مع ياقوت في ما يجب عمله

واما ما كان من الشيخ الطبيب فانه عند ذهابه من عند كسرى توجه رأساً الى مهردكار فوجدها جالسة ورأسها بين يديها غارقة بلجج التصورات والافكار وعلائم الحزن والكآبة حائلة على وجهها فبادئها بالسلام واول ما سألته عن ذلك المريض الغريب المسكين الذي لم تكن عالمة بانه اخوها وعن صحته

فقال لها انه بكل خير ولي الامل الوطيد بانه سيشفى عن قريب بمعونة الله تعالى وارادته ولكنني اراك كئيبة على غير عادة فما السبب بذلك

فاجابته قائلة انى لموجسة خوفاً على ذلك المريض من دائه الذي اخبرتني سابقاً انه عياء وقبل مجيئك كنت افكر به واتأسف على حاله ولذلك تراني بهذا الحزن وهذه الكآبة التي اوضحت لك عنها

فقال لها الشيخ اطمئني يا مهردكار وخففي اضطرابك لانه سيصح عن قريب بحالة مرضية وستسرين بذلك كثيرًا واني سأشغلك في صباح غد اسيادة الامر ارى لك ارتياحًا عظيماً الى ذلك

فقالت : نعم يا ابتاه واني لا اعلم السبب في ذلك كما اني تلك ساعة الا بذي

حين نظرته الفته بعد نفوري التام من العالم وصرت ارغب دوام القيام عنده لاعوله ولاخفف عنه بعض احزانه الظاهرة ملامحها على وجهه بمؤانستي له ومحادثته بما يلذه ويسليه ويخفف عنه بعض اوجاعه الكثيرة

وناما تلك الليلة بعد ما اشغلا قسماً كبيراً منها بالصلاة ولما اشرق الصباح ورش ماء وجهه اللماع فنشر الشعاع كالشراع طاوياً غياهب الديجور والظلمات نهضا من المنام وقد زقزق الطير لايقاظ البشر فخرجا لعيادة كسرى ومشيا بذلك البستان الزاهر وقد تكهربت بالضياء هام الشجر فطار الشرر من اعينها الخضر التي كانت تحرق ذقن الدجى وما زالا يمشيان حتى بلغا باب الكوخ فسمعا كسرى يقول من فؤاد جريح

صاح بي الدهر فاتبعت سيره لارى اين اين اين مصيره
ظل يحدي ظعني على الارض حتى ظلع الظعن والطريق غيره
قلت يا دهر هل قراري بعيد قال لي انظر بعينك الشريره
فتأملت اين سرنا وصرنا فاذا نحن وسط ارض كبيره
قلت هذا المقام قال نعم قلـ ـت وماذا يدعى فقال الحيره
قلت لا حرت ذا لخلق مغـ ـتاظاً كوحش باعين مستديره
قال لي صه يا عاصياً فهنا قد سقت كل الورى فما لك خيره
قال اني ولم اجـد غير قفر فيه ابكي وحدي دموعاً غزيره
قال ما انت وحدك اليوم باكٍ كل عين بدمعها مغموره
انما المرء لا يرى غير بلواه فلابن الانسان عين قصيره
فتمعنت برهة واذا الاشـ ـياء بانت لناظري والبصيره
قد رأيت الانسان ملقى على الار ض كلقى بحر يقفر جزيره
تائهاً بائساً وهو الشقا يد عوه في التيه ان يكون سميره
يطلب النصر في منازلة البؤسى وهيهات ان يصيب نصيره
واذا ما الآمال سرته فالخيبة تأتي لكي تزيل سروره

كل نفس مطلوقة اسر قصد   وبقيد الصروف اضحت اسيره
فدموع تهل من كل عين   ترمق الدهر وهي منه ضريره
وقلوب تضج في لهب اليا   س من الفوز بين غير وغيره
فملوك تدور في طلب الملك   فتمسي على الفنا مستديره
يستشيرون جمرة العنف   والدنيا عليهم نار العفاء مثيره
ورجال من كل صف وصنف   وذوات من كل شأن وسيره
كلهم راقصون في مسرح الدنيا   وكل يبكي بعين كسيره
وكذا الكل منشد نغمة العيش   ويشكو سروره وشروره
فجميع الانام ركضت ركضاً   الى القبر وهي عنه نفوره
عندما هـذه الجرايح مانت   لي ودهري افادني تعبيره
قلت والله لا طربت بعيش   في زمان انا غدوت اسيره

فمذ سمع الشيخ صوته اشفق عليه وقال له : والى متى هذا البكاء والتحيب وهـذه الافعال التي ستذهب بحياتك ألم انبهك على وجوب الصبر ولزوم الهدوء والسكينة واعدك بالخلاص من هـذا العذاب وبعودك الى حالتك القديمة

فقال له الملك كسرى نعم يا عماه ولكنني نهضت في ذلك الصباح خافق الفؤاد مضطرب الاعضاء وان قلبي الحزين ينذرني بحدوث مصاب جديد يتهددني وبتلاشاة ما حققه لي من الآمال

فقال له الشيخ دع عنك هذه الاوهام الباطلة وانظر الى ذلك الغلام الذي سألتني عنه مراراً فانك ولا ريب تسر وتفرح بالنظر اليه كما انك تود بان تعرف من هو كما يرغب هو بذلك ايضاً

فارتعدت فرائص مهردكار عند هذا الكلام واحست بارتجاف بمفاصلها لا يقاوم لانها افتكرت بكلام الشيخ حيث قال لها عندما سألته عن حال كسرى انه سيشفى عن قريب وستسرين كثيراً بذلك

اما كسرى فانه سر بذلك وجلس بفراشه كأن لم يعد به ادنى اثر من مرضه ونظر الى الغلام طويلاً ثم تنهد وقال له اتحفني بذلك يا عماه فانك اثقلت كاهلي بفضلك واوليتني من الجميل ما لا انساه مدى الحياة

فقال له حسناً ولكن اتعدني اذا اخبرتك بذلك بانك تعمل حسب اوادتي بملء الطاعة والخضوع والاستقامة

فاجابه قائلاً انك اذا اخبرتني او لم تخبرني تراني لك عبداً خاضعاً مطيعاً بكل ما تأمرني به مجيباً لكل ما تطلبه اليّ بغاية السرور

فسر الشيخ بكلامه وقال للغلام الذي كان واقفاً هيأ ايها الغلام واجلس هنا بالقرب منه فامتثلت مهردكار ثم التفت الى كسرى وقال له اصغى اليّ قليلاً ولا تدع الحزن يتمكن منك بما يضر بك ويلقيك بوهدة الجنون يا كسرى انو شروان فان هذا الغلام هو . . . .

وقبل ان يتكلم شيئاً بعد ذلك سمع صوتاً عظيماً كالرعد القاصف ارتجت له جوانب الكوخ ويد قادرة لا تقاوم اختطفت كسرى من الكوخ وطارت به في طبقات الجو الاعلى تاركة الشيخ مندهلا مبهوتاً جامداً ومهردكار صائحة بصوت يفتت الحجر الجلمود قائلة اخي اين ذهبوا بك وقد كاد يجتمع الشمل وكدت ان اراك لي موءنساً بغربتي وانتزاحي شلت عين من يريد بك ضراً او نكالاً وقطع ذلك الساعي التي اختطفك وحرمني ان اتمتع برؤياك بعد ذلك الفراق الطويل . . عد الي ثانية يا اخي لاشاهدك قبل موتي آه يا ليتني لم اراك ولم اشاهدك بهذه الصحارى المقفرة ولم اتحمل لبعدك اوجاعاً جديدة فوق اوجاعي

وكانت مهردكار قد علمت بانه اخوها مذ سمعت الشيخ يناديه باسمه وللملامح التي كانت بوجهه والتي كانت تريد ارتيابها وشكوكها بكونه اياه

واما الشيخ فانه مذ نظر الى ذلك الحادث الغريب انذهل وتحير ثم داهمه فكر فجائي فخرج وفحص كوخ الخوند وابنه وبختيار فوجده خاوياً خالياً وعلى وجهه يرف روح الخيانة والغدر فادرك ما هنالك من الخديعة ورجع حالاً الى

مهردكار فوجدها بمنتهى الكآبة والحزن وهي باكية العين ساهية الطرف واجفة الفؤاد فطيب خاطرها وافهمها كل ما علمه من امر اخيها بالتمام وذهب الى كوخه الصغير

واما السبب في احتطاف كسرى فهو بختيار الخائن الماكر الغدار والسبب في ذلك هو انه ارسل المارد ثانية ليعلم له احوال العرب فرجع واخبره بانهم قادمون على جناح السرعة وعن قريب يصلون فارتاع لذلك بختيار وتحير ثم اعمل الفكرة عساه يهتدي الى طريقة تمكنه من الفرار صحبة كسرى فلم يجد لان كسرى كان مريضاً عليلاً لا يمكنه ان ينتقل خطوة قبل ان ينقه جسمه بالتمام فاحتار في ما يعمل ثم عول على احتطافه وله بذلك مآرب ستظهر فارسل المارد اليه وهو ما بين اخته والشيخ الطبيب وذهب واياه بالخوند وابنه محمولين على كواهل المارد الى ان وصلوا الى سهل مدينة العبيد فامره بأن ينزلهم هناك فامتثل المارد مطيعاً ثم امره ان يذهب ويحضر له بعض انواع من حشائش اخبره عنها فمضى

اما كسرى فلما رأى ذاته بهذه الارض وقد وصل اليها بهذه السرعة الغريبة انذهل وتحير وكاد يفقد صوابه ثم انتبه فوجد امامه بختيار والخوند وياقوت فاستشاط غضباً وصعد الدم رأسه فلطم بختيار على وجهه لطمة كادت تذهب بحياته لانه ادرك سر المسألة وعلم بان ذلك عمل وزيره

اما بختيار الخائن الغدار فانه تظاهر بالبكاء لهذه اللطمة الشديدة والخضوع نظراً لخبثه ومكره وتصنع بهيئة محب مؤنب وقال أهذه مكافأة لصدق اخلاصي يا سيدي ولما عملته الجميل الذي اراه ضائعاً

فزاد غضب كسرى عند هذا الكلام واحتدم غيظاً وقال له ويلك واي جميل صنعته معي ايها الخائن الغادر لا كان يلك عليه وماذا احسنت الي لاحسن اليك انت يا من اوصلني الى هذه الحالة التي لا تحسدني الكلاب عليها بارائك الفاسدة ونواياك الباطلة السيئة ولماذا امرت المارد يخطفني من هناك وانا العليل الذي يضرني كثير مفارقة هاتيك البلاد . فاحنى بختيار الكمد وقال له بصوت المؤنب ان

هذا الجميل و سده يا سيدي يجعلني مستحقاً لمكافئتك اياي باعز ما لديك

فاغتاظ الملك كسرى انو شروان من هذا الكلام وكاد يتمزق من الغضب فاجابه وادك وبلك اوتحسب ذلك جميلاً ايضاً ايها الخائن وضربه ضربة ثانية على صدره ما ...ا على الارض

فصعد الدم عندئذ لرأس بختيار وقد اضاع رشده وصوابه لهذه الضربة فقابله بالمثل وضرب ، ضربة كادت تذهب بحياته

ارتاع ...ك الملك كسرى لانه لم يكن يحسب بانه يتجاسر على مثل هـذا العمل وقال له ويلك يا بختيار اتتجاسر على خرق حرمتي وانا سيـدك ومولاك وتضربني و..ا ملكك وولي الامر عليك

بختيار ...لا ...رمة في هذا المقام الحرج الا لاعزنا حكمة واصوبنا رأياً واحد ... وقد اريتك من الجميل ما لا يجب عليك ان تنساه ... ...ياه لا ...لم ... لا ... العرب كادت تصل الينا وتمزقنا كل ممزق ... ...لم يكن ... ضبك ردعتك ... كالنافخ في ... و الضارب ... الحديد البارد ... اذاً

... كسرى ... شروان ويلك ايها الخائن ومن اعلمك باني اود الهرب من ... و ... الناس باني اود بان يقتلوني وبذلك يثأرون لانفسهم في ...

... حضر الحشائش المطلوبة وحلة كبيرة فامره ... ان وصل الى ان جاشت الحلة فوضع ... كسرى وقال له انظر الى هذه الحلة الكبيرة فان بها ... تجبل ذلك الماء الى صفحة سوداء ستطلي بها ... من الحصول على آفة الرقاب ملك العبيد والالتجاء اليه ... لهذا الرأي وتسارركنا بما ارتأيناه او تمتنع فاسكب على جسدك ... الغلي واعادرك لطيور السماء لحماً ومرقاً ولك بضع دقائق

للافتكار فافتكر واختر لنفسك ما يحلو وتركه ومضى الى الحلقة يحرك الماء بها

اما كسرى فلما شاهد وزيره على هذه الحالة يعامله بالعنف والقساوة بعد ما كان خاضعاً مطيعاً ذليلاً بين يديه وعلم من هيئة الخوند وياقوت بانهما على اتفاق معه بكل ذلك اوجس خيفة منه ومن مكرهم ولبث برهة حائراً لا يعلم ما يعمل ثم اضطر اخيراً للاذعان لرأي الوزير بختيار والامتثال لامره بالرغم عنه فانتخب اخف الضررين وعزم على الاجابة ولكنه رام ان يؤنب بختيار على عمله ويلاطفه قليلاً فيبقى له شيئاً من النفوذ عليه ويحافظ ولو على القليل من سلطته

وعند ذلك فرغ الوزير بختيار من تحريك الحلقة واتى الى الملك كسرى وقال له على ما عولت وكيف رأيت اهل تود موافقتنا والتسلط علينا ام تخالف فنسلط عليك تلك المياه الغالية

فاجابه كسرى بصوت المؤنب قائلاً ان الذي رأيته ايها الناكر الجميل هو ان لا انزل آمالي باحد من الناس لانك اهنتني وانا سيدك وتوعدتني وانا ولي امرك وكل ذلك لاني غضبت عليك عندما انتشلتني وانا عليل

فقال له بختيار او لا يحق لي ذلك يا سيدي لا سيما وقد لطمتني واظهرت ميلك الشديد الى العرب وانك تود بان تقتلني وتكون منهم ولا تكون مني مكرماً عزيزاً مشرفاً وان اختطافك لم يكن الا لنبانك لان العرب كانت تاركتنا لو لم افعل ذلك

فقال له كسرى او هل تظن يا بختيار باني احب الامير حمزة بعد ما خرب بلادي وشتتني بالقفار واني اود لو اقدر على تمزيقه باسناني واني لم اقل لك ما قلته الا لتراكم الاحزان على مخيلتي التي اضاعت رشدي وجعلتني اظهر على غير هدى ميلي الى الد اعدائي ثم تجتمد مني ذلك وقابلتني بالمثل واني لا استبعد ان تكون كونك مددت الي يداً

ولم يكن كلام الملك كسرى انوشروان عندئذ غير زور وبهتان لانه كان يحب الامير حمزة الميل حباً كبيراً لا يزعزعه كرور الحوادث وبانه الى

والموت بين يديه على الحياة والعز مع غيره ولكنه لم يقل ذلك الا ليحافظ على نفوذه وسلطته بين اولئك الاوباش الزعانف ويحافظ على حيـاته لانه لو لم يفعل ذلك لكانوا قتلوه وغادروه طعماً لوحوش الغاب

فاعتز بختيار بكلامه واكب للحال على يديه يقبلهما ويسأله الصفح عن اساءته الماضية ويظهر له ندمه العظيم عما حصل

فاظهر له الرضى ولم يكن قادراً على غير ذلك وصفح عنه فقال له بختيار والآن يا سيدي لا يمكننا ان نتأخر اصلاً عن اجراء ما عزمنا عليه خوفاً من ان تدركنا العرب ونحن خارج المدينـة فنضطر الى ان نلتجيء الى غير هـذا الملك العظيم ذي الباس الذي سيبيد العرب ويفنيهم عن بكرة ابيهم

فضحك كسرى بنفسه على ذلك الكلام وقال له هيا فاعمل ما تشاء فقال له بختيار يجب اولاً ان نطلي اجسادنا بهذه الصبغة السوداء لنأمن شر اهالي مدينة العبيد فنكون محبوبين منهم ويدافعوا عنـا ببذل ارواحهم مذ يعلموا بان اعدائنا من الجنس الابيض ومن عباد الله دون النار ذات الشرر ثم يجب ان نكتب لآفة الرقاب كتاباً نخبره به عن حالنا ويكون ممضياً باسمك ليعلم باننا من اصحاب المقامات السامية وباننا من عباد النار لان ذكرك شاع في اقطار البلاد وقد اتاته الاخبار

فقال له كسرى افعل ما بدالك

فانزل بختيار الحلة وصبر على الماء الى ان خفت درجة حرارته فخلع ثيابه وطلى جسده بهذا الماء وفعل فعله كسرى والخوند وياقوت فاصبحوا للحال باون حالك السواد كانهم الليل الدامس ثم اخذ دواة وقرطاساً وكتب بقلم ما يأتي

من الملك كسرى عابد النـار والشهب الى الملك العظيم والاسد الغضنفر آفة الرقاب مذل الابطال وقاهر صناديد الرجال

اما بعد ايها الملك العظيم فانا قوم جار علينا الزمان وغضبت علينا النار حرقت روح اجدادك لمـا لا نعلم فساطت علينا رجل من الجنس الابيض يقال له حمزة

العرب فخرب بلادنا وسبا نساءنا وعيالنا وشتت رجالنا باقطار البـلاد فخرجنا نهيم هرباً من وجهه وهو يتأثرنا نظراً للعداوة الجلسية فالتجأنا الى كثير من الملوك العظام فاصابهم مثل ما اصابنا من الهلاك والدمار لانه رجل عنيد جبار وفارس صنديد كرار لا يصطلى له بنار ولم يزل يجد باثرنا ونحن نفر من وجهه ونلتجيء الى الملوك حتى ادركنا بمدينة الدواليب التي تبعـد عن مدينتكم العثليمة ثلاثين يوماً فقتل صاحبها واجبر سكانها على عبادة الله بعد ما كنا باتفاق على عبادة النـار ذات اللهيب وهناك سمعنا ببسالتك التي سارت بذكرها الركبان وبعزمك الذي قد من الجبال ونظراً لاتفاقنا جنساً وعبادة وليقيننا بانك ستخمد نار العرب وتمحو ذكرهم لما وهبتك النار من الاقدام والشجاعة النادرة المثال بين الابطال اتيناك مستغيثين واليك ملتجئين فلا تردنا حرفتك النار خائبين

فلما فرغ من كتابته قراه على مسامعهم ثم قـدمه الى كسرى ليزيد بختمه فاطاع كسرى وختم ذلك المكتوب بعد ما اظهر استحسانه واعاده له فاواه بختيار واحضر المارد فاتى وللحال اعطاه الرسالة وقال له اذهب بمدينة الانسيين وادخل تلك المدينة وقدم الرسالة الى مالكها آفة الرقاب واتني بالجواب حالاً

فامتثل المارد لامره واخذ الرسالة وللحال ضرب رجليه بالارض وغاب عن الاعين وما زال يمشي حتى وصل الى المدينة فطرق الباب وصرخ قائـلاً بصوت جهوري اني رسول الى ملككم آفة الرقاب فاذنوا لي بالدخول ففتحوا له الباب ودخل واستهدى الى قصر الملك حتى علم ذهب اليه ودخل بعد ما استأذن وحصل على الرخصة بذلك ووقف بين يديه فدعا له بالعز والنصر وتكلم بافصح لسان وبالطف عبارة حتى خلب قلب آفـة الرقاب بفصاحته وسلب عقله بلطفه وادابه ثم قدم له الرسالة وتنحى قليلاً بانتظار الجواب

فاخذ آفة الرقاب الرسالة وهو رجل عظيم الهيئة كبير الجثة مهول الخلقـة عابس الوجه على الدوام بشفاه غليظة وعينين غارقتين بوجهه بما يدل على خبثه

وخداعه ومكره وشعر جعدي ولون حالك السواد يوقع الرعب بالقلوب وفتحها فقرأها وعرف رموزها ومعناها فهدر وزمجر وطغى وتكبر وصرخ باعلى صوته قائلاً ومن يكون ذلك الكشحان الذي يتجاسر بان يوصل بضرره ويعتدي على اولاد جنسنا فلاجعلنه عبرة لمن اعتبر ولاقطعن رأسه بهذا الحسام الابتر

ثم التفت الى المارد وقال له حباً وكرامة ايها الرسول فاتني بهم وادخلهم عليّ حيث الاقيهم بكل ترحاب واكرام وادافع عنهم ببذل دمي

فما صدق المارد ان سمع هذا الكلام حتى رجع في الحال الى الوزير بختيار واخبره بجميع ما حصل

فسر بختيار مزيد السرور بذلك وقال هيا بنا فلنذهب ونلتجيء الى ذلك الملك العظيم الذي سيحقق امالنا ويعيد لنا ما فقدناه طويلاً من الراحة والسلام

فذهبوا جميعاً ودخلوا المدينة فلاقاهم آفة الرقاب على الابواب بكل ترحاب واكرام واظهر لهم البشاشة والسرور

ثم مضى بهم الى قصره الخصوصي واعد لهم وليمة فاخرة وطلب اليهم ان يقصوا عليه شيئاً مما حدث لهم

فنهض بختيار وصار يقص عليه احاديث ملفقة قصاراها اظهار ما قاسوه من الذل والاضطهاد من الجنس الابيض عباد الله وكان يصف في خلال احاديثه الامير حمزة بالشجاعة والثبات والاقدام بما يهيج آفة الرقاب الذي كان بطلاً ملاحلاً وقرماً شجاعاً لا يهاب الموت ولا يخشى الردى

فلما فرغوا من الوليمة وقد ادرك بختيار بحسن سياسته سؤاله من آفة الرقاب اعد لهم جانباً من قصره واقامهم به بكل احتفاء واكرام وعين لهم حشماً تقوم بخدمتهم حق القيام فناموا تلك الليلة مطمئنين مسرورين ماعدا كسرى الذي كان غارقاً بلجج تصوراته يرتب فكره كيفية انضمامه الى العرب ومنارقته اولئك الزعانف الاشرار

ولما اشرق الصباح واضاء بنوره ولاح نهضوا من المنام فوضع آفة الرقاب الحراس على الابواب وارسل الجواسيس والرقباء الى اطراف سهل المدينة لتخبره عند قدوم جيش العرب ورجع الى ضيوفه فدارت بينهم كؤوس المسرات وعملوا على شرب المدام وقد وعدهم بان سيبدد شمل العرب ويكون لهم خير معين وملجأ

هـذا ما كان منهم واما ما كان من العرب العرباء اساد الغاب ومسهلين الصعاب فانهم ما زالوا يسيرون بتلك الفلوات وهم على ظهور الجياد يتزعون باجمل المناظر الطبيعية يتمتعون حتى اشرفوا على بستان وقد توارت الشمس عن الاعين وولت تاركة من اثارها الشفق اللماع وتلألأ البدر في الماء كماس في عرض ذلك الفلك الصافي تاركا الكواكب الزهر ترنو اليه باعين شاخصة وبقلوب خاشعة وقد هب النسيم اللطيف فمالت الاغصان وفاحت روائح الازهار العطرية التي كانت تملأ تلك الجهات فانعشت القلوب وتحدث الماء الزلال مع الحصى فاحنت عذبات الرند تسمع ما يقول واطلق عمر العيار ساقيه الريح فولج ذلك البستان الزاهي يقفز كالغزال من شجرة الى شجرة ويتفقده ان كان يصلح للمأوى فعثر بالشيخ والغلام

ولا يقدر القلم هنا ان يصف ما اصاب عمر من الدهشة عندما رأى ذلك الكوخ الصغير وبه ذينك الشخصين الذين يأس من لقائهما عندما طلبهما ولم يجدهما من يوم جرح الامير حمزة وابنه بديع وكاد ان يشرفا على الموت من جرحيهما وشفاهما ذلك الشيخ بل نقول انه عندما شاهدهما جاثيين يقيمان الصلاة الى الله تعالى بقلوب خاشعة وعيون شاخصة الى العلا شخص هو ايضاً بدوره اليهما ولم ينتهيا من صلاتهما الطويلة حتى ذهبت عن عمر بعض ما به من الدهشة وقدر على ان يتكلم ويجيب مهردكار التي عادت تزيد الاندهاش دهشة

او ما انت عمر العيار اخو الامير حمزة وما اوصلك الى هذه الديار

فاجابهما عمر قائلاً نعم انا هو بعينه اوصلني الى هنا حسن الحظ لاراكما نازحين

عنك رداء الغلمان حيث قد آن الاوان للشمس ان تضيء بعد طويل احتجابها ولنجم سعدنا ان يشرق بعد ذلك الافول وتقدم عند ذلك من الشيخ فقبل يديه وصافحه الشيخ فجلسوا يتحادثون وكلهم بعينين تضيء باشعة الفرح وبوجوه تطفح بنور البشر والسرور فسأل عمر الشيخ قائلا

بالله عليك يا عماه ان تخبرني كيف وصلتما الى هذه البلاد وكيف غادرتما انا نبحث عليكما وما السبب في ذلك

فاجابه قائلا كل الذنب في ذلك على مهردكار لانها لم ترغب يومئذ ان تظهر امام زوجها وخشيت اذا اقامت ان يظهر امرها فطلبت اليَّ الذهاب الى الخمائل والغياض لتصرف بها بقية حياتها فامتثلت وحضرت بها الى هنا وبالامس صادفت اخاها كسرى فايقنت بقدومكم باثره وسرت غاية السرور اذ انها تتمكن من رؤية زوجها بعد ذلك الفراق الطويل فهلا حضرتم وحضر معكم

فقال له نعم قد حضر بكامل جيشه وفرسانه وهو خارج البستان وقد وطد العزم على ان نبيت هذه الليلة هنا وفي الغد نرحل اما وقد حظونا بلقياكم فيجب ان نسعى بقرب الزوجين بعد فراقهما الطويل وننزع عن قلبيهما الاحزان والحسرات ونجدد الافراح والمسرات فما رأيك يا عماه بذلك

قال له الشيخ حسناً تفعل يا عمر فان زمن الفراق قد طال واني قد فكرت بذلك الامر عندما علمت بقدومكم باثر الهاربين وقد قرب الله انجازه لاني صرت شيخاً هرماً واخاف بان يقضي عليَّ وتبقى مهردكار وحدها فريدة شريدة بلا انيس لاتعلم ما تعمل وكيف تعيش بهذه الاراضي المقفرة

فقال له عمر العيار انك مصيب ايها الشيخ الجليل وسأبذل الجهد بجمعهما بهذه الليلة وتجديد الافراح فاستعد لذلك بالحال وودعهما عمر العيار وخرج من ذلك البستان الى حيث كانت عساكر العرب وفرسانها منتشرة بذلك السهل الواسع بين الغاب ومنبت العشب حب الرمال

فخرق صفوفهم واول ما اجتمع بالوزير بزرجمهر فاخبره بجميع ما يعلمه عن

مهردكار وكيف رآها ثم ذهب الى فرسان العرب كاندهوق بن سعدون وقاهر الخيل ومعقل البهلوان والمعتدي حامي السواحل ونشيد ومباشر وهارون البطل المجنون والاصفران الدربندي والامير عقيل وفرهود صاحب التكرور وملوك الظلمات واولاد الامير وبنيهم فاخبرهم عن مهردكار وكيف نجت من الموت بواسطة اسما بري وكيف رآها هنا بهذا البستان الزاهي الزاهر فهاجوا جميعاً من الفرح بهذا الخبر الطرب البديع وخشوا على حمزة من ان يصيبه شيء من العوارض لتأثيرات الفرح الفجائي

اما عمر العيار فانه تحسب لذلك الامر مزيد التحسب وخشي على الامير حمزة من تأثيرات الفرح ولذلك اخبر الجميع بما ... الامير حمزة اذ ذاك بالتدريج وليس بغتة

وهذا الذي حصل فان عمراً اخبر اخاه حمزة بان ذلك البستان الزاهي الزاهر يصلح للمأوى فامر العساكر ان تاتيه وتضرب مضاربها ... ونصبوا ... بقعة بذلك البستان ... كبيراً ... وامراءهم ويصرفون باجتناء فاكهة الاحاديث بضع ساعات ...

فاجتمعوا به وقد غص بهم ذلك ... الكبير ... سعد والامير حمزة واولاده والوزير قاضي العرب والفرسان ... وكلهم بثغور باسمة ووجوه تتهلل بشراً ... الاشارات والغمز والرمز الذي كان ... من الجميع ... الذي كان حائراً في ... غير الاعتيادية ...

فتقدم اليه اذ ذاك عمر العيار ... بان لي كثيراً من العيارين الماهرين تحت ... ينفقه في سبيل ...

فقال له الامير حمزة وقد ... من كلامه ... اعناق جميع الحاضرين قد اشرأبت ...

عظيم . وما المراد بذلك يا عمر

فقال له عمر المراد بذلك هو اني اتلفت ما لدي من الاموال والنعم وكلهم حانقون عليّ حيث صار لي مدة طويلة ولم اههم شيئاً

فقال له حمزة حسناً قل ما يلزمك فاعطيك اياه في الحال

فقال له عمر العيار وانك تعلم ايضاً باني لا اقبل هبة من احد ولا انفق الا من كسب يدي فهل لك ان تتفق معي على اداء مبلغ من النقود ابيعك به ما يملك من اسر الناس واحسنهم حظاً

فقال له الامير حمزة البهلوان وقد انذهل من كلامه ومن ملامح الحاضرين الذين كانوا شاخصين يشيرون الى بعضهم البعض ويتغامزون . وما مرادك ان تبيعني ايها التاجر المستجد

فقال لا شيء سوى خبر لطيف وبشارة مطربة فهل لك ان تدفع لي الف دينار تلقاء ذلك

فقال له الامير حمزة البهلوان لحاك الله ما اشد طمعك فاعرض بضاعتك لاني قبلت بما اشطرطته

فنظر عمر الى الحاضرين فوجدهم ساكتين باهتين شاخصين اليه ثم نظر الى اخيه الامير حمزة وقال له ان بضاعتي يا اخي هي ذات ثلاثة اصناف فالصنف الاول قيامة الاموات والثاني وجود شيخ وعلام والثالث تفسير منام

برقت مقلتا الامير حمزة عند هذا الكلام ووضع يده على جبهته كأنه ازال بيده تلك الغيمة الكثيفة التي تلبدت على مخيلته

ثم تنهد وقال بصوت الكئيب الحزين وهل الشيخ الذي طببني والغلام الذي ... اشجاني وسلبني هما هنا

فقال له عمر هما هنا بذلك البستان وما قرب منا

فقال له وما المراد بقيامة الاموات وتفسير الحلم

فاجابه هو ان الصياد مستعد لتقديم الغزال وما عليك الا ان تطلبه

فضجر الامير حمزة البهلوان من كلام عمر العيار الذي كان كله الغازاً ومعميات ونظر الى الوزير بزرجمهر الذي كان يبسم بما يدل على انه عالم بجميع ذلك وقال له بالله عليك ايها الوزير الحكيم الا ما اخبرتني بمضمون كلام عمر العيار فاني ارى لك الماماً بذلك

فقال له قاضي العرب نعم ايها الامير اني عالم بكل شيء وسأخبرك به لتعلم بان الله بعباده رؤوف عادل واخذ عند ذلك يخبره بالطف عبارة حسبما يقتضيه المقام وكما اعطي من الحكمة التي امتاز بها على اقرانه عن مهردكار وكيف اختطفتها اسما بري عندما شربت السم وجعلت مكانها على الفه امرأة تشبهها وكيف بعد ذلك سلمتها الى ذلك الشيخ الحبيب الذي نباها وحفظها كل هذه المدة حتى اخبره بانها هي ذلك الغلام الجميل المقيم الان بالقرب منه

وعندما انتهى لوزير بزرجمهر الى هنا صرخ جميع الحاضرين بصوت واحد قائلين ليعش اميرنا ليدم محفوظاً بالعز والراحة والهناء غابر ايامه

اما الامير حمزة فانه اثر به الفرح مزيد التأثير حتى انه لم يعد يعلم كيف يعمل واحتبس لسانه عن الكلام فلم يعد قادراً على اظهار فرحه العظيم وسروره الفائق الحد الا باشارات يديه وعينيه وقد خشي عليه الجميع من فرط الفالج الذي ظهرت علائمه اذ ذاك فاطلوه وجعلوا يلاطفونه ويكلمونه وكان يجيبهم تارة بعينيه وطوراً بتبسم واحياناً بهزة بدون ان يكون قادراً على الكلام فتحققوا عندئذ ما فكروا به واد ذاك انقلاب فرحهم وسرورهم الى حزن عظيم

ولكن هذه الاعراض لم تتمكن من الامير حمزة فانه اذ شاهد جميع الفرسان قد انقلبت هيئاتهم من الفرح الى الكدر ومن الحول والمراح الى الغم والجمدة والسكون انطلق لسانه واول ما تكلم به عن انه سأل بزرجمهر عن صحة هذا الخبر فاجابه بالايجاب وقال له قد كانت تشاهدها لان اذا شئت

فقال له الامير حمزة وكيف لا ارغب ان اشاهد حياتي ودنياء افكاري فاخبرني اين هي الآن ودعوني ان اختلي بها واتمكن من رؤيتها لارتمي بين

يديها واغسلها بدموعي فعساي ان تصفح لي عما اسأت اليها

فقال له ان كوخها الحقير الصغير يبعد عن هذا الصيوان بعض اذرع فيمكنك ان تصل اليه بدون دليل

فقفز اذ ذاك عن كرسيه وقد تجددت به قوة الشباب وقطع ارض ذلك الصيوان بخطوات كبيرة غير موزونة حتى بلغ الباب فوجد به عمر العيار واقفاً ومشبكاً به يديه لكي لا يدع له ممراً

فتعجب الامير حمزة البهلوان من ذلك وقال له ويك وما هذا العمل دعني اتمكن من الخروج

فقال له باطلاً تجتهد في ذلك فلا امكنك من الذهاب اليها قبل ان تدفع لي الالف دينار التي صار الاتفاق عليها

فقال له هذا وقت المزاح الآن يا مخلوق فاذهب امامي والا اجبرتك على ذلك

فاجابه عمر قائلا اني قد حلفت على نفسي بان لا ادعك تجتمع بزوجتك قبل ان تدفع ما صار عليه الاتفاق ولا يمكنني ... لان ... بانتظاري

فرجع الامير حمزة واحضر له كيساً ... بالدنانير وقال له خذ لحاك الله ما اشدك حرصاً على حقوقك

فأخذه عمر العيار وفتح له ممراً فانطلق الامير حمزة من الباب خافق يكاد يطير من الفرح ولم يتبعه احد لان قاضي ... عليهم ذلك الامر فوصل الى باب الكوخ وعندما فتحه وقف كالصنم لا يبدي حراكاً لانه شاهد مهردكار التي قاسى ... في نفسه الى ... في سبيل حبها وهي واقفة ... له عن ... او ... تقبل ... على الذهاب ... الينابيع

وما زاد نظره جموداً وقلبه ... الا ... انها كانت مرتدية بثوب من الحرير الناعم وهو ذات الثوب الذي كانت تلبسه عندما كانت مولعة

بحبه قبل الزواج حيث كانت تنتظره بالنافذة عندما يمر من تحت قصرها فتغازله ويغازلها وتقاسمه شكوى الحب وتشير اليه واضعة رطب العناب على القلب

اما الامير حمزة فانه منذ رآها بهذا الزي علم المراد بذلك فانطرح على عنقها يقبلها ثم اكب على يديها يغسلها بدموعه الغزيرة الحارة واول ما تكلم منه هو طلب العفو والسماح والصفح عما اقترفه من الذنوب التي لاتغتفر بالاساءة اليها واظهار ندمه العظيم فقال لها وكانت دموعه تهطل كالسيل ما هذا يا مهردكار او هل قدر الله ان اراك ثانية واموت بغاية الامن والراحة او هل انت مهردكار مالكة قلبي وسالبة لبي التي طردتها وطردت راحتي وسروري واصبحت فريسة للاوجاع والعذابات الشديدة بعدة هذه السنين . آه اني لا اقدر ان افتكر باساءتي الماضية اليك وذنبي العظيم ويكاد يدركني جنون الفرح عندما اراني بالقرب منك وقادراً على ان اظهر لك حرارة ندمي وشيئاً من اوجاعي منذ بعدك التي ترين ملامحها صائلة على وجهي وجسمي النحيل الهزيل فهل يوجد بقلبك اثر للرحمة فترحميني وشيء من الاشفاق والحنو فتشفقي على حالتي التعيسة وتنجيني من هذه العذابات المؤلمة بان تصفحي عن ذنبي الذي لا يقبل العفو

فاجابته مهردكار وقد لفت يديها على عنقه : آه يا حمزة اني منذ فراقك كنت بحالة توثر بالجماد وتوجب الشفقة والرحمة لاني كنت اقاسي من العذاب اكثر مما قاسيته لوحدتي وانفرادي ولحبك المتمكن بقلبي بما لا تستطيع الحوادث زلزاله فالحمد لله الذي جمعنا بعد يأسنا من ذلك وقربنا من بعضنا بعد ذلك الفراق الطويل فجاش الحب عند ذلك بقلب الامير حمزة لزوجته وابتدءا يتعانقان ويتعاتبان

ثم عدلا عن الشكوى والعتاب الى المناغاة والمؤانسة ودعوا بقية تلك الليل على ارتشاف عقار التصور والتنقل بالطف الاحاديث واعذب الكلمات الى ان لاح الصباح وانبثق الفجر فخرج واياها قبل ان يستيقظ احد من الخادمين وذهبا يتنزهان بذلك البستان البديع العجيب ويتنشقا روائح الازهار العطرية ويطربا سامعهما باصوات تغريد الطيور وينعشا ارواحهما بذلك النسيم العذب الذي كان يتلاعب بالاغصان

يخرج لحفيفها صوت يطرب الانفس وينعش القلوب حتى وصلا الى شجرة كبيرة نامخة مرتفعة على ربوة عالية فقعدا وجلسا تحتها يستظلان باوراقها الكثيفة من ندى الفجر اللطيف الذي كان يسقط على الاوراق نقطاً مستديرة لامعة كالدر المنظوم فجلس وراياها هناك وجعلا يتأملان المناظر الطبيعية ويسبحان الخالق الذي جمعهما وسمح بائتلافهما حيث صار قادرين على ان يتلذذا بهذه المناظر التي كان كل منهما يتكدر عند رؤيتها سابقاً لانها تهيج احزانه وتذكره بمن يهوى فجاش الحب في خاطر الامير حمزة واحد يوصف تلك المناظر التي جعلته كالثمل النشوان اكرا حالته اذ ذاك

فلما فرغ من كلامه قاما يتمايلان بذلك الفردوس ويشار كا الاطيار بتغريدها اللطيف وهما من اسر العالم ثم دار بينهما حديث الحرب فاستغنمت مهردكار تلك الفرصة لاستفهم باحيها كسرى فاخبرته كيف شاهدته منذ يومين واعلمته عندما على ما مضى وكيف [illegible] العرب محبة عمياء

فقال لها الامير حمزة انك كنت ولم تزلي التسلطة على افكاري ومالكة فؤادي ولك في حق التصرف كيف شئت ثم وعدها ان سيكون له من اخلص المحبين ويعيد له مملكة [illegible] [illegible] تكن اساءته لا تمحى وذنبه لا يغفر فان يوجد [illegible] [illegible] الاساءة [illegible] نظرة رضى منها تجعل كل ذنوب خيها نسياً منسياً عنده

فسرت بكلامه وشكرته [illegible] [illegible] البستان [illegible] ليرجع الى الخيام وعندما وصلا وجدا الامير [illegible] [illegible] [illegible] ترعة والآلات عازفة والمولدات راقصة وامراء العرب [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] لازمها و[illegible] وهم بانتظار حمزة ليخرج من كوخ مهردكار [illegible] [illegible] [illegible] فلما شاهدوه مقبلاً ويده بيد مهردكار التي كانت غاية [illegible] المديح المفرط وبحسنها الفائق لنادر المثال سروا جميعاً بهذا المنظر [illegible] من [illegible] وسأله دوام بقائهما

اما الامير حمزة فقد سر [illegible] مزيد عليه عندما شاهد اخلاصهم ومحبتهم

له الزائدة فشكرهم على ذلك ثم ذهب الى الشيخ الطبيب فقبل يديه واظهر له عظيم امتنانه وفائق تشكراته على معاملته الحسنة لمهردكار بهذه المدة الطويلة وحفظها بكل راحة وسلام في تلك السنين الغابرة ثم عرض عليـــه ان يقيم معه غابرة ايامه لانه لا يطيق فراقه نظراً لما صنعه معه من الجميل ولكون مهردكار ترغب في ذلك ايضاً ولا تقدر على احتمال بعده نظراً للالفة السابقة فرضي الشيخ بذلك وارتبطت بينهما حبال الاخاء والمودة فتعانقا وتصافحا وقد اتفقت القلوب على الصفا والمحبة بما لا يزيله كرور الايام

واقام العرب ذلك النهار بذلك البستان وقد رقصت المولدات وغنت الاما وضربت بالدفوف والمزاهر وجددوا زفاف الامير حمزة على مهردكار ببهجة واحتفال لم يسمع بمثلها بماضي الايام وعندما فرغ ذلك النهار وافلت الشمس المشرقة اقبل الجميع على الامير حمزة الكهل الذي جددوا صباه بزفافه وقدموا فروض التهنئة ثم مضى كل الى مرقده ليتلذذ بالمنام فنزعت شمس الظلام بصيوان الامير حمزة وصرفا تلك الليله المشرقة بشموس التهاني على اتم ما يرام من الرغد والهناء والسرور

وعندما اشرق الصباح وتهلل وجه الافق بشمسه المضيئة هب الجميع من مراقدهم وذهب الامراء والاعيان الى صيوان الملك فتباحثوا وعزموا على المسير في ذلك النهار الى مدينة العبيد ومحاربتها فنبهوا على العساكر والجنود ولم تمض ساعة من الزمان حتى كان الجميع بتمام الاستعداد والنظام وقد امتطوا صهوات الخيول وساروا فى ذلك البر الوسيع يتقدمهم اسد الغاب وسلطان الموت الزؤام الامير حمزة البهلوان وعلى يمينه مهردكار بهودج متقن الصنع عجيب الهيئة يسلب العقول بالجواهر واليواقيت المضيئة كالكواكب التي كانت عليه وفى يساره ذلك الشيخ الجليل على جواد كريم وهو يوجه جلاله الى ... يصافح ... السمر

وكان الامير حمزة يسير على ظهر جواده الاشقر ... السرور وهو يظن كونه ملك الدنيا باسرها وكان في كل برهة يقترب من ... مهردكار ... ثم ...

الهودج وينظر الى مهردكار ويحادثها بكلام لطيف فتجيبه بما ينعش قلبه ويسلب لبه ويجعله ثمل بخمرة الحب والسرور

فطرب القوم لفرحها واعجبوا بحسن حظها وما زالوا يسيرون في عرض الفلوات الى ان هجم الظلام فناموا تلك الليلة وفي اليوم الثاني امتطوا على الجياد وجعلوا يطوون تلك البيد التي تخدشت سطوحها من مجر عواليهم وتحفرت من وقع حوافر خيولهم حتى اشرفوا في عصر ذلك النهار على سهل مدينة البيد الواسع فاطنبوا الخيام وقد ضاق بهم رحب ذلك السهل بما وسع لانهم كانوا بعدد يبلغ حب الرمال . ونصبوا صيوان الملك فاجتمع به الامراء والاعيان للمذاكرة بما يفعلون فارتأوا ان يرسلوا كتاباً لملك هذه المدينة ويعلموا مايكون جوابه لانه ربما يكون خشي بأسهم مذ شاهد كثرة عددهم فيسلمهم اعدائهم بدون ان يحوجهم الى اضرام نار الحروب فكلف الامير حمزة عندئذ الوزير بزرجمهر ان يأخذ دواة وقرطاساً ويكتب ما يأتي :

بسم الله الرحمن الرحيم

من سيد الابطال وقاهر الرجال ومذل الفرسان من خضعت له الانس والجان الامير حمزة البهلوان الى آفة الرقاب ملك مدينة البيد

اما بعد فاعلم ايها الملك المخدع من اشد الناس جبناً ومكراً وخيانة بانناممن دانت لهم الرقاب ورهب بأسهم واطاعهم جبابرة هذا الزمان وقد اضر بنا اولئك الملتجئون اليك وعملوا على كيدنا بعدما بادأناهم بالخير والمعروف واحسنا اليهم غاية الاحسان وهربوا من وجوهنا بعدما قتل الكثير من ابطالنا وفرساننا لسبب الحروب العديدة التي كنا نصليها على من يتجاسر ويظلهم بحمايته بما يجعلنا نجد باثرهم ولو صرفنا العمر على ذلك لنثأر للفرسان التي هدرت دمائهم بسببهم

وانك ولا ريب قد سمعت شيئاً عن اعمالنا العجيبة وشاهدت رجالنا التي ضاقت دونها واسعات البيد فلك الخيار اما ان تسلمنا من اتينا بطلبهم او تستعد للحروب والكفاح فنأخذهم قوة واغتصابا ونجعل مدينتك قاعاً صفصفاً واني اقدم

لك نصحي ولست ممن يرهبون الموت اويخشون الردى بان تسلمنا المتجئين اليك فتكف هدر دماء العباد وتكتسب بذلك صداقة من شهرته اغنت عن وصفه وهو الامير حمزة البهلوان والسلام

فلما فرغ الوزير من كتابته قدم الرسالة الى الامير حمزة فختمها ومن ثم طواها واعطاها لعمر كي يوصلها الى آفة الرقاب

فأخذه عمر العيار واطلق ساقيه للريح حتى بلغ باب المدينة فطرقه وفتح في الحال مذ علموا بانه رسول العرب فدخل واستعلم عن قصر الملك فاوصلوه اليه وقد كان مغيراً هيئته حذراً من مكر بختيار فدخل على الملك وكان عنده مقيماً الملك كسرى انو شروان وعلى وجهه ملامح الامل بالخلاص وبختيار ونادرت وعلى وجهيهما علائم القلق والخوف والخوند وعلى وجهه آثار العظمة والبهلنة

وكان آفة الرقاب جالساً ما بينهم على كرسي الملك بمنتهى التعاظم والكبرياء وهو كبير الجثة ضخم الشفتين حالك السواد مهول الخلقة مزين بكثير من اليواقيت والجواهر

فركع عمر امامه وثنا له بافصح لسان ثم ناوله المكتوب واعلمه بأنه رسول الامير حمزة اليه

فأخذه منه آفة الرقاب وفضه وقرأه ولم يصل الى آخره حتى ارغى الزبد على شفتيه وهاج كما تهيج فحول الجمال ثم جذب حسامه وقفز عن كرسيه الى الارض ليفتك بعمر فلم يجده لانه كان اركن الى الفرار مذ شاهده بهذه الحالة المتناهية بالغضب والحدة وادرك من احمرار عينيه عند تلاوة الكتاب بانه سيقتله لا محالة عند الفراغ من قراءته لانه من القوم المتوحشين الذين لا يرعون حرمة الملوك ولا يشفقون على الرسل الذين لا ذنب عليهم سوى اخلاصهم بما انتدبوا اليه وذهب الى اخيه حمزة فاعلمه بجميع ما رأى وانهم قوم لا ينجع فيهم غير السيف القرضاب

فتكدر الامير حمزة من ذلك وعزم على اضرام نار الحرب في اليوم التالي وبينما هم جالسون اذ شعروا بوجود شبح منتصب على باب الصيوان فتأملوه فاذا هو عبد

وعليه حلة ثمينة ورداء فاخر بما يدل على انه من اصحاب المراتب والمقامات العالية

اما ذلك العبد فانه وقف بقدم الوجل الخائف على الباب وخص بنظر سريع الموجودين ثم حول عنهم نظره الى مهردكار فشخص اليها ولم يلبث بضع ثوان ريثما تأملها حتى هجم عليها وعلى وجهه ملامح الفرح والسرور وقد تكلم بعبارات غير مفهومة لتلعثم لسانه

فارتاعت مهردكار واجفلت منه وصرخت مستغيثة بزوجها اما الامير حمزة فانه لم يتمالك روعه عندئذ من الغضب فجذب حسامه وهجم عليه وكاد يقسمه شطرين لو لم يلتجيء ذلك العبد الى الشيخ الطبيب ويقول له بصوت مضطرب من الخوف ايها الشيخ احرني فاما ذاك المريض

فحال الشيخ للحال ما بينه وبين الامير حمزة وقال له رويدك ايها الامير فلم ... فقال له الامير حمزة عجباً وكأنك لم تشاهد ما فعل

فاجابه الشيخ ... نعم قد شاهدت كل شيء واني لموقن بان غضبك عليه يكون من باب التعدي والجور والظلم . فزاد عجب الامير حمزة بذلك وقال له وكيف ذلك . فاجابه الشيخ صبراً فسوف ترى وللحال استدعى بماء في اناء وانحرف بذلك العبد قليلا عنهم بحيث افرغه من ثيابه وغسله بالماء القراح ورجع به الى الامير حمزة ... فكيف رأيت اولا يحق للاخ ان يشاهد اخته بعد فراق طويل ويلهو ...

... كسرى هجمت عليه فتعانقا واغتسلا بدموع الفرح التي ... كالسيل المندفق وبعد ذلك اقتربت من زوجها الامير حمزة ... من قدوم كسرى بهذه الهيئة وقالت لهُ تذكر ايها الامير ما ... اساءة اخي وان كان بقلبك شيء من الحب لزوجتك مهردكار ... بما انت مطبوع عليه من الحلم والكرم وحسن الطوية ... ل اليك ودمع الندم يترقرق بعينيه ودم الاخلاص ... ما تراه آتياً اليك

اما الامير حمزة فانه لم يكن عندئذ يرى اسر لديه من عمل كل ما يؤول لرضى زوجته وسرورها فاقترب للحال من كسرى وعانقه وصافحه فشكره كسرى على كرمه واظهر له حبه واخلاصه وميله لمصافاة العرب وحرارة ندمه على ما مضى وان ذلك لم يكن الا خيانة بختيار فسر الامير حمزة من ذلك وامر جميع الحاضرين بان يعانقوه ويصافوه ففعلوا ورتفعت حالتئذ من قلوبهم الضغائن والاحقاد وشيدت دعائم المحبة والوداد

وكان السبب في قدوم كسرى في مثل هذه الساعة هو انه مذ رأى رسول العرب داخلًا على آفة الرقاب بذلك التحرير الذي جاء بمنتهى الغضب والحدة علم اذ ذاك بان الحرب ستنشب نارها في اليوم الثاني واذا لم يخرج من بينهم لا يعود يمكنه الخروج ثانية لكثرة الرقباء والحراس التي تكون في زمن الحرب فصبر ان انصرف الجميع من مجلس آفة الرقاب وذهب مع بختيار والخوند وياقوت الى غرفهم

فصبر كسرى الى ان هجم الظلام وخرج من الغرفة بدون ان يدع احداً من اصحابه يشعر به او يعلم شيئاً من مراده وقطع الشوارع الى ان بلغ باب المدينة وهناك اخبر الحراس بانه ذاهب الى معسكر العرب كجاسوس من قبل آفة الرقاب يترقب احوالهم ويعلم قواتهم وعددهم ففتحوا له الباب وخرج وهو افرح الناس لانه كما علمنا كره بختيار وارائه الفاسدة اشد الكره ومقت اصحابه اشد المقت ومال الى العرب كل الميل فاتى اليهم يستره جنح الظلام الدامس عن اعين الرقباء ولونه الحالك السواد عن عارفيه قبلًا فجرى ما جرى من الصلح والاتفاق كما علمنا

فنام الجميع تلك الليلة وكسرى بغاية السرور لكونه حاز على رضى الامير حمزة ومهردكار تكاد تطير من الفرح بمشاهدة اخيها وائتلافهما مع زوجها التي كانت تحبه الحب العظيم والامير حمزة مفعم القلب طرباً لكونه مع ملكة فؤاده وحياة دمه مهردكار ولما اشرق الصباح واضاء بنوره ولاح اصطفت الجنود وترتبت المئات والالوف وامتطت فرسان العرب صهوات خيولها فضرب النفير المنذر بقرب

وقوع الحرب وللحال فتحت ابواب مدينة الصيد وخرج منها آفة الرقاب تحيط به حراسه وهو على جواد عال وقد اعتد بسلاحه الكامل فتوسط في المجال ولعب برمحه العسال حتى ادهش عقول الرجال ثم اشار الى العرب بطلب القتال وصار يدمدم بلغته الاعجمية ويشتم العرب بما لم يكن مفهوماً من سواه فتسابق الابطال الشداد الى لقائه وما منهم الا من تحمس وود لو يصل اليه ويشفي منه غليل الفؤاد

اما الامير حمزة فانه منعهم عن النزول اليه واستوقفهم حيث خاطبهم قائلا انكم لا ريب تعلمون يا اصدقائي الاعزاء بانكم من احب الناس الي وان كلكم بمثابة ولدي وحيث قد توفرت لي اسباب الراحة الان بوجود زوجتي ووجودكم جميعاً سالمين فلا ارغب ازالتها بيدي ولا اود نزعها مني ولذلك يقتضي ان تدعوني ابرز الى ذلك المعتز بنفسه والشامخ على ابناء جنسه حيث اذا قتل احدكم فاني اخسر جميع مسراتي بوقت واحد واصرف غابر ايامي بمنتهى اليأس والكآبة اما انا فاذا قتلت وسمح الله بموتي فاكون تخلصت من الحياة بدون ان ارى ما يكدرني فتجهدوا عند ذلك باخذ ثاري واذا قتلت اكون انتصرت على الزمان وسلبته قصراً ما املته من الراحة والامن والسرور

فتوقف الجميع عن الجواب وقد افحمهم كلامه فاضطروا الى الامتثال على غير رضى لانهم كانوا يخشون عليه لتقدمه بالسن ولكنهم لم يكونوا قادرين على مخالفته وعصيانه فنزل ذلك الكهل وهو على جواده الاشقران كانه قلة من القلل او قطعة فصلت من جبل وصرخ بآفة الرقاب صوتاً اهتزت له جوانب البيد وخرج كانه الرعد القاصف وقال له ويلك جاءك الامير حمزة البهلوان مذل الانس والجان من ليس للموت عليه قوة ولا سلطان بقوة العزيز الرحمن فلقيه آفة الرقاب بعزم قد من الجبال وانطبقا على بعضهما فكانا يلتصقان ويفترقان ويتقاربان ويتباعدان وقد كرّا وفرّا وتقاتلا وتناضلا والامير حمزة يظهر من فنونه بالحرب ما ادهش آفة الرقاب وجعله حائرًا باهتاً من قتاله ولم يزالا بين كر وفر وطعن وضرب حتى توسطت الشمس في قبة الفلك فضعف عزم آفة الرقاب وعلم بان

.ـزه ليس كن شاهد من الرجال فعمد الى الحيلة والخداع ورجع قليلاً الى الوراء ثم جذب السلسلة الاولى ذات الشناكل والقاها على الامير حمزة قائلاً خذها وانا آفة الرقاب

وكان الامير قد ادرك ذلك قبلاً من هيئته فاستعد له وقبل ان تصل اليه شناكل السلسلة كان ضربها بسرعة عجيبة بسيفه القرضاب فقسمها شطرين وسقطت على الارض فتعجب آفة الرقاب من خفته وسرعتـه وتفننه باساليب القتال فعمد الى السلسلة الثانية وهي التي سمي لاجلها آفة الرقاب وكان الامير حمزة يعلم سرها وكيفية استعمالها فاقترب آفة الرقاب منه وشد على الزنبرك وقبلما ينفر ذلك القضيب الفولاذي ذو الراسين كان الامير حمزة قد انحرف عنه ومال بمهارته المتادة فاصبح القضيب نافراً براس يبحث على شيء يمسكه ولم يجد غير الهواء فاقترب اذ ذاك الامير حمزة ومسك ذلك القضيب بيده فجذبه اليه بقوة تفوق قوة البشر ثم صرخ بآفة الرقاب صوتاً اخبله به وتركه لا يعلم ما بيده وضربه ضربة جبـار عنيد بالسيف على راسه فاطاره عن جسده ثم رفسه برجليه فسقط الى الارض يفحصها برجليه ويديه والدم يتدفق انابيباً من جسده

فصرخ فرسان العرب عند ذلك وقد تعجبوا من هذه الضربة المهولة لا شلت يمينك ايها الاسد الكاسر وللحال اشار اليهم الامير حمزة بيده ان يتبعوه فهرولوا اليه كالذئاب الخاطفة وهجموا جميعاً على المدينة بالرغم عن الجنود الكثيرة التي كانت تحاول منعهم فدخل العرب وقد دارت بينهم رحى الحرب والتطم الـعـران فاصطدما وازبدا واحتدما وغطاهما بريق السيوف اللامعة واحتجبت عنهما انوار الشمس الساطعة فقامت القيامة وكثرة الندامة وقلت السلامة وانتشر للفناء اوسع علامـة واشفت العرب غليلها في تلك الساعات القليلة فجودت الطعن والضرب واضرمت من كل ناحية نيران الحرب فاحرقت الفرسان واذهبت بارواحهم الى عالم الخسران ولم تقبل الساعة التاسعة من النهـار حتى كان العرب فازوا اتم الفوز ولم يبقَ بالمدينة غير قتلاها واقبلت فرسان العرب وعساكرهم يهجمون على البيوت

ويأخذون ما خف وزنه وغلا ثمنه وقد جمعت العرب من اموالهم شيئاً عظيماً لا تاكله النيران

وعند المساء اجتمع الامير حمزة والامراء والابطال فسألوا عمر العيــار عن الوزير بختيار والخوند وياقوت فاجابهم بانه لم يقف لهم على خبر البتة

فتكدر الامير من ذلك وقال للوزير بزرجمهر ابسط لنا الرمل لنرى ايها الوزير الحكيم اين ذهبوا واذا كان يمكننا اتباعهم

فامتثل الوزير وبسط الرمل ونظر اليه ساعة من الزمان ثم رفع رأسه وقال اعلم ايها الامير اننا من الان وصاعداً لا نحتاج الى ان نباشر حرباً ولا قتــالاً لاننا سنظفر باعدائنا الهاربين باسهل طريقة وقد ظهر لي ايضاً بانهم هربوا من هذه المدينة في ساعة مقتل آفة الرقاب قاصدين مدينة جابرصه العظيمة وان الحاكم عليها هو ملك عظيم جليــل ذو قدر وشان وهو يعبد الله سبحانه وتعالى دون غيره وسيكون لنا من اوفى المحبين فهذا ما ظهر لي من الرمل والله اعلم

فسر الامير حمزة بذلك وعزموا على ان يسيروا في اليوم الثاني لان هذه المدينة لا تبعد اكثر من يومين عن مدينة العبيد

فناموا تلك الليلة بمزيد الراحة والطمأنينة ولما اشرق الصباح هبوا من الرقاد واسرعوا الى الجياد فامتطوها واقلعوا عن تلك المدينة بعد ما غادروها قاعاً صفصفاً ينعق فيها البوم والغربان وساروا بذلك البر الوسيع يطون البيد ويجوبون الفلوات والامير حمزة بمقدمة الجيش وعلى يساره الشيخ الطبيب والوزير بزرجمهر واولاده وعلى يمينه زوجته مهردكار واخوها كسرى وهو من اشد الناس طرباً وسروراً

واما ما كان من بختيار ورفيقتيه فانهم بعد ما خرجوا من مجلس آفة الرقاب، ومعهم كسرى انوشروان باتوا تلك الليلة وهم يأملون النصر ولما اشرق الصباح افتقدوا كسرى فلم يجدوه فعلموا عندئذ بانه هرب الى العرب ولحق بهم فتكدر بختيار مزيد الكدر ففرك الخاتم واستحضر المــارد فقال له اذهب بالحال الى معسكر العرب واتني بكسرى اين وجدته فاجابه المارد قائلاً اني لا اقدر يا سيدي

على القيام بما انتدبتني اليه لاني لا استطيع الدخول الى معسكر العرب بقصد الضرر بهم والاعتداء عليهم خوفاً من اسما بري وبأسها

فتكدر بختيار لذلك مزيد الكدر فاوصى الخوند وابنه ياقوت بكتمان هذا الخبر عن آفة الرقاب خوفاً من ان يسيء بهم ظنه فصبر الى ان خرج آفة الرقاب الى معمعة القتال فوقفوا على الاسوار بحيث يشاهدوا جميع ما يحصل بينه وبين العرب ومذ رأوا مقتل آفة الرقاب الحبيب الذي قصم ظهورهم وقطع حبال آمالهم هربوا الى خارج المدينة من الجهة الثانية وهناك تشاوروا في ما يجب عمله والى اين يسيرون

وكان بختيار عالماً بانه يوجد مدينة تسمى جابرصه وسكانها لا يعبدون غير الواحد الصمد فساءه ذلك جداً ولكنه علم بانه لا يقدر ان يلتجي الا الى هذه المدينة فان اصاب هناك نجاحاً كان خيراً والا فيرجع برفيقيه وينتقلون [illegible] يوم من مكان الى مكان الى ان يدركهم الحمام

ولكن ساءه ما توهم بانه مذ عزم على اجراء ما ارتآه استحضر المارد وامره بان يحملهم جميعاً ويطير بهم الى مدينة جابرصه بسرعة بدون ادنى تعويق فاطاع المارد بكل خضوع وحملهم على عاتقه وطار بهم في طبقات الجو حتى اصبحوا ينظرون الى الارض كأنها قطعة صغيرة مستديرة [illegible] ولم يزالوا على هذه الحالة حتى اشرفوا على مدينة جابرصه [illegible] على المارد [illegible] واحدة من [illegible] فصرخ من الالم ورجع الى الوراء فسقط بهم [illegible] المدينة وقد وقع على الارض مغشياً عليه فاقداً رشده

فهاج بختيار حزناً [illegible] وتعجب من ذلك غاية العجب [illegible] ووضع يده [illegible] [illegible] [illegible] المرعب [illegible]

[illegible]

ورجعت بهذه الهيئة مغمياً عليك

فاجابه المارد قائلاً اعلم يا سيدي ان هذه المدينة العظيمة كان يسكنها من قديم الزمان ملك عظيم الشان وكان يعبد الله ولا يطيق النظر الى عبادة الاوثان والنار ولكي يمنع دخولهم الى مدينته جعل عليها هذه الارصاد التي لما شممت رائحتها اغمي عليّ ولو تقدمت خطوة واحدة لكانت حرقتني

فتعجب بختيار من ذلك وقال له كيف يمكننا ان ندخل المدينة ونحن كما تعلم من عباد النار

فاجابه ان ذلك امر سهل جداً وهو ان تتظاهروا بعبادة الله ولكونكم من الانسيين لاسلطة للارصاد عليكم واما انا فلكوني من الجان لا استطيع دخول المدينة حيث شاهدت ما فعلت بي الارصاد

فصدق بختيار كلامه وجلس مع رفيقيه بالقرب من ابواب المدينة التي كانت موصدة وهو يشتكي الكآبة والحزن وبينما هو على هذه الحالة مع رفيقيه اذ فتحت ابواب المدينة وخرج منها شاب جميل الطلعة رشيق القوام مشرق الوجه وعليه من الملابس الفاخرة الثمينة ما يكل عن وصفها اللسان وكان بين يديه كثير من الخدم فتقدم بختيار وسأل احد ذلك الخدم عن ذلك الشاب بكل اللطف والبشاشة فاجاب ان ذلك هو البطل المشهور والقرم الشجاع البطل الصدام الشهير بالوفاء والكرم والحلم والشجاعة وهو ابن اخت الملك جابور ملك هذه المدينة

فتهلل وجه بختيار عند ذلك الكلام وللحال تقدم من البطل الصدام وابدى له كل احترام ووقار ثم قال له بلهجة كئيبة حزينة تحمل اشد الناس قساوة على الشفقة اني استحلفك باسم الله الاعظم ايها البطل الشهم ان ترثي لحالتي وتجيرني ممن اعتدوا عليّ ظلما وجوراً وطردني من بلادي قهراً واغتصابا وسلبوني حقوقي اعتسافا ولم يكتفوا بكل ذلك حتى ادركوني بمدينة المعبد فهربت منهم وبقيت هاربا حتى وصلت لهذا البلد الامين وها هم يجدون باثري فاجرني منهم اجارك الله . فتأثر البطل الصدام لكلامه وكان شجاعاً كريماً رقيق الاحساس

محباً لعمل الخير وسأله عن قصته وكيف حدث له ذلك

فاخذ بختيار يلفق له احاديث كاذبة مآلها اظهار حالته التعيسة وكونه من اشقى الناس بعبارات توثر بالحجر القاسي

فطيب قلبه عندئذ البطل الصدام ووعده بان سيكون له خير مجير وانه سينتقم له من عدوه ولو كان من اشد الناس بأساً [illegible] ويقيه المدينة وذهب بهم الى خاله الملك جابور وحكى له قصتهم [illegible]

وكان الملك جابور حكيماً عاقلاً هذبته التجارب [illegible] فلم تنطلِ عليه حيلة بختيار وعلم من هيئته وكلامه بانه [illegible] كل شر واايناس وافرد لهم محلاً بقصره [illegible] لم يدعهم يعلموا شيئاً من ذلك

وكان مراده ان يحافظ عليهم الى ان تحضر [illegible] العرب [illegible] المسألة بالتروي فان كانوا محققين دافع عنهم [illegible] سلمهم الى العرب وكفى العالم شر اذاهم

هذا ما كان منهم واما ما كان من العرب فانهم [illegible] مدة يومين متواصلين حتى اشرفوا على مدينة جابرصه وهناك [illegible] الى الملك جابور ما يأتي:

بسم الله العادل الكريم

من امير العرب حمزة البهلوان الى الملك [illegible]

اما بعد ايها الملك العظيم فاننا علمنا بان بختيار [illegible] اقوت قد التجأوا اليك وادعوا كذباً [illegible] كفار لا يعبدون غير النار ذات اللهيب وقد [illegible] فنحن مجدون الآن باثرهم لنثأر منهم لابطالنا و [illegible] من ثقل جورهم وقد كان قبل ان اقبلوا اليك [illegible] وملك الاعجام كسرى انو شروان وان بختيار [illegible] الماكر

الذي حمله على عدواننا فهرب في الليلة السابقة واتى الينا مظهراً ندمه على مامضى فصفحنا عن اساءته وقبلناه مكرماً عزيزاً اما وقد علمت شيئاً عن مكرهم وخداعهم فارجو منك ان تتكرم علينا بتسليمهم والقبض عليهم لتجازيهم على ما فعلوا والسلام

ثم طوى الكتاب وسلمه الى عمر وامره ان يذهب به الى الملك جابور بعدما اوصاه بان يحترمه غاية الاحترام

فاخذ الكتاب عمر وانطلق يعدوا الى جهة المدينة حتى بلغها فاستأذن من الحراس ودخل واستعلم عن قصر الملك جابور فذهب اليه ومذ بلغه دخل الى حيث كان الملك جابور جالساً على كرسي مرصع بالجواهر واليواقيت تحيط به الامراء واعيان المدينة وبين يديه الخدم الكثيرة وهو شيخ جليل بلحية طويلة بيضاء مسترسلة الى صدره وبوجه جميل باسم يدل على حسن طويته وشرف قلبه وصدق نواياه

فاقترب منه عمر العيار بعد ما قدم له فروض الاحترام وقدم له ذلك الكتاب بعد ما اخبره بانه من الامير حمزة ففتحه الملك جابور وقراه وعرف رموزه ومعناه ثم افتكر برهة ورفع راسه وخاطب عمراً قائلاً عد ايها الرسول الى مولاك واقره عاطر سلامي ثم قل له انه سيصله الجواب بعد ساعة من الزمن

فانصرف عمر بعد ما دعا له بطول البقاء حتى وصل الى الامير حمزة فاخبره بما تم

اما الملك جابور فانه علم كل شيء وتحقق صدق الامير حمزة فلم يشأ ان يضايق بختيار بالسؤال بل قال له اعلم يا بختيار ان ذلك الكتاب الذي اتاني الان هو من الامير حمزة وهو يخبرني به بانكم من عباد النار وانكم اعتديتم عليه وكنتم السبب في قتل ابطاله والكثير من فرسانه وهو يطلب اليّ تسليمكم لتأخذ العدالة فيكم مجراها . اما انا فسأضعكم هنا تحت الحفظ والمراقبة واذهب بنفسي الى الامير حمزة فالاقيه وادخله مدينتي مع امرائه وابطاله وبطانته بكل ترحاب واكرام ثم اجمعكم سوية بهذا المجلس امام الرؤساء والاعيان ويظهر كل منكم حقه

فهلع قلب بختيار لهذا الفشل غير المنتظر وكاد يقع الى الارض من الخوف ثم افتكر بالخاتم الذي معه فردت اليه قواه واكتسب شيئاً من الشجاعة فقال له انعل ماتشاء

ايها الملك واني لموقن باني سأحظى بمزيد العناية والالتفات من نحوكم منذ ترون صدقي

فلم يحفل الملك جابور بكلامه بل انه امرهم بان يذهبوا الى المحلات المعدة لهم فذهبوا وعند ذلك اوقف عدداً غير يسير من الحراس لمراقبتهم واوصاهم بان يمنعوهم عن الخروج فامتثلوا لاوامره ووقفوا على ابواب الغرف بمزيد التيقظ والانتباه

واما الملك جابور فانه اخذ ابن اخته البطل الصدام والبعض من وزرائه وبطانته وخرج وبنيته مقابلة الامير حمزة والاجتماع به فارسل بعض الجنود الى معسكر العرب ليعلمهم بقدومهم اليهم ولينبههم الى ذلك وخرج مع اصحابه ولم يزل يمشي وهو بتمام الزينة والزهو حتى وصل اليهم فوجدهم مستعدين لمقابلته بوجوه باسمة وبالملابس الرسمية فبادئهم بالسلام واستقبله الامير حمزة بكل ترحاب واكرام

ثم جلسوا ودار بينهم الحديث على بختيار ورفيقيه فحكى الملك جابور للامير حمزة بما عمل بهم وكيف وضعهم تحت الحفظ وحكى له الامير حمزة عن بختيار ومكره ثم عرفه على الملك كسرى وشرح له كسرى طويلاً عن غدر وزيره بختيار ثم جلسوا برهة وجيزة وبعد ذلك نهضوا جميعاً يقصدون دخول المدينة والاجتماع بالوزير بختيار

ولم يزالوا يمشون حتى بلغوا المدينة فدخلوها وعندما قربوا من القصر نظر اليهم بختيار وكان بانتظارهم ليختطف كسرى ويذهبوا سوية فيعامله باقسى انواع العذاب ولم يرغب في اختطافه عندما شاهده بل عزم على ان يصبر الى ان يجتمع بالناس فيختطفه ويذهب واياه ويحرق بذلك قلب الامير حمزة على فراره بعدما [illegible]

فعندما وصل الملك جابور وبطانته والامير حمزة وجماعته الى القصر دخلوا الى غرفة كبيرة واسعة وجلس كل بمركزه حسب مقامه وبعد ذلك استدعوا بختيار ورفيقيه فحضروا وعندما دخلوا ورآه الامير حمزة قال له [illegible] يا بختيار اهل نفعك الغدر والمكر [illegible] امام غايته فقال له بختيار مستهزءاً صدقت [illegible] فسمع للحال صوت عظيم ارتجت له جوانب الغرفة و [illegible] قائلاً يا لك من خائن ثم التفت [illegible]

صار كومة رماد وعند ذلك سقط الخاتم من يد بختيار وقد بطل نفعه وذلك من الارصاد الموجودة على باب المدينة التي حرقت المسارد عند دخوله فسقط بختيار مغمياً عليه عندما علم حقيقة الحال فانتض عليه عمر العيار وشد منه السواعد والاطراف ثم كتف رفيقيه اللذين كانا واقفين كالاصنام وبعد ذلك اقاموا بتلك المدينة العامرة ثلاث ايام حسبما طلب اليهم الملك جابور ثم استأذنوا بالرحيل فاذن لهم

وخرجت جيوش العرب من مدينة جابرصه يتقدمهم الامير حمزة وعلى يمينه ويساره زوجته واحبابه وبنوه وامامه عمر العيار يقمز كالغزال ويسوق ثلاثة بغال كان مشدوداً عليها بختيار والخوند وياقوت وقد خرج معهم لوداعهم الملك جابور وابن اخته البطل الصدام ومشيا معهم نصف ذلك النهار والامير حمزة يشكرهما على الطافهما ومعروفهما حتى انه اوقفهما عن المسير بالرغم عن رغبتهما الزائدة وآل عليهما بان يرجعا فودعوا بعضهم ورجعا الى المدينة وهما معجبان بأس الامير حمزة

اما جيوش العرب فانها لم تزل تمشي وتواصل سير النهار بسير الليل مدة شهر كامل حتى [illegible] صباح اليوم الثاني الى مدينة الدولبيب وكان الوزير عبد الله قد علم بقدومهم [illegible] لهم ابواب المدينة فدخلوها آمنين وسلموا على الوزير عبد الله [illegible] ثلاثة ايام ليرتاحوا من مشقات المسير والسفر وبعد ذلك ودعوا الوزير عبد الله وخرجوا من مدينته قاصدين السبايل فخرج معهم الوزير لوداعهم ثلاثة ايام ثم اقسموا عليه ان يرجع فرجع ووصلوا بعد بضع ايام الى [illegible] هناك نصبوا لبختيار والخوند وابنه صليباً وعلقوهم عليه ثم رجموهم [illegible] حتى صارت النصال تتكسر على بعضها قبل ان تصل الى اجسادهم [illegible] ثلاثة ايام بثلاث ليال وامم كثيرة كعدد النجوم تتفرج عليهم [illegible] ويبارك من ماتهم بهذه الميتة الشنعاء

وفي يوم الرابع [illegible] الامير حمزة على مدينة السبايل مملكاً من سكانها بعد ما [illegible] المدينة [illegible] بالطاعة له والرضوخ لاوامره واقلع عن تلك المدينة بجيوشه العظيمة التي ضاقت دونها واسعات البيد وما زالوا يسيرون حتى

وصلوا الى المدائن فتهلل الملك كسرى انو شروان وطربت مهردكار بالعودة الى وطنها العزيز ومشاهدته ثانية

وكان المتسلط عليها ادباء تغيب كسرى رجلاً اديباً عاقلاً اقامه الشعب لما رأوا به من الحكمة [illegible] الامير حمزة البهلوان ورجع الملك كسرى انو شروان [illegible] والا [illegible] ملكه واعاد له شامخ عزه وكان الشعب قد سر مزيد السرور [illegible] فكان ذلك اليوم حافلاً وقد زينوا المدينة واصبحت بالليل كأنها [illegible] المصابيح والشموع المدهشة

وقد [illegible] تلك الاثناء اعلنوا ذلك بعضهم وهم [illegible] اقاموا سه جميعاً ما بين الرياض الزاهرة والخمائل النضرة [illegible] انس وسرور وقد راق المدام واعتل النسيم لاعتلال رقة [illegible] الماء الزلال اصفاء دموعهم التي كانت تهطل كالسيل [illegible] الرحيل فودعوا الامير حمزة واولاده واصحابه [illegible] الحزن والكآبة لهذا الفراق

اما الامير حمزة [illegible] عند الملك كسرى انو شروان حسب طلب مهردكار [illegible] تلك البلدة بلادنا [illegible] التي انتشت به [illegible] الملك كسرى انو شروان وذهب الامير حمزة البهلوان بزوجته والامير [illegible] ومعسكره [illegible] الى [illegible] براحة وسرور الى ما

[illegible] الجزء الرابع [illegible]
[illegible] البهلوان